دراسات إسلامية

– ١٣ –

أبو علي أحمد بن محمد مسكويه

الحكمة الخالدة

جاويدان خرد

حققه وقدم له

عبد الرحمن بدوي

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

دراسات إسلامية

— ١٣ —

أبو علي أحمد بن محمد مسكويه

الحكمة الخالدة

جاويدان خرد

حققه وقدم له

عبد الرحمن بدوي

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها: حسن ويوسف محمد وإخوتهما
٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة
١٩٥٢

فهرس الكتاب

حكم الروم

صفحة

حكم الإسلاميين المحدثين

خاتمة

تصدير عام

الشرق موطن الأمثال والحكم القصيرة والكلمات العامرات بمعانى « الحكمة فى الحياة » على حد تعبير شوپنهور . فهو يقدس « الكلمة » بالمعنى الأتم لهذا اللفظ ذى التاريخ الحافل فى الأديان الشرقية كلها ، وبخاصة فى اليهودية ممثلةً فى فيلون ، والمسيحية كما رسمها مستهل « الانجيل الرابع » المنسوب إلى يوحنا ، والاسلام كما بلغ أوج صورته الثيوصوفية فى مذهب محيي الدين بن عربى . ومن هنا كانت أكثر الكتب رواجاً فى الفكر الشرقى عامةً كتب الكلمات القصيرة الحكمية : سواء أكانت فى صيغة مناجاة أم كانت على هيئة نثر مطرد الفقرات . وآية هذا المكانةُ الكبرى التى لـ « مزامير داوود » وسفر « الأمثال » ، و« الحكمة » ليشوع بن شيراخ و « الجامعة » المنسوب إلى سليمان — من بين أسفار « العهد القديم » عند اليهود ؛ وكتب الـ « أندرزها » الايرانية التى انتشرت فى إيران قبيل الإسلام وبعده بقليل . بل إن العقل الشرقى لم يستطع أن يهضم الفلاسفة اليونانيين إلا بعد أن وضعت لهم — انتحالا فى أغلب الأمر — أمثال وجمل حكمية قصيرة عُنِي بإيرادها كثير من كتب « الملل والنحل »و« نوادر الفلاسفة » فى الإسلام ، كما يشاهد خصوصاً فى كتاب « الكَلِم الروحانية فى الحكم اليونانية » لأبى الفرج بن هندو (المتوفى سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩م)،وفيما أورده قبله وبعده كثير من الكتاب مثل الجاحظ وأبى بكر محمد بن زكريا الرازى وأبى حيان التوحيدى وأستاذه أبى سليمان السجستانى فى كتاب « صوان الحكمة » . وفى فكرة « الفصوص » نفسها ونقوش الخواتم ما يدل على معنى هذه العناية الهائلة عند الشرقيين بالكلم الروحانية القصار : فحنين بن اسحق يعنى فى كتابه « نوادر الفلاسفة » بذكر نقوش خواتم الفلاسفة اليونانيين الذين أورد أخبارهم و « نوادرهم » فى كتابه هذا ؛ والفارابى ينسب إليه — وقد بدأ الشك يساور الباحثين حول صحة هذه النسبة — كتاب « فصوص الحكم » ؛ وابن عربى يسمى رائعة مؤلفاته باسم

« فصوص الحكم » أيضاً ؛ وابن عطاء السكندرى يكتب كذلك كتاب « الحكم » . وكل هذا إنما يدل على ما لهذا النوع من الكتابة من دلالة خاصة عند العقل الشرقى ، أو الحضارة العربية السحرية بخاصة .

وساعد على تحقيق هذا النوع الأدبى اللغاتُ السامية نفسها : فهى لغات التصاقية ، أعنى أن الكلمات تتتالى فيها لتؤدى المعانى بغير توقف بعض أجزائها على بعض . وهذا من شأنه أن يعين على إنشاء الكلمات القصار أكثر من إنشاء العبارات المركبة périodes ، ولهذا انعدم هـذا النوع البلاغى période ، الكبير الأهمية فى بلاغة اللغات الأوروبية ، وبخاصة اللاتينية ، انعدم من اللغات السامية . والكاتب الممثل الحقيقى لهذه اللغات السامية هو من يكتب على طريقة الفواصل : sentences ، لا على طريقة العبارات المركبة périodes . وإذا كانت اللغة العربية المعاصرة تميل فى نثرها الى الابتعاد عن الفواصل والاتجاه صوب العبارات المركبة ، فما هذا إلا بسبب تأثرنا اليوم بالكتابة الأوروبية ، ولا يزال الكتاب المتمسكون بعمود الروح العربية الأصيلة يلتزمون الفواصل فى الأسلوب . وليس معنى هذا أنه لا توجد فى اللغات الأوروبية جملٌ قصيرة وكلمات حكمية ؛ بل هى توجد عند الكتاب اليونانيين — وإن كان الشك قوياً جداً فى صحة نسبتها إلى أكثرهم ، خصوصاً إلى من يعرفون باسم « الحكماء السبعة » والفلاسفة السابقين على سقراط ، فمصادرنا عنهم أُلفت فى العصر « الهلينى » أى العصر المتأثر بالشرق كل التأثر ، خصوصاً كتب تراجم الفلاسفة ، مثل « تراجم الفلاسفة » لذيوجانس اللائرسى ، وكتاب الأمشاج Στρώματα للقديس كليمانس السكندرى — نقول إنها توجد عند الكتاب اليونانيين ؛ واللاتينيين كما فى « تأملات » مرقس أورليوس ؛ والأوربيين المحدثين ، ويكفى أن نذكر من أسمائهم بسكال وفوفنارج وشامفور من بين الفرنسيين ، وشوبنهور وجيته ونوفالس من بين الألمان ، وليوباردى من بين الإيطاليين ، وجراثيان بلتسار من بين الأسبان ، الخ . وإنما نريد أن نقرر أن هذا النوع من الكتابة الأدبية لم يظفر فى أوربا بما ظفر به فى الشرق من رواج وعناية واحتفال ، ولم يكن طابعاً ذا سيادة فى الفكر الأوربى عامة كما كان فى الفكر الشرقى .

وهذا النوع من الأدب ، أدب الأمثال والحكم والمواعظ ، فيه من النفع بقدر ما فيه من الضرر . فهو إن أفاد فى الحث على الفضيلة وفى استلهام الموعظة واتخاذ معايير للسلوك ، فانه يضر من حيث هو قيد يشد النفس إلى صيغ مصنوعة وأفكار سابقة préjugés ومعان متعارفة ، وهذه من شأنها أن تحجر السلوك فى مجارى السنة التقليدية ، مما يدعو إلى الانصراف عن التجديد والتوثب ويعقل سورة المتوفز إلى الآفاق المجهولة والمرامى الجديدة . فالنفوس المبتكرة لا ترتاد إلا المجهول ، ولا تسير على مواطئ أقدام الأوائل ، بل تفتح لنشاطها طرقاً لم تطأها من قبل أقدام القدماء : وهذا هو سر التقدم الحى للإنسانية . أما أولئك الذين يلتزمون « القواعد الذهبية » ، ويتمسكون بعمود « السنة التقليدية » tradition ويستلهمون فى سلوكهم ما يسمى باسم « حكمة الأمم » la sagesse des nations فلم يكونوا فى الواقع غير مواطنين متوسطين bourgeois « طيبين » ، ولم يكونوا أبدا روّاداً بارزين . ولهذا نرى نموذج دون كيخوته ينفر من الأمثال ويكره المواعظ ويدوس بقدميه حكمة الآباء ؛ ومن المعلوم أن الحضارة إنما ينشئ قيمَـها الكبرى أمثال دون كيخوته ، وليس أولئك « المواطنين الطيبين » ؛ ولهذا لا نحسبنا نعدو الحق كثيراً ، إذا قررنا أن انتشار أدب الأمثال والحكم والمواعظ فى الشرق كان من أسباب ضعفه وانحلاله ، لأن الاكتفاء اللفظى كثيراً ما يقوم مقام الطاقة الفاعلية ، وفى هذا التعويض يقع المرء فريسة وهم مخيف : وهم إمكان الاستغناء بالألفاظ عن الأفعال ، وهو الوهم الذى يقتل كل حيوية ويكون أذاناً بانحلال صاحبه . وفى حياة الشرق فى العصر الحديث أبلغ دليل على ما نقول . ومن الأعراض الملازمة لهذا المركب النفسى الفاسد : النفاقُ ، والتوكل ، والخداع العاجز ، والمشاحنة السلبية فى الأحوال التى تقتضى النضال الصريح الشريف . ومن هنا كانت طائفة الوعاظ شر طائفة أخرجت للناس ، لأن إحالة الوعظ إلى مهنة ، تستتبع وراءها ذلك الاختلال النفسى الذى أشرنا اليه . إنما المهم فى قراءة الحكم أو لدى سماعها أن يتمثلها القارئ أو السامع فى نفسه ، وأن يحياها فى أفعاله ، وأن ينفعل بها كل كيانه ، وأن يحيلها إلى تجربة شخصية وكأنها مواعظ استخرجها لنفسه بنفسه من نفسه ، أوحكم قيلت فى شأنه وعبر استنبطت من حاله وأفعاله ، كما كان الحلاج يفعل مع آيات القرآن .

وإذن فليست الحكم صيغاً نهائية ، وليست نواميس ثابتة للسلوك ، بل هى بالأحرى بواعث إلهام واستلهام ، ودواعى توجيه والتزام؛ ولن تأتى أكلها إلا إذا أضحت صوراً حية متطورة متجددة فى نفس متمثلها .

والكتاب الذى بين أيدينا الآن ، كتاب « جاويدان خرد » ، الذى اختار ما فيه أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب بـ « مسكويه » ، قد استودع طائفة ممتازة من الحكم الشرقية الخالصة : الإيرانية ، والهندية ، والرومية الشرقية المنحولة ، والعربية والإسلامية . وفيه — من أجل هذا — خير مرآة للروح الشرقية عامة ، وروح الحضارة العربية السحرية — بالمعنى الذى لهذا اللفظ عند اشبنجلر بخاصة ، ممثلةً فى ذلك النوع الأدبى الذى يعد خير معبر عن حقيقة تلك الروح. ونستطيع أن نلخص الملامح البارزة لهذه الروح كما نستنبطها من هذه المجموعة من الحكم على النحو التالى :

١ — أن لـ « كلمة » سحراً خاصاً فى الروح الشرقية ، تستهويها وتجد فيها العزاء عن الواقع الأليم الذى تحيا فيه تاريخياً . فالاستبداد الذى كان نوع الحكم السائد فى البلاد الشرقية لم يجد متنفساً له لدى المستضعفين فى الأرض « والمغلوبين على أمورهم » إلا عن طريق هذه « الكـلِم القصار » يرسلونها كالسهام المسمومة فى صدور الحكام ، دفعاً فى وجه الطغيان. ومن هنا كثرت النصائح المتصلة بالحكام والولاة والملوك : تارة تكون على هيئة مواعظ توجه إليهم ليطامنوا من طغيانهم ويرعوا جانب الرعية البائسة ، وأخرى على صورة حكم صادرة من هؤلاء الملوك والحكام أنفسهم يكفرون فيها — بالقول ! — عما تجترحه أيديهم من مآثم فى حق الرعية . وهذه الحكم لم تصدر عنهم فى أغلب الأحوال ، إن لم يكن فيها كلها ، بل صدرت عن هؤلاء البائسين المضطهدين أنفسهم ، شفاءً لجروحهم النفسية البالغة . فستجد فى هذا الكتاب كثيراً من الحكم المنسوبة إلى الملوك ، وإلى بعض ملوك الفرس بخاصة مثل كسرى أنو شروان وكسرى قباذ ووزرائهم ، وليس لها أى سند من الحقيقة التاريخية ، بل هى من ذلك النوع من الأدب العام الشائع فى هذه الأوساط ومما ألف بعد زمان أصحابها المزعومين بأجيال طوال . والدواعى لإنشائها عديدة ، منها :

ا ـ أن تكون من نوع « إياك أعنى ، فاسمعى يا جارة ! » ، أى أنها فى حقيقتها موجهة إلى الحكام المعاصرين الذين يسومون رعيتهم سوء العذاب ، وقد وضعها أصحابها إسداء للنصح ، وتوجيهاً لهم وجهة الخير ، وطمعاً فى إنابتهم إلى الرشد والهدى . والبيئة الاسلامية التى انتشرت فيها هذه المواعظ والحكم ، المنسوبة إلى ملوك الفرس ، قد سادها طغيان لابد أن يثير الضمائر الحية فى تلك الأصقاع ، فاندفعت تنشئ هذه المواعظ عسى أن يكون فيها متعظ لأولئك الطغاة . أما السر فى نسبتها إلى الفرس ملوك بخاصة فيرجع إلى حنين أصحابها إلى عهود صور لهم الخيال أنها لابد قد كانت زاهية تسود فيها العدالة ، وقد برز منها خصوصاً عهد كسرى الأول الملقب بـ « أنو شروان » (فى الفارسية : أنوشه روان : ذو النفس الخالدة) حتى أصبح المثل الأعلى للملك العادل ، لأنه ، كما روى نظام الملك فى « سياست نامه » (ص ٢٩ الخ ، نشرة شيفر) قد جمع عماله وأمرهم برفع الظلم عن رعيته ، فلم يسمعوا له ، فأهوى على الظالمين منهم ينكل بهم حتى أصلحوا ، وأمر بوضع سلسلة ذات نواقيس (« سياست نامه » ص ٣٦ وما يليها) وصلها بقصره ، فمن كان ذا شكوى جذب السلسلة فدقت النواقيس وسمعها الملك نفسه ؛ فاستتب العدل ، حتى ليقال إن السلسلة لم يجذبها أحد طوال سبع سنوات ونصف ؛ ولما دقت النواقيس بعد هذه الفترة الطويلة لم يكن جاذبها غير حمار أجرب حك بدنه فى السلسلة ! ! وطبعاً كل هذه النوادر ما هى إلا أساطير صاغها الخيال الشعبى ، إنما الثابت تاريخياً أن كسرى الأول (أنو شروان) قد بسط سلطان القوانين العادلة على الجميع ، وأصلح خصوصاً نظام الضرائب ، فأحس الناس لأول مرة بنوع من العدالة لو قورن بالظلم المتأصل فى أسلافه لبدا العدالة كلها ؛ — فكان من اليسير على مؤلفى المواعظ ونصائح الملوك Fürstenspiegel أن يتخذوه مثلا أعلى لحث الولاة المعاصرين على التشبه به .

ب — أن تكون للتمجيد القومى الإيرانى ، خصوصاً بعد أن وقفت الروح الإيرانية على قدميها من جديد فى القرن الثانى الهجرى وما تلاه بعد الهزيمة المنكرة

التى لحقتها بزوال دولة كسرى يزدجرد ، آخر الملوك الساسانيين . وهنا وجدت الشعوبية مجالا للتفاخر واسع الرحاب ، (أولا) لأن الفرس منذ القدم معروفون بهذا النوع من الآداب ، فكان من اليسير اختراع الكثير منه ونسبته إلى كبار رجالهم ، دون أن يبدو فى تلك النسبة استحالة صارخة ، فيما لو نسبوا إليهم مثلا فلسفات من نوع فلسفات يونان ، أو رياضيات وعلوماً مما اشتهرت به يونان والهند . (وثانياً) لأنه لم يكن أمام الشعوبية ميدان آخر غيره فى الحياة الروحية : فتمجيد الأديان الفارسية كان محرماً عليهم بحكم غلبة الإسلام غلبة مطلقة أو شبه مطلقة ، فلا مجال لدين آخر إيرانى قديم ليعيش إلى جواره ، فى صورة ظاهرة متحدية على الأقل ؛ ولم يُؤْثر من شعر إيران القديم ما كان يمكن أن ينافس الشعر العربى آنذاك — وإذن فلا مجال للشعوبية فى ميدان الشعر ، وكان لها أن تنتظر قيام هذه السلسلة الرائعة من شعراء الفرس من الرودكى ونظامى والسعدى والفردوسى وحافظ الشيرازى وجلال الدين الرومى والعطار لكى تستطيع أن تقف مع الشعر العربى موقف المنافسة ، بل والغلبة والتفوق الظاهر . ولكن حينما قامت هذه السلسلة الممتازة واستحكمت حلقاتها كان السر فى قيام حركة الشعوبية قد زال وانتفت العلة عنه .

٢ — وثانى الملامح البارزة للروح الشرقية من خلال هذه المجموعة التى بين أيدينا هى ما صاحب هذا الطغيان السائد فى الحكم فى الدول الشرقية من صنائع يحتفلون له نفاقاً ومداراة وطمعاً فى الجاه بأرخص الأثمان . فالاستبداد يصرع كثيراً من النفوس ، حتى ذوات الجوهر الخير منها ، فتضطرها ظروف الحياة إلى ألوان من الأخلاق الذليلة تتخذها لنفسها ابتغاء الظفر بالسلطان ، وإن داس على كرامتهم وإنسانيتهم . ذلك أنه فى هذه البيئات تنشأ فكرة « النجاح فى الحياة » بأية وسيلة ؛ ولما كانت القذارة لا تولد إلا القذارة ، فمن الطبيعى ألا يستطيع « النجاحَ » فى مثل هذه البيئات إلا النفوس المدنسة التى لطخت أيديها بقذارة السعى الوضيع فى حمأة المنافع الطاغية . ذلك أن « المثل الأعلى للسلوك فى الحياة » يتبدل وفقاً للظروف السائدة فى البيئة ، وفى مثل هذه البيئات المستبدة لا « تنجح » إلا القامة المرنة التى تحسن الانحناء وتتقن فن طأطأة الرأس ،

وتصبح الحكمة السائدة فيها هى تلك التى سادت فى المثل الذى يقوله الفلاحون الفريزيون : « طأنى بقدميك ، ولكن دعنى أعشْ ! » .

وإلى هذه الظاهرة تستطيع أن تنسب طائفة كبيرة مما ستراه فى هذا الكتاب خصوصاً ما كتبه ابن المقفع فى « يتيمة السلطان » والفارابى فى هذه « السياسة المدنية » التى يدعونا اليها . ولا شك فى أن كُلاًّ من ابن المقفع والفارابى لم يكن من فساد المثل فى الحياة وسوء النحيزة بحيث يقدم ما قدم هنا على أنه المثل الأعلى فى السلوك للنفوس الحرة ؛ وإنما حكم العصر الذى نُشِّىء ونشأ كلاهما فيه قد اضطره إلى تلمس أسباب النجاح فى الحياة على نحو عملى واقعى ، بغضٍّ النظر عما تقتضيه المثل العليا النظرية ، خصوصاً إذا عرفنا أن كليهما قد عاش فى كنف الأمراء ، ولم يستطع أن يحيا حياة حرة مستقلة ، وهذا هو الشرط الأول فى قيام النفس الأبية التى لا تطأطىء رأسها لأى سلطان . فشتان بين روح الفارابى وابن المقفع ، وبين روح رجل مثل أبى العلاء المعرى الذى عاش حراً من كل قيد ، فأملى عليه استقلاله أفكاراً حرة من كل القيود !

على أنك ستجد أيضاً فى مقابل هذه الأخلاق « الراكعة » أمام السلطان أخلاقاً « شماء » استطاعت أن تقول : كلا ! وألا تحفل بأى جاه مهما عز وعلا . فستجد فى كلام « ديوجانس » الكلبى وفى كلمات كثير من الصوفية المسلمين مثل أبى حازم وأبى سليمان الدارانى (راجع بعد فى ص ١٧٤ — ١٧٥) أقوالا رائعة تكشف عن شمم فى الأخلاق يرد « أخلاق العبيد » الأخرى . فالصورتان متناقضتان ، ولكن كلتيهما ضرورية الوجود فى مثل هذه البيئات ، إذ لا يتصور أن يكون ثم « انهيار » فحسب ، فلا يكون إلا رُكَّعٌ وسُجود . ومثل هذه الضمائر النادرة هى وحدها المشاعل الحية التى تحمل شعلة الأمل فى الإنسان ، مهما اكتنفه من ظلم وران عليه من طغيان ؛ واستشهادها يضفى عليها هالة من القداسة التى لا تطاولها قداسة أخرى ، لأنهم باستشهادهم يصبحون شهوداً خالدين على الحقيقة الخالدة ، حقيقة الحرية بمعناها الأرفع والأخصب والأعمق . وهؤلاء هم فى الواقع الشفعاء الوحيدون للروح الشرقية أمام الحق الخالد .

٣ — أن الهوة الكبرى بين الروح والبدن فى ذهن الروح الشرقية تسيطر على توجيهها فى الأمور التى تعالجها ؛ ولهذا لم تستطع أن تصل إلى هذه المرتبة

من الانسجام القوى الحى الذى كان المثل الراسخ فى الروح اليونانية . ولهذا ترى ها هنا مبالغة شديدة فى توكيد جانب الروح وتحقير البدن ، حتّى ليخشى من وراء الانسياب فى تيار هذه الحكم أن ينصرف الإنسان إلى نوع من الزهد السلبى والعزوف الكظيم عن شئون الحياة . فها هنا إذن مزلق خطر كبير لا بد من تداركه . والسبيل القويمة هنا هى إعادة التوازن بين الروح والبدن على النحو الذى حاولته الروح اليونانية فى عهدها الأزهر ، لا فى ذلك العهد الزائف ، عهد الانحلال الهليني المتأخر الذى فيه ركعت الروح اليونانية أمام القوى الخارقة واللا معقولة التى انهالت عليها من الشرق بعد اتصالها به نتيجة غزو الإسكندر الأكبر . فلا علاج هنا إلا بأن نعود إلى المثل الأعلى فى التنشئة اليونانية (البيديا Παιδεία بالمعنى الذى جدده وأحياه ڤرنر ييجر Werner Jaeger فى كتابه بهذا الاسم). وستجد هاهنا قسما من الكتاب اختاره مسكويه على أنه « باب حكم الروم » ، ويقصد بالروم هنا اليونانيين ، ولكنه باب زائف كله ؛ ففضلا عن أنه منحول من ألفه إلى يائه ليس فيه كلمة واحدة صحيحة النسبة إلى من نسبت إليهم : من سقراط وأفلاطون وذيوجانس وبطلميوس وفيثاغورس وأرسطوطاليس ، فانه كذلك منحول زائف فى الروح التى أملته : فهى ليست الروح اليونانية الحقيقية فى شىء ، بل الروح الهلّينية المتأخرة الكاذبة التى كانت من ألد أعداء الروح اليونانية الأصيلة . ولهذا يجب أن يضاف هذا الباب كله إلى الروح الشرقية ، فان « الروم » ، أى « اليونان » منه براء . وإذن فكتابنا هذا شرقىّ كله لحماً ودماً .

— ١ —

مسكويه ، جامع الكتاب

أما جامع الكتاب فهو أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب « مسكويه » ، ويطلق عليه اسم أبى على الخازن ، وصاحب « تجارب الأمم » . ترجم له ياقوت فى « إرشاد الأديب » (حـ٢ ص ٨٨ — ص ٩٦ من نشرة مرجوليوث : حـ٥ ص٥ — ص ١٩ ، طبع القاهرة) وابن القفطى (ص ٣٣١ من نشرة لبرت : ٢١٧ — ٢١٨ = نشرة مصر سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م (و « منتخب صوان الحكمة » (فى سلسلة جب التذكارية حـ ٧ ص XXVIII — ص XXX) ، وابن أبى أصيبعة

(حـ ١ ص٢٤٥) والثعالبي في « تتمة اليتيمة » (برقم ٨٣ ، حـ ١ ص ٩٦ — ص ١٠٠ ، نشرة عباس إقبال ، طهران سنة ١٣٥٣ هـ) . واختلف في اسم « مسكويه » هل لقبه هو ، أو لقب جده ، وتبعاً لهذا الاختلاف : هل يكتب « ابن مسكويه » ، أو « مسكويه » فقط ؛ والراجح أنه لقبه هو كما يرجح مرجوليوث[١] ، وكما يظهر من المواضع التي أوردها برجشتريسر (في « مجلة الجمعية المشرقية الألمانية » ZDMG حـ ٦٥ ص ٦١٤) ، وإن كان بروكلمن لايرىهذا الرأي ويقول « إن من المحتمل أن يكون « مسكويه » وأصله « مشكويه» لقب جده (راجع GAL الملحق حـ ١ ص ٥٨٢ ، حاشية رقم ١) ، اعتماداً على مخطوط بخط ابن خلكان (في المتحف البريطاني ، الإضافات برقم ٢٥٧٣٥ ورقة ١٠ب) .

ويروى لنا ياقوت أن مسكويه كان مجوسياً وأسلم . ولو صح هذا فكيف نفسر نسبه وهو : ابن محمد ؟ إما أن يكون قد غير نسبه كله — وهذا غير محتمل — وإما أن يكون أبوه هو الذى كان مجوسياً وأسلم ، وعندنا أن هذا هو الأرجح ، خصوصاً والمصادر لا تروى لنا قصة إسلامه ، لو كان هو نفسه الذى أسلم ، على عادتها في رواية هذا التحول ، كما فعلت في ابن المقفع وابن الخمار وابن ربّن الطبرى الخ . هذا مع أنه لاشك في صحة هذا النسب ، لأنه هو نفسه ذكره عن نفسه في تجارب الأمم ، فقال : « قال الأستاذ أبو على أحمد بن محمد مسكويه » (١/٣١٠) ، « قال الأستاذ أبو على أحمد بن محمد مسكويه صاحب هذا الكتاب » (٢/١٣٦) .

وقد درس التاريخ ، فقرأ تاريخ الطبرى على أبي بكر أحمد بن كامل القاضى (المتوفى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) ، الذى كان صاحب أبي جعفر الطبرى . سمع منه شيئاً كثيراً ، وكان ينزل في شارع عبد الصمد ببغداد ؛ وطالما اجتمع به مسكويه (« تجارب الأمم » : ٢/١٨٤) . ودرس علوم الأوائل ، خصوصاً على يد ابن الخمار[٢] الذى كان واسع الاطلاع على علوم الأوائل ، وبخاصة

---

(١) راجع : *The Eclipse of the 'Abbasid Caliphate*, preface and index by D.S. Margoliouth, p. ii. Oxford 1921 .

(٢) راجع عنه كتابنا : « التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية » ص ٨٩ — ص ٩٠ .

المنطق والطب حتى سمى « بقراط الثانى » . ولكن يلوح ، فيما يظهر لنا من كلام التوحيدى[1] ، أنه لم يكن ذا عقلية فلسفية ؛ وأنه شغل بالكيمياء عن كتب الفلسفة ، فدرسها وجد فى طلبها مع أبى الطيب الكيميائى الرازى ، وفتن بكتب أبى بكر[2] محمد بن زكريا الرازى وجابر بن حيان . كذلك يذكر ابن سينا — فيما رواه القفطى (نشرة لبرت ،ص ٣٣٢) — أنه حاضر أبا على مسكويه فى مسألة ذكرها فاستعادها مسكويه مرات ، « وكان (أى مسكويه) عسر الفهم فتركته ، ولم يفهمها على الوجه . هذا معنى ما قاله ابن سينا ، لأننى كتبت الحكاية من حفظى » . ورأى ابن سينا هنا له قيمته إذا وضع إلى جانب رأى التوحيدى ، فلا محل لظن التحامل الشديد من جانب التوحيدى . ولهذا لا نظن أن الوصف الذى نعت التوحيدى به مسكويه مبالغ فيه كثيراً ، قال التوحيدى: « وأما مسكويه ففقير بين أغنياء ، وعيي بين أبيناء ، لأنه شاذ ، وأنا أعطيته فى هذه الأيام « صفو الشرح لإيساغوجى » و« قاطيغورياس » ، من تصنيف صديقنا بالرى . . . أبو القاسم الكاتب غلام أبى الحسن العامرى ، وصححه معى ، وهو الآن لائذ بابن الخمار ، وربما شاهد أبا سليمان (المنطقى السجستانى) وليس له فراغ ، ولكنه مُحِسٌّ فى هذا الوقت للحسرة التى لحقته فيما فاته من قبل . فقال (أى الوزير أبو عبد الله العارض) : يا عجبا لرجل صحب ابن العميد أبا الفضل ، ورأى من كان عنده ، وهذا حظه ! قلت : قد كان هذا ، ولكنه كان مشغولا بطلب الكيمياء مع أبى الطيب الكيميائى الرازى ، مملوك الهمة فى طلبه والحرص على إصابته ، مفتوناً بكتب ابن زكرياء وجابر بن حيان ؛ ومع هذا كان إليه خدمة صاحبه (أى ابن العميد) فى خزانة كتبه ؛ هذا مع تقطيع الوقت فى حاجاته الضرورية والشهوية . . . ولقد قطن العامرى (أبو الحسن محمد بن يوسف العامرى ، راجع ترجمته من بعد ٣٤٧ تعليق رقم١) الرىَّ خمس

---

(١) « الامتاع والمؤانسة » ٣٥/١ ؛ ياقوت ٥/٥ (الطبعة المصرية) .

(٢) فى نص « الامتاع » وياقوت : « مفتوناً بكتب أبى زكرياء » ونظن أن هنا نقصا صوابه : « بكتب أبى بكر محمد بن زكريا » أو أن هنا تحريفا صوابه : « بكتب ابن زكريا » وهذا الفرض الثانى أكثر اتفاقا مع الرسم .

سنين مُجمّعةً (أى مجتمعة) ودرس وأملى وصنف وروى ، فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة ، ولا وعى مسألة ، حتى كأنه بينه وبينه سد . ولقد تجرع على هذا التوانى الصابَ والعلقم ، ومضغ بفمه حنظل الندامة فى نفسه ، وسمع بأذنه قوارع الملامة من أصدقائه حين لم ينفع ذلك كله . وبعدُ ، فهو ذكى ، حسن الشعر ، نقى اللفظ ، وإن بقى فعساه يتوسط هذا الحديث[1] ، وما أرى ذلك مع كلفه بالكيمياء وإنفاق زمانه وكد بدنه وقلبه فى خدمة السلطان ، واحتراقه فى البخل بالدانق والقيراط والكسرة والحرقة ؛ نعوذ بالله من مدح الجود باللسان وإيثار الشح بالفعل ، وتمجيد الكرم بالقول ومفارقته بالعمل » (« الامتاع والمؤانسة » حـ١ ص٣٥ — ٣٦) .

وواضح ما فى الجملة الأخيرة من تعريض بكتب مسكويه فى « تهذيب الأخلاق » و « آداب العرب والفرس » !

ويستخلص من هذه الصورة التى رسمها التوحيدى لمسكويه ما يلى :

(١) أن مسكويه لم يكن طويل الباع فى الفلسفة النظرية ، ولم يحصل فيها الكثير ، على الرغم من الفرص العظيمة التى أتيحت له من وجود أساتذة ممتازين قيمين بالعلوم الحكمية مثل أبى سليمان المنطقى وأبى الحسن العامرى ؛ وهو يعزو ذلك إلى قصور فى فهم مسكويه ، ويؤيده فى هذا ابن سينا .

(٢) أن مسكويه كان حريصاً على الدنيا وعلى طلب المال ، وأن هذا هو الذى يفسر اشتغاله بالكيمياء ، وأنه كان بخيلا كل البخل ، حريصاً على طلب الدنيا لدى أصحاب السلطان ، غير حر فى نفسه ، ولا زاهد فى شئون الحياة .

(٣) أن مسكويه كان منافقاً : يعظ بما لا يتعظ هو به ، ويدعو إلى أخلاق لا يقوم هو عليها فى سلوكه . وهذا الوصف فيما نرجح صحيح فى جملته ، يتفق مع الأخبار التى رواها مسكويه نفسه عن نفسه فى كتابه « تجارب الأمم » من حيث تعلقه بذوى السلطان والتباهى بخدمتهم .

---

(١) « وان بقى ... الحديث » : هذه الجملة غير مفهومة فى هذا السياق ، ونحسب أن هنا تحريفا أو نقصا لم يتداركه ناشرا كتاب « الامتاع » على أن هـذا الكتاب فى الجملة محتاج الى أن ينشر من جديد نشرة نقدية أمينة .

ولا نستطيع ، اعتماداً على ما بين أيدينا من مصادر ، أن نتتبع تاريخ حياته بالتفصيل . إنما الثابت هو أنه صحب أبا الفضل محمد بن العميد أبي عبدالله الحسين بن محمد، المعروف بابن العميد، الذى كان وزير ركن الدولة أبي على الحسن بن بويه الديلمى والد عضد الدولة ، تولى له الوزارة فى سنة ٣٢٨ هـ — ٩٣٩ ، ٩٤٠ م . إذ يروى مسكويه عن نفسه (« تجارب الأمم » : ١ /٢٧٦) أنه صحب ابن العميد سبع سنين لازمه فيها ليلا ونهاراً ، إذ اتخذه أبو الفضل ابن العميد خازناً لكتبه ، فقام على هذا العمل خير قيام ، حتى إنه أنقذ خزانة كتبه حينما هجمت الخراسانية على دار الأستاذ الرئيس ابن العميد وقامت « بنهب داره واصطبلاته وخزائنه — وكانت موفورة جامّة — إلى أن أتى الليل وانصرفوا وكان إلىّ خزانةُ كتبه ، فسلمت من بين خزائنه ولم يتعرض لها . فلما انصرف (أى ابن العميد) إلى منزله ليلاً لم يجد فيه ما يجلس عليه ولا كوزاً واحداً يشرب فيه ماء ، فأنفذ إليه ابن حمزة العلوى فرشاً وآلة . واشتغل قلبه بدفاترِه — ولم يكن شىء أعز عليه منها ، وكانت كثيرة فيها كل علم وكل نوع من أنواع الحكم والآداب ،تُحمل على مائة وقر وزيادة — فلما رآنى سألنى عنها ، فقلت : هى بحالها لم تمسها يد . فَسُرِّى عنه وقال : أشهد أنك ميمون النقيبة » (٢ / ٢٢٤ — ٢٢٥) . ومن هنا لقب باسم « الخازن » ، أى خازن الكتب bibliothécaire .

وبالرغم مما يقوله التوحيدى (« الإمتاع والمؤانسة » ١ /٣٥ س٨ س٩) فلا شك أنه أفاد كثيراً : (أولا) أفاد الاطلاع على هذه الخزانة وهى موفورة كما قال ، وهذا الاطلاع قد أفاده كل الفائدة فى كتابة التاريخ ، وإن كان هذا الاطلاع عينه قد أثقله من حيث التفكير المستقل ، مما قد يفسر ضعفه فى العلوم النظرية . (وثانياً) التعرف إلى شخصيات فكرية عظيمة كانت تحضر مجلس أبى الفضل ابن العميد .

ويلوح أنه استمر فى خدمة ابن العميد حتى وفاته (فى شهر المحرم بالرى ، وقيل ببغداد سنة ٣٦٠ هـ/ ٩٧٠ — راجع ابن خلكان ٤/ ١٩٤ ، القاهرة سنة ١٩٤٨) ، ثم خدم من بعده ابنه أبا الفتح على بن محمد بن العميد ، الملقب ذا الكفايتين ؛ ومسكويه يذكر أنه كان « فى جملة السائرين من الرى فى صحبة أبى الفتح ابن العميد » (« تجارب الأمم » : ٢ / ٣٣٨) وذلك فى سنة ٣٦٤ هـ .

وقد ظل أبو الفتح هذا وزيراً لركن الدولة الحسن بن بويه ، والد عضد الدولة ومؤيد الدولة ، وكان صاحب أصبهان والرى وعراق العجم ، بقى فى الملك خمساً وأربعين سنة إلى أن توفى بالقولنج[1] سنة ٣٦٦ ه فى مدينة الرى ، وتولى بعده ابنه مؤيد الدولة ، وقد استوزر أبا الفتح أيضاً . وليس ما يمنع من أن يكون مسكويه قد ظل فى خدمة أبى الفتح ابن العميد هذا إلى أن دالت دولته بتغير مؤيد الدولة عليه لأسباب عدد بعضها الثعالبى فى « اليتيمة »[2] وانتهت حياته بالسجن ثم القتل فى عهد مؤيد الدولة (المتوفى سنة ٣٧٣ ه بجرجان) .

ولعل مسكويه أن يكون قد لحق بخدمة عضد الدولة ، أبى شجاع فناخسرو أكبر بنى بويه ، وقد ولى سلطنة فارس بعد عمه عماد الدولة ، ثم استولى على العراق والجزيرة ، وكان أول من خوطب باسم « ملك » فى الإسلام ، وأول من خطب له على المنابر فى بغداد بعد الخليفة ؛ وقد توفى فى الثامن من شوال سنة ٣٧٢ ه ببغداد . إذ يذكر مسكويه (« تجارب الأمم » : ٢/ ٣٩٤)أنه زكّى طاشتم عند عضد الدولة ،وذلك فى الموصل سنة ٣٦٨ ه . ولكنا لا ندرى على وجه التحقيق ماذا كان عمله عند عضد الدولة ، ولعله كان كاتباً فى حاشيته .

واستمر مسكويه يتنقل فى خدمة بنى بويه ، وكان على صلة وثيقة خصوصاً ببهاء الدولة[3] ، أبى نصر بن عضد الدولة بن ركن الدولة صاحب العراق وفارس المتوفى بأرجان فى جمادى الأولى سنة ٤٠٣ ه / ١٠١٢ م وقد حكم بضعاً وعشرين سنة . بيد أن مرجليوث[4] يعجب كيف يكون مسكويه وثيق الصلة ببهاء الدولة من دون أن يذكره أبو شجاع أو هلال ، وهما اللذان تحدثا بالتفصيل عن بهاء الدولة .

ويذكر الثعالبى عن مسكويه أنه مدح « عميد الملك » بقصيدة « تفنّن فيها ، وهنأه باتفاق الأضحى والمهرجان فى يوم ، وشكا سوء أثر الهرم وبلوغه

---

(١) راجع « شذرات الذهب » ٣/ ٥٥ ؛ ابن خلكان ١/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .
(٢) الثعالبى : « يتيمة الدهر » : ٣\١٦٧ ، القاهرة سنة ١٩٣٤ .
(٣) راجع الثعالبى « تتمة اليتيمة » ص ٩٦ ؛ طهران سنة ١٣٥٣ ه .
(٤) فى مقدمة نشرة أيمدروز ونشرته هو لكتاب تجارب الأمم ، ص ج ، اكسفورد سنة ١٩٢١ .

أرذل العمر » (« تتمة اليتيمة » : ١ /٩٧) . وعميد الملك هذا لا يمكن أن يكون عميد الملك أبا نصر محمد بن منصور بن محمد الكندري (بضم الكاف وسكون النون وضم الدال المهملة) ، وزير السلطان طغرلبك السلجوقي ثم وزير ابن أخيه ألب أرسلان ؛ إذ أن عميد الملك هذا قتل في ١٦ ذي الحجة سنة ست وخمسين وأربعمائة وعمره يومئذ نيف وأربعون سنة (ابن خلكان : ٤ / ٢٢٦ القاهرة سنة ١٩٤٨) ، بينما توفى مسكويه في ٩ صفر سنة ٤٢١ هـ (١٦ فبراير سنة ١٠٣٠ م) ؛ فكأن سنه كانت ، حتى على افتراض أن مسكويه مدحه في سنة وفاته ، قرابة العشرين ! ! فضلا عن أن طغرلبك لم يستوزره قبل سنة ٤٢٩ وهي التي تملك فيها طغرلبك طوس أو الري ثم نيسابور ؛ وطغرلبك لم يستول على بغداد والعراق إلا في ١٦ رمضان سنة ٤٤٧ هـ . ولهذا فان مرجوليوث على حق في افتراضه أن يكون « عميد الملك » الذي مدحه شخصاً آخر غير عميد الملك أبي نصر الكندري ؛ ولكنه لم يستطع أن يحدد من عسى أن يكون عميد الملك هذا فقال : « من الممكن أن يكون الوزير فخر الملك ، الذي يلقبه ابن خلدون (حـ ٤ ص ٤٧٣ س ٨) بلقب العميد ، أو وزيراً آخر أدنى منزلة ، لقب بهذا اللقب »[١] . وفخر الملك هذا [٢] ولد في واسط في يوم الخميس من ربيع الآخر سنة ٣٥٤ هـ ، وقتله سلطان الدولة في يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعمائة ، وقد استوفى هلال بن الصابي أخباره في تاريخه . ولكن هذا « التاريخ » الذي أتم فيه تاريخ ثابت بن سنان (المتوفى سنة ٣٦٥ — ٩٧٥) فبدأه من سنة ٢٩٠ إلى وفاته (١٧ رمضان سنة ٤٤٨ — ١٠٥٦) ، ليس بين أيدينا حتى نستوثق من هذا الخبر . وإذن فلا يزال الأمر مجهولا فيما يتصل بحقيقة « عميد الملك » هذا الذي مدحه مسكويه .

ويلوح أن مسكويه عمر طويلا ، وتوفى في ٩ صفر سنة ٤٢١[٣] (١٦ فبراير سنة ١٠٣٠) ؛ وتبعاً لهذا يفترض مرجوليوث أنه ولد حوالى سنة ٣٣٠ هـ أو قبل

---

(١) مقدمة نشرته لـ « تجارب الأمم » ، ص د .
(٢) راجع عنه ابن خلكان : جـ ٤ ص ٢٠٩ — ص ٢١١ .
(٣) كما ذكر ذلك ياقوت ٥/٥ (الطبعة المصرية) اعتمادا على ما ذكره يحيى بن مندة .

ذلك بقليل . ولكننا نميل إلى رد هذا التاريخ إلى الوراء وجعله سنة ٣٢٠ تقريباً إن لم يكن قبل ذلك . والسبب فى وجوب هذا التقديم فى تاريخ ميلاده أنه صحب الوزير المهلبي ، وزير معز الدولة ، وقد ذكر مسكويه عن نفسه ، بعد أن ذكر معز الدولة ، أنه كان حديداً سريع الغضب بذىء اللسان يكثر سب وزرائه ويفترى عليهم ، فلا يرى أثر ذلك فى الوزير المهلبي ، « وكنت أنادمه (أى أنادم الوزير المهلبي) فى الوقت ، فلا أرى لما يسمعه فيه أثراً ويجلس لأنسه نشيطاً مسروراً » (« تجارب الأمم » : ٢ — ١٤٦) . والوزير المهلبي[1] قد تولى الوزارة يوم الاثنين لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وتوفى فى طريق واسط فى يوم السبت لست بقين من شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، أما عز الدولة فقد توفى سنة ست وخمسين وثلثمائة . ولا نظن أن مسكويه كان ينادم الوزير المهلبي ومسكويه دون العشرين ، بل الأقرب إلى المعقول أن تكون سنه فى العقد الثالث ، ولهذا نرجح أن تكون ولادة مسكويه حوالى سنة ٣٢٠ (عشرين وثلثمائة) للهجرة .

وقد أورد ياقوت الكتب التالية لمسكويه :

١ — الفوز الأكبر (فى الأخلاق) .

٢ — الفوز الأصغر (فى الأخلاق) .

٣ — تجارب الأمم (فى التاريخ ، ابتداؤه من بعد الطوفان ، وانتهاؤه إلى سنة ٣٦٩ هـ) .

٤ — أنس الفريد (مجموع يتضمن أخباراً وأشعاراً وحكماً وأمثالا ؛ وهو غير مبوب) .

٥ — ترتيب العادات (فى الأخلاق والسياسة) .

٦ — المستوفى (أشعار مختارة) .

٧ — جاويدان خرد (وهو كتابنا هذا) .

٨ — كتاب الجامع .

---

(١) راجع عنه ابن خلكان : ١/٣٩٢ — ٣٩٥ ، القاهرة سنة ١٩٤٨ .

٩ — كتاب السير (ذكر فيه ما يسير به الرجل نفسه من أمور دنياه ، مزجه بالأثر والحكمة والشعر) . — وذكر له القفطى (نشرة لبرت ص ٣٣٢)، عدا ما فى الأرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ما يلى :

١٠ — كتاب فى الأدوية المفردة (فى الطب) .

١١ — كتاب فى تركيب الباجات من الأطعمة (« أحكمه غاية الإحكام ، وأتى فيه من أصول علم الطبيخ وفروعه بكل غريب حسن » — القفطى) .

ويضيف ابن أبى أصيبعة ، عدا رقم ١١ :

١٢ — كتاب الأشربة (ولأمين الدولة ابن التلميد المتوفى ببغداد فى ٢٨ ربيع الأول سنة ٥٦٠ ﻫ اختيار هذا الكتاب ، راجع : ابن أبى أصيبعة حـ١ /٢٧٦)

١٣ — كتاب تهذيب الأخلاق .

١ — أما رقم ١ ، الفوز الأكبر ، فقد وعد مسكويه بكتابته فى آخر كتابه « الفوز الأصغر » (طبعة بيروت سنة ١٣١٩ — ١٩٠١ م — ص ١٢٠)فقال : « والدلالة فيما يحتاج إلى بسط وشرح إلى أماكنه من كتاب « الفوز الأكبر » الذى نستأنف بعون الله عمله » (ص ١٢٠) . ولكنه ليس بين أيدينا .

٢ — أما رقم ٢ فمنه نسخ فى : (أ) الاسكوريال (ط٢ برقم ٦٠٩ فى مجموع هو الثانى منه) ؛ (ب) فى بتنا (حـ ٢ : ٢٧٣ برقم ١٤/٢٥٥٨) ؛ (حـ) المتحف البريطانى برقم (DL 6) 6335 ؛ (د) أسعد فى استانبول برقم ١٩٣٣/٢ . (ﻫ) الخالدية بالقدس برقم ٢١/٧١ ؛ (و) مشهد : ٢١٢/٦٤ (ز) بشاور ٦١/٧٤ . وقد طبع فى بيروت سنة ١٣١٩ ﻫ — ١٩٠١ م ، وفى القاهرة سنة ١٣٢٥ ﻫ — ١٩٠٧ م .

٣ — أما « تجارب الأمم وتعاقب الهمم » فكتاب فى التاريخ العام يستمر حتى موت عضد الدولة فى سنة ٣٧٢ﻫ — ٩٨٢ م ، على جانب عظيم من الأهمية فيما يتصل بالفترة التى أعقبت تاريخ الطبرى ، فهو من سنة ٢٩٥ ﻫ — ٣٢٠ م يعتمد على مصدر مستقل عن الطبرى ، وابتداء من سنة ٣٤٠ ﻫ يعتمد على أخبار شهود عيان . وتوجد منه نسخة كاملة فى أياصوفيا بأرقام ٣١١٦— ٣١٢١ ؛ وقد نشر منه ليون كيتانى (فى مجموعة جب التذكارية ، برقم ٧) صورة عن مخطوط

أياصوفيا مع مقدمة وملخص : حـ١ حتى سنة ٣٧ هـ ، حـ٥ : من سنة ٢٨٤ — ٣٢٦ ، حـ٦ : ٣٢٦ هـ — ٣٦٩ ، كما نشر فى قازان : حـ١ ، حـ٢ من سنة ١٠١— ٢٥٦. ثم جاء أمدروز H.F. Amedroz و د.ص.مرجوليوث D.S. Margoliouth فنشرا القسم الأخير من كتاب « تجارب الأمم » فى ثلاثة مجلدات مع ترجمة وشروح وفهرست فى لندن سنة ١٩٢٠ ، ١٩٢١ م .

٤ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ٩ : وهذه لا نعرف عنها إلا الوصف الذى ذكره ياقوت . وكذلك الأرقام ١٠ ، ١١ ، ١٢ لا نعرف عنها إلا ما أورده القفطى وابن أبى أصيبعة . وفى مقابل هذا نجد له كتباً أخرى بقيت لنا ؛ وقبل ذكرها نتحدث عن رقم ١٣ .

١٣ — وكتاب « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » هو أشهر كتبه تداولا بين الناس ، وقد ذكره فى كتابنا هذا (راجع بعد فى ص ٢٥ س ٢) ، مما يدل على أنه ألف كتابنا هذا بعد تأليفه كتاب « تهذيب الأخلاق » . ويوجد منه النسخ التالية : (ا) المتحف البريطانى ، الملحق ، برقم ٧٢١ — ٢ ؛ (ب) الفاتح باستانبول برقم ٣٥١١ (راجع « العالم الشرقى » MOحـ٧ : ١٢٠) ؛ (حـ) كوبريلى برقم ٧٦٧ ؛ (د) فاضل برقم ٢٦١ ؛ (هـ) دار الكتب المصرية (طـ٢ : ١ : ٢٨٢) . وطبع فى الهند سنة ١٢٧١ هـ — ١٨٥٤ م ، استانبول سنة ١٢٩٨ هـ — ١٨٨٠ م ، القاهرة سنة ١٢٩٨ هـ — ١٨٨٠ م ، استانبول ١٢٩٩ — ١٨٨١ م ، القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ — ١٨٨٧ م (على هامش الطبرسى) طهران سنة ١٣١٤ ، القاهرة سنوات ١٣١٧ هـ ، ١٣٢٢ هـ ، ١٩١١ م ، بيروت سنة ١٣٢٧ هـ ، القاهرة سنة ١٩٠٥م / ١٣٢٦هـ . وله مختصر توجد له مخطوطة فى المتحف البريطانى برقم ١٣٤٩ .

أما الكتب الأخرى الباقية لنا مما لم يرد فى الكتب المذكورة آنفاً فهى :

١٤ — « رسالة فى اللذات والآلام فى جوهر النفس » ، وتوجد منها مخطوطة فى راغب باستانبول ، فى المجموعة رقم ١٤٦٣ .

١٥ — « أجوبة وأسئلة فى النفس والعقل » ، فى المجموع السالف فى مكتبة راغب باستانبول .

١٦ —« الجواب فى المسائل الثلاث » ، مخطوط فى طهران (فهرست مكتبة المجلس ﺧ٢ ، برقم ٦٣٤ ، رقم ٣١ فيه) .

١٧ — « رسالة فى جواب فى سؤال على بن محمد أبى حيان الصوفى فى حقيقة العدل » ، مكتبة مشهد بايران ﺣ١ برقم ٤٣ (رقم ١٣٧ فيه) .

١٨ — « طهارة النفس » ، مخطوط فى كوبريلى برقم ٧٦٧ ، ومنه مصورة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة (ط٢ ﺣ١ ، ملحق : ٣٤) .

وفضلا عن هذا فقد نسب اليه محمد باقر بن زين العابدين الموسوى الخونسارى فى كتاب « روضات الجنات » (طبع حجر فى طهران سنة ١٢٨٧ ، ص٧٠) عدة كتب فارسية .

ولكن ليس بين ثبت هذه الكتب الحافل كتاب فى الكيمياء ، مع أن مسكويه قد عنى بهذا العلم عناية شديدة ، وكان يؤمن بفائدته كما أوردنا من قبل نقلا عن التوحيدى ، وكما قال التوحيدى مرة أخرى وقد سأل الوزير : هل لعلم الكيمياء مرجوع ؟ وهل له حقيقة ؟ وما تحفظ عن هذه الطائفة التى تشتغل به ، فأجاب التوحيدى فيما يتصل بمسكويه قائلا :

« وأما مسكويه — وها هو بين يديك — فيزعم أن الأمر (فى صحة علم الكيمياء) حق وصحيح ، والطبيعة لا تمنع من إعطائه ، ولكن الصناعة شاقة ، والطريق إلى إصابة المقدار عسرة ، وجمع الأسرار صعب وبعيد ، ولكنه غير ممتنع ؛ فقد مضى عمره (أى عمر مسكويه) فى الاكباب على هذا (أى هذا العلم) بالرى أيام كان بناحية أبى الفضل وأبى الفتح (أى ابنى العميد الأكبر وابنه) ابنه مع رجل يعرف بأبى الطيب ، شاهدته ولم أحمد عقله ، فانه كان صاحب وسواس وكذب وسقط ، وكان مخدوعاً فى أول أمره ، خادعاً فى آخر عمره » (« الامتاع والمؤانسة » ٢ / ٣٩) . فاما أن يكون مسكويه لم يؤلف شيئاً نظرياً فى هذا العلم لاشتغاله باجتناء ثماره العملية ؛ وإما أن يكون ما كتبه قد فقد من بين ما فقد من مؤلفاته .

وقد طعن الناس فى قيمة كتب مسكويه . فالوزير أبو شجاع محمد بن الحسين الملقب ظهير الدين الروذراورى فى « ذيل تجارب الأمم » (القاهرة

سنة ١٩١٦ م ، ص٢٣) يذكر أن مسكويه نقل آخر كتابه «تجارب الأمم» من كتاب « التاجى فى الدولة الديلمية » لأبى اسحق هلال الصابى ، فقال وهو يتحدث عن كتاب « التاجى » : « وهو (أى كتاب « التاجى ») كتاب بديع الترصيف ، حسن التصنيف ؛ فان أبا اسحق كان من فرسان البلاغة الذين لاتكبو مراكبهم ، ولا تنبو مضاربهم . ووجدنا آخره موافقاً لآخر كتاب « تجارب الأمم » ، حتى إن بعض الألفاظ تتشابه فى خاتمتها ؛ وانتهى القولان فى التاريخ بهما إلى أمد واحد . والكتاب موجود ، يغنى تأمله عن الاخبار عنه » . وكنا نود أن يكون بين أيدينا اليوم كتاب هلال الصابى حتى نتحقق من صحة هذه الدعوى. على أنها ليست مستبعدة ، لأن مسكويه فى القسم الأول من كتابه قد نقل عن الطبرى نقلا يكاد يكون حرفياً ، فليس بغريب عليه أن يقع له النقل من غيره ! ولكن هذا النقل لم يكن له من مبرر ، لأن مسكويه كان عصريَّ الأحداث التى يرويها، وعرفها عن شهود عيان وشاهد بعضها بعينيه، فلم يكن له ثمَّ عذر فى مثل هذا النقل .

والأمر الذى أجمع الكتاب على مدحه لدى مسكويه هو الشعر والنثر . فقد مدحه الثعالبى (« تتمة اليتيمة » ، ١ / ٩٦) . ولكن من هو الذى لم يمدحه الثعالبى ! فهذا الرجل يخلع النعوت الرنانة ويبالغ فى الاطراء لمن استحق ولمن لم يستحق ! ولهذا فان أحكامه كلها لا قيمة لها . ومدح التوحيدى نثره وحسن عبارته (« الامتاع والمؤانسة » ١ / ١٣٦) ، ثم استدرك فى حكمه ؛ وهو على كل حال فى حكمه أصدق من الثعالبى . على أن الباقى لنا من شعر مسكويه فى مرتبة ضئيلة من الجودة ، بل هو يضرب على قالب الشعراء العاديين دون أن يأتى بمعان طريفة ، ولا بصور بارزة ؛ وهو إذن فى الشعر يأتى فى مرتبة دون المتوسطة بكثير . أما نثره فيتسم بالوضوح ورقة الألفاظ ، ولكن دون أن يبلغ مرتبة الكتاب الكبار مثل التوحيدى أو الجاحظ أو البديع الهمذانى ؛ إنما هو فى منزلة وسطى ؛ بيد أنه أرقى فى النثر منزلةً من الكتاب الفلاسفة مثل الفارابى وابن سينا .

كتاب « جاويدان خرد »

أما كتاب « جاويدان خرد » الذى بين أيدينا الآن ، فلا خلاف فى صحة نسبته إلى مسكويه . فهو يذكر فيه كتابه « تهذيب الأخلاق » (ص٢٥ س ٢) وياقوت أورده من بين أسماء مؤلفاته (٥ / ١٠) . وليس من بين المخطوطات العديدة التى بين أيدينا مخطوط واحد لا ينسبه إلى مسكويه صراحة ؛ وليس هو بغريب على مسكويه ، فله كتب أخرى فى مجاله ، منها خصوصاً « أنس الفريد » .

إنما الشىء الوحيد الذى أثار انتباهنا هو أن أمير دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازى السمرقندى قد ذكر فى كتابه « تذكرة الشعراء » الذى ألفه بعد سنة ٨٩٢ هـ (١٤٨٧ م) ما يلى : « ويبين الشيخ أبو على مسكويه — رحمة الله عليه — هذا الأمر فى « آداب العرب والفرس » على النحو التالى : قال أمير المؤمنين الحسين بن على رضى الله عنهما : كان أبى — عليه السلام ! — بالكوفة فى الجامع إذ قام رجل من أهل الشام فقال : يا أمير المؤمنين ! إنى أسألك عن أول من قال الشعر . — فقال : آدم — عليه السلام . قال : وما كان شعره ؟ — قال : لما نزل من السماء على الأرض فرأى تربتها وسعتها وهواءها وقتل قابيل هابيل ، فقال الشعر :

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذى لون وطعم ... وقل بشاشةً وجهٌ مليح
فوا أسفى على هابيل ابنى ... قتيل قد تضمنه الضريح !
وجاورنا عدو ليس يغنى ... لعينٌ لا يموت فنستريح

فأجابه إبليس عليه اللعنة :

تنحَّ عن البلاد وساكنيها ... وها فى الخلد ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك فى قرار ... وقلبك من أذى الدنيا مريح
فلم تنفك من كيدى ومكرى ... إلى أن فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار أضحى ... بكفك من جنان الخلد ريح[1] »

---

(١) « تذكرة الشعراء » ص ٢٠ ، نشرة ادورد ٠ ح ٠ برون ، ليدن سنة ١٩٠١ ٠

ولكن هذا الخبر كله لم يرد فى كتابنا هذا ؛ فما معنى هذا ؟

لا معنى له غير أن دولتشاه كاذب فى هذه الدعوى ؛ وهو إما اخترعها اختراعاً ، وإما التبس عليه الأمر بكتاب آخر . ذلك أن دولتشاه وأضرابه من المؤرخين الفرس المتأخرين لا يوثق لهم بنقل ولا رواية ، وقد انعدمت لديهم حاسة الضبط العلمى تماماً : فهم يضعون من الأخبار ما يشاؤون ، ويخترعون من النوادر ما وسعهم الاختراع ، يعينهم على هذا خيال جامح لا يردعه وازع العقل ولا الضبط فى التاريخ .

وهذا الحكم ينطبق على كل ما كتبوه فى التاريخ : من « جهار مقاله » للعروضى السمرقندى ، حتى « تذكرة الأولياء » للعطار و « نفحات الأنس » لجامى . فيجب ألا نلقى بالا إذن للخبر الذى أورده دولتشاه عن كتاب « آداب العرب والفرس » لمسكويه فيما زعم كذباً .

إنما المشكلة الحقيقية فى هذا الكتاب هى مشكلة ما ورد فيه . فقد استهله مسكويه بترجمة الحسن بن سهل لكتاب « جاويدان_خرد » الذى « خلفه أوشهنج الملك وصّية على خلفه ، ونقله من اللسان القديم إلى اللسان الفارسى كنجور بن اسفنديار ، وزير ملك إيران شهر ، ونقله إلى العربية الحسن بن سهل ، أخو الفضل بن سهل : ذى الرياستين » . وقبل أن نخوض فى هذه المشكلة نحب أن نقف قليلا عند هذه الأسماء .

أما أوشهنج[١] ، ويكتب بالفارسية « هوشنگ » ، وفى بعض الروايات العربيـة « أوشهنج » ، فيقال فى أكثر الروايات إنه ابن سيامك بن كيومرث ، و « أنه ملك الأقاليم وقهر الخلق وعمر الأرض . وهو أول من استخرج الحديد واتخذ منه الأدوات للصناعات ، وقدر المياه فى مواضع المنافع ، وحض الناس على الزرع والضرع ، ورسم لهم حفر الأنهار وغرس الأشجار ، وأمرهم بقتل السباع واتخاذ اللباس والفرش من جلودها ، وذبح البقر والغنم والأكل من لحومها .

---

(١) راجع عنه خصوصا : ١ ٠ كرستنسن : « الانسان الأول والملك الأول فى تاريخ الايرانيين الأسطورى » Le premier homme et le premier roi dans l'histoire légendaire des Iraniens

وهو أول من بنى الأبنية ، ومصر الأمصار ، ووضع الأحكام والحدود ، وآثر العدل وكان ملقباً به (أى باسم العدل) يدعى فيشداد (بيشداد : پيش : أول ، مقدم ، رأس ؛ داد : عدل) ومعناه بالفارسية « أول من حكم بالعدل » . ويقال إنه نزل أولا بلاد الهند ثم تنقل فى الأقاليم ؛ فلما استقام أمره واستوسق[1] (= اجتمع) ملكه ، عقد التاج على رأسه ، وخطب الناس خطبة حسنة قال فيها — بعد حمد الله والثناء عليه ! — : أنا الذى ورثت جدى گيومرث ملك الأرض ، وأنا رحمة للمصلحين ، ونقمة على المفسدين من مردة الانس والشياطين . ثم إنه قهر إبليس وجنوده ومنعهم من الاختلاط بالناس ، وأخذ عليهم المواثيق فى أن لا يتعرضوا لبنى آدم بعد أن قتل مردتهم ، واستأصل عفاريتهم ، فهربوا منه إلى المفاوز والجبال والأودية والأمكنة السحيقة ، وما ردهم إلى القرب من مساكن بنى آدم إلا موته »[2] . وتلك هى الصورة الأسطورية التى أضحت لهوشنگ فى الفكر الايرانى : فهو الملك الأول ، وهو أول من أدخل المدنية على نحو يشبه هرمس فى الأسطورة الهلينية المتأخرة ، وهو العادل . فهو الملك الأول لأنه أول أسرة « البرذاتا » أو « الپيشداديان » والكلمتان بمعنى واحد تقريباً ، أى « أصحاب الناموس القديم » ؛ وقد تلاه طهمورث الذى ملك بعد هلاك هوشنگ ، وفى عهد طهمورث بلغت الحضارة منزلة رفيعة : فعلم الناس نسج الصوف وتربية الحيونات الأليفة على العشب والحبوب ، واستخدام الباشق للصيد وتربية الدجاج ؛ وكان له نعم العون فى وزيره شيدسب ، وكان وزيراً صالحاً وكان تقياً فأدخل نظام صلوات الصبح والعشاء[3] . وقد أصبح هوشنگ بعد هذا شخصية حية فى الأدب الملحمى والشعبى الفارسى ، ونسب اليه دين خاص أورد عنه صاحب « دبستان مذاهب » : (مدرسة الفرق) الذى الفه رحالة مسلم هندى من كشمير يدعى محسن الفانى فى منتصف القرن السابع عشر ، أورد عنه

---

(١) أو لعل صوابها : استوثق ؟

(٢) أبو منصور الثعالبى : « غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم » ، ص ٥ — ص ٦ . نشرة هـ . زوتنبرج ، پاريس سنة ١٩٠٠ .

(٣) راجع : كليمان هيوار ولوى دولاپورت : « ايران القديمة » ص ٤٥٢ ؛ پاريس سنة ١٩٤٣ Cl. Huart & Louis Delaporte: *L'Iran Antique*, Paris, 1943.

فصلا غريباً ، زاعماً أن دين هوشنگ كان أسبق من ديانة زرادشت بزمان طويل ولكن ظل يؤمن به سرياً بعض علماء الفرس حتى عهد المؤلف ؛ ولما بلغ الاضطهاد ببعضهم أشده لجأوا إلى بلاد الهند، والفوا وصنّفوا كتباً نادرة ، قرأها المؤلف ، محسن الفانى ، وكان على صلة صداقة ببعض كتابها [1] . وهذا يدل على مدى حياة هوشنگ هذا فى ضمير الأمة الايرانية . وقد تغنى به خصوصاً الفردوسى فى « الشاهنامه » ، وما من شاعر فارسى كبير إلا وأشار اليه فى ثنايا مقطوعاته . قال أحدهم :

كجايند شاهان با اقتدار زهوشنگ و جم تا باسفنديار

أى : أين السلاطين ذوو الاقتدار ، من هوشنگ وجم (جمشيد) حتى اسفنديار ؟ !

أما كنجور أو گنجور فكل ما نعرفه عنه هو ما ورد فى كتابنا هذا وهو أنه كان وزير ملك إيرانشهر ، ولا نعلم عنه شيئاً آخر فى المصادر الإيرانية أو العربية .

والمترجم العربى ، وهو الحسن بن سهل ، معروف [2] : إذ كان وزيراً للخليفة المأمون بعد مقتل أخيه الفضل بن سهل ذى الرياستين ، وبابنته بوران تزوج المأمون ، ولم يزل فى الوزارة حتى غلبت عليه المرة السوداء ، وكان سببها كثرة جزعه على أخيه الفضل فى نكبته ، وهنالك ترك الوزارة فى سنة ٢٠٣ هـ

(١) راجع : ادورد ج · براون : « تاريخ الفرس الأدبى » جـ ١ ص ٥٤ — وما يليها · كمبردج سنة ١٩٥١ ·

(٢) راجع عنه : « تاريخ الطبرى » قسم ٣ جـ ٤ (ليدن سنة ١٨٨١) ص ٩٩٨ ، ١٠١٧ وما يتلوها ، ١٠٣٠ ، ١٠٨١ — ١٠٨٥ ؛ جـ ٥ (ليدن سنة ١٨٩٣) ص ١٤٠٦ ؛ ابن خلكان : ١/٣٩٠ — ٣٩١ (القاهرة سنة ١٩٤٨ = جـ ١ ص ١٧٧ طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ) ؛ المسعودى : « مروج الذهب » نشرة وترجمة بربييه دى مينار وباڤيه دى كورتى » (باريس سنة ١٨٦١ — سنة ١٨٧٧ فى ٩ أجزاء) جـ ٧ ص ٦٥ — ص ٧٧ ؛ الشروانى : نفحة اليمن ص ١٤ — ص ١٥ ، القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ ؛ « الفهرست » لابن النديم ص ٣٤٢ (طبع مصر ، بغير تاريخ) ·

فاستوزر المأمون أحمد بن أبي خالد . وتوفى الحسن بن سهل ، فى رواية البعض ، فى ٥ من ذى القعدة سنة ٢٣٥ هـ (٢١ مايو سنة ٨٥٠ م) ، أو فى ذى الحجة من السنة نفسها (يونيو – يوليو سنة ٨٥٠) ، أو فى مستهل ذى الحجة سنة ٢٣٦ (يونيو – يوليو سنة ٨٥١ م) . وقد كان كاتباً ممتازاً أورد له ابن طيفور كثيراً من الرسائل فى كتابه « اختيار المنظوم والمنثور » (حـ١٣ ، صفحات : ٢٠٣ ، الخ) والحصرى فى « زهر الآداب » ، وابن عبد ربه فى « العقد الفريد » وغيرها . وورد فى « الفهرست » لابن النديم (ص٣٤٢ ، طبع مصر بغير تاريخ) أنه كان مترجماً نقل من اللسان الفارسى إلى اللغة العربية ، ولكنه لم يذكر ماذا ترجم حتى نعرف ما يتصل بكتاب « جاويدان خرد » هذا . ومن ناحية أخرى لم يبق لدينا كتاب « استطالة الفهم » ؛ هذا الذى ذكر مسكويه أن الجاحظ أورد فيه خبر هذا الكتاب . ولهذا لا نستطيع أن نستوثق من صحة هذه الرواية التى ختم بها مسكويه كتاب «جاويدان خرد» (راجع من بعد فى نص الكتاب ص١٨ ص٢٢)

ولكن سواء أذكر الجاحظ هذه القصة على النحو الذى أورده مسكويه أم لم يذكرها ، فما لا شك فيه أنها رواية أسطورية ، ومن ذلك النوع من الأساطير التى حيكت حول استقدام الكتب الأجنبية إلى العالم العربى ، خصوصاً فى عهد المأمون . ولقد لذ للناس هذا النوع ، إمعاناً فى التهويل بشأن هذه الكتب ، إذ ستصبح بهذا من الأسرار المدفونة العجيبة التى يسعى الناس فى أطراف الأرض للحصول عليها . فنحن نجد رواية شبيهة بروايتنا هذه فى مستهل « كليله ودمنه » فى باب « بعثة برزويه » إلى بلاد الهند للحصول على هذا الكنز النفيس ؛ ونجد كذلك رواية مبنية على رؤيا رآها المأمون حول إخراج نفائس الكتب المنطوية على العلوم القديمة من بلاد الروم ، فأرسل جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسَلْم صاحب بيت الحكمة الى بلاد الروم وأتوا له بهذه النفائس التى سرعان ما أمر بنقلها إلى العربية ؛ وهذه الرواية أوردها ابن النديم فى « الفهرست » (ص٣٣٩ – ص٣٤٠ ، طبع مصر ، بغير تاريخ) . فالجو الذى ولد فيه كتاب « جاويدان خرد» فى العالم الاسلامى كان مشبعاً إذن بهذه الأساطير . فليس بغريب أن نجد هذا التفنن فى الاخراج mise en scène الذى ذكره

الجاحظ فى كتاب « استطالة الفهم » خاصاً بكتاب « جاويدان خرد » هذا .

لكن هل معنى هذا أن الكتاب من وضع الحسن بن سهل ؟

نحن لا نرى هذا الرأى؛ بل نحسب أنه لابد أن يكون للكتاب أصل فارسى . ونحب أولا أن نبدد وهماً انساق اليه ديربوليه D'Herbolet ، ونبه على خطئه فيه سيلفستر دى ساسى(١) ، وهو أن ديربوليه قد ظن أن « جاويدان خرد » هو « همايون نامه » مع أنهما كتابان مختلفان تماماً ؛ وهو وهم تابعه عليه كثير من الكتاب من بعد .

إنما يجب البحث عن أصل هذا الكتاب فى تلك المجموعة الهائلة من الرسائل الشعبية فى الآداب والأخلاق التى انتشرت فى القرن الأخير من عهد الساسانيين ، وعرفت باسم « الأندرز » أو الـ« پندنامه » (أى : كتب المواعظ) وفيها جمعت حكم وأقوال فى السلوك نسبت إلى أشخاص تاريخيين أو أسطوريين. وقد بقى لدينا منها طائفة مكتوبة بالفهلوية ترجع إلى ما بعد العصر الساسانى : منها أندرز منسوب إلى الحكيم أوشنر ، وهو شخصية من شخصيات الأساطير القديمة ، وأندرز منسوب إلى خسرو الأول ، ابن قباذ يسمى « أندرز خسرو قباذان » ، وأندرز منسوب إلى آذرباذ مهرسپندان الذى كان رئيس الكهنوت فى عهد شاهپور الثانى ، وأندرز آخر ينسب إلى زرادشت ابن آذرباذ يسمى « پندنامه زرادشت » ؛ هذا فضلا عن الأندرز المنسوب إلى بزرجمهر الحكيم المشهور الذى سنتحدث عنه عما قليل(٢) . يضاف إلى هذه « الأندرزها »

---

(١) Silvestre de Sacy: Notices et Extraits des Manuscrits de la bibliothêque du roi, tome X, p. 95. n. 2. Paris 1818.

(٢) راجع فيما يتصل بهذا كله : أرتوركرستنسن : « ايران فى عهد الساسانيين » ، ص ٥٧ ــ ص ٥٩ . كوپنهاجن سنة ١٩٤٤ Arthur Christensen : L'Iran sous les Sassanides. والنصوص الفارسية لهذه الأندرزها قد نشرها جاماسب ــ أسانا بعنوان : « نصوص فهلوية » ج ٢ ، بمباى سنة ١٩١٣ Jamasp-Asana, *Pahlavi Texts*, II, ؛ ونشر پشوتان سنچانا « پندنامه بزرجمهر » و « أندرز آذرباذ مهرسپندان » و « أندرز خسرو قباذان » ، نشرها فى Ganjeshàyagàn فى بمباى سنة ١٨٨٥ ؛ ونشر فرايمن Freiman « پندنامه زردشت » فى « مجلة ڤينا لمعرفة الشرق » WZKM ج ٢٠ سنة ١٩٠٦ ؛ ونشر ذبهر « أندرز أوشنر دانك » فى بمباى سنة ١٩٣٠ .

(= الحكم ، المواعظ ، الآداب) كتاب آخر يدعى « دادستان مينوء خرد » (= مذهب روح الحكمة) الذى يلوح أنه كان من وضع القرن الأخير للدولة الساسانية ، وإن كنا لا نملك منه إلا تحريراً كتب فى العهد الاسلامى ، وقد نشر نصه الفهلوى أندرياس فى كيل سنة ١٨٨٢ ، ونشر فى بمباى عدة نشرات ، وترجمه وست West إلى الانجليزية فى « النصوص الفهلوية » (المجلد الثالث ، ضمن مجموعة « كتب الشرق المقدسة ») . هذا فضلا عن الكتب الدينية الرئيسية مثل « دينكرد » و « بندهشن » ، و « أرداى ويراز نامه » (١) .

ففى هذه الكتب سنجد أصول « جاويدان خرد » ثم ما ورد هنا من آداب الفرس (ص٢٦ــص٨٨) . ولولا أن المجال هنا ليس مجال بحث أدبى موضوعى ، بل هدفنا هو الجانب الفيلولوجى الخالص ، لعقدنا المقارنات واستخلصنا أوجه التشابه والنقل وبيّنا إلى أى مدى ينطبق النص الفهلوى على النص العربى ، وكلاهما فيما يلوح أحياناً قد ظهر فى عصر واحد ، خصوصاً القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) . والدراسة التى قمنا بها فى هذا الصدد قد أثبتت لنا التطابق الكامل فى بعض الأقوال ، خصوصاً « مواعظ آذرباذ » الواردة هنا (ص ٢٦ ــ ص ٢٨) وبين « الأندرز » المنسوب اليه . ولكننا لا نستطيع أن نسجل هنا نتائج هذه الدراسة ، ولعلنا أن نقوم بها فى دراسة مستقلة .

على أن المشكلة لن تحل على هذا النحو ، طالما لم نجد الأصول الفهلوية نفسها التى كتبت فى عهد الساسانيين ؛ فان الأصول التى بين أيدينا بالفهلوية يرجع معظمها إلى العهد الاسلامى ، ولم يبق من العهد الساسانى شىء يعتدُّ به . لأن الشىء الذى نخشاه حقاً هو أن ندور دائماً فى نفس الحلقة الفاسدة أو الدور: هل النصوص العربية هى فى أصلها فارسية منقولة ، أو العكس : النصوص الفهلوية المتأخرة هذه أصولها عربية منحولة على الفرس ؟ ولا تزال مشكلة « كليله ودمنه » و « باب برزويه » فى هذا الكتاب نفسه مفتوحة أمام الباحثين منذ نيلدكه حتى كراوس وكرستنسن (٢) .

(١) الكتاب السابق ، ص ٥٥ ــ ص ٥١ .

(٢) راجع عنها كتابنا : « من تاريخ الالحاد فى الاسلام » ، ص ٥٤ ــ ص ٦٤ ، القاهرة سنة ١٩٤٥ ؛ ثم كتاب أرتور كرستنسن السابق ص ٤٢٣ وما يليها ، ٤٢٩ وما يليها ، ٤٣٩ وما يليها .

وصفوة القول إذن أننا لا نعرف لكتاب « جاويدان خرد » أصلا واحداً معيناً بقى لدينا بالفارسية ، وشخصية كنجور بن اسفنديار ، وزير ملك إيرانشهر ، لا تزال مجهولة تماماً ، وأن مشكلة صحة الكتاب تاريخياً وانتحاله لا تزال مفتوحة ؛ وفى مقابل هذا ثبت لدينا :

أولاً : أن نسبته إلى أوشهنگ نسبة أسطورية لا أصل لها ، ولا أصل تاريخياً لأوشهنگ نفسه .

ثانياً : الجو الأدبى فى العصر الأخير من دولة آل ساسان يجنح بنا إلى القول بأنه إذا كان لكتاب « جاويدان خرد » أصل فارسى معين واحد مكتوب ، فلابد أن يكون هذا قد ألف فى القرن الأخير من الدولة الساسانية ، وعلى وجه التخصيص فى القرن السادس الميلادى .

— ٣ —

أما الباب الموسوم بـ « آداب الفرس » فى كتابنا هذا فيشمل :

(ا) مواعظ آذرباذ (٢٦ — ٢٨) ، (٦٧) .

(ب) آداب بزرجمهر (٢٩ — ٤١) ؛ كتاب بزرجمهر إلى كسرى (٤٥ — ٤٨) .

(حـ) حكم كسرى قباذ (٤١ — ٤٥) .

(د) حكم كسرى أنو شروان (٤٩ — ٦١) .

(هـ) حكم بهمن الملك (٦١ — ٦٤) .

(و) حكم أخرى فى ثنايا هذا الفصل كله .

(ا) أما آذرباذ بن مهرسبند فكان موبذان موبذ (رئيس الكهنة) فى عهد شاهپور الثانى . وموبذان موبذ كان لقباً لرئيس الديانة الزرادشتية ، ونجده لأول مرة حينما يروى لنا أن أردشير الأول قد عين رجلا — لعل اسمه « ماهداذ » — فى هذا المنصب ؛ ولعل المنصب قد وجد من قبل ، ولكنه لم يأخذ تمام أهميته إلا حينما أصبحت المزدكية الدين الرسمى للدولة . ونحن نعرف من أسمائهم «بهاه» الذى خلفه آذرباذ مهرسبندان الذى نتحدث عنه ، وذلك فى عهد

شاهپور الثانى ، ثم مهروراز ومهرشاهپور فى عهد بهرام الخامس ، وآزاذسذ فى عهد كسرى الأول . وكان إلى موبذان موبذ الإشراف الأعلى على كل الشئون الدينية ، والفصل فى المسائل النظرية والشرعية والعملية الخاصة بشئون الديانة ؛ وكان إليه تعيين الموظفين الدينيين وعزلهم ؛ وهو مستشار الملك فى أمور الدين ، وإن كان الملك هو الذى يعينه ، فى أغلب الظن .

وقد كان عهد شاهپور (سابور فى الكتب العربية) الثانى عهد منازعات دينية شديدة ، بالرغم من أن الساسانيين من أول نشأتهم قد حاولوا التوفيق بين الدين والدولة وقيام تحالف استمر فعلا طوال العهد الساسانى . وكان الخلاف خصوصاً على نص « الابستاق » ، الكتاب الدينى الرئيسى للزرادشتية. فقد أمر أردشير الأول ، فيما يروى الپارسيون ، هربذان هربذ (المتولى الأكبر لشئون معابد النار) فى زمانه ، واسمه تنسر ، بجمع مصاحف كتاب«الأبستاق» وتحريرها فى صيغة نهائية ، عدت هى الرواية الشرعية الرسمية ؛ ووضعت هذه الرواية ، بأمر شاهپور ، فى معبد آذرجسنسب فى شير بمقاطعة أذربيجان ، بعد أن ألحق بها الإضافات التى زيدت فى عهده . ولكن الخلاف استمر مع ذلك ؛ فأمر شاهپور الثانى بعقد مجمع رأسه الموبذان موبذ آذرباذ مهرسبندان صاحبنا هذا ؛ وانتهى المجمع إلى إقرار نص نهائى للأبستاق ، مقسم إلى واحد وعشرين كتاباً أو « نُسْكاً » (قسما) . وتقول الأسطورة إن آذرباذ مهرسبندان أراد إثبات قداسة هذا النص بأن امتحن نفسه بمحنة النار ، وذلك بصب معدن منصهر على الصدر !

ورجل له هذه المكانة ، كيف لا تنسب إليه المواعظ الرفيعة والحكم العالية ؟! وهذا هو ما يفسر نسبة ما لدينا هنا منها إليه .

(ب) وشطر كبير من المواعظ والحكم ينسب إلى بزرجمهر . ولبزرجمهر هذا أسطورة شائقة عنى بتناقلها الرواة فى العصر الإسلامى ، تبينه حكيما ذكياً استطاع أن يحل المشاكل العويصة والرؤى المعقدة لكسرى الأول المعروف بكسرى أنو شروان ؛ وإليه ينسب إدخال لعبة الشطرنج فى إيران بعد أن عرفتها الهند من قبل ؛ وأنه هو الذى ترجم كتاب « كليلة ودمنه » إلى اللغة

الفهلوية بأمر من أنو شروان [1] . ويرى كرستنسن [2] فى بحث طويل خصصه لـ « أسطورة بزرجمهر » أنه من المحتمل جداً ألا يكون هذا الشخص الغريب المشهور شخصاً آخر غير الطبيب برزويه الذى ترجم لنفسه [3] ترجمة ذاتية فى مستهل « كليلة ودمنه » ، وكان على حظ كبير من الثقافة الهندية .

وإلى بزرجمهر تنسب مجموعة من الحكم بعنوان « پندنامه بزرجمهر » أشرنا إليها من قبل . وما ينسب إليه هنا يدخل فى هذا الباب .

(ج) أما كسرى قباذ فقد تولى الملك سنة ٤٨٨ م ، واستمر بحكم ثلاثاً وأربعين سنة . وفى عهده كان مزدك ، الذى أسس مذهباً دينياً جديداً ذا نوازع اشتراكية ، فكان يرى شيوع الأموال والنساء ، والقضاء على كل الامتيازات للطبقات ، ويحرم ذبح الحيوان . فرأى قباذ أن فى تشجيع هذا المذهب قضاءً على طبقة النبلاء ، وهم أعداؤه ، فأيد نشر هذا المذهب . فلما رأى النبلاء غرض قباذ ، ثاروا وسجنوا قباذ ، ووضعوا مكانه أخاه جاماسف فى سنة ٤٩٧ . بيد أن قباذ استطاع بمساعدة زوجه أن يفر من السجن وأن يلجأ إلى الهون البيض ، وهناك تزوج بنت أخته فيروزدخت وكانت أسيرة عند الهفتاليين (الهياطلة) واقترن بها ملكهم . وبعد هذا الزواج سلم جاماسف العرش إلى أخيه قباذ . ثم وقع فى حروب مع الروم ، واستولى فيها على مواضع فى أرمينية والعراق ، إذ استولى على أرضروم ودياربكر فى سنة ٥٠٣ م ، ولكنه اضطر إلى العودة إلى بلاده بسبب الاضطرابات الداخلية وغزو الهون فى سنة ٥٠٤ ؛ فعقد مع الروم صلحاً أفادوا منه فى تحصين ثغورهم القائمة على ممرات الفرات : بيرة ودورا (أويروپوس) ، وتحصين دارا أمام نصيبين .

---

(١) راجع : الثعالبى : « غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم » ، ص ٦١٩ ــ ص ٦٢٤ ، ص ٦٣٣ ــ ص ٦٣٥ . نشرة هـ . زوتنبرج ، باريس سنة ١٩٠٠ .

(٢) راجع له : « ايران فى عهد الساسانيين » ص ٥٧ ــ ٥٨ ، وراجع له خصوصا : « أسطورة الحكيم بزرجمهر » ، مقال بالفرنسية نشر فى مجلة *Acta Orientolia* جـ ٨ ص ٨١ وما يليها .

(٣) راجع كتابنا : « الالحاد فى الاسلام » ص ٥٤ ــ ص ٦٤ ، القاهرة سنة ١٩٤٥ .

وفى سنة ٥٢٧ استأنف الفرس القتال بحجة بناء حصون دارا وأسوارها، وكان ذلك فى السنة الأولى من حكم يوستنيان ؛ وكانت الهزيمة أولا للروم بقيادة بليساريوس ، القائد الشهير الذى سرعان ما انتقم لنفسه بعد ثلاث سنوات ، غير أنه هزم من جديد فى كلينكوم سنة ٥٣١ ، وفى هذه السنة عينها توفى قباذ عن اثنين وثمانين عاماً .

والنص الذى ورد فى كتابنا هذا متأثر بهذه الحياة السياسية العنيفة التى حَيَّـها قباذ ؛ فهى مسائل سألها ملك الروم وأجاب عنها كسرى قباذ؛ وفى هذا إشارة إلى الحروب التى كانت بين كليهما . إنما الغريب حقاً هو أن تنسب هذه الأجوبة الحكيمة إليه ، مع أنه لم يعرف بالحكمة كما سيكون ابنه كسرى أنو شروان ؛ بل نقم عليه رجال الدين احتضانه لمذهب مزدك . لهذا نظن نحن أن الذين اخترعوا هذه الأجوبة كانوا من أتباع مزدك ، وأرادوا تمجيد حاميهم هذا ، فأضافوا إليه هذه الأقوال الحكيمة .

(د) وطبيعى أن نرى أدباً ضخماً ينسب إلى كسرى أنو شروان ، « ذى الروح الخالدة » ، والملقب أيضاً « دادجر » أى العادل . فقد كان أكبر ملوك الساسانيين ، وكان عهده الزاهر عزيز الذكرى فى نفوس الإيرانيين أجمعين ، وبخاصة لدى ذوى النزعات الشعوبية منهم . فى عهده استقر المُـلْـك، وامحت البدع ، خصوصاً بدع مزدك ومانى ، وتدلنا الرسالة المنسوبة إلى تنسر أن الملك كسرى الأول هذا قد أصبح عمود النظام وقاعدة الخير فى رعيته وجنوده ، وهو زينة الأعياد ، وملاذ الخائفين فى يوم الفزع ، والملجأ من العدو . فأعاد إلى الملاك الذين نزعت أملاكهم ما كان لهم من أموال ثابتة ومنقولة ؛ وأعاد الحلائل إلى أزواجهن إن كانوا أحياء ، وإن لم يكونوا أحياء أو لم يكن لهن من قبل اختطافهن أزواج ، خيرت المرأة بين أن تبقى مع سابيها الذى اختطفها وبين الانفصال عنه . ورد إلى الأسر النبيلة المنكوبة اعتبارها ، وتبنى أبناءها اليتامى . وأصلح خصوصاً نظام الضرائب بأن أمر بمسح الأرض المزروعة ، ورتب لها المكوس على نحو عادل ؛ كما أصلح المكوس المفروضة على الأشخاص . ثم أصلح نظام الدولة الإدارى ، ورتب الطبقات فى الأمة .

ومن الناحية الخارجية ، ولو أن الصلح قد عقد مع الروم فى سنة ٥٣١ ، لكن الموقف كان موقف ترقب لاستئناف القتال ؛ ومن جهة أخرى كان الهياطلة فى الجانب الشرقى يهددون إيران باستمرار ، وكانت إيران مضطرة إلى دفع جزية لملكهم . ووجد كسرى الفرصة لاستئناف القتال مع الروم سانحة فى نزاع قام بين دولة الغسانيين التى كانت تدين بالولاء للروم ، وبين ملك الحيرة الذى كان فى حمى ملك إيران . فنهض كسرى الأول أنو شروان للقتال فاستولى على أنطاكية سنة ٥٤٠ وهدمها ، وبعد حرب سجال بين الروم والفرس ، عقدت هدنة فى سنة ٥٤٥ . ومن ناحية أخرى استطاع كسرى (فيما بين سنة ٥٥٨ وسنة ٥٦١) أن يقضى على دولة الهياطلة — وكانت هذه قد ضعفت تحت تأثير غارات قبيلة من الترك يقودها سنجبو . ومن ناحية الجنوب مد كسرى ملكه إلى اليمن ، وكانت آنذاك فى يد ملك الحبشة . ففى سنة ٥٧٠ تحالف بهريز ، أحد قواد كسرى ، مع العرب على الحبش وتولى حكم بلاد اليمن ، واختلط باليمنيين هو وجنوده واستقروا فى اليمن ، حتى جاء الإسلام ، وعرف أبناؤه وأحفاده باسم « الأبناء » (أى أبناء الفرس الذين غزوا اليمن بقيادة بهريز) . ولكن حرباً جديدة بين الروم والفرس فى سنة ٥٧٢ قد سودت الأيام الأخيرة لهذا الملك العادل « ذى النفس الخالدة » ؛ فقد اجتاح الرومُ العراقَ ، وانتصروا على فارس فى معركة ملطية فى السهول الممتدة هناك ، ولم ينجح كسرى فى النجاة بنفسه إلا بفضل الفيل الذى ركبه واخترق به نهر الفرات . بيد أن القائد الرومى يوستنيان ما لبث أن انهزم ، فعين مكانه القائد موريس الذى أغار على بلاد إيران واستولى على سنجار . هنالك قامت المفاوضات للصلح ، بيد أن كسرى توفى فى سنة ٥٧٩ قبل أن يرى ثمارها .

ولقد ذكرنا من قبل أن كسرى قد أصبح النموذج للملك العادل ، وظفر بشهرة هائلة فى الأدب الفارسى وفى الأدب العربى المتأثر به . فكان طبيعياً إذاً أن تحاط شخصيته بهالة من التمجيد من حيث الحكمة والعقل ، مما نرى له الأمثله التى لا تحصى فى كتاب « التاج » المنسوب إلى الجاحظ(١) ، وفى

(١) نشرة أحمد زكى باشا ، ص ٦٢ وما يليها .

كتاب « المحاسن والأضداد » المنحول على الجاحظ[١] أيضاً ، و « عيون الأخبار » لابن قتيبة[٢] ، و « غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم » للثعالبي[٣] ، ومئات غيرها من كتب الأدب والتاريخ ، حتى يمكن أن يقال إن شخصيته أعلى شخصية فى الأدب العربى الإسلامى كله ، فيما عدا على بن أبى طالب . وهذا يفسر هذا الحشد الهائل من الحكم والنوادر والأقوال المنسوبة إليه فى العربية ، فضلا عن الفارسية الفهلوية والحديثة . وهذا يفسر كذلك كيف أصبح له فى كتابنا هذا نصيب موفور .

(ﻫ) وبقى علينا التحدث عن بهمن الملك ؛ والمقصود به ، فيما نرجح ، بهمن بن اسفنديار ، أحد أشخاص الملاحم الإيرانية ؛ وقد قتل رستم أباه اسفنديار ؛ وتولى هو ، أى بهمن ، الملك بعد وفاة جده بشتاسف . ويقول الثعالبي[٤] فى وصفه : « وكان وافر الحظ من شعاع السعادة الإلٰهية ، راجحاً فى ميزان العقل ، سابقاً فى ميدان الفضل ، فارشاً لمهاد العدل . فشد أزر الملك ، وقوى أمر الدين ، وجمع بين المهابة والمحبة ، واستكثر من الغزو والعمارة . وذكر ابن خرداذبة أنه كان يسمى أيضاً : كى أردشير ، وكان يكتب عنه إلى الآفاق : « من كى أردشير عبد الله ، السائس لعباد الله . . . » . وبنى بهمن أردشير ، وهى الأبلة . ومن كلامه السائر الجارى مجرى الأمثال قوله : بالإفضال تعظم الأقدار ؛ وقوله : الشكر أكبر من النعمة ، لأنه يبقى وتلك تفنى ؛ وقوله : تجريب المجرَّب تضييع الأيام » . وإذن فصورة بهمن الأسطورية صورة زاهية ، فمن الطبيعى أن يضاف إليها من الحكم ما يتفق وجلالها الحرافى ، ومن هنا كان لها مكانها فى كتابنا هذا .

وحرص مسكويه على العناية بهذا الفصل الخاص بآداب الفرس لعدة أسباب :

---

(١) نشرة فان فلوتن ص ٢٧٧ وما يتلوها .

(٢) راجع فهرست الجزء الرابع تحت اسم كسرى أنو شروان ، طبع دار الكتب المصرية .

(٣) نشرة ﻫ . زوتنبرج ، باريس سنة ١٩٠٠ ص ٦٠٢ – ص ٦٣٨ .

(٤) الكتاب السابق ، ص ٣٧٨ وما يتلوها . وراجع هذا الفصل كله في أخبار بهمن ومقتل رستم .

١ – أنه كان مجوسياً وأسلم فيما تقول بعض الروايات ، إن صحت ؛ أو في القليل كان ذا نوازع إيرانية عريقة تحن إلى المجد العتيق لإيران الخالدة ؛

٢ – أنه عاش في بيئة احتفلت للتراث الإيراني أيما احتفال : فقد كان – كما قلنا بالتفصيل فيما سلف – نديماً للوزير المهلبي ، وتنقل في خدمة بني بويه وهم الحريصون على استعادة مجد إيران وبعث الروح الفارسية القديمة ، والاستقلال بملك إيراني خالص ، في مقابل الدولة العباسية العربية العرق .

– ٤ –

حكم الروم ولغز قابس صاحب أفلاطون

وما ورد في هذا الكتاب من حكم الروم منحول كله ، من وضع العصر الهليني المتأخر ، خصوصاً في مدرسة الإسكندرية ؛ ولكنه أصبح من الحكم المتناقلة في كتب « نوادر الفلاسفة » التي راجت في ذلك العصر ، ومنه انتقلت إلى العالم الإسلامي . ونجد منها طائفة كبيرة في كتاب « الكلم الروحانية في الحكم اليونانية[١] » لأبي الفرج بن هندو (المتوفى سنة ٤٢٠ هـ) كما نجد في كتب تراجم الفلاسفة والأطباء مثل « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » للقفطي و « عيون الأنباء » لابن أبي أصيبعة و « الملل والنحل » للشهرستاني مجموعة هائلة منها ؛ وقد انتشرت في الكتب الأدبية الخالصة انتشاراً غريباً ، خصوصاً في كتب الجاحظ ، وفي « عيون الأخبار » لابن قتيبة و « العقد الفريد » لابن عبد ربه و « زهر الآداب » للحصري ، وما شابه هذا من كتب المختارات الأدبية .

والصعوبة هنا هي في معرفة المصادر اليونانية المتأخرة التي عنها أخذت هذه الأقوال . فنحن نعرف أن كتاب ذيوجانس اللائرسي في « حياة الفلاسفة » لم يترجم إلى العربية [٢] ، وإن كان بعض ما ورد فيه من أقوال يشابه ما ورد في بعض الكتب العربية[٣]. وإنما الذي ترجم هو ما يعرف عندهم باسم « تاريخ »

(١) نشرة مصطفى القباني في القاهرة سنة ١٩٠٠ .

(٢) راجع أوجست ملر : « الفلاسفة اليونانيون في الروايات العربية » ، ص ٤٢ ، هله ، سنة ١٨٧٣ .

(٣) راجع : « مجلة الجمعية المشرقية الألمانية » ZDMG مجلد ٣١ ص ٥١٤ وما يتلوها .

فرفوريوس . كذلك يرد كثيراً ذكر ثاون[1] الذى كان أفلاطونياً من مدينة أزمير ، وله كتاب يعرف باسم « ثراسولوس » Thrasyllos . كما يرد اسم يحيى النحوى ، لكن يغلب على الظن أن معرفتهم به جاءت من مصادر غير مباشرة ، وخصوصاً مما ورد فى كتاب اسحق بن حنين فى « تاريخ الأطباء » ؛ ولكنهم يذكرون ليحيى النحوى «كتابه فى التاريخ[2] » .

والمصدر الذى امتتح منه هؤلاء الكتاب العرب هو فى أغلب الظن كتاب « نوادر[3] الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء » ، وفى مكتبة منشن (مونيخ) بألمانيا مجموع (رقم ٦٥١ من المخطوطات العربية) يشمل على :

١ — (١ ب — ٣) نقش فصوص خواتيم الحكماء ؛

٢ — (ورقة ٤) اجتماعات الفلاسفة فى بيوت الحكمة فى الأعياد وتفاوض الحكمة بينهم ؛ وأولها : « اجتمع أربعة من حكماء الفلاسفة والمعدودين من أساطين الحكمة فى بيت الصور المذهبة فى يوم عيد من أعياد اليونانية . . . » وفى ورقة ٧ نجد : « قال حنين بن اسحق : فكتبت هذه الألفاظ وعلقت فى الهياكل فى جموع الأشهاد ودرست على التلامذة ، وخزنتها الملوك فى خزائن حكمتها » ؛ وفى ورقة ٨ ب : « قال حنين بن اسحق : أصل هذه الاجتماعات أنه كانت الملوك من اليونانية وغيرها تعلم أولادها الحكمة والفلسفة وتؤدبهم بأصناف الآداب . . . » ؛ وفى ورقة ١٢ ب : « قال حنين بن اسحق : هذا ما وجدت من حكمة أرسطاطاليس فى ذلك اليوم » ؛ وفى ٢٥ ب : اجتماعات الفلاسفة ونوادرهم فى الألحان والموسيقى .

---

(١) ورد ذكره فى « الفهرست » لابن النديم (نشرة فليجل) ص ٢٤٥ س ٢٨ ، ص ٢٤٦ ، س ٢٠ ؛ وفى القفطى (نشرة لبرت) ص ٢٣ ؛ « تاريخ الدول » لابن العبرى (نشرة بوكوك ، اكسفورد سنة ١٦٦٣ م) ص ٩٠ .

(٢) « الفهرست » لابن النديم (نشرة فليجل) ص ٢٨٦ .

(٣) راجع عنه : اشتينشنيدر : « التراجم العربية عن اليونانية » ص ٢٦ : ثم بروكلمن : « تاريخ الأدب العربى » GAL ج ١ ص ٢٢٥ ، الملحق ج ١ ص ٣٦٨ (تحت رقم ٩) ؛ وكتابنا « التراث اليونانى » ص ٣٩ ، تعليق ١ .

٣ – (ورقة ٣٩ ب) : آداب الفلاسفة المذكورين بالحكمة والمعرفة. آداب سقراط الحكيم (٣٩ب) ؛ آداب أفلاطون (٥٦) ؛ آداب أرسطاطاليس (٦٤)

٤ – رسالة أرسطو إلى الاسكندر (ورقة ٦٨) .

٥ – (ورقة ١٢٤ – ١٤٨) : آداب ذيوجانس ، وفوثاغورس ، وهرمس ، وأوميرس ، واينسوس (؟) ، سولون ، بليناس ، أقليدس .

٦ – سؤالات الفلاسفة وأجوبتهم (١٤٩ ب) ؛ مكاتبات الحكماء وأجوبتهم (١٥٦ ب) .

والمخطوط قديم ، تاريخه ٧ محرم سنة ست وخمسمائة هجرية ؛ وقد اختار ما فيه أو كتبه لنفسه حسن بن أبي الحسن العاسول (؟!) . وقد ترجمه مركله K. Merkle إلى الألمانية [١] (نشر في ليبتسج سنة ١٩٢١) .

أما كتاب «نوادر الفلاسفة» نفسه فتوجد منه مخطوطة في مكتبة الاسكوريال (أسبانيا برقم ٧٥٦) ، وله ترجمة اسبانية قديمة بعنوان Proverbios buenos ، وترجمة حبشية نشرها كورنل [٢] Cornill ؛ وترجمة عبرية نشرها ليفنتال A. Loewenthal (فرنكفورت على الماين ، سنة ١٨٩٦) [٣] ، ترجع إلى يهودا بن سلومون الحريزي (؟) الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي .

وينسب إلى ابنه اسحق كتاب بعنوان « آداب الفلاسفة ونوادرهم » (ابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ٢٠١) ، ويرى اشتينشنيدر أنه مجرد تكرار لاسم كتاب أبيه حنين ، وأنه ليس لاسحق كتاب بهذا الاسم (« التراجم العربية عن اليونانية » ص ٢٧ وتعليق ٤ ؛ وكتابه عن « الفارابي » ص ١٧٥) .

---

(١) K. Merkle: Die Sinnsprüche der Philosophen, Leipzig 1921.

(٢) وكان قد نشر منها نموذجا مع مدخل في رسالة للدكتوراه الأولى ، ليبتسج سنة ١٨٧٥ . – راجع عن هذا كله : اشتينشنيدر : « التراجم العربية عن اليونانية » ، ص ٢٧ وتعليق ٣ ؛ وراجع ملر في ZDMG جـ ٣١ ص ٥٠٦ – ص ٥٠٨ .

(٣) ثم ترجمة الى الألمانية ، برلين سنة ١٨٩٦ بعنوان Sinnsprüche der philosophen, nach der hebr. Uebersetzung von Charizi ins Deutsche übertragen von A. Lowenthal, Berlin 1896 : ثم راجع أيضا H. Derenbourg, Mélanges Weil, Paris. 1898, p. 117.-124.

وعن حنين نقل الكتاب العرب والفرس والأتراك ، مما نجده خصوصاً فى « الكلم الروحانية فى الحكم اليونانية » لأبى الفرج بن هندو (+ ٤٢٠ هـ) ، وهو عصريٌّ مسكويه ، و « أحاسن كلم النبى (صلعم) والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الإسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء والعلماء » (مخطوط فى ليدن برقم ٤٥٣ ، وفى دار الكتب المصرية ط ٢ ج ٣ : ٤) وقد نشر بعضه فان فلوتن (ليدن سنة ١٨٤٤) . ثم نذكر على وجه التخصيص كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم» لأبى الوفا المبشربن فاتك (كتب سنة ٤٤٥ هـ ١٠٥٣ م) ويوجد منه عدة مخطوطات [١] .

هذا فيما يتصل بالأقوال المفردة المنسوبة هنا إلى سقراط وهرمس وديوجانس وبطلميوس ، وقد رددناها ، أينما وجدناها ، إلى مصادر أخرى وكلها منحولة كما قلنا. ومن المنحول كذلك« وصية أفلاطون لتلميذه أرسطوطاليس» (ص ٢١٧ — ص ٢١٩) ، و « وصية أرسطوطاليس للإسكندر لما اشتدت علة أبيه فيلفس وتقرر الأمر للإسكندر ابنه » (ص ٢١٩ — ٢٢٥) ، و « وصية أفلاطون فى تأديب الأحداث » ؛ فكل هذه الرسائل مما انتحل فى العصر الهلينى المتأخر وانتشر بسرعة فى البيئة الشرقية ، وبخاصة فى مدرسة الإسكندرية ، أو مما كتبه آخرون واستبدل باسمهم أسماء أفلاطون وأرسطو .

فوصية أرسطو هى من نوع آداب الملوك Fürstenspiegel الذى نجد له نظـائر كثيرة فى الأدب الفارسى . وأما « وصية أفلاطون لتلميذه أرسطوطاليس [٢] » فيرى بعضهم أنه يجوز أن تكون مترجمة عن السريانية [٣] .

---

(١) يوجد منه المخطوطات التالية : فى ليدن بهولندة (رقم ١٤٨٧) ، وفى برلين (برقم ٧٨٥٩) ، وفى المتحف البريطانى برقم ٨٦٩١ ، وفى أياصوفيا برقم ٢٩٠٠ (ثانى) .

(٢) يوجد منها أيضا مخطوط بخط كرشونى (أى سريانى) برقم ١٥٩ فى الفاتيكان .

(٣) راجع : رينان : « الفلسفة المشائية عند السريان » ، ص ٤٨ ؛ رايت Wright : « فهرست المخطوطات السريانية فى المتحف البريطانى » ، ١١٥٩ ؛ سخاو Sachau ، « سريانيات غير منشورة » *Inedita Syriaca* ص ٦٧ ؛ ١ . ملر ، الكتاب السالف الذكر ، ص ٤٥ — وقد نشر سخاو النص السريانى فى كتابه هذا .

وقد انتشر أدب الوصايا انتشاراً هائلا فى العهد الهلينى وفى البيئات المسيحية بخاصة ، فنسب إلى الله [1] نفسه ، وإلى المسيح ، وإلى كبار الحكماء اليونانيين خصوصاً فيثاغورس وبقراط وسقراط وأرسطو والاسكندر — وصايا . ونجد فى « الفهرست » ، نقلا عن بطلميوس الغريب ، وصية لأرسطاطاليس (ص ٣٤٦ ص ٣٤٧ من الطبعة المصرية) .

أما كتاب « تأديب الأحداث » المنسوب إلى أفلاطون ، فقد ذكره صاحب « الفهرست » مرتين وبعنوانين مختلفين : فذكره (ص ٢٤٤ س ١٥ طبعة فليجل = ص ٣٤١ س ١٤ من الطبعة المصرية) بعنوان : « كتاب أفلاطون فى آداب الصبيان » وذكر أن الذى نقله هو أبو عمرو يوحنا بن يوسف الكاتب ، أحد النقلة ؛ ثم ذكره مرة أخرى بعنوان : « كتاب تأديب الأحداث » (ص ٣٤٤ من الطبعة المصرية س ١٨) ولم يذكر من ترجمه . وذكر كذلك القفطى (نشرة لبرت ص ١٨) وابن أبى أصيبعه (١/٥٤) . ولكن فى كتابنا هذا قد نص على أنه ترجمة اسحق بن حنين . فهل وجدت ترجمتان إحداهما لأبى عمرو يوحنا بن يوسف الكاتب ، والأخرى لإسحق بن حنين ؟ يجوز . أو لعل مسكويه أخطأ فنسب الترجمة إلى إسحق بن حنين ، مع أنها لأبى عمرو يوحنا بن يوسف ؟ يجوز أيضاً ، وإن كان الفرض الأول أقرب إلى الاحتمال . ويزعم فنرش Wenrich أنه (Archiv von Virchow, 52, p. 365, 85 p. 356; Deutsches Archiv, I, 448) لا بد أن يكون قد وقع خلط بين أفلاطون وفلوطرخس ، إذ لفلوطرخس كتاب بهـذا الاسم تقريباً هو : Περι παίδων ἀγωγῆς ولكن زعم فنرش هـذا غير صحيح ، إذ أن وصية أفلاطون هذه فى « تأديب الأحداث » لاتتفق مع رسالة فلوطرخس [2] هذه

(١) توجد وصية لله بالفارسية فى مخطوط فى ليدن ج ٤ : ٢١٦ ؛ وفى « رسائل اخوان الصفا » يرد ذكر وصية للمسيح .

(٢) راجع مؤلفات فلوطرخس ، نشرة دوبنر Duebner ج ١ ص ١ — ١٦ ؛ ونشرة مكتبة ليب Loeb الكلاسيكية مع ترجمة انجليزية (سنة ١٩٢٧) ؛ ونشرة مكتبة Teubner وقد قام بها Bernardakis (سنة ١٨٨٨ — ١٨٩٦) ، وتوجد نشرة جديدة فى تويبنر أيضا يقوم بها Wegehaupt. مع آخرين .

على أنه لا يزال الشك فى صحة نسبة رسالة فلوطرخس هذه فى تأديب الأحداث يساور الباحثين ؛ فهى الأخرى ليست ثابتة النسبة إلى فلوطرخس .

∴

أما « وصية فيثاغورس المعروفة بالذهبية » فهى Χρυσᾶ ἔπη المنسوبة إلى فيثاغورس ، وقد ذكرها ابن النديم فقال وهو يتحدث عن فيثاغورس : « وله رسائل تعرف بالذهبيات . وإنما سميت بهذا الاسم لأن جالينوس كان يكتبها بالذهب إعظاماً لها وإجلالا » (ص ٣٤٣ س ١ – ٢ ، الطبعة المصرية) ؛ وذكرها ابن أبى أصيبعة فقال : « الرسالة الذهبية – وسميت بهذا الاسم لأن جالينوس كان يكتبها بالذهب إعظاماً لها وإجلالا ، وكان يواظب على دراستها وقراءتها فى كل يوم » (٤٣/١) .

وقد أوردها حنين بن اسحق فى كتاب « نوادر الفلاسفة [1] » على أنها « وصية » سماها جالينوس باسم « الذهبية » ؛ ونقل منها أبو الوفا مبشر بن فاتك فى كتابه « مختار الحكم ومحاسن الكلم » كما يظهر مما أورده ابن أبى أصيبعه من كلمات فيثاغورس (٤٠/١ –٤٢) ؛ كما أورد ابن أبى أصيبعة بعض كلمات هذه الأشعار الذهبية (٤٠/١ – ٤٢) وذكر حاجى خليفه (١٦٩/٥ تحت رقم ١٠٦١٠) : «كتاب فى وصايا فيثاغورس لأبى العباس أحمد بن محمد السرخسى المتوفى سنة ٢٨٥ » ؛ والسرخسى[2] هذا هو أحمد بن محمد ابن مروان بن الطيب السرخسى ، أحد فلاسفة الإسلام ، وتلميذ يعقوب ابن اسحق الكندى ، وكان أولا معلماً للمعتضد بالله ونادمه وخص به حتى أصبح مستشاره وموضع سره مما كان وبالاً عليه ، إذ أن المعتضد أفضى إليه بسر يتعلق بالقاسم بن عبيد الله وبدر ، غلام المعتضد ، فأذاعه بتحايل

(١) فى الترجمة العبرية المطبوعة ٢ : ٧ .

(٢) راجع عنه : « الفهرست » (فلوجل) : ٢٦١ ، القفطى : ٧٧ ، ابن أبى أصيبعة ٢١٤/١ – ٢١٥ ، فستنفلد : « تاريخ الأطباء » : ٨٠ ، لوكلير : « تاريخ الطب عند العرب » : ٢٩٤ ، سوتر : « تاريخ الرياضيات » : ٦٣ ، ياقوت : « ارشاد الأديب » ج ١ ص ١٥٨ – ص ١٦٠ .

من القاسم ، فسلمه المعتضد إليهما ، فاستصفيا أمواله وأودعاه السجن ؛ وانتهى أمره بأن قتل بتمويه من القاسم على الخليفة سنة ٢٨٥ هـ (٨٩٨ م) ، وفى رواية أخرى فى صفر سنة ٢٨٦ هـ (فبراير — مارس سنة ٨٩٩) . — ويظن فنرش (ص ٨٦) أنه لا بد أن يكون كتاب أحمد بن الطيب — هذا الذى ذكره حاجى خليفه — شرحاً للأشعار الذهبية . لكن يلاحظ اشتينشنيدر أنه كثيراً ما يخلط بين أحمد بن الطيب وبين أبى الفرج بن الطيب . وقد وجد لوكلير [١] عرضاً موسعاً (أو تفسيراً ؟) للأشعار الذهبية وعرضاً موسعاً آخر للغز قابس ، وذلك فى مخطوط بمكتبه الاسكوريال برقم ٨٨٨ (وكان رقمه السابق ٨٨٣) .

ونشرها لأول مرة اليشمن Elichmann سنة ١٦٤٠ ومعها لغز قابس ، اعتماداً على مخطوط ليدن لكتاب « آداب العرب والفرس » لمسكويه هذا الذى بين يديك الآن .

ولقد أثارت هذه الأشعار الذهبية Χρυσᾶ ἔπη فيما يتصل بأصلها وصحة نسبتها مناقشات عنيفة بين الباحثين فى تاريخ الفلسفة اليونانية ، فى باب « مصادر الفيثاغورية » ونجتزى هنا بأن نرجع بالنقاش حولها إلى مُلّخ Mullach [٢] ، الذى رأى أن مؤلف هذه الأشعار يمكن أن يكون لوسيس Lysis التارنتى ، وكان معاصراً لأرخوطاس الفيثاغورى . ولكن اتسلر Zeller يرى أن الموضع المحرف فى كتاب ذيوجانس اللائرسى (« حياة الفلاسفة » م ٨ ف ٦) وهو : γέγραπται δὲ τῷ Πυθαγόρα συγγα΄μματα τρία, παιδευτικὸν, πολιτικὸν, φυσικόν τὸ δέ φερόμενον ὡς πυθαγόρου Λύσιδός ἐστὶ τοῦ Ταραντίανου لا يعطيه هذا الحق ، ثم « إن هذا الكتيب (أى « الأشعار الذهبية ») هو من الابتذال والتفكك بحيث يبدو بالأحرى خليطاً من النصائح العملية فى الحياة ربما كان قسم منه متداولاً بين الناس فى صورة شعرية منذ عهد طويل . وعلى

(١) Leclerc : *Histoire de la médecine arabe*, I, 53, 198, (Commentaire), 202 (Paraphrase), 483, 486.

(٢) راجع Mullach : Fragmenta philosphorum graecorum, I, 193, sqq., I, 418 Hieroclis Comment in Aureum carm.

كل حال فانها (« الأشعار الذهبية ») لا تقدم لنا مدداً ذا قيمة فى معرفة الفلسفة الفيثاغورية » .

هذا ما قاله اتسلر (« فلسفة اليونانيين » ، القسم الأول ، ط ٤ ص٢٦٩) أولاً فى الطبعة الثانية (سنة ١٨٥٦) ثم عاد فأكده فى الطبعة الرابعة (سنة ١٨٧٦) ، وخصوصاً فى الطبعة الخامسة التى تعد النهائية ، وفى هذه الأخيرة استعان على تأييد رأيه بالأبحاث الدقيقة العميقة التى قام بها ا . نوك A. Nauck فى نشرته لكتاب « حياة فيثاغورس » الذى وضعه ايامبليخوس (De vita Pythagorae, 1884, pp. 199-242) ثم بين اتسلر بالإضافة إلى هذا أن جامع أو واضع هذه « الأشعار الذهبية » قد استعان بأشعار التقطها من هنا وهناك : فقد سرق أقوالا لأنباذقليس (البيت رقم ٣٥٥ من نشرة Stein = ٤٠٠من نشرة Mullach = ٤ من الشذرة رقم ١١٢ فى نشرة ديلز) وردت فى البيت رقم ٧١ من « الأشعارالذهبية » ، كما أن البيت ٤٧ منها قد أخذ عن اليمين الفيثاغورية التى كانت ملكاً للمدرسة الفيثاغورية كلها ، وهى الأخرى قد نسبت أيضاً إلى أنباذقليس .

وتظهر هذه السرقة خصوصاً من كون هذا البيت مكتوباً باللهجة الدورية ، بخلاف بقية القصيدة . كما يلوح أن استهلال هذه الأشعار مأخوذ من الكلمات الفيثاغورية المنسوبة إلى أرستكسين . وكون كريسفوس Chrysippus الرواقى (ورد فى كتاب « الليالى الأتيكية » تأليف أوليس جليوس : Aulus Gellius Noctes Atticae م ٧ ف ٢ § ١٢) قد ذكر البيت رقم ٥٤ من قصيدتنا هذه على أنه شعار للفيثاغورية — هذا لاينهض دليلا على أن كريسفوس (حوالى ٢٨٠ — ٢٠٧ ق . م) قد عرف هذه القصيدة . كما بين نوك (ص ٢٠٨ وما يتلوها) أن لغة هذه القصيدة بعيدة عن أن تكون لغة قديمة كلاسيكية ، ولهذا يرى أنه لابد أن تكون قد ألفت فى عصر ايامبليخوس (حوالى ٢٥٠ بعد الميلاد — ٣٢٥ بعد الميلاد) ، إذ من هذا العصر نراها تذكر لأول مرة بهذا الاسم : Χρυσᾶ ἔπη (= « الأشعار الذهبية ») . لكن اتسلر لايرى هذا الرأى وذلك (أولا) لأنه لايوجد فيها أى أثر لاتجاه الأفلاطونية

المحدثة ولا مصطلحاتها ، (وثانياً) لأنه يظهر – فيما يلوح لاتسلر – فى هذه القصيدة أشياء ورد ذكرها قبل ذلك العصر (عصر ايامبليخوس) على أنها فيثاغورية. ولهذا ينتهى اتسلر إلى القول بأنه يجنح إلى أن يجعل تاريخ تأليف هذه « الأشعار الذهبية » فى القرن الأول قبل الميلاد ، فى تلك الحقبة التى صُنِعت فيها كثير من المؤلفات المنحولة على فيثاغورس والفيثاغوريين .

ومن بعد اتسلر تشعبت الأبحاث [١] بصورة هائلة . فلو أردنا تلخيص نتائجها لاحتجنا إلى عشرة مجلدات على الأقل من حجم كتابنا هذا !! فإلى المراجع التى ذكرناها فى الحاشية هنا نحيل الظامئين إلى استيعاب هذا البحث. لكن لا يفوتنا أن نشير إلى بعض النتائج التى انتهى إليها ا . ديلات وأهمها [٢] :

(١) أن « الأشعارالذهبية » كانت معروفة لأثيناوس [٣] (الذى ازدهر

(١) راجع عنها وعن نشرات هذه الأشعار: J. POMTOW : *Poetae lyrici graeci minores*, 1885; (2) *Anthologia*, ed. E. DIEHL, Lipsiae 1923; (3) *Poètes moralistes de la Grèce*, not. et trad. par Guigniaut, Patin, etc. Paris, 1892; (4) *Goldene Sprüche* deutsch v. W. Binder, Leipzig 1910; (5) *The Enchiridion of Epictetus and the Golden Verses of Pythagoras*, Transl. by Th. Taylor, London 1881; (6) *The golden verses of Pyth.*, transl. with notes by E.A.E., London 1894. (7) *I versi aurei, i simboli, le lettere* versi di G. Pesenti, Lanciano, 1913; (8) *The golden verses of Pyth., transl. by Fabre d'Olivet*, done into english by N.L. Redfield, London 1917; (9) *Les vers d'or et le commentaire d'Hierocles sur les vers d'or des pythagor.*, trad. proleg. notes par M. Meunier, Paris 1925; (10) *Die gold. versen des Pythag. von A.Fabre d'Olivet*, hrsg von Bar. Wolf, München 1926; *I versi d'oro*, Con esame, spieg. e svil. di Fabro d'Olivet, Bari 1931; (12) *Les vers d'or Pythagoriciens*, ed. avec comm. par P.C. van der Horst (diss.) Leyden 1932.

وراجع خصوصا لاستيعاب الموضوع كله :

A. Wolgraff: *Literatur zu den Carmen aureum*, Jahresber. über d. Fortschr. d. Klass. Altertumswiss., CCXXX.

(٢) A. Delatte: *Etudes sur la littérature pythagoricienne*, Paris 1915

(٣) نشأ فى نوقراطيس بمصر ، وقد بقى من كتبه « مأدبة العلماء » Δειπνοσοφισται الذى يلوح أنه أتمه بعد موت كومودس فى سنة ١٩٢ بعد الميلاد ، وقد نشر النص ج كيبل G. Kaibel (تويبنر سنة ١٨٨٧ – سنة ١٨٩٠) ، ونشره مع ترجمة انجليزية C.B. Gulich فى نشرة مكتبة Loeb سنة ١٩٢٧ – سنة ١٩٤١ فى ٧ أجزاء .

حوالى سنة ٢٠٠ ميلادية) ، أعنى فى القرن الثالث الميلادى ، وهذا يدحض رأى نوك الذى جعل تأليفها إلى القرن الرابع الميلادى ؛

(٢) أن هذه « الأشعار الذهبية » محشوة فى القدر الأكبر منها بشذرات قديمة ، وأن الأبيات من ١ إلى ٤٦ تتضمن كثيراً من الأقوال الأخلاقية التى تتفق مع أقوال لهسيود وخيرمونه واقتباسات لكريسيفوس وأندروقيد ، ومع قول لفيلولاوس ورد فى « الأخلاق إلى أوذيموس » لأرسطو (م ٢ف ٢ ٢٣) .

(٣) أن صيغة القَسَم (البيت رقم ٤٧ وما يليه فى « الأشعار الذهبية ») لا يمكن أن تكون مأخوذة عن « الكلمات القدسية » ἱερὸς λόγος المنسوبة إلى فيثاغورس، لأنها باللغة (اللهجة) الدورية ؛ وإنما الأبيات التالية يمكن أن تنسب إلى هذه « الكلمات القدسية » ؛

(٤) أن النظرة التشاؤمية إلى الحياة (البيت رقم ٥٤ إلى ٥٨ ؛ والبيت رقم ٥٤ قد اقتبسه كريسفوس ونسبه إلى الفيثاغوريين) تذكر بالأورفيين وأنباذقليس .

وبالجملة ، فعلى الرغم من كون هذه « الأشعار الذهبية » متأخرة ، فانها تنطوى على بعض الأقوال القديمة للفيثاغورية الأولى ، وفيها إشارات صحيحة إلى كثير من عقائد الفيثاغوريين .

.:.

وقد آن لنا أن نتحدث عن « لغز قابس صاحب أفلاطون » .

أما قابس المزعوم ، فهو قابس من ثيبة ، تلميذ فيلولاوس الفيثاغورى (راجع « فيدون » : ٦١ د) ، وقد تتلمذ عليه قابس أثناء مقام فيلولاوس فى ثيبة بعد أن طرد من إيطاليا ؛ ثم تتلمذ هو ومواطنه سمياس لسقراط . ويلعب فى « فيدون » لأفلاطون الدور الأكبر فى الحوار مع سقراط ، ويبدو من خلال هذا الحوار رجلا ذا روح فلسفية حقاً . وفى « أقريطون » لأفلاطون نرى استعداده وزميله سمياس لدفع المبلغ اللازم لإخراج سقراط من السجن (٤٥ ب) . ويذكره اكسينوفون (« الذكريات » I2, 48) من بين تلاميذ

سقراط الذين يودون أن يكونوا تلاميذ ليصبحوا رجالا أخيارا ومواطنين صالحين . بيد أننا لا نعرف شيئاً عن آرائهم الفلسفية ونشاطهم المذهبي . على أن ذيوجانس اللائرسي (٢ : ١٢٤ وما يليها) يذكر لقابس ثلاث محاورات هي : (١) الأسبوع ؛ (٢) فرينيقوس؛ (٣) اللوح . وقد أنكر صحتها منذ القدم پانتيوس Panaetius (راجع ذيوجانس اللائرسي : ٢ : ٦٤) [1] . والروايات الأخرى حوله تكاد كلها تكون أسطورية . من ذلك مارواه أولس جليس Aulus Gellius (حوالى ١٢٣ — ١٦٥ بعد الميلاد) ولكتنتيوس Lactantius (٢٥٠ ؟ — ٣١٧ ؟ بعد الميلاد) ومكروبيوس Macrobius (ازدهر حوالى سنة ٤٠٠ بعد الميلاد) من أنه هو الذى أعتق رقبة فيدون باشارة من سقراط .

أما « لغز قابس » واسمه فى اليونانية Κέβητος θηβαίου πίναξ (= لوح قابس الثيبى) فيذكر عادة عند القدماء منسوباً إلى قابس ، من غير إشارة إلى أنه قابس الثيبى [2] ؛ ويذكر أيضاً على أنه لقابس تلميذ سقراط ، لكن دون أن يكون ثمت دليل على أن المقصود هو النص الذى بين أيدينا [3] ؛ ويذكر ثالثاً (لوقيان ، وخلقديوس فى ختام شرحه لـ « طيماوس » أفلاطون ، ف ٣٥٥) على أنه لقابس ، من غير وصفه بأنه تلميذ سقراط .

وجاء الفيلولوجيون المحدثون فأشعلوا ناراً حامية — شأنهم دائماً فى كل مايتناولونه من المسائل الكلاسكية ! — حول صحة نسبته إلى قابس صاحب سقراط وتلميذ فيلولاوس . وبدأ المعركة هـ . ڤولف H. Wolf فى سنة ١٥٦٠ فشك فى صحة نسبته إلى قابس صاحب سقراط ، على أساس أن بعض فقرات هذا الكتاب لا تتفق مع عصر قابس هذا ، وأن الاتجاه السائد فى هذا الكتاب اتجاه رواقى . ومن هذا التاريخ قامت المشكلة : هل كله منحول على قابس ؟

---

(١) راجع فى «أنسكلوپيديا العلوم الكلاسيكية » لپولى وڤيسوڤا مقالا بعنوان Kebes كتبه Arnim ؛ وراجع اتسلر : « فلسفة اليونانيين » ط ٤ ص ٢٠٥ — ص ٢٠٦

(٢) Tertullien : *Adversus Hareticos*, c. 39

(٣) Diog. Laert. II, 125; Suidas, ed. Bekker, p. 588; Eudoxie, *Violarium*, ed. Flach, c. 584.

أو بعضه منحول وبعضه صحيح ؟ — أما أن فيه انتحالا فأمر لم يعد يشك فيه إنسان . إنما موضوع الخلاف هو مدى الانتحال : هل يشمل الكتاب كله ، أو بعض أجزائه ؟

انقسم الباحثون إلى محافظين وتقدميين : ومن الفريق الأول كلوپفر[1] Klopfer وبير Baehr[2] اللذان شاءا إنقاذ الكتاب بافتراض وقوع حشو وزيادات متأخرة فيه ، مما يفسر وجود المذاهب المتأخرة عن عصر قابس والنصوص التي ألفت بعده : مثل اقتباس فقرة من كتاب « النواميس » لأفلاطون (م ٧ ص ٨٠٨) ، ومعروف أن أفلاطون ألف هذه المحاورة في آخر عمره ، أي بعد وفاة قابس الثيبي بزمان طويل جداً . وصعوبة أخرى : ذِكْر الأبيقوريين والمشائين (§ ١٣) . ولكن هذه الصعوبة حاول حلها — على اختلاف في الأدلة — كل من كازانبون Casanbon وفويرلن Feuerlin وبروكر Brucker وكلوپفر Klopfer من ناحية ، ومن ناحية أخرى زوپه Sauppe وپريشتر Praechter وإن كان الحل يدور دائماً حول إثبات انتحال هذا الكتاب .

ثم اتجهوا إلى تحديد المذهب الذي يرمى مؤلف الكتاب — وهو قطعاً ليس قابس صاحب سقراط — إلى بثه في خلل هذا الكتاب. فقال فريق ، منه بروكر وسيفن Sevin — ويمكن أن يضاف إليهما فويرلن — إن المؤلف فيثاغوري النزعة ، واستندوا في دعواهم هذه إلى ما ورد من مدح فيثاغورس (§ ٢) ، ثم ما ورد من ذكر للمحن التي يمتحن بها الإنسان (§ § ١٤ و١٩) وذكر الطريقين اللذين ينفتحان أمام الإنسان .

لكن چرم[3] فند هذه الدعوى ، لأن هذه المحن يرد ذكرها عموماً بحيث لا داعي لتخصيصها بمذهب الفيثاغوريين ؛ وفكرة الطريقين ليست خاصة أيضاً بالفيثاغوريين ، فقد ذكرها اكسينوفون (« الذكريات » م ٢

---

(١) Kopfer: *De Cebetis tabula dissertatio*, III, Zvikav, 1818-22.

(٢) Baehr, in : Pauly, *Real - Encyclopaedia*, B. II, S.V. : *Cebes*.

(٣) Jerram : *Tabula*. London 1878.

ف ٩) فى الحكاية التى أخذها عن بروديكوس الخيوسى . ورأى جِرَم (ص XXVI، و ص XXXIV)أن الأولى أن يضاف صاحب الكتاب إلى المذهب الإيلى .

بيد أن حججه فى هذه الدعوى كانت أوهى من خيط العنكبوت ، فنقضها پريشتر[١] بسهولة . وكذلك كان الشأن فى ضعف حجج كازنبون ، الذى زعم أن المؤلف أفلاطونى الاتجاه . وهنا اقترح شاصان[٢] Chasang أن يكون المؤلف هو قابس الذى من قوزيقوس Cyzicus ،وهو فيلسوف كلبى ، لا يعرف منه غير اسمه ، وذكره أثيناوس[٣] .

إنما الرأى الذى ظفر بصفوة التأييد هو الذى يقول إن المؤلف رواقى النزعة : ففيه ، أى فى « لغز قابس » هذا ، أن ما يعده عامة الناس خيرات : مثل الغنى والصحة والعمر الطويل ، وما يعدونه شروراً : مثل الفقر والمرض والموت — ليست فى ذاتها خيرات ولا شروراً . وليس للمرء أن يقيم لها وزناً ، بل عليه أن يسحب عليها وعلى أشباهها من المفاخرات — مثل التباهى بالعلم والمعرفة — أن يسحب عليها ذيول عدم الاكتراث ، فان نفعها عرضى ؛ والمعرفة نفسها ليست إلا وسيلة لتحصيل الفضيلة ، وليست غاية تطلب لذاتها ؛ « فينبغى لمن أراد الوصول إلى الأدب الصحيح أن يقتنى هذه العلوم قبل كل شىء ، وليس مما يحتاج إليها بأنفسها ضرورةً ، لكنها نافعة فى الوصول إلى ذلك الأدب بسرعة . فأما فى لزوم الفضائل والعمل بها فليست مما يعيننا على ذلك » (§ ٣٣ ، ص ٢٥٥ من هذا الكتاب) . وهذا الرأى نجده كثيراً ما يتردد على أقلام الكتاب الرواقيين[٤] . وقد توسع پريشتر فى بيان أوجه التشابه بين الرواقية وبين مذهب صاحبنا هذا ، فنجترىء ها هنا بالإحالة إليه[٥] . واتسلر من ناحيته يرى أن الكتاب « رغم تفاهة وجهة نظره العامة ،

---

(١) Praechter : *Cebetis Tabula*, Leipzig, 1893, in 12-, p. III-XI. 31-32

(٢) Chassang: *Histoire du roman*, Paris 1862, p. 185.

(٣) *Deipnosophistes*, IV, 45.

(٤) Sénèque : Epitre 88 à Lucilius.

(٥) *Cebetis Tabula*, p. 37 sqq.

يكشف فى مضمونه عن أفكار عصر متأخر يدل عليه ما فى الأخلاق التى يدعو إليها من نزعة رواقية وما فيه من طعن فى الثقافة الزائفة [1] » .

ولهذا ينتهى پريشتر[2] إلى القول بأن هذا الكتاب، « لغز قابس » ، قد ألفه رواقى عاش فى زمان پانتيوس أو سنكا ؛ وهو إذن قد ألف حوالى نهاية القرن الأول بعد الميلاد .

وأول نشرة للنص اليونانى لهذا الكتاب هى تلك التى قام بها قنسطنطين لسكارس ، حوالى سنة ١٤٩٤ فى أغلب الظن [3] . ومن ذلك الحين توالت النشرات حتى بلغت أكثر من مائتين : بعضها مع ترجمة لاتينية ، وأقدمها تلك التى ظهرت فى بولونيا (إيطاليا) سنة ١٤٩٧ وقام بها أوداكسيوس من مدينة پادوڤا ،وتبلغ هذه الترجمات باللاتينية قرابة العشرين،وفى الفرنسية: ٦، وفى الألمانية : ٣ ، وفى الإنجليزية : ٦ ، وفى الإيطالية : ٩ ، وفى الأسبانية : ٢ ، وفى الهولندية : ٢ ، وواحدة فى كل من اللغات : الدانيمركية والروسية والتشيكية والمجرية والتركية – وذلك حوالى سنة ١٨٩٨ ! ! [4] ، وبعد هذا زادت طبعاً بما لا نملك ها هنا إحصاءه . وفى بعض هذه النشرات محاولات لتصوير لوحات تمثل اللوحة الموصوفة فى هذا الكتاب .

وكانت النشرات الأولى للنص اليونانى تقف عند منتصف الفصل ٤٠ ، بينما كانت النشرة اللاتينية لترجمة أوداكسيوس من پادوڤا **Odaxius di Padova** تمتد حتى نهاية الفصل ٤١ . لكن الترجمة العربية تضيف إلى هذا فصلين آخرين. فاستنتج أليشمن ، الذى ذكرناه آنفاً ، أن المترجم العربى لا بد أن يكون قد ترجم عن نسخة أكمل من النص الذى نشره لسكارس . وأثبت رأيه هذا بهذه الواقعة : وهى أن الترجمة اللاتينية التى قام بها أوداكسيوس تشمل على بعض الزيادات الموجودة فى الترجمة العربية ، وغير الموجودة فى النص اليونانى بنشرة

---

(١) اتسلر : « فلسفة اليونانيين » ص ٢٠٦ ، تعليق ٢ ، ط ٤ سنة ١٨٧٥ .

(٢) *Cebetis Tabula*, p. 74 sqq.

(٣) عند الناشر Aldes فى مدينة فينسيا .

(٤) راجع مقدمة نشرة ر . باسيه للترجمة العربية ، ص ١٨ . الجزائر سنة ١٨٩٨ .

لسكارس ؛ وهذا يؤيد أن هذا النص الأخير فيه نقص خصوصاً وأن الترجمة العربية لم تعرف فى عهد أوداكسيوس . غير أن سوميز أنكر رأى أليشمن ، وذلك فى المقدمة التى كتبها لنشرة أليشمن للنص العربى . لكن ثبت فساد رأى سوميز فساداً تاماً لما أن اكتشف جرونوفيس (١) Gronovius بقية النص اليونانى الموجودة فى الترجمة اللاتينية وقسما من الترجمة العربية من الزيادة الواردة بها على ما فى الترجمة اللاتينية . على أن الغريب فى الأمر أن قبله (٢) قد ادعى أن هذه التكملة قد ترجمها قنسطنطين لسكارس من العربية إلى اليونانية ، وأن أوداكسيوس ترجمها من هذه الترجمة إلى اللاتينية ! وقد فند فنرش (٣) هذا الرأى الغريب قائلا : إن نشرة لسكارس لا تحتوى على هذه التكملة ، فلوكان لسكارس قد ترجمها إلى اليونانية ، فلماذا لم يضفها إلى نشرته ؟!

فهل تكون هذه التكملة من وضع المترجم العربى ؟ — إن النقص الذى كان فى النشرات القديمة للنص اليونانى وظهور قسم منه فيما بعد ، يجعل من الممكن أن تكون الزيادة الواردة فى النسخة العربية كانت موجودة فى الأصل اليونانى ، وأنها لا تزال تنتظر من يكتشفها فى اليونانية .

وقد نشر « لغز قابس » هذا فى ترجمته العربية أربع مرات :

١ — أعده أليشمن Elichmann ثم نشره بعد موته سوميز Saumaise فى مدينة ليدن (هولنده) سنة ١٦٤٠ فى حجم الربع ؛ وقد نشر مع النقل العربى النص اليونانى وترجمة لاتينية (٤) ؛

٢ — وأعاد النشرة دون تغيير فى النص العربى پابلو لوثانو وكسولا Pablo Lozano y Casola فى مدريد سنة ١٧٩٣ ، فى حجم الربع (٥) ؛

٣ — وأعاد هذه النشرة الأخيرة كما هى سواوى أفندى ، فى باريس سنة ١٨٧٣ ، فى حجم الثمن (٦) ؛

---

(١) *Cebetis Thebani Tabula graecè et latinè,*

(٢) Wipple: *Verisimilibus de Cebetis Thebani Tabula....*, Altona, 1744.

(٣) *De auctorum graecorum versionibus*, Leipzig, 1842, pp. 114-117.

(٤) *Tabula Cebetis Graece Arabice, Latine.* Leiden, 1640, in 4°.

(٥) *Parafrasio arabe de la Table de Cebes.* Madrid, 1793; in 4°:

(٦) *Le Tableau de Sébès* (sic!), Paris, 1873, in 8°.

٤ — ونشره من جديد رينيه باسيه مع ترجمة ومدخل وتعليقات قارن فيها بين الترجمة وبين النص اليونانى ، وذلك فى الجزائر سنة ١٨٩٨ ؛ وهذه أكمل نشرة لهذا الكتاب حتى الآن (١) ؛ وقد استعان فيها بمخطوط ليدن ومخطوط باريس ، ومخطوط الفاتيكان ، ومخطوط أكسفورد . وقد أفدنا كثيراً من نشرة باسيه هذه .

وهنا نلتقى بصعوبة أخرى حول الترجمة العربية نفسها : من هو المترجم ؟ يتحدث باسيه عن هذه الترجمة ، وكأن مترجمها هو مسكويه نفسه . وهذا رأى لا نراه صحيحاً ، وذلك لأن المصادر لا تدلنا على أن مسكويه كان يعرف اليونانية ؛ كما . أنه لو كان هو المترجم ، لكان من المنتظر أن يخبرنا بذلك فى أول الكتاب أو آخره . كما أن السكوت عن ذكره لا يدل على أن الترجمة لمسكويه على اعتبار أن الكتاب كله من تصنيفه أو اختياره ، لأنه كتاب مختارات أتى بها من هنا وهناك ، من غير أن يدل على مصادرها . وإلا ، لكان علينا أن ننسب إليه أيضاً ترجمة النصوص اليونانية الأخرى الواردة فى الكتاب ، ولا أظن باحثاً جدياً يمكن أن يقول هـذا . لهذا نستطيع أن نؤكد أن ترجمة «لغز قابس» ليست من عمل مسكويه ، بل لعلها من عمل أحد المترجمين المتقدمين فى القرن الثالث وأوائل الرابع ، دون أن نستطيع أن نحدد من هو ، لأن المصادر العربية عن النقول اليونانية لا تحدثنا عن ناقل هذا الكتاب .

— ٥ —

مخطوطات الكتاب

لم نعثر على ذكر لكتاب « آداب العرب والفرس » لمسكويه أو « جاويدان خرد » كما يسمى أحياناً فى الكتب الأخرى ، اللهم إلا مرتين : (الأولى) فى « طراز المجالس » للخفاجى (القاهرة سنة ١٢٨٤ هـ ، ص ١٠٤) حيث ورد : « المجلس السادس فى نبذ من كلام الحكماء والشعراء » : قد صنف فى

(١) R. Basset: Le Tableau de Cébès, version arabe d'ibn Miskaoueih, publiée et traduite avec une introduction et des notes per René Basset, Alger, Imprimerie Orientale, 1898.

هذا الجاحظ كتاباً سماه « استطالة الفهم » ؛ ولهوشنج الحكيم كتاب يسمى « جاودان (كذا) خرد » مدحه الجاحظ ، وفيه كلام جليل . ولأحمد بن مسكويه فى ذلك كتاب « جاودان » أيضاً ، وفيه كلمات شريفة ، وهو كتاب مطول . وقد وقفت على هذه الكتب ، واخترت منها حكماً بديعة : منها : الحلم ترك الانتقام ... ... » . — ثم يسوق طائفة من الجمل اختارها من هذا الكتاب وتوجد كلها فى نشرتنا هذه . ولكن الغريب أنه يقول : « وقفت على هـذه الكتب » — فنحن نظن أنه كاذب فى هـذه الدعوى ، وأنه إنما قرأ كتاب « جاويدان خرد » لمسكويه واستخرج هذه الأخبار عن « استطالة الفهم » و « جاويدان خرد » من استهلال الكتاب ؛ والخبر كله لا قيمة له ، خصوصاً وصاحبه متأخر (توفى سنة ١٠٦٩ هـ) ، ومخطوطاتنا الرئيسية كلها كتبت قبل عصره . و (الثانية) فى « تذكرة الشعراء » لأمير دولتشاه بن علاء الدولة بختيشاه الغازى السمرقندى ، وقد ألف كتابه هذا بعد سنة ٨٩٢ هـ (نشرة براون ص ٢٠ ، ليدن سنة ١٩٠١) ، ولا قيمة مطلقاً لما ذكره ، بل هو خلط فى خلط ، كما بينا من قبل .

فلا قيمة إذن لما لدينا — حتى الآن ، فيما نعرف — من مصادر غير مباشرة فى العربية عن كتابنا هذا . أما فى الفارسية فتوجد للكتاب ترجمة فارسية ، قام بها الشيخ تقى الدين محمد بن الشيخ محمد الأرجانى التسترى ، الذى عاش فى بلاط أكبر ، الأمبراطور المنغولى الشهير ، وله حل نظم « الشاهنامه » للفردوسى ، فأعاد كتابتها نثراً ، وفى بلاط چهان گير الذى كلفه بترجمة كتاب مسكويه هذا ، كما يقول فى مستهل ترجمته . وچهان گير (ومعناه فى الفارسية : فاتح الدنيا) هو اللقب الذى لقب به سليم ، ابن السلطان أكبر ، حينما خلف أباه امبراطوراً على هندوستان سنة ١٦٠٥ . فالترجمة الفارسية إذن كانت فى الربع الأول من القرن السابع عشر الميلادى (— القرن الحادى عشر الهجرى) . وتوجد منها مخطوطة فى المتحف البريطانى (المخطوطات الفارسية جـ ٢ ص ٤٤٠ من فهرست ريو Rieu) . كذلك توجد ترجمة فارسية أخرى قام بها محمد حسين حكيم ، منها مخطوطة فى « الديوان الهندى» بلندن (برقم ١٧٣) . والترجمة الأولى فى مخطوط المتحف البريطانى (وتاريخه ٩٩٧ هـ/ ١٥٨٩ م) تمتد حتى ورقة ٩٠ من مخطوط

باريس (= صفحة ٢١٦ من نشرتنا هذه) ، فهى ناقصة إذن . ولكن تاريخ المخطوط يثير مشكلة ؛ فتاريخه ٩٩٧ هـ أى ١٥٨٩ م ، بينما الامبراطور چهانگير تولى الملك سنة ١٦٠٥ عقب وفاة والده أكبر . ولهذا (١) فاما أن يكون تاريخ المخطوط زائفاً ، كما يقع غالباً ؛ (٢) وإما أن يكون چهانگير (ولد سنة ١٥٦٩ وتوفى سنة ١٦٢٧) قد كلف الأرجانى التسترى بترجمة الكتاب قبل أن يتولى الملك ، وحينئذ تكون هـذه النسخة خرجت فى حيـاة المؤلف وشباب من أهديت إليه ؛ (٣) وإما أن يكون الإمبراطور أكبر (سنة ١٥٤٢ — سنة ١٦٠٥) هو الذى كلفه بالترجمة . ولن نستطيع الفصل فى هذه الفروض الثلاثة وأيها نختار إلا إذا تيسر لنا أن نخضع المخطوطة لامتحان أدق ، الأمر الذى لم يتيسر لنا حتى الآن[١] .

أما مخطوطات هذا الكتاب فعديدة ، بعضها تشمله كله ، وبعضها تشمل أجزاء منه :

أما الناقصة فتشمل :

١ — قسم من « جاويدان خرد » ، فى أيا صوفيا باستانبول برقم ٤٣٠٤ بعنوان : « منتخب جاويدان خرد فى النصائح » .

أما الكاملة فتشمل :

٢ — باريس برقم ٣٩٥٧ عربى بالمكتبة الأهلية ، وقد جعلناها الأساس فى نشرتنا هذه ، ورمزنا إلى هذه المخطوطة بالرمز (ص) ، ووضعنا أرقام أوراقها فى ثنايا النص ؛ وسنصفها بالتفصيل .

٣ — الفاتيكان برقم ٤٠٨ عربى فى الفاتيكان ، وتقع من ١ ا إلى ٢٢٥ ، وبعدها (ورقة ٢٢٨—٢٣٦و، بتاريخ ١٥ شوال سنة ٩٢٨هـ) «رسالة أرسطوطاليس إلى الاسكندر فى السياسة » ، ويتلو هذا بعض كلمات لعلى والحسين وعبد الله ابن جعفر وعبد الله بن مسعود (والأوراق ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ بيضاء) . ورمزنا إليها بالرمز (ف)؛ وسنصفها بالتفصيل .

٤ — ليدن برقم ٣٨١ عربى (= ٦٤٠ فارنر)، وتاريخه ٧٢٩ هـ ، وعدد أوراقه ٢٣٨ . ورمزنا إليها بالرمز (ل) ؛ وسنصفها بالتفصيل .

---

(١) طبعت ترجمة فارسية له بعنوان : « هذا كتاب مستطاب جاويدان خرد » ، ولكنها ناقصة ؛ وذلك سنة ١٢٩٤ هـ .

٥ — طلعت بدار الكتب المصرية برقم ٤٤١٩ أدب طلعت ، وتنقص من أولها ، ووقع خلط فى تجليدها ، بيناه فى مواضعه من نشرتنا هذه ؛ وسنصفها بالتفصيل ؛ ورمزنا إليها بالرمز (ط) .

٦ — مخطوط استانبول مصور بدار الكتب المصرية برقم ح ٦١٧١ ، ورمزنا إليه بالرمز (س) ؛ ومعه نزهة الأرواح (« روضة الأفراح ونزهة الأرواح » لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزورى الإشراقى ، الذى عاش فى القرن السابع الهجرى) وحياة ابن سينا للجوزجانى . وهو بالهامش بخط صغير . ورمزنا إليه بالحرف (س) .

٧ — بودلى فى اكسفورد ، راجع نيقول وبوزى : « فهرست المخطوطات الشرقية فى مكتبة بودلى» ، ق ٢ ج ١ ، اكسفورد سنة ١٨٣٥ ، ص ٥٧٦ ، عمود ب .

٨ — سليم أغا باستانبول برقم ٧٤٨ .

٩ — فيض الله باستانبول ، برقم ١٥٨٧ (راجع ZDMG ج٦٨ ص٣٧٩) .

١٠ — عاشر باستانبول ٢ : ٢٨٦ . .

١١ — أيا صوفيا برقم ١٧٤٧ ، ٢٠٩٨ .

١٢ — الحميدية (باستانبول) برقم ١٤٤٧ (من ١ إلى ورقة ١٦٥) .

١٣ — الموصل : ٣٠ ، ١١٥ (« مخطوطات الموصل » لداود چلبى ، بغداد سنة ١٩٢٧) .

١٤ — پشاور برقم ٧٤٦ (« لباب المعارف العلمية فى مكتبة دار العلوم الإسلامية ؛ پشاور ك فهرست كتب ») .

يضاف إليها مخطوطات الأصول نفسها التى أخذعنها مسكويه كتابه ، وخصوصاً مخطوطات « يتيمة السلطان » لابن المقفع ، وما ورد فى « منتخب صوان الحكمة» ومخطوطات « وصية فيثاغورس الذهبية » ، وقد أشرنا إليها جميعاً فى مواضعها من هذا الكتاب ، لأننا حاولنا قدر المستطاع رد النصوص التى اختارها مسكويه إلى أصولها التى أخذت عنها ، وحاولنا ، تبعاً لهذا ، أن نراجع مخطوطاتنا على مخطوطات هذه الأصول نفسها .

وإليك وصف ما وعدنا وصفه من هذه المخطوطات :

(ا) نسخة ط – رقم ٤٤١٩ أدب طلعت بدار الكتب المصرية .

هذه المخطوطة تنقص من أولها وتبدأ بقوله : غيره . « ... اذكر مع كل نعمة زوالها ، ومع كل بلية كشفها ، فان ذلك أبقى للنعمة ، وأسلم من البطر ، وأقرب إلى الفرج ... » (راجع بعد فى ص ١٥ س ١٣) .

وتقع فى ١٨٤ ورقة ، ومسطرة الصفحة ١٤ سطراً ؛ وطول السطر ٨ سم وطول المكتوب ٢ر١٤ سم وعرضه ٥ر٨ سم .

والخط نسخى جميل ، مضبوطة بالشكل الكامل وعلامات تميز الحروف المعجمة من المهملة . والعنوانات مكتوبة بخط ثلث جميل مشكول وبمداد مذهب .

خاتمته : « نجز كتاب جاويذان خرذ ، بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ، على يد أضعف العباد وأحوجهم إلى عفوه : أحمـــد بن السهروردى فى سلخ شوال سنة اثنتين وتسعين وستمائة ، حامداً لله تعالى على نعمه ، ومصلياً على نبيه محمد ، نبى الرحمة وشفيع الأمة ، وآله وعشيرته الطاهرين ومسلماً » .

وقد بحثنا عن هذا الناسخ فوجدناه مذكوراً فى « الدرر الكامنة » لابن حجر العسقلانى (ج ١ ص ٣٣٥) على النحو التالى : « أحمد بن يحيى بن محمد البكرى ، شمس الدين السهروردى ، الكاتب المشهور . ولد ســنة ٦٥٤ هـ (= سنة ١٢٥٦ م) وتفقه للشافعى ، وأتقن الخط المنسوب والموسيقى . وكان حَظِيَّ الذكر عند الملوك ، وكتب عنه (فى نسخة : عليــه) أبو ســعيد القان والوزير غياث الدين وجمع جم من أولاد الوزراء والقضاة والأمراء . ولم يزل على تقدمه فى فنونه ، إلى أن مات فى ربيع الآخر سنة ٧٤١ هـ (= سنة ١٣٤٠م) ، ولم يظهر فى لحيته من الشيب إلا اليسير . وهو القائل :

قـــــد قنعنا بخمول عن غنى ... وبعز اليأس عن ذل التمنى
فـكريم القــوم لا أســأله ... فلماذا يعرض الباخل عنى ؟ ! »

انتهى كلام ابن حجر . والمخطوطة فعلا فى غاية الأناقة ، ولولا وقوع خطأ فى تجليدها لكانت من النفائس ، اللهم الا إذا جلدت من جديد ، ولكن سيضيع بهذا شيء من قدمها . ويلوح أن الناسخ أراد أن يصحح بفهمه أشياء ،

فأثبت من عنده ما لم يفهمه فى النص فى بعض المواضع ، كما يظهر من اختلاف القراآت .

(ب) مخطوط ل — ليدن رقم ٣٨١ عربى (= ٦٤٠ فارنر Cod Or.) .

١ — الصفحة الأولى ورد فيها العنوان وهو : «كتاب جاويدان خرد وما ضم إليه أحمد مسكويه » .

وفى وسطها إهداء النسخة : « برسم المقر العالى المولوى الأميرى الكبيرى السيفى أحد السادة الأمراء وأمير مهمان داركم الملكى الأشرف ، أعز الله أنصاره بمحمد وآله » .

وفى أعلاها تمليكات منها : من كتب العبدوسى فى سنة ١٠١٥ .

٢ — أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقى إلا بالله . قال أحمد ابن محمد بن مسكويه — بعد حمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله ، والصلاة على من طاب فرعه وأصله : إنى قرأت فى الحداثة كتاباً لأبى عثمان الجاحظ يعرف بـ « استطالة الفهم » يذكر فيه كتاباً يعرف بـ « جاويذان خرذ » ويحكى كلمات يسيرة ... ... (بياض فى الأصل) ... يخرج به عن العادة فى تعظيم مثله فحرصت على طلبه فى البلدان ... » .

٣ — خاتمته : « قال أحمد بن محمد بن مسكويه : إنى لم أطمع فى استيعاب جميع الحكمة الجزئية . وكيف أطمع فيما لا نهاية له ! وإنما يطمع العاقل فى الأصول والقوانين التى تجمع الفروع وتحتوى على الجزئيات بالقوة . وقد أحكمت لك ذلك بقدر الطاقة فى غير هذا الكتاب . وكان غرضى فى هذا الكتاب ما ذكرته فى أوله من إتمام «جاويذان خرذ» بمايليق به من حكم الفرس والهند والعرب والروم الجزيئات (كذا !) التى ينتفع بها جمهور الناس فيشاركون أعيانهم وخواصهم . وسيمر بك المكر (اقرأ : المكرر) فى المعنى واللفظ . والقصد فى ذلك أن تعلم أن عقول الأمم كلها تتوافى على طريقة واحدة ولا تختلف باختلاف البقاع ، ولا تتغير بتغير الأزمنة ، ولا يردها رادٌّ على الدهور والأحقاب . ويصح بذلك< اسمه > أعنى (كذا !) جاويذان خرذ. فلذلك يجب أن تقتصر على مبلغ ما أحصيته ، ولا تطلب الغاية فيما لا غاية له ، والله أعلم .

« تم الكتاب والحمد لله رب العالمين حمداً دائماً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وفرغ من نسخه أضعف عباد الله تعالى وأحوجهم إلى عفوه ورحمته الحسن ابن على الطبيب السنجارى ، أصلح الله شأنهما وهداهما لرشده فى جمادى الآخر سنة تسع وعشرين وسبعمائة هلالية . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبى ، وآله الطيبين الطاهرين » .

٤ — وفى نهايته مقابلة هذا نصها : « ثم بلغ مقابلته بنسخة الأصل فى خدمة سيدى ومالكى ، المولى المالك المخدوم العالم الكامل الفاضل ، دستور العالم ، شمس الملة والحق والدين ، أيده الله تعالى جهد الطاقة . والله العاصم من الخطأ والزلل ، بمقام الجبل فى ثانى عشرين رمضان سنة نو (= تسع) عشرين وسبعمائة . العبد الأصغر الحسن بن على الطبيب عفا الله عنهما » . — وعن يمين التوقيع : « عدد أوراق ٢٣٨ موجود » .

٥ — مسطرته ١٥ سطراً .

٦ — المخطوط مضبوط بالشكل الكامل ، ومكتوب بخط نسخى جميل ، وليس به عنوانات فصول مستقلة ، بل تندرج فى مساق الكتابة . ولكن الضبط بالشكل غير موثوق به ، ولا يدل على أن صاحبه فهم المعنى دائماً .

(ج) : مخطوط ف — نسخة الفاتيكان برقم ٤٠٨ عربى .

(ا) تقع فى ٢٢٥ ورقة ، ومسطرة الصفحة أربعة عشر سطراً ، بخط نسخى ، مضبوط بالشكل ، ولكنه ضبط غير دقيق وأكثره للتزيين ، وطول المكتوب فى الصفحة ١٥ سم وعرضه ٨ ر٩ سم .

والصفحة الأولى عليها العنوان كما أوردناه بالهامش ، وليس بها تملكات .

والصفحة الأخيرة تنتهى بالخاتمة التالية : « تم الكتاب المسمى « جاويذان خرد » — بعون الله وحسن توفيقه ، يوم حادى عشر من محرم سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، على يد العبد الضعيف نصر الله بن محمود ، الدامغانى أصلا ، والقزوينى مولداً — عفى الله عنه سيئاته ، بمحمد وآله الطاهرين وسلم . الحمد لله حق حمده ، وصلواته على خير خلقه ، نبى الرحمة محمد المصطفى وآله المجتبى ، وسلم » .

ثم تتلو ذلك ورقة بها شهادات وتملكات ، ورد فيها فى الوجه الأول :

« صاحبه ومالكه بتمليك صحيح شرعي .... (ولا يذكر اسمه) » .

« نظر فيه ونقله من أوله إلى آخره العبد الفقير إلى الله الغنى محمد حلب (كذا !) الحسيني عفا الله عنه » .

« الله وملائكته يصلون على النبي »   « على يد العبد الضعيف »

« بسم الله الرحمن الرحيم »   « صاحبه شاه على بن نظام الدين »

وفى الوجه الخلفى :

أبيات من الشعر :

لقـد أسمعت لو ناديت حيـاً   ولكن لا حيـاة لمن تنـادى
ونار لو نفخت بهـا أضاءت   ولكن أنت تنفخ فى رمـاد

وغيره : سهيك (؟) الطفل الصغير عهده
يزداد نوماً كلما حركته[1]

— وما راعنى إلا خضاب بكفها ...

— وجاءت إلى العطار تبغى صلاحها   وهل يصلح العطارما أفسد الدهر؟ !

ثم تمليكات : « ملكه الفقير شاه على بن نظام الدين بن عبد الكريم ابن محمد بن البيلى (!) » .

« انتقل بالإرث الشرعى إلى العبد الفقير راجى رحمة ربه شاه على بن نظام الدين سليمان بن عالى (كذا !) بن عبد الكريم بن محمد بن البيلى (كذا) غفر الله ذنوبهم وختم بالصالحات أعمالهم . آمين ، يارب العالمين ! » .

وبيت شعر آخر : « حضرتم وغبنا فاذكرونا لأننا
ذكرناكم لما حضرنا وغبتم »

« صاحبه ومالكه الفقير إلى الله تعالى الشيخ حسن بن شاه على بن نظام الدين عفا الله عنهما » .

(ب) فى المجلد نفسه ، ولكن بخط آخر وورق آخر ، : « رسـالة أرسطوطاليس إلى الإسكندر فى السياسة » ، وأولها بعد البسملة :

---

(١) غير واضح فى المخطوط .

« أما التعجب من مناقبك فقد نسخه تواترها فصارت كالشيء القديم قد يسَرّ به ، لا كالبديع يتعجب منه . وأما السرور بما يحدث لك ، ولا تخلو منه ، إذ كنا نعتد بسعادة جدك ، وإذ كنت كما تقول العامة : « لا يكذب المثنى عليك » — وقد انتهى إلينا أنك بعد الواقعة الكائنة لك ببابل وظفرك بدارا ومن لحق به ، وما ركبت من أهوال تلك الحروب وكابدت من شدائدها استأنفت أشغالا أُخَر بأمور سموت لها وتطلعت إليها — فقد ينبغي لك قبل ذلك أن تفرغ نفسك للنظر في مصلحة أمور المدن وتقويم سننها ... » .

وتقع من الورقة ٢٢٨ ا إلى ٢٣٥ ا ويتلوها من سطر ١٢ ورقة ٢٣٥ ا إلى ٢٣٦ ا كلام لعلى بن أبي طالب وللحسين بن على ولعبد الله بن مسعود .

وخاتمة الرسالة : « فرغ من تسويد هذه الوصية العبد الفقير إلى الله الغنى ، نجم الدين الكاتب بن عبد الله الأديب البغدادى ، يوم الأربعاء خامس عشر شهر شوال سنة ٩٢٨ رحم الله من طالعها ... » .

(د) — المخطوط ص —

رقم ٣٩٥٧ عربى بالمكتبة الأهلية فى پاريس .

يقع هذا المخطوط فى ١٥٨ ورقة ، وورد إلى المكتبة الأهلية فى پاريس فى ٢٥ يوليو (تموز) سنة ١٨٧٤ ، وسجل تحت رقم ٣٩٥٧ عربى ، وكان رقمه القديم ٨٩١ عربى .

١ — فى الورقة ١ ا كتابة بخط مختلف عما فى المخطوطة ، فيها :

« دعاء يعقوب نبي الله : ياذا المعروف الدائم الذى لا ينقطع معروفه أبداً ، ولا يحصيه غيره ، فرج عنى ! » .

« ما يقال فى حق النساء :

هى الضلعة العوجاء لست تقيمها ألا إن تقويم الضلوع انكسارها
أتجمع ضعفاً واقتداراً على الهوى ؟ أليس عجيباً ضعفها واقتدارها ؟! »

٢ — فى الورقة ١٢ عنوان الكتاب كما وضعناه ؛ ثم بيانات هى :

« عدة الورق كاملة هى ١٥٣ » .

« من كتب الحسن بن ابراهيم الخالدى » .

دخل فى ملكه بالشراء الشرعى من الشيخ ابراهيم ، شيخ الصحافين بمصر وأنا الفقير إليه تعالى أحمد .... (غير واضح) ... بمصر المحروسة عفى عنه .... »

« مِنْ مَنّ المنان على راجى الإحسان محمد الحافظ بن جمال الدين القدسى عفى عنهما بمنه وكرمه » .

٣ — الخط نسخى جميل ، مشكول ، ولكن الضبط غير مضبوط فى الغالب ، مما يدل على جهل الناسخ ، وتقسيم الكلام بالعلامات الحمراء لا يدل على أنه فهمه .

ومسطرته سبعة عشر سطراً . والورق سميك جيد قديم ؛ وحجمه ٣١ × ٢١ سم .

وبالركن الأيسر من الصفحة اليمنى فى أسفل توجد التعقيبات أى أوائل الصفحات التالية .

ويرى دى سلان (« فهرست مخطوطات المكتبة الأهلية بباريس » ص٦٤٣) أن المخطوط من القرن الثامن (الرابع عشر الميلادى) .

— ٦ —

وها نحن أولاء ننشر هذا الكتاب كاملا لأول مرة بعد أن نُشِر بعضه تفاريق . وقد رددناه إلى أصوله ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، وحشدنا لجهازه النقدى ما تيسر لنا الظفرُ به من مخطوطات مباشرة وغير مباشرة اطلعنا على معظمها فى أماكنها ، بفضل أسفارنا الطويلة بين أمصار أوربا . والتزمنا فى النشر ذلك المنهج الفيلولوجى الدقيق الذى كونه علماء الدراسات الكلاسيكية فى أوربا : أمانة مطلقة فى إثبات النصوص والقراآت ، دون تحيف ولا تزيد ولا تبديل ، ولكن فى اختيار واعٍ بين القراآت المختلفة ، متجنبين كل التجنب ذلك الترخص الإجرامى فى تغيير النص ابتغاء تصحيح مزعوم فرضه الجهل وأملاه ضيق الثقافة ، وهو الترخص المنتشر — ويا للأسف الشديد ! — بين جل أو كل المتصدرين للنشر فى البلاد العربية والشرقية فى هذه الأعوام الأخيرة ؛ لكن ماكان يمكن أن يتصور منهم غير هذا ، وهم الذين لم يعرفوا المناهج الفيلولوجية

ولا ثمار الدراسات الكلاسيكية التى أنفق فيها العلماء الأوربيون أجيالا متطاولة. إنما هو الشرق ، موطن الاستبداد والطغيان ، حتى على النصوص وعلى المؤلفين الأقدمين ؟

پاريس ، ليـدن
مدينـة الفاتيكان
القـاهرة
حيف سنة ١٩٥٠ ربيع سنة ١٩٥٢

عبد الرحمن بدوى

الرموز

ص : مخطوط باريس برقم ٣٩٥٧ عربى بالمكتبة الأهلية .

ف : مخطوط الفاتيكان برقم ٤٠٨ فاتيكان عربى .

ى : مخطوط يشمل فصولا من (جاويدان خرد » تحت عنوان « يتيمة السلطان » لابن المقفع برقم ٦٧٢ مجاميع بدار الكتب المصرية .

ط : مخطوط طلعت برقم ٤٤١٩ أدب طلعت بدار الكتب المصرية .

س : مخطوط استانبول مصور بدار الكتب المصرية برقم ح ٦١٧١ .

د : مخطوط الأدب الكبير بدار الكتب المصرية برقم ١٩٦٦ أدب .

ل : مخطوط ليدن رقم ٣٨١ عربى (= ٦٤٠ ڤارنر) فى ليدن بهولنده .

كتاب جاويدان خرد

يشتمل على حِكم الفرس والهند والعرب والروم ، خلفه أوشهنج الملك وصيةً على خلفه ، ونقله من اللسان القديم إلى اللسان الفارسي كنجور ابن اسفنديار ، وزير ملك إيران شهر ، ونقله إلى العربية الحسن بن سهل ، أخو الفضل بن سهل : ذي الرياستين ، وتمّمه أحمد بن محمد [بن] مسكويه(١)

---

(١) ف : « كتاب جاويذان خرد ، خلفه أوشهنج الملك لخلفه · نقله كنجور ابن اسفنديار ، وزير ملك ايران ، من اللسان القديم الى الفارسى ؛ ونقله الى العربية الحسن بن سهل أخو ذى الرياستين ؛ وتمّمه أحمد بن مسكويه ، اذ أضاف اليه حكم الفرس والهند والعرب والروم » ·

بسم الله الرحمن الرحيم

[٢ ب] وبه عون (١)

قال أحمد بن محمد بن يعقوب مِسكويه :

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله والصلاة على محمد النبى (٢) وآله الطيبين (٣) الأخيار :

إنى كنت قرأت فى الحداثة كتاباً (٤) لأبى عثمان الجاحظ يعرف بـ « استطالة (٥) الفهم » يذكر فيه كتاباً يعرف بـ « جاويدان خرد (٦) » ويحكى كلمات يسيرة فيه ، ثم يعظمه تعظيما يخرج فيه عن العادة فى تعظيم مثله . فحرصتُ على طلبه فى البلدان التى جلتُ فيها ، حتى وجدته بفارس عند موبذان موبذ (٧) .

فلما نظرت فيه وجدت له أشكالا ونظائر كثيرة من حكم الفرس والهند والعرب والروم ، وإن كان هذا الكتاب أقدمها وأسبقها بالزمان — فانه وصية أوشهنج لولده وللملوك من خلفه (٨) ، وهذا الملك كان بُعَيْد (٩) الطوفان ، وليس يوجد لمن كان قبله سيرة ولا أدب يستفاد . فرأيت أن أنسخ هذه الوصية على جهتها ، ثم ألحق بها جميع ما التقطته من وصايا (١٠) وآداب الأمم

---

(١) ف : وبه العصمة . (٢) ف : النبى محمد .
(٣) ناقصة فى ص . (٤) ف : كتابا فى حداثتى لأبى ...
(٥) لم نعثر على اسمه فى فهرست كتب الجاحظ الذى أورده ياقوت فى « معجم الأدباء » حـ ١٦ ص ١٠٦ — ص ١١٠ . طبع مصر .
(٦) ف : حاويدان خرد . (٧) ف : موبدان .
(٨) ف : بعده . (٩) ص : بعد .
(١٠) ف : وصايا الفرس والهند والعرب والروم وغيرهم من أصناف الأمم . ومن الله استمد العناية والتوفيق ، أنه خير موفق ومعين . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد المرسلين ، محمد المصطفى ، وآله الطيبين الطاهرين ، وسلم تسليما . قال أوشهنج — ويعرف ببيداد — من الله ...

الأربع ، أعنى : الفرس والهند والعرب والروم — ليرتاض بها الأحداث ، ويتذكر بها العلماء ما تقدم لهم من الحكم والعلوم . والتمست [٣ ا] بذلك تقويم نفسى ومن يتقوم به بعدى . وغرضى الأقصى فيه الأجر والمثوبة من الله — عز وجل — وهو ولى الخيرات ، والمثيب على الحسنات ، ولا قوة إلا بالله .

قال أوشهنج :

من الله المبتدأ ، وإليه المنتهى ، وبه التوفيق ، وهو المحمود .

من عرف الابتداء شكر ، ومن عرف الانتهاء أخلص .

ومن عرف التوفيق خضع ، ومن عرف الإفضال أناب بالاستسلام والموافقة — أما بعد :

فان أفضل ما أُعْطى العبد فى الدنيا الحكمة ، وأفضل[١] ما أعطى فى الآخرة المغفرة ، وأفضل[١] ما أعطى فى نفسه الموعظة ؛ وأفضل ما سأل العبدُ العافية ، وأفضل ما قال كلمة التوحيد[٢] .

رأس اليقين المعرفة بالله .

ملاك العلم العمل ، وملاك العمل السُّنة ، وإصابة السنة لزوم القصد .

الدين بِشُعَبه[٣] كالحصن بأركانه : فمتى تداعى واحد منها تتابع بعده سائرها .

أعمال البر على أربع شعب : العلم ، والعمل ، وسلامة الصدر ، والزهد . فالعلم : بالسنن ، والعمل : بإصابة السنن ، وسلامة الصدر[٤] : بإماتة الحسد ، والزهد : بالصبر .

جماع أمر العباد فى أربع خصال : العلم ، والحلم ، والعفاف ، والعدالة . فالعلم بالخير للاكتساب ، وبالشر للاجتناب . والحلم فى الدين للإصلاح ، وفى الدنيا للكرم . والعفاف فى الشهوة للرزانة ، وفى الحاجة للصيانة . [٣ب] والعدالة فى الرضا والغضب للقسط .

---

(١) وأفضل ما أعطى : ناقصة فى ف .

(٢) ف : كلمة التوحيد لأنها رأس اليقين المعرفة وملاك ...

(٣) ف : بشعبه . (٤) ف : بأمانة . ف : الحسد .

العلم على أربعة أوجه : أن تعلم أصل الحق الذى لا يقوم إلا به ، وفروعه التى لابد منها ، وقصده الذى لا يقع إلا فيه ، وضده [1] الذى لا يفسده إلا هو .

العلم والعمل قرينان كمقارنة الروح للجسد : لاينفع [2] أحدهما إلا بالآخر.

الحق يعرف من وجهين : ظاهر يعرف بنفسه ، وغامض [3] يعرف بالاستنباط من الدليل . وكذلك الباطل أربعة أشياء يُتقوى بها على العمل : الصحة ، والغنى ، والعزم ، والتوفيق .

طرق النجاة ثلاث : سبيل الهدى ، وكمال التقى [4] ، وطيب الغذاء .

العلم [5] روح ، والعمل بدن ، والعلم أصل ، والعمل فرع ، والعلم [6] والد ، والعمل مولود . وكان العمل لمكان العلم ، ولم يكن العلم لمكان العمل .

الغنى فى القناعة ، والسلامة فى العزلة ، والحرية فى رفض الشهوة [7] ، والمحبة فى ترك الطمع [8] والرغبة .

واعلم [9] أن التمتع فى أيام طويلة يوجد بالصبر على [10] أيام قليلة .

الغنى الأكبر فى ثلاثة [11] أشياء : نفس عالمة تستعين بها على دينك ، وبدن صابر تستعين به [12] فى طاعة ربك وتتزود [13] به لمعادك وليوم فقرك ، وقناعة بما رزق الله : باليأس عما عند الناس .

---

(١) ف : وفروعه وضده ــ وهو تحريف ظاهر .

(٢) ف : ولا يقع . (٣) ف : وباطن . (٤) ص : التقوى .

(٥) هنا تبتدىء النسخة رقم ٦٧٢ مجاميع بدار الكتب المصرية ، من ورقة ٢٧ ب الى ٤٤ ب (وهى ناقصة الآخر) ، بعنوان : « يتيمة السلطان » لابن المقفع . وأولها : « هذه يتيمة السلطان تجمع جوامع الحكم والبيان لابن المقفع ، رحمه الله تعالى . قال : العلم روح والعمل بدن .... » وسنشير اليها بحرف : ى . (٦) و : ناقصة فى ف .

(٧) ف : الشهوات ، وكذا فى ى (٨) الطمع : ناقصة فى ى .

(٩) ف : على\ى : أعلم (١٠) ى : فى . (١١) ى : أربعة .

(١٢) ف : وباليأس . ــ وفى ى : وبدن صابر فى طاعة ربك تستعد به ليوم فقرك ، وقناعة بما يرزق الله ، واليأس عما عند الناس .

(١٣) ف : تزود .

أخرج الطمع[١] من قلبك ، تحل القيد من رجلك وتُـرِحْ بدنك[٢] .

الظالم نادم وإن مدحه قوم ، والمظلوم سالم وإن ذمه قوم .

المقتنع غَـنِيٌّ وإن جاع وعرى ، والحريص فقير وإن ملك الدنيا .

الشجاعة [١٤] سعة الصدر بالإقدام على الأمور المتلفة[٣] .

والصبر[٤] احتمال الأمور المؤلمة والمكاره الحادثة .

والسخاء سماحة النفس لمستحق البذل ، وبذل الرغائب الجليلة فى مواضعها .

والحلم[٥] ترك الانتقام مع إمكان القدرة .

والحزم انتهاز الفرصة .

الدنيا دار عمل ، والآخرة دار ثواب .

وزمام العافية بيد البلاء ، ورأس[٦] السلامة تحت جناح العطب ، وباب الأمن[٧] مستور بالخوف ؛ فلا تكونن فى حالٍ من هذه الثلاثة[٨] غير متوقع لأضدادها ؛ ولا تجعل نفسك غرضاً[٩] للسهام المهلكة ، فان الزمان عدو لابن آدم ، فاحترز من عدوك بغاية الاستعداد وإذا[١٠] فكرت فى نفسك وعدوها استغنيت عن الوعظ .

أَجَـلٌ قريب فى يد غيرك[١١] ، وسَـوْقٌ حثيث من الليل والنهار . وإذا انتهت المدة حيل بينك وبين العدة — فاحتل قبل المنع ، وأكرم أجلك لصحبة السابقين[١٢] .

---

(١) ف : أخرج عن قلبك الطمع .

(٢) من هــــذه العبارة يختلف ما فى ى عما فى نصــنا هذا فى الترتيب والزيادات ، ولهذا لا نستهين بنسخة : ى الا فى تصحيح ما اتفق وروده فيها وفى كتابنا هذا .

(٣) ص : المختلفة . والتصحيح عن ف ، ى .

(٤) ف : والصبر على ... (٥) ف : والعلم — وهو تحريف ظاهر .

(٦) رأس : ناقصة فى ف . (٧) ى : مردود على الخوف .

(٨) الثلاثة : ناقصة فى ى . (٩) ف : لسهام . (١٠) ص ، ى : فاذا

(١١) ى : أجل ابن آدم قريب فى يدى غيره ، والسوق حثيث ...

(١٢) ى : ولتكن نفسه بصحبة الصالحين .

إذا آنستك[١] السلامة فاستوحش من العطب ؛ وإذا فرحت للعافية [٢] فاحزن للبلاء : فإليه تكون الرجعة ، وإذا بسطك الأمل فاقبض نفسك بقرب الأجل : فهو الموعد .

الحيلة [٣] خير من الشدة ، والتأنى أفضل من العجلة ، والجهل فى الحرب خير من العقل ، والفكر[٤] هناك فى العاقبة مادة الجزع .

أيها المقاتل ! احتَـلْ تغنم ، ولا تفكر فى العاقبة فتهزم[٥].

التأنى[٦] فيما لا تخاف عليه الفوت أفضل من العجلة إلى إدراك الأمل [٤٤ ب].

أضعف الحيلة أنفع من أقوى الشدة ؛ وأقل[٧] التأنى أجدى من أكثر العجلة ؛ والدهاء[٨] رسول القضاء المبرم ؛ وإذا استبد الملك برأيه عميت عليه المراشد .

يحرم[٩] على السامع تكذيب القائل إلا فى ثلاث هن غير الحق : صبر الجاهل على مضض المصيبة ، وعاقل أبغض من أحسن إليه ، وحماة أحبت كنة .

ثلاث لا يستصلح[١٠] فسادهن بشئ من الحيل : العداوة بين الأقارب ، وتحاسد الأكفاء ، والركاكة فى الملوك .

وثلاث لا يستفسد صلاحهن بنوع من المكر : العبادة فى العلماء ، والقناعة فى المستبصرين ، والسخاء فى ذوى الأخطار .

وثلاث لا يشبع منهن : العافية ، والحياة ، والمال .

---

(١) ى : اذا آنسته ··· فليستوحش ·
(٢) ف : فرضت العافية · ى : واذا فرح للعافية ··· فليحزن ··· بسطه الأمل فليذكر قرب الأجل ، فهو الموعد واليه المورد ، وليتزود للموت قبل الفوت ·
(٣) ص : والحيلة ·
(٤) ف : والتفكر · ى : خير من العقل والتفكر ، هناك فى العاقبة ···
(٥) ف : تهزم – وهذه العبارة كلها لم ترد فى ى ·
(٦) ى : التأنى فيما لا يخاف عليه أقرب من العجلة ···
(٧) أقل : ساقطة فى ى ·
(٨) ص : والدولة ، وكذا فى ى ·
(٩) هذه الفقرة لم ترد فى ى ·
(١٠) ى : لا يرجى ·

إذا [١] كان الداء من السماء بطل الدواء . وإذا قدر[٢] الرب بطل حذر المربوب .

ونعم الدواء : الأجل ، وبئس الداء : الأمل [والمال][٣] .

ثلاث[٤] هن سرور الدنيا ، وثلاث غمها : فأما السرور فالرضا بالقسم ، والعمل بالطاعة فى النعم ، ونفى الاهتمام لرزق غد . وأما الغم فحرص مسرف ، وسؤال[٥] ملحف ، وتمنى ما يلهف .

الدنيا [٦] أربعة أشياء : البناء ، والنساء ، والطلاء ، والغناء ..

أربعة من جهد البلاء : كثرة العيال ، وقلة المال ، والجار السوء ، وزوجة خائنة[٧] .

شدائد الدنيا [٨] فى أربعة : الشيخوخة مع الوحدة ، والمرض فى الغربة ، وكثرة الدين مع القلة ، وبعد الشقة[٩] مع الرحلة .

المرأة[١٠] الصالحة عماد الدين وعمارة البيت وعون على الطاعة .

ليس بكامل من غزا ولم يبن على امرأة تزوجها [١١] ، أو بنى بناء لم يكمله[١٥] ، أو زرع زرعاً [١٢] لم يحصده .

ثلاث ليس للعاقل أن ينساهن : فناء الدار ، وتصرف أحوالها ، والآفات[١٣] التى لا أمان منها .

ثلاث لا تدرك بثلاث : الغنى بالمنى ، والشباب بالخضاب ، والصحة بالأدوية .

---

(١) ى : وقال : اذا ... (٢) ى : أراد .

(٣) لم ترد فى ى ، ووردت فى ص ، ف .

(٤) ف : ثلاث هن سرور الدنيا : التقلب فى النعم ، والرضا بالقسم ، وترك الاهتمام لرزق غد .

(٥) ى : « ووعد مخلف . فى نسخة : وسؤال ملحف » .

(٦) ى : وقال : لذة الدنيا فى أربعة ...

(٧) ف : الخائنة . ى : والزوجة الجائرة . (٨) فى : ساقطة من ى .

(٩) ى : المسافة . (١٠) ى : وقال : المرأة ...

(١١) تزوجها : ناقصة فى ف/ى : ليس بكامل الا من ...

(١٢) ص : ولم . (١٣) ف : والأحوال .

أربع[1] خلال إذا أعطيتهن فليس يضيرك[2] ما فاتك من الدنيا : عفاف طُعْمة ، وحسن خليقة[3] ، وصدق حديث ، وحفظ أمانة .

ستة أشياء تعدل الدنيا : الطعام المرئ ، والسيد الرؤوف ، والولد البر ، والزوجة الموافقة ، والكلام المحكم ، وكمال العقل .

صقلك السيف وليس له[4] من سنخه جوهر خطأ ، ونثرك[5] الحب قبل أوانه فى الأرض المسبخة[6] جهل ، وحملك الصعب المسن على الرياضة عناء.

الدليل الناصح غريزة الطبع ، والقائد[7] المشفق حُسن المنطق .

العناء المعنى[8] تطبع من لا طبع له .

الداء العياء رعونة[9] مولودة .

الجرح الدَّوِىُّ المرأة السوء[10] .

الحمل الثقيل الغضب .

ثلاثة[11] أشياء حسنها فى ثلاثة مواضع : المواساة عند الجوع ، والصدق[12] عند السخط ، والعفو عند المقدرة .

العاقل لا يرجو ما يعنف برجائه ، ولا يسأل ما يخاف منعه ، ولا يضمن ما لا يثق بالقدرة عليه .

ثلاث ليس معهن غربة : حسن الأدب ، وكف الأذى ، واجتناب[13] الرِّيَب .

---

(١) ى : وقال : أربع ... (٢) ف : يضرك ، وكذا فى ى .
(٣) ى : خلق . (٤) له : ناقصة فى ف .
(٥) الواو ناقصة فى ف . وفى ى سقط قوله : « صقلك ... خطأ » ، وورد : « وقال : ترك الحب ... » (٦) ى : سبخة .
(٧) الواو ناقصة فى ف . (٨) ى : المعيى .
(٩) ف : مولدة ، وما أثبتنا عن ص و ى . (١٠) ى : امرأة السوء .
(١١) ف : ثلاث . ى : وقال : ثلاثة أشياء حسنة فى ...
(١٢) ى : والصدق فى اللقاء ، والعفو فى الغضب .
(١٣) ص : فاجتناب .

ثمانى[1] خصال من طباع الجهال : الغضب فى غير معنى[2]، والإعطاء فى غير حق ، وإتعاب البدن فى الباطل ، وقلة معرفة الرجل[3] صديقه من عدوه ، ووضعه السرَّ فى غير أهله ، وثقته بمن[4] لم يجربه [٥ ب] ، وحسن ظنه بمن لا عقل له ولا وفاء ، وكثرة الكلام بغير[5] نفع .

من[6] ظلم من الملوك فقد خرج من كرم الملك والحرية ، وصار[7] إلى دناءة الشره والنقيصة[8] والتشبه بالرعية والعبيد .

إذا ذهب الوفاء نزل البلاء .

إذا[9] مات الاعتصام عاش الانتقام .

إذا[10] ظهرت الخيانات[11] استخْـفت البركات .

الهزل آفة الجد[12] ، والكذب عدو الصدق ، والجور[13] مفسد العدل : فاذا[14] استعمل الملك الهزل ذهبت هيبته ، وإذا استصحب الكذب استخف به ، وإذا ظهر الجور فسد[15] سلطانه .

الحزم انتهاز الفرصة عند القدرة ، وترك[16] الونَـى فيما يخاف عليه الفوت .

الرئاسة[17] لا تتم إلا بحسن السياسة ، ومن طلبها صبر على مضضها .

باحتمال المؤن يجب[18] السؤدد ، بالأفضال[19] تعظم الأخطار ، وبصالح الأخلاق تزكو الأعمال .

---

(١) ى : وقال : ثمان خصال من طبائع الجهال ...
(٢) ف : المرء / ى : الرجل بصدقه من ...
(٣) ف : المرء ى : الرجل يصدقه من ...
(٤) ى : لا . (٥) ى : من غير ...
(٦) ى : وقال : من ... (٧) وصار : ناقصة فى ف .
(٨) ف : والتقصير/ى : والمعصية وتشبه بالعبيد والرعية .
(٩) ى ، ف : واذا . (١٠) ى : واذا . (١١) ى : محقت .
(١٢) من دون واو فى ى . (١٣) من دون واو فى ى .
(١٤) ى : واذا . (١٥) ى : أفسد . (١٦) ى : التوانى .
(١٧) ى : وقال : لاتتم الرئاسة الا ...
(١٨) ى : تحت . (١٩) ف : وبالافضال .

إذا كان الرأى عند من لا يقبل منه ، والسلاح[١] عند من لا يستعمله[٢] ، والمـــال عند من لا ينفقه[٣] — ضاعت الأمور .

على الملك أن يعمل بثلاث خصال[٤] : تأخير العقوبة [٥] عند سلطان الغضب ، وتعجيل مكافآت[٦] المحسن ، والأناة فى الذى[٧] يحدث . فان له فى تأخير العقوبة إمكان العفو ، وفى تعجيل المكافأة بالإحسان المسارعةَ بالطاعة من الرعية والجند[٨] ، وفى الأناة انفساحَ الرأى وإيضاح الصواب .

الحازم فيما أشكل عليه من الرأى بمنزلة من [١٦] أضل لؤلؤة[٩] ، فجمع ما حول مسقطها من التراب فنخله[١٠] حتى وجدها — وكذلك الحازم جامع فنون [١١] الرأى فى الأمر المشكل ، ثم يخلصه ويسقط بعضه حتى يخلص [١٢] منه الرأى الخاص .

لا ضعة [١٣] مع حزم ، ولا شرف مع عجز : الحزم مطية[١٤] النجح ، العجز يورث الحرمان[١٥] .

أربع خصال ضَعَة فى الملوك [١٦] والأشراف [١٧] : التعظم ، ومجالسة الأحداث[١٨] والنساء ، ومشاورتهن ، وترك ما يحتاج إليه من الأمور فيما يعمله بيده ويحضره بنفسه .

---

(١) ف : الصلاح — وهو تحريف مصدره خطأ السامع .
(٢) ى : ينفعه .　　(٣) والمال ... ينفقه : ساقطة فى ى .
(٤) ى : بخصال ثلاث .
(٥) ص ، ف : فى سلطان — والتصحيح عن ى .
(٦) ف : وتعجيل المكافأة بالاحسان ، والمسارعة بالطاعـــة من الرعية والجند ؛ وفى الأناة انفتاح الرأى واتضـــاح الصواب — وهنا نقص وتحريف .
(٧) ى : والأناة فيما لا يخاف فوته .
(٨) والجند : ناقصة فى ى .　　(٩) ى : جوهرة .
(١٠) فنخله : ناقصة فى ف . وكذلك : الواو ناقصة فى ف .
(١١) ص : جامع جميع الرأى . ى : الحازم يجمع أصناف الرأى ..
(١٢) ف : حتى يصفو . ى : حتى يصفو منه الرأى الحاصل .
(١٣) ى : وقال : لا ...　　(١٤) ف : مظنة .
(١٥) فى ى زيادة : والضعة تورث الذل . (١٦) ى : تقبح بالملوك ...
(١٧) ف : الملوك الأشراف والتعظم — التعظم : ساقطة فى ى .
(١٨) ى : والاشراف : مجالس النساء والصبيان ومشاورتهم ، وترك ..

لا يكون الملك ملكاً حتى يأكل من غرسه ، ويلبس[١] من طرازه ، وينكح من تلاده ، ويركب من نتاجه .

إحكام[٢] هذه الأمور بالتدبير ، والتدبير بالمشورة ، والمشورة بالوزراء الناصحين المستحقين لرتبهم[٣] .

استظهر على من دونك بالفضل ، وعلى نظرائك[٤] بالانصاف ، وعلى من فوقك بالإجلال — تأخذ بوثائق[٥] أزمّـة التدبير .

يجب[٦] على العاقل : فى حق الله — عز وجل[٧] — : التعظيم والشكر[٨] ، وفى حق السلطان : الطاعة والنصيحة ، وفى حقه على نفسه : الاجتهاد فى الخيرات واجتناب السيئات ، وفى حق الخلطاء[٩] : الوفاء بالود والبذل للمعونة ، وفى حق العامة : كف الأذى[١٠] وحسن المعاشرة .

لا يكمل المرء إلا بأربع : قديم فى شرف ، وحديث[١١] فى نفس ، وإعطاء[١٢] عند مال ، وصدق عند بأس .

من لم يبطره الغنى ، ولم يستكن[١٣] فى الفاقة ، ولم تهدّه المصائب ، ولم يأمن الدوائر ، ولم ينس العواقب — فذاك الكامل[١٤] .

الكمال فى [٦ب] ثلاث : الفقه فى الدين ، والصبر على النوائب[١٥] ، وحسن التقدير فى المعيشة .

ويستدل[١٦] على تقوى المرء بثلاث : التوكل فيما لم ينل ، وحسن الرضا[١٧] بما قد نال ، وحسن الصبر عما فات[١٨] .

---

(١) ى : غرسه ، وينكح من طراده ، ويلبس من طرازه ، ويركب ...
(٢) هذه : ساقطة فى ى . (٣) ى : الناصحين المشتدين بالرأى .
(٤) وعلى ... بالانصاف : وردت بعد الفقرة التالية .
(٥) أزمة : ناقصة فى ف — بوثائق : ناقصة فى ى .
(٦) ى : وقال : يجب .. (٧) عز وجل : ناقصة فى ى .
(٨) والشكر : ناقصة فى ى . (٩) ى : الخلطاء الوداد والمعونة .
(١٠) ى : كف الأذى وبذل الندى وحسن المعاشرة .
(١١) وردت فى آخر المذكور فى ف . ى : وحديث فى نسب .
(١٢) ى : اخطار . (١٣) ى : غند .
(١٤) ى : فذلك الرجل الكامل . (١٥) ى : المصائب .
(١٦) ف : تعرف تقوى ... (١٧) ف : والرضا بما قد نال — ص : بما .
(١٨) ف : قد فات — ى : على ما قد فات .

ذروة[١] الإيمان أربع خلال : الصبر[٢] للحكم ، والرضا بالقدر[٣] ، والإخلاص بالتوكل[٤] ، والاستسلام للرب[٥].

ليس للدين عوض ، ولا للأيام[٦] بدل ، ولا للنفس خلف .

من كان مطية الليل والنهار فانه يساربه وإن لم يسر .

من جمع[٧] السخاء والحياء فقد استجاد الإزارَ والرداء .

من لم يبال بالشكاية فقد اعترف بالدناءة .

من استرجع هبته فقد استحكم اللؤم .

أربعة أشياء القليل منها كثير : الوجع[٨] ، والفقر ، والعار ، والعداوة .

من جهل قدر نفسه فهو لقدر غيره أجهل .

من أنف من عمل نفسه اضطر إلى عمل غيره .

من استنكف من أبويه فقد انتفى من الرشد[٩] .

من لم يتضع[١٠] عند نفسه لم يرتفع عند غيره[١١] .

اذكر[١٢] مع كل نعمة زوالها ، ومع كل بلية كشفها ، فان ذلك أبقى للنعمة وأسلم من البطر وأقرب[١٣] من الفرج .

إذا لم يكن العدل غالباً على الجور ، لم يزل[١٤] تحدث ألوان البلاء والآفات .

ليس[١٥] شيء لتغيير نعمة وتعجيل نقمة أقرب من الإقامة على الظلم .

---

(١) ى : وقال ذروة ... على أربع خصال .

(٢) ى : الصبر على الحكم . (٣) ى : بالقضاء .

(٤) ى : في التوكل . (٥) ى : للرب سبحانه .

(٦) ف : ليس للصحة عوض ، ولا للرضى بدل .

(٧) ص : جميع – من كان ... يسر : ناقصة فى ص – فى ى : زيادة : ومن كان مطية الليل والنهار ، فانه يسار به وان لم يسر .

(٨) ف : الفقر والوجع ... ى : المرض والدين والنار والعداوة .

(٩) ص : الرشدة . (١٠) ف : يتصنع – وهو تحريف ظاهر .

(١١) من هنا تبدأ نسخة ط . (١٢) ى : وقال ابن آدم ! اذكر ...

(١٣) ص : الى من الفرج . ط : أقرب الى الفرج – ى : الفرح .

(١٤) ف : الجور أحدث ألوان ...

(١٥) ى : وليس شيء لتغيير النعمة وتعجيل النقمة ...

الأمل قاطع [1] من كل خير ، وترك[2] الطمع مانع من كل خوف ، والصبر صائر إلى كل ظفر ، والنفس داعية إلى كل شر .

باستصلاح [3] المعاش يصلح أمر العباد[4] ، وبصدق التوكل يستحق الرزق ، وبالإخلاص[5] يستحق الجزاء ، وبسلامة الصدر توضع[6] المحبة فى القلب ، [١٧] وبالكف عن المحارم ينال رضا الرب ، وبالحكمة يكشف غطاء العلم ، ومع الرضا[7] يطيب العيش ، وبالعقول تنال ذروة الأمور[8] ، وعند نزول البلاء تظهر فضائل الإنسان ، وعند طول الغيبة تظهر مواساة الإخوان ، وعند الحيرة [9] تنكشف عقول الرجال ، وبالأسفار تختبر الأخلاق ، ومع الضيق يبدو السخاء ، وفى الغضب يعرف صدق الرجال ، وبالإيثار[10] على النفس [11] تملك الرقاب ، وبالأدب[12] الصالح يلهم العلم ، وبترك الخطأ يسلم من العيوب ، وبالزهد تقام[13] الحكمة ، وبالتوفيق تحرز[14] الأعمال ، وعند الغايات تظهر العزائم [15] ، وبصاحب الصدق يتقوى على الأمور ، وبالملاقاة[16] يكون ازدياد المودات ، ومع الزهد فى الدنيا تثبت المؤاخاة[17] .

ومن الوفاء دوام المواصلة ، ومن قبول رشد العالم ركوب مطية العلم ، ومن استقامة النية [18] اختيار صحبة الأبرار ، ومن مصافحة الغرر[19] ركوب

---

(١) ى : عن . (٢) وترك : ساقطة فى ى .
(٣) ى : وقال : باستصلاح ... (٤) ف : المعاد .
(٥) ط ، ص : وبالاستخلاص . ى : وباخلاص العمل يستحق ...
(٦) ى : تتأكد . (٧) ى : الرضا بالقضاء . (٨) الواو ناقصة فى ف .
(٩) ط ، ص : تستكشف . ف : تنكشف عن عقول ... ى : يستشف عقل الرجل .
(١٠) ومع الضيق ... الرجال : ناقصة فى ص ـ ى : ومع ضيق اليد يبين السخاء ... صدق الرجل . (١١) ط : النفوس .
(١٢) ى : وبالأدب يفهم العلم . وقال : بترك الخطايا يسلم المؤمن من العيوب .
(١٣) ى : يفهم . (١٤) ى : تحرير .
(١٥) ى : قوى الغزائم . (١٦) ى : وبملاقاة الاخوان .
(١٧) ى : المؤاخاة فى الله عز وجل .
(١٨) ى : استقامة صحبة الأخيار اجتناب صحبة الأشرار ، ومن الغرر ...
(١٩) ط : الغرور .

البحر ، ومن عز(١) النفس لزوم القناعة ، ومن سلطان اليقين التجلد على من يطمع فى دينك (٢)، ومن الدخول فى كامن الصدق الوقوع على ما لا تعرفه العوام ، ومن حب الصحة الانقطاع(٣) عن الشهوات ، ومن خوف المعاد (٤) الانصراف عن السيئات ، ومن طلب الفضول الوقوع فى البلايا (٥) ، ومَنْ(٦) لم يجد للإساءة إليه مضضاً لم يجد للإحسان عنده موقعاً .

قطيعة الجاهل تَـعْـدل صلة العاقل .

الحسود لا يسود .

منازع الحق مخصوم(٧) .

أولى الناس بالفضل[٧ب] أعودهم بفضله .

أعون الأشياء على تزكية(٨) العقل التعلم ، وأدل الأشياء على عقل العاقل حسن التدبير .

المستشير متحصن عن السقط(٩) ، والمستبد متهور فى الغلط .

من ألبسه الحياء (١٠) ثوبه غطى عن الناس عيبه .

أحسن (١١) الآداب ألا يفخر المرء بأدبه ، ولا يظهر القدرة على من لا قدرة له عليه ، ولا يتوانى فى العلم إذا طلبه .

---

(١) ى : غنى .

(٢) من يطمع فى : ناقصة فى ف . ى : التجلد على الشدة .

(٣) ف : الصحة رفض الشهوات . (٤) ى : النار .

(٥) ى : البلاء . (٦) الواو ناقصة فى ف .

(٧) خصمه يخصمه (من باب ضرب) : غلبه ، فهو مخصوم : مغلوب .

(٨) ط ، ص ، ف : تذكية . ى : على عقل العاقل حسن التدبير .

(٩) الواو ناقصة فى ط . (١٠) ص ، ف : زينة .

(١١) فى ى بعد قوله : « حسن التدبير » ورد : « وقال : العلم قائد والعمل سائق والنفس حرون . فاذا كان القائد لا سائق له تلكأت ؛ واذا كان السائق بلا قائد عدلت يمينا وشمالا ؛ واذا كان لها قائد وسائق أتت طوعا وكرها . وقال : العلم يرشدك ، وترك ادعائه ينفى عنك الحسد ، والشيطان عدوك فلا تتخذه صديقك ، والمنطق يبلغ بك حاجتك ، والصمت يكسبك المحبة ، وأنت فى الاستماع أكثر فائدة من المنطق » .

ثلاثة ضروب من الناس لا يستوحشون فى غربة ولا يقصر بهم عن مكرمة: الشجاع حيثما توجه ، فان بالناس حاجة إلى شجاعته وبأسه ؛ والعالم ، فان بالناس حاجة إلى علمه (١) وفهمه ؛ والحلو اللسان الظاهر البيان ، فان(٢) الكلمة تجوز له بحلاوة لسانه ولين كلامه(٣) . فان لم تعطوا فى أنفسكم رباطة الجأش وجرأة الصدر(٤) ، فلا يفوتنكم العلم وقراءة الكتب ، فانه أدب(٥) وعلم قد(٦) قيده لكم من مضى من قبلكم ، تزدادون به عقلا .

اجعل الحلم عُـدة تدفع بها السفيه(٧) .

.·.

قال (٨) أبو عثمان الجاحظ : قال الحسن بن سهل أخو ذى (٩) الرياستين الفضل بن سهل :

فهذا(١٠) ما تهيأ لنا ترجمته من الأوراق التى أخذناها من كتاب « جاويذان(١١) خرذ » . على أنا أسقطنا الكثير منها ، لانقطاع آخر الكلام(١٢) عن أوله ، لأن ذوبان(١٣) لم تسمح نفسه بدفع الأوراق إلينا على الولاء والنظم والتأليف ؛ وتركنا سائرها ، إذ لم يكن لنا مطمع(١٤) فيها . ومن لم يتعظ بالقليل لم ينفعه الكثير . وفيما أوردناه غنى وكفاية [١٨] ، وبلاغ لمن أراد الانتفاع(١٥) به . والحمد لله وحده .

---

(١) وفهمه : وردت فى ى .   (٢) ى : فان عند الناس الكلمة ...

(٣) ف : لسانه مودات القـلوب فان لم تعطوا ... ى : وقال : اذا لم تعطوا فى أنفسكم رباطة ...

(٤) وجرأة الصدر : ناقصة فى ف . ص : فى القسم ...

(٥) ف : آداب .

(٦) ص : وقد . من قبلكم : ناقصة فى ف . ى : « قد قيد لكم من مضى ، تزدادون به عقلا ومهابة وفهما » ـ وبهذا انتهى ما ورد فى نسخة ى من « جاويدان خرد » .   (٧) ص : عدة للسفيه .

(٨) ط : ثم قال .   (٩) أخو ... سهل : ناقص فى ف .

(١٠) ط : ما بلغنا لنا ترجمته ...   (١١) ف : جاويدان .

(١٢) ف : لانقطاع الكلام بعض عن بعض ، لأن ...

(١٣) ف : موبذان موبذ .

(١٤) فيها : تآكل أولها فى ص . مطمع : طمع فى ف .

(١٥) ف : الانتفاع به ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وسلامه . ط : والحمد لله حق حمـده ، وصلى الله على محمد عبـده ، وعلى الأئمة الطاهرين من بعده ، وحسبنا الله وحده .

حكى أبو عثمان الجاحظ خبر هذا الكتاب فى كتابه المسمى : « استطالة الفهم » فقال(١) : حدثنى الواقدى قال : قال لى الفضل بن سهل :

لمـــا دعى للمأمون فى كورخراسان (٢) بالخلافة جاءتنا (٣) هدايا الملوك، ووجه ملك كابلستان بشيخ يقال له : ذوبان(٤) ، وكتب يذكر أنه وجه بهدية ليس فى الأرض أسنى ولا أرفع ولا أنبل ولا أفخر(٥) منها . فعجب المأمون وقال : سل الشيخ(٦) : ما معه من الهدايا ؟ فسألته فقال : ما معى(٧) شيء أكثر من علمى . فقال(٨) : أى شيء علمك ؟ فقال : تدبير ورأى ودلالة . فأمر المأمون بانزاله وإكرامه وكتمان أمره . فلما أجمع على التوجه(٩) إلى العراق لقتال(١٠) أخيه محمد ، دعا بذوبان فقال : ما ترى فى التوجه(١١) إلى العراق لقتال محمد ؟ فقال : رأى مصيب ، وملك قريب ، يناله أريب(١٢) .

ثم حكى الجاحظ عن ذوبان (١٣) باسناده أنه كان يسجع سجاعة الكهان(١٤) ، ويصيب فى كل(١٥) ما يسأله المأمون . فلما ورد كتاب فتح العراق عليه ، دعا بذوبان (١٦) وأكرمه وأمر له بمائة ألف درهم . فلم يقبلها وقال : أيها الملك ! إن الملك(١٧) لم يوجهنى إليك لأنتقصك ؛ فلا تجعل ردى نعمتك تسخطاً ، فانى لست أردها عن استصغار(١٨) لقدرها . وسوف أقبل منك ما يفى بهذا المـــال ويزيد ، وهو كتاب يوجد بالعراق(١٩) فيه مكارم

---

(١) ص ، ف : قال . .

(٢) ص : للمأمون بكور الخلافة ــ وهو تحريف ظاهر . ط : بكورخراسان .

(٣) ف : جانبا . (٤) ف : ذوبال . ط : ذؤبان .

(٥) ف : الأرض أسنى منها ولا أفخر . فعجب . . .

(٦) ف : عما معه ! فقال ما معى . . . (٧) شيء : ناقصة فى ص ، ف .

(٨) ف : فقلت : وما علمك : قال : تدبير . ط : قلت : فأى شيء علمك .

(٩) ط ، ف : التوجيه . (١٠) أخيه : ناقصة فى ص .

(١١) دعا . . . التوجه : ناقص فى ص .

(١٢) يناله أريب : ناقص فى ف ، ط . (١٣) ف : ذوبال أنه . . .

(١٤) ف : الكهال . (١٥) ما : ناقصة فى ط .

(١٦) ف : بذوبال ــ وكذلك فى كل ما يلى . ط : واكرامه .

(١٧) ط : ف : ان ملكى ، أيها الملك ! لم أوجه اليك هذا ، فلا تجعل . . .

(١٨) ف : عن استقصار وسوف . . .

(١٩) ف : فى العراق . ط : يوجد فى الخزائن تحت الايوان بالمدائن .

الأخلاق وعلوم الآفاق من كتب عظيم الفرس ، يوجد فى الخزائن تحت الإيوان بالمدائن .

فلما قدم المأمون[1] بغداد واستقرت به دار ملكه[٨ ب] اقتضاه ذوبان حاجته . فأمر بأن يكتب الصفة ويذكر الموضع[2] فكتبه ذوبان وعين الموضع وقال : إذا بلغت الحجر ووصلت إلى الساحة فاقلعها تجد الحاجة[3] ولا تعرض لغيرها فيلزمك غِبُّ ضيرها . فوجه المأمون فى ذلك[4] رجلا حصيفاً ، فوجد هناك صندوقاً صغيراً من زجاج أسود ، وعليه قفل[5] منه فحمله ، ورد الحفرة إلى حالهـــا .

قال : فحدثنى الحسن بن سهل قال : إنى عند المأمون إذ أدخل ذلك الصندوق . فجعل يعجب منه . ثم[6] دعا بذوبان فقال : هذه بغيتك ؟ [7] قال : نعم . قال: خذه وانصرف ! لا تظنن أن الرغبة فيما لعله يوجد فيه تحملنا[8] على مسألتك فتحه بين أيدينا . فقال : كلا ، أيها الملك ! لست ممن تنقض رغبته ذمام عهده . ثم فتح القفل وأدخل يده وأخرج[9] خرقة من الديباج ونثرها[10] فسقط منها أوراق ، فعدها فاذا هى مائة ورقة؛ ثم نفض الصندوق فلم يكن فيه سوى الأوراق ؛ فرد الأوراق إلى الخرقة وحملها ونهض . ثم قال : أيها الملك ! هذا الصندوق يصلح لخبيئات خزانتك . فأمر به فرفع .

قال الحسن بن سهل : فقلت : يرى أمير المؤمنين أن أسأله[11] ما فى الكتاب ؟ فقال : يا حسن ! أفرٌّ من اللوم ، ثم أرجع إليه ؟ !

فلما خرج صرت إليه فى منزله فسألته عنه فقال : هذا كتاب « جاويذان خرذ»[12] أخرجه كنجور وزير ملك إيرا نشهر من الحكمة القديمة . فقلت:

---

(١) المأمون : ناقصة فى ف .
(٢) فكتبه ... الموضع : ناقصة فى ص . ط : وعين على الموضع .
(٣) فخذها : ناقصة فى ص . ط : فاقلعهما .
(٤) ط : رسولا .
(٥) ص : فقل .
(٦) ف : فدعا .
(٧) ف : فقال .
(٨) ط ، ص : حملتنا .
(٩) ط : فأخرج خرقة ديباج .
(١٠) ف : ونفضها .
(١١) ما : ناقصة فى ص ، ف .
(١٢) ف : جاويدان .

أعطنى [٩ ا] ورقة[١] منه أنظر فيها ! فأعطانى ، فأجلت فيها نظرى ، وأحضرت لها ذهنى ، فلم أزدد مما فيها إلا بعداً . فدعوت بالخضر بن على ، وذلك فى صدر النهار ، فلم ينتصف حتى فرغ من قراءتها بينه[٢] وبين نفسه . ثم أخذ يفسرها وأنا أكتب [٣] . ثم رددت الورقة وأخذت منه أخرى ، والخضر عندى . فجعل يقرأ[٤] وأنا أكتب حتى أخذت [٥] منه نحواً من ثلاثين ورقة وانصرفت فى ذلك اليوم . ثم دخلت يوماً عليه فقلت : يا ذوبان ! هل يكون فى الدنيا أحسن من هذا العلم ؟ فقال : لولا أن العلم مضنون به ، وهو سبيل الدنيا والآخرة، لرأيت أن أدفعه إليك بتمامه . ولكن لا سبيل إلى أكثر مما أخذت . — ولم تكن الأوراق التى أخذتها ، على التأليف ، لأنها تتضمن أموراً لا يمكن إخراجها.

فحدثنى الحسن بن سهل قال : قال لى المأمون يوماً : أى كتب العرب أنبل وأفضل ؟ — فجعلت أعدد كتب المغازى والتواريخ حتى ذكرت تفسير القرآن ، فقال : كلام الله تعالى[٦] لا يشبهه شىء . ثم قال : أى كتب العجم أشرف ؟ فذكرت كثيراً منها ، ثم قلت : كتاب « جاويذان خرذ » يا أمير المؤمنين.

فدعا بفهرست كتبه ، وجعل يقلبه ، فلم ير لهذا الكتاب أثراً [٧] ولا ذكراً . فقال : كيف[٨] يسقط ذكر هذا الكتاب عن الفهرست ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ! هذا هو كتاب ذوبان وقد كتبت بعضه . قال : فائتنى به الساعة . فوجهت فى حمله ، فوافاه الرسول وقد نهض [٩ب] للصلاة . فلما رآه مقبلا والكتاب معى[٩] ، انحرف عن القبلة وأخذ يقرأ الكتاب . فكلما[١٠] فرغ من فصل قال : لا إله إلا الله ! فلما طال ذلك قلت : يا أمير المؤمنين ! الصلاة تفوت ، وهذا لا يفوت . فقال : صدقت ! ولكنى أخاف السهو فى صلاتى لاشتغال قلبى به . ثم صلى وعاود قراءته ، ثم قال : أين تمامه ؟

---

(١) ف : منها . (٢) ف : قراءتها فى نفسه .
(٣) ف : أكتب حتى أخذت منه نحو من ثلاثين ...
(٤) ط : يفسر . (٥) منه : ناقصة فى ط .
(٦) تعالى : ناقصة فى ط . (٧) ط : لهذا الكتاب ذكرا .
(٨) ص : سقط . (٩) ص : معه .
(١٠) ص : فلما .

قلت : لم يدفعه إلىَّ ذوبان[1] . فقال : لولا أن العهد حبل طرفه بيد الله وطرفه بيدى لأخذته منه ! فهذا ، والله ، الحكمة ، لا ما نحن فيه من لَــىِّ ألسنتنا فى فجوات أشداقنا .

قال[2] أحمد بن محمد مسكويه :

فهذا آخر كتاب أوشهنج وخبره مع ذوبان . وقد سمعت شعف[3] المأمون به وبخل الناس بما تضمنه[4]، وستسمع — مما أضفناه إليه — مما لا تخفى زيادة حسنه عليه، من قرائح الحكماء ونتائج أفكارهم واتفاقهم مع تباعد أقطارهم .

وأبدأ بكلام أفتتح به[5] لك دفائن الحكماء وأسرارهم وأغراضهم لتؤمه بقريحتك وتسلك طريقه ، حتى يؤديك إلى مقصدك ، ولا تعدل عنه فتضل وتقع فى التيه الذى لا آخر له ، فان الطريق[6] إذا كان قصداً[7] سهل الوصول منه إلى الغرض الأقصى . وإذا كان غير قصد فكلما زاد إمعاناً فيه ازداد من غرضه بعداً .

وأسأل الله — الذى بيده مفاتيح[8] الخيرات — العصمة والتوفيق ، وهو[9] حسبنا ونعم الوكيل !

---

(١) ذوبان : ناقصة فى ط .
(٢) ط : قال الأستاذ أبو على أحمد بن مسكويه أدام الله علوه .
(٣) بالعين المهملة فى ص ، ط ، ف . (٤) ف : يضمنه .
(٥) ف : لك به .
(٦) ف : اذا كان غير قصد فكلما ازداد امعانا فيه ازداد من غرضه بعدا .
(٧) ط : قرب . (٨) ط : مفاتح ، وكذا فى ف .
(٩) ف : فهو .

فأقول :

كل إنسان يحب نفسه ، وكل من أحب شيئاً أحب أن يحسن [١٠ ا] إليه . فليت شعرى عمن لا يعرف نفسه[١] كيف يحسن إليها ! ومن لا يعرف طريق الإحسان كيف يسلكه !

ولقد سمعت وزيراً من وزراء عصرنا ، وقد أقام لنفسه وظيفة استفره[٢] فيها طباخه وصاحب شرابه[٣] ، وزين كل يوم[٤] مجلسه بريحان الوقت[٥] وفاكهته ، وأحضر — اليوم الذى دعانى فيه — من أغانيه ما كان يعجبه ويطرب له ، فقال فى عُرض كلامه : إن عشت فسأحسن[٦] إلى نفسى . فتدبرت كلامه وفعاله ، وإذا[٧] هو لا يدرى كيف يحسن إلى نفسه ، ولا يفرق بين الإحسان إلى بدنه بركوب الشهوات ، وبين الإحسان إلى نفسه بمعرفة الحقائق والتقرب إلى الله تعالى[٨] بأنواع القربات . فكان من عاقبة أمره أن حسده نظراؤه فأزالوه عن موضعه ، ونكبوه فى نعمته ، وأشمتوا به أعداءه ، ثم وقع فى أمراض لم يجنها عليه إلا انهماكه فى مطعمه ومشربه وتمكنه من نيل لذاته .

ثم أقول أيضاً : لو كانت معرفة النفس أمراً سهلا ما تعبت[٩] لها الحكماء ، ولا تبرمت[١٠] بها الجهال ، ولما أنزل فى الوحى القديم : « يا إنسان ! اعرف ذاتك » ؛ وقد[١١] قال الله — عز من قائل[١٢] — : « يا أيتها النفس المطمئنة ! إرجعى إلى ربك[١٣]. . . » إلى آخر الآية . وروينا فى الخبر[١٤] الصحيح أن : « من عرف نفسه عرف ربه » . وفى حديث

---

(٢) ص ،ط : كيف لا يحسن — وهو تحريف ؛ وما أثبتناه ورد فى ف .
(٢) أى اختار الطباخ وصاحب الشراب حاذقين .
(٣) شرابه : ساقطة فى ف . (٤) ط : وزين مجلسه كل يوم ...
(٥) الواو ناقصة فى ص . (٦) ف : فأحسن .
(٧) ف : فاذا . (٨) ط : عز وجل .
(٩) ص : تعتب — ف : ما تعنت به . (١٠) ف : به .
(١١) قد : ساقطة فى ف . (١٢) ط : فى محكم كتابه ، وكنا فى ف .
(١٣) سورة « الضحى » : آية ٢٧ — ٣٠ . (١٤) ص : الخير .

آخر : « من عرف ربه لم يشْقَ» . وقال المسيح عليه السلام : « بماذا نفع امرؤ نفسه ! باعها بجميع ما فى الدنيا ، ثم ترك ما باعها به [١٠ب] ميراثاً لغيره ، وأهلك نفسه . ولكن طوبى لامرئ خلص نفسه واختارها على جميع الدنيا » .
وفى الوحى القديم : « من لم يعرف نفسه مادامت فى جسده فلا سبيل له إلى معرفتها بعد مفارقتها[١] جسده » .

من لم يتفكر فى كل شىء ، خفى عليه كل شىء .

من لم يعرف معدن الشر ، لم يقدر على النجاة منه .

اعلم أن الأفلاك المختلفة دائرة بالحركات المختلفة للعلل المعروفة عند الراسخين فى العلم ؛ فلذلك يقع التضاد بين الخلق فى عالمنا هذا ، ولا يقع هناك تضاد ألبتة . والكون والفساد لاحق بعالم النشوء والبلى ، وليس هناك كون ولا فساد. فرياح الآفات تهب عندنا بالهلكات ، وتتبعها الزلازل والرجفات ، ولا سبيل إلى الاحتراس منها إلا بالهرب منها إلى حيث لا يلحقنا شىء من مكروهها .

تمييز الباقى[٢] من الفانى هو أشرف النظر .

اطراح المؤن أشرف قنية[٣] .

نظر النفس للنفس هو العناية بالنفس .

ردع النفس للنفس هو العلاج للنفس .

عشق النفس للنفس هو المرض للنفس .

النفس العزيزة هى التى لا تؤثر فيها النكبات .

النفس الكريمة هى التى لا تثقل عليها المؤونات .

لا تصدقن بما لا برهان عليه .

الكذب فضاح[٤] ، والكاذب يستشهد بالحلف[٥] أبداً .

لسان العلم الصدق .

من عدم الفهم عن الله عز وجل لم يجز أن يستمع موعظة حكيم .

---

(١) ص ، ط : مفارقة .   (٢) ف : تمييز الفانى من الباقى ...
(٣) القنية (بضم القاف وكسرها بعدها نون ساكنة) : ما اكتسب — والجمع قنى . (٤) الواو ناقصة فى ف . (٥) ط : أبدا بالحلف .

فهذه جمل نُـحكمها قبل تفصيلها بالجزئيات ، ولولا [١١٩] (١) أنا قد أحكمنا لك الأصول كلها فى كتابنا المرسوم بـ « تهذيب الأخلاق » لأوجبنا لك إيرادها ها هنا . ولكن هذا كتاب غرضنا فيه إيراد جزئيات الآداب بمواعظ الحكماء من كل أمة وكل نحلة ، وتبعنا فيه صاحب كتاب « جاويذان خرذ » كما وعدنا به(٢) فى أوله . ولأن الموضوع الأول كتاب فارسىّ ، وجب أن نبدأ بآداب الفرس ومواعظهم ، ثم نتبعها بآداب الأمم(٣) الآخرين .

(١) وقع هنا خطأ فى تجليد مخطوط المكتبة الأهلية بباريس (رقم ٢٩٥٧ عربى) وهو أصل نشرتنا هذه ، فجاءت ورقة ١٩ متأخرة وكان يجب أن توضع مكان ورقة ١١ .

(٢) ط : وعدناك . (٣) الأمم : ساقطة ف .

< آداب الفرس >

فمن ذلك مواعظ أذرباذ . قال(1) لابنه يعظه :

يا بنى ! اقتصد فى القرى تكن مضيافاً ؛ وتمسك بالقناعة ، تكن رخى البال ؛ واستشعر الرضا ، تكن وادعاً ؛ واجتهد فى الطلب ، تكن واجداً ؛ وتجنب الذنوب ، تكن آمناً ؛ والزم(2) القصد تكن أميناً ؛ وحالف الأدب ، تكن عالمـاً ؛ وثابر على الشكر ، تكن مستوجباً ؛ والزم التواضع ، تكن كثير الإخوان ؛ وكن لزوجك(3) مصافياً بَرًّا طاهراً .

لاتدعن ، من أجل اكتساب المال ، ما هوأفضل من المال . لاتتركن ، من أجل حظوظ الدنيا الفانية ، طلب الفوز بحظوظ الآخرة الباقية . وليكن العلم أحظى الأشياء وأكرمها عليك . أنعم الوعى عن العلماء ؛ وأحسن الطاعة لأهل المقدرة(4) . عاشر(5) الأصدقاء بما لا تحتاج معه إلى حاكم . درب(6) نفسك على التواضع للناس ، فلن يضع ذلك منك ، بل يرفعك(7) ويزيد فى مقدارك . لا تستعمل اليقين فى الأمور التى يعرض فيها الشك . ليكن(8) ذكر المعاد وخوف العقاب منك على بال [١٩ ب] . لا تثقن بالشفعاء . لا(9) تستعمل الثقة بالنساء ، ولا تفش إليهن سراً . ولا تهتم بما(10) لا يحدث . لا تذكرن(11) ما مضى لك من قول وعمل ، واستعمل الرضا والتسليم

(١) قال : ساقطة فى ف .

(٢) والزم .... أمينا : ناقصة فى ص ــ ف : تكن رشيدا .

(٣) ف : لروحك (بالراء والحاء المهملتين) .

(٤) ط : القدرة ، وكذا فى ف . (٥) ف : وعاشر .

(٦) ف : ودرب . (٧) ف : ويزيدك ويزيد فى مقدارك .

(٨) ف : وليكثر ــ وهو تحريف . (٩) ف : ولا .

(١٠) ط : بما لم ــ ف : لا تهتمن بما لم يحدث

(١١) ف : ما قد ط : استشعر ... وقد وجدت .

لما حدث . لاتغرمن[1] بافتتاح المنطق فى المجالس قبل كل أحد . لاتداين الرجل القوى فيلحقك التعب عند محاولتك استرجاع ذلك منه . لا تنازع الأكفاء فى المتكأ ولا فى المراتب . لا تطلع الحسود على جِـدَتك . لا تخاطرن أحداً . لا تثقن[2] بشىء فى عالم الكون والفساد أصلا . لا تطاعم[3] الشره الوقح . لا تعاشر الرجل السكير السيء الخلق . لا تنازع الأريب المفوه[4] . لا تماش الأثيم . استعمل الرجل العفيف بواباً ، والحر الذكى[5] رسولا ، والحر الكريم صديقاً لئلا يخذلك ولا يخونك . لا تستعمل الغش والتمويه فى شيء من أمورك . تنكب البطر والاستكانة ، فان العالم الأديب لا تسكره النعمة ولا تكرثه النكبة . إذا رأيتم الأمر المنكر الغريب فلا يتداخلنكم الارتياب بربكم ، ولا تندموا على ما قدمتم من الخير والبر . لا تأسفن على ما فاتك من الثراء ، فان المـال شبيه بطائر ينتقل من نشر[6] إلى نشر : فهو عند إقباله سريع الإقبال ، وعند إدباره حثيث الانتقال . لا تؤانسن[7] المعجب الكفور الذى[8] يعيب الناس ، فانك منه[9] بعرض غُـرْم مجحف ، ثم لا تعدم على بابك شفعاء ممن يثقل عليك رده[10] وتصعب مخالفته فيما يسألك . اجتنب الحلف فى حال الصدق ، فأما الكذب فاجتنبه [١١١] أصلا . لا تمار إخوانك ، وإن كنت لسناً جَـدلا . وإن كنت جد ماهر بالسباحة ، فلا تسرعن إلى تيار الوادى . وإن كنت حاذقاً بالرقى ، فلا تبادرن إلى تناول الحيات . إذا[11] شرعت فى خير فلا تشك فى ثوابه ، وإذا حركت فى شرٍّ فكن متوقعاً لعقابه . تعهد مالك بالتثمير ، وشدة التفقد وإنعام المحاسبة لئلا يلحقك المثل السائر : « حين حضر المال عزب العقل ،

---

(١) ط : لا تعز من ، وكذا فى ف .
(٢) ف : تيقن . (٣) ط : تطعم .
(٤) ص : المقوه ــ ط : الأديب وكذا فى ف . (٥) ف : الزكى .
(٦) بالراء المهملة فى ص ــ والنشز (بفتح النون وسكون الشين وفتحها) : المرتفع من الأرض ، وهو أيضا ما ارتفع عن الوادى الى الأرض .
(٧) ف : لا تؤانس .
(٨) ط : الدنىء . (٩) ف : فيه .
(١٠) ف : ردهم ... مخالفتهم فيما يسألونك ، توق الحلف ...
(١١) اذا شرعت ... لعقابه : ساقطة فى ص ، ط .

وحين حضر العقل عزب المال[١]». ثابر على الاجتهاد فى ادخار الحسنات لئلا تلحقك الحسرة والندامة وقت حاجتك إليها . ولا يخدعنك الشيطان العاتى بغروره وتمويهه[٢] فيستولى عليك ، فانه كما الناس ينصبون الفخ ويعمون أثره ويظهرون حَبه ويعقدونه حيلة على الطير وذريعة إلى صيده ، كذلك الشيطان يزين صنوف المهالك والمهاوى للناس تطرقاً[٣] إلى التمكن من زمامهم ، وتسببا إلى أن يورطهم ويطبق الشقوة[٤] عليهم . تنكب الإكثار[٥] من ذبح السوائم ما استطعت وتوخ فيه القصد ، فان التبعة عليه فى الآخرة شديدة ؛ وتأمل سوء مغبته[٦] أيضاً فى الدنيا ، لأن كل مكان يكون القتل[٧] وسفك الدماء فيه أقل ، يكون عدد الناس فيه أكثر ، ولا يظهر فيه الشر ظهوراً فاحشاً ، وتكون سلامتهم أعم ، وسلطان الآفات والعاهات[٨] أضعف ، وفساد الشياطين والسحرة أقل وأوهن .

قدروا الأشياء على تقدير العقل وموافقة الروح ، لا موافقة الهوى والبطن والفرج ، بمنزلة البهائم . المجتهد هو الذى يبادر [١١ب] الفراغ من العمل الذى يحتاج إليه فى حينه[٩] ووقته قبل أن يعجل عنه ، ويكون كل حين على ثقة وبصيرة من أن نيته إن فاجأته لم يحتج إلى تأهب ولا رَمِّ شىء من أسبابه وأحواله.

استهن بالدنيا مع المعاد ، وأنعم النظر والتفكر[١٠] لمعادك، وكن على ثقة[١١] ويقين من أن ربنا قاهر[١٢] حاكم عادل وأن الشيطان جاهل ليس[١٣] بتامٍّ القدرة ، وأنه غير عالم بحضور الأجل إذا اقترب ، وتمام المدة إذا اقتربت — فهذا هو عين اليقين[١٤].

---

(١) فى ص : الأولى عزب ، والثانية غرب .
(٢) ف : بغرور تمويهه .
(٣) ص : تطرفا (بالفاء ذات النقطة الواحدة) .
(٤) عليهم : ناقصة فى ص ، ف ، وواردة فى ط .
(٥) ف : الاكثار ما استطعت من ذبح الحيوان وتوخ ...
(٦) أيضا : ساقطة فى ف . (٧) فى : القتل فيه — وهو تحريف .
(٨) ف : العاهات والآفات . (٩) ف : فى وقته وحينه .
(١٠) ص : والتكرمة . (١١) ف : على أتم ثقة .
(١٢) ط : قادر . (١٣) ص : ينال
(١٤) فهذا ... اليقين : ناقصة فى ط ، ف .

ما اخترته من آداب بزرجمهر

قال :

رأيت الدنيا ذات تصرف وزوال ؛ ورأيت أهلها رهائن مصائب ومتالف[1] ؛ ورأيت المتاع فيها قليلا والفناء كثيراً ؛ ورأيت أن العيش زهيد والتبعة مخوفة ؛ ورأيت أن الدنيا[2] لو فتحت بأسرها لامرئ حتى يعطى من سرورها ونعيمها وما تشره[3] إليه النفوس من كل مطلوب كان منافساً فيها[4] فأتاه من ذلك ما تمنى ورفع عنه الآفات والمخاوف ووقى المكاره والشرور والأذى ، ورزق السعة من المـــال وقرة العين فى الأهل والولد والمحبة فى الناس والشرف من السلطان ، ثم تمتع[5] بما أعطى فطال به متاعه وفضل على نظرائه وعلى أعدائه ، وغبطه الخاصة والعامة ، وبقى مشرفاً مكرماً قرير العين مسروراً مملى[6] — لكان أبعد غايته مائة عام حتى يبلى جسده ويفارقه جماله ويذل عزه وينمحق سلطانه[7] ، ثم أبعد ما يخلف بعده ثلثمائة عام حتى يصير جميع ما جمع متفرقاً ، وما عمل [١١٢] منتشراً ، وما شيد خراباً ، فيصير اسمه مجهولا وذكره منسياً وحسبه خاملا وشرفه حقيراً وما نعم وبالا وما كسب خبالا ، ويرث سلطانه ولاة الأمور بعده وتنساق الأرزاق والمواريث من الأول إلى الآخر . فلما رأيت كل مجموع متفرقاً ، وكل مكسوب مستلباً إلا التقوى وعمل البر الذى لا يسلب[8] عامله ولا يبلى ولا يهلك ، رأيت عند ذلك أن أوجه رأيى[9] وقولى وفعلى إلى عمل[10] البر فيكون ذلك هو الكسب الذى اكتسب والعقد الذى اعتقد . فلم أزل أحب العمل

---

(١) ص : رهائن سالف . (٢) أن : ناقصة فى ص .

(٣) ف : تسره — وشره ويشره (من باب فرح) شرها (بالتحريك) الى الطعام : اشتد حرصه عليه .

(٤) ف : مطلوب منافسا فأتاه ... (٥) ص : منع .

(٦) مملى : ممتع — يقـال ملاك الله حبيبك : أى متعـك به وأعاشك معه طويلا ، وتمليت عمرى : استمتعت به .

(٧) ينمحق : وردت فى ط ، ولم ترد فى ف ، ص .

(٨) ص : يسكب عاملة . (٩) رأيى : ناقصة فى ف .

(١٠) عمل : ناقصة فى ف .

بما قويت عليه من الخير ، والاجتناب لما قدرت عليه من الشر مع التصديق بالله والايمان بالبعث والمعاد والثواب والعقاب ، فكان[1] ما رجوت بقاءه أحرفاً كتبتها فى هذا الكتاب على طريق[2] المسألة والجواب .

إن قيل لى : أى الناس أولى بالسعادة ؟ قلت : أقلهم ذنوباً .

فان[3] قيل لى : وأيهم أقل ذنوباً ؟ قلت : أقومهم بأمر الله[4] على دينه الحق ، وأبعدهم من أمر الشيطان .

فان قيل : وما دين الله[5] ؟ قلت : دين الله [6] الحسنات[7] وحسن النية والقول والفعل .

فان قيل : وما حسن النية ؟ قلت : الاقتصاد فيها ؛ وحسن القول : الصدق ، وحسن الفعل : الجود والسماحة[8] .

فان قيل : وما سوء النية ؟ قلت : إفراط الهمة ؛ وسوء القول : الكذب ، وسوء الفعل : البخل .

فان قيل : وما القصد ، وما الجور ، وما الإفراط ، وما البخل ؟ — قلت : الاقتصاد فى الهمة التذكر لزوال الدنيا وانقطاع أمورها وكف [١٢ب] جامحات الهوى عن الأمور التى فيها البلاء فى الدنيا والشقاء فى الآخرة . والسخاء إعطاء الجسد حقه مع الدين موفراً . والصدق هو ركوب الطريقة الواضحة ، وصدق النفس عنها فلا يخادع المرء نفسه ولا يكذبها . وإفراط الهمة الإخلاد إلى الدنيا والطمأنينة إليها والطماح إلى الأمور التى عاقبتها فساد[9] ، وثمرتها عقاب الآخرة . والبخل هو منع الجسد حظه والدين حقه . والكذب كذب المرء نفسه فلا يزال هواها مشفعاً ودينها مسوفاً .

فان قيل : أى الرجال أفضل ؟ قلت : أعملهم بالعقل .

---

(١) ط : بما . (٢) ط : طريقة .
(٣) ص : قيل أيهم ، وكذا فى ف . (٤) ف : الله تعالى .
(٥) ط : وما دين الله وما دين الشيطان . (٦) دين الله : ناقصة فى ف .
(٧) الواو ناقصة فى ص . (٨) والسماحة : ناقصة فى ط .
(٩) الواو ناقصة فى ص .

فان قيل : وأيهم أعقل[1] ؟ قلت : أنظرهم فى العاقبة ، وأبصرهم بخصمائه ، وأشدهم منهم احتراساً .

فان قيل : وما تلك العاقبة ؟ ومن[2] الخصماء الذين يعرفهم العاقل ويحترس منهم ؟ قلت : العاقبة الفناء ، والخصماء الطبائع والأهواء الموكلة بالإنسان .

فان قيل : وما تلك الطبائع والأهواء الموكلة بالإنسان[3] ؟ قلت : الحرص والفاقة والغضب والحسد والحمية والشهوة والحقد والوسنة[4] والرياء .

فان قيل : فأى[5] هذه الخصال أقوى فى بابه وأمره ، وأقل أن يسلم منه ؟ قلت : الحرص أبعد رضاً وأفحش غضباً ، والفاقة أشد حزناً وأمرض للقلب ، والغضب أجور سلطاناً وأقل شكراً ، والحسد أسوأ نية وأخلف ظناً ، والحمية أشد لحاجاً وأفلج[6] مغالبة ، والحقد أطول توقداً وأقل رحمة وأشد سطوة ، والوسنة أشد كسلا وأرسخ بلادة ، والرياء[١١٣] أشد خديعة وأحق اكتتاماً ، وهو أخفى[7] وأكذب ، والشهوة أغلب وأشد قهراً .

قال : أيها ، إذا ظفر به الشيطان ، كان أبلغ له فى إهلاكهم ؟ — قلت : تعميته عليهم البر والمـأثم ، والعقاب والثواب ، وعواقب الأمور والأعمال ، والقوة التى قوى الله[8] بها العباد لمغالبة تلك[9] الأهواء .

قال : وما هذه الأعمال والقوة ؟ قلت[10] : العقل والعفاف والصبر والرجاء والدين والنصيحة .

---

(١) ف : ومن أعقلهم ؟ (٢) ص ، ط : وما — وما أثبتناه عن ف .
(٣) الموكلة بالانسان : ناقصة فى ط .
(٤) ص : الوسوسة — والوسنة والوسن : قلة النوم ، وقيل النعاس وهو أول النوم ، وسن يوسن (من باب فرح) وسنا (بالتحريك) فهو وسن ووسنان وميسان ، والأنثى وسنة ووسنى وميسان .
(٥) ف : أى .
(٦) فلج يفلج (من باب نصر) فلجا (بضم الفاء وفتحها وسكون) : غلب وفاز وبرز وظهر ، والاسم الفلج (بضم الفاء) .
(٧) ص ، ف : انفى . ط : أبقى .
(٨) ف : الله عز وجل . (٩) تلك : ناقصة فى ط .
(١٠) ف : قال .

قال : وما عمل كل(١) واحد من هذه الخلال ؟ قلت : عمل العقل الخلاص من الخوف والخطايا ، والنصب فيما لا عاقبة له ، وإكثار التذكر لفناء الدنيا وقرب الأجل والاحتفاظ من أن ينتقص بما يفتن ، وعمل العلم إيضاح الحق وتدبير الأمور واعتبار باقيها بفانيها(٢) والاحتفاظ من التصديق بما لا يعرف والتناول لما لا ينال . وعمل العفاف كف النفس عن السيئات وعن الشهوات المردية ، والحمل لها — بالعادة الحسنة والخلق المحمود — على البر والفضائل . وعمل الرجاء حسن الظن بما يرجى من الأمر فى تقاربه ، وأن يكون أمله بقدر سعيه حتى يبلغ غاية العمل بالخير . وعمل الصبر الرضا بما حضر ، ولزوم الصدق والمعرفة بما فى الشره من التعب ، وما فى الإفراط من الخوف ، وحسن العزاء عما فات ، وطيب النفس عنه ، وترك معالجة ما لا يتم ، والبصر بالأمر الذى إليه المرد ، والإكرام له عن أن يباع بثمن أو خطر لغرض . وعمل الدين اختيار سبيل [١٣ب] الرشد على سبيل الغى ، وتوطين النفس على أن من يعمل(٣) خيراً يجز به . والعمل بالتقوى والنصيحة كف الصاحب عن إتباع الهوى وركوب القبيح والعمل بالرأى والأخذ بالحزم . فان أتاه البلاء أتاه(٤) وهو حذر غير لائم لنفسه ولا ملوم .

قال : أى الأخلاق أكرم ؟ قلت : التواضع ولين الكلمة .

قال : أى العبادة أحسن ؟ قلت : الوقار والتؤدة(٥) .

قال : أى السير أرضى ؟ قلت : العدل .

قال : أى الأعوان أحضر نفعاً ؟ قلت : الزهادة فى الدنيا .

قال : أى الأمور أملك(٦) : الأدب ، أم العفاف ، أم الطبيعة ؟ — قلت : الأدب زيادة(٧) فى العفاف ، والطبيعة معدنهما وحاملتهما ، ولكل آفات : فأعظمها منفعة أسلمها من الآفات .

---

(١) كل : ناقصة فى ف . (٢) ط : بماضيها .
(٣) ص : عمل . ط : يجز به ومن يعمل سوءا <يجز> به . ف : عمل . . يجزى .
(٤) أتاه : ناقصة فى ص و ف ، وواردة فى ط .
(٥) ص : التودد . (٦) أملك : ناقصة فى ف .
(٧) ص : زيادة فى العقل ، وكذا فى ف .

قال : وكيف السلامة من الآفات ؟ قلت : ألا يشوب العقل عجب ، ولا العلم فجور ، ولا النجدة بغى ، ولا اللب زيغ ، ولا الحلم حقد ، ولا القناعة صغر خطر ، ولا الأمانة بخل ، ولا العفاف سوء نية ، ولا الرجاء تهاون ، ولا الجود سرف ، ولا الاستقامة رقة ، ولا الرقة جزع[1] ، ولا الجزع محادة ، ولا التواضع احتقار ، ولا اللطف ماق ، ولا صحبة السلطان رياء ، ولا التودد سوء سيرة ، ولا النصيحة غائلة ، ولا حسن الطلب[2] حسد ، ولا الحياء بلادة ، ولا الورع[3] حُبّ سُمْعة .

قال : أبقدَرٍ يصيب الناس ما أصابهم ، أم بعمل ؟ — قلت : القدر والعمل كالجسد والروح : فالجسد بغير روح لا حراك به ، والروح بغير جسد لا تحس ؛ فاذا اجتمعا قويا معاً وصلحا[4] . فكذلك العمل[١١٤] والقدر[5] : لو لم يكن العمل لم يكن القدر يقع على العمل وكان شيئاً لا يحس ، ولو لم يكن العمل يوافق القدر لم يتم ولم يمض ؛ ولكنهما باجتماعهما قَوِياً .

قال : وما القدر ؟ قلت : القدر[6] علة ما هو كائن ، والعمل علة ما لم يكن .

قال : أى شئ أشبه بالدنيا ؟ — قلت : أحلام النائم .

قال : أى الناس أحق أن يغبط ؟ — قلت : الملك الصالح المظفر[7] .

قال : أى الشقاء أشقى ؟ — قلت : الفقر والإثم .

قال : أى الرجال أمقت ؟ — قلت : الفقيه الفاجر .

قال : أى الرجال أقل هماً ؟ — قلت : أفضلهم رضا .

قال : وأيهم أفضل رضا ؟— قلت : أقلهم غفلة عن ذكر الله تعالى وفناء الدنيا.

قال : أى الرجال أعظم أمانة ؟ — قلت : أعفهم . قال : وأيهم[8] أعف ؟— قلت : أحياهم . قال : وأيهم أحيا ؟— قلت : من كان الذم أشد عليه من الفقر .

---

(١) ط : جزع ، ولا التواضع محادة ، ولا اللطف ... وكذا فى ف .

(٢) ف : الظن . (٣) حب : ناقصة فى ف .

(٤) ف : وصلحا جميعا . / ص ، ف : وكذلك .

(٥) ط : القدر والعمل . (٦) القدر : ناقصة فى ط .

(٧) المظفر : ناقصة فى ف . (٨) ف : فأيهم .

قال : وأى الرجال أحق بحسن الأمل ؟ — قلت : المعذر الموفق . قال : ومن[1] المعذر الموفق ؟ قلت : إعذار الرجل إقباله على عمله وقلة فتوره عنه ، والتوفيق موافقة القضاء .

قال : من أشد من تدبر الأمور تحيراً فيها ؟ — قلت : العاقل ذو التجارب .

قال[2] : ومن أقنع وأعدل ؟ — قلت : مَنْ حياؤه يغلب شهوته ، ووده يعلو حسده ، وتخوفه يعلو حقده ، وحلمه يعلو غضبه ، ورضاه يعلو حاجته ، والحق يعلو لحاجته وهواه .

قال[3] : من أحق بحسن الثناء ؟ — قلت : من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

قال : من أحق بالظفر ؟ [١٤ب] — قلت : المجاهد على الحق .

قال : أى الأشياء أقرُّ للعين ؟ — قلت : الولد النجيب والزوجة[4] الموافقة .

قال : من أصبر على الأذى ؟ — قلت : الحريص المحتاج إذا طمع .

قال : من أشد لحاجاً ؟ — قلت : الحقود الحنق القوى .

قال : أى الأذى ألزم ؟ — قلت : الزوجة غير الموافقة والولد السوء .

قال : من أسوأ عهداً ؟ — قلت السلطان السفيه الغشوم .

قال : من أطول كآبة وحزناً ؟ — قلت : الفقير بعد الغنى ، والذليل بعد العز ، والبائس بعد النعمة[5] ، وتابع الهوى عند عواقب الأمور وخواتيم الأعمال .

قال : من أحق بالرحمة ؟ — فقلت[6] : الكريم يسلط عليه اللئيم ، والعاقل يسلط عليه الجاهل ، والبر يسلط عليه الفاجر .

قال : من أشد الناس سقوطاً ؟ — قلت : الجاهل المجازف .

قال : من أحق بالعذر؟ — قلت : الذكى[7] المضطهد الذى قد ظلم وضيم .

---

(١) ف ، ص : وما — وما أثبتناه عن ط .

(٢) الواو ناقصة فى ط .

(٣) ف : وقال .

(٤) ف : والمرأة .

(٥) ط : واليأس بعد الطمع .

(٦) ط : قلت .

(٧) ف ، ص : الدنىء — وما أثبتناه عن ط .

قال : من أشد الناس ندامة ؟ ــ قلت : أما عند الموت : فالعالم المفرِّط ، وأما عند الأعمال : فالعَجِلُ النَّزِقُ الذى يدركه رأيه بعد فوت الأمور ، والمدخر الصنيعة عند من لا يشكرها .

قال : من أولى باللوم ؟ ــ قلت : من كفر المعروف[1] وأضاع الإخاء .

قال : من [2] أحق بالذم وسوء الثناء ؟ ــ قلت : من كان سعيه فيما يفسد الناس .

قال : أى الأشياء آثر عند الإنسان[3] إذا أحصى[4] الرغائب؟ ــ قلت : ثلاث : أما مادام صحيحاً فعصيانه هوى النفس ، وأما عند السقم فالصحة ، وأما عند حضور الموت فالأمن من العقاب .

قال : أى [١٥ ا] شئ الناسُ عليه أحرص ؟ ــ قلت : انبساط الهوى ، ودرك ما يُشتهى ، ووجود ما يلتمس ، وسعة الغنى .

قال : أى شيء أحق[5] أن يخاف؟ ــ قلت : زمان السوء ، والصاحب[6] المخادع ، والعدو[7] القوى الصؤول .

قال : أى الأشياء أحق أن يستأنس[8] إليه ؟ــ قلت : الزمان الصالح ، والعمل بالخير ، وذو الود الوفى بالإخاء الموفق فى الدين ، والسلطان ذو الرحمة[9] والعدل .

قال : أى الزمان أفضل ؟ ــ قلت : ما لم تكن الغلبة فيه والاستئثار للأشرار واللئام .

قال : أى الملوك أفضل ؟ ــ قلت : أرأفهم بالرعية ، وأعظمهم عفواً ، وأحرصهم على المعروف .

قال : أى الرجال أفضل ؟ ــ قلت : أحسنهم فى السراء والضراء خُلةً ومواساة .

---

(١) ص : من الكفر المعروف .
(٢) ط : فمن / ف : وقال : فمن ...
(٣) ف ، ص : الناس . (٤) ص : أحضر ــ ف : أحضر .
(٥) ص : أحق عليه . (٦) والصاحب المخادع : بياض فى ف .
(٧) القوى : ناقصة فى ص . (٨) ف : يستأمن .
(٩) ف : المرحمة .

قال : من أكثر صديقاً ؟ — قلت : المتواضع ، اللين الكلمة ، العظيم الخطر ، الحمول للمؤونات .

قال : من أكثر عدواً ؟ — قلت : الفاحش لساناً ، الصغير خطراً ، الشديد تكبراً .

قال : أى الإخاء أدوم ؟ — قلت : العمل الصالح .

قال : أى الخزائن أعمر وأبقى ؟ — قلت : خزائن البر .

قال : أى المساعى خير صحبة ؟ — قلت : صحبة العلماء الأخيار .

قال : أى الأشياء أروح ؟ — قلت : الأمن .

قال : أى الأمن أفضل ؟ — قلت : صالح الزمان .

قال : أى السرور أفضل ؟ — قلت : سرور العواقب .

قال : أى العيش أرغد ؟ — قلت : رضا المرء بحظه واستئناسه بالصالحين.

قال : أى الأشياء أجفى (١) وأصعب ؟ — قلت : السلطان العاتب ذو القلب القاسى .

قال : أى [١٥ب] الأمور أخبث عاقبة؟ — قلت : التماس رضا الأشرار.

قال : أى التعب أدوم ؟ — قلت : صحبة السلطان السيء الخليقة .

قال : أى شيء أنفذ فى هلاك الإنسان ؟ — قلت : الهوى المتبع .

قال+ : أى شيء أسرع تقلباً (٢) — قلت : قلب الملوك+ .

قال : أى شيء أعجب ؟ — قلت : الرقيق المحارف(٣) ، والأخرق المصنوع له(٤) .

قال : أى شيء أسرع انقطاعاً ؟ — قلت : مودة الأشرار .

قال : فأى شيء أسرع إفساداً ؟ — قلت : كلام النميمة .

قال : أى الرجاء أخبث ؟ — قلت : رجاء الأشرار .

---

(١) ف : أخفى (بالخاء المعجمة) — وهو تحريف .

(+ .. +) ما بين العلامتين نقص فى ف .

(٢) ص : فيه نقص وتكرار لما ورد قبله .

(٣) المحارف : المحروم المحدود الذى اذا طلب فلا يرزق ، أو يكون لا يسعى فى الكسب .

(٤) له : ناقصة فى ف .

قال : أي شيء أشد تهجيناً للمروءة ؟ — قلت للعالم : الصَّلَفُ ، وللشجاع البغْيُ ، وللملوك صغر الخطر ، وللنساء قلةُ الحياء ، وللفقيه اتباع الهوى ، ولعامة الناس الكذب .

قال : أي شيء أكره[1] إلى الملوك ؟ — قلت : أن يلجأوا إلى ترك سُنَّة ، وألا تستقيم لهم الأمور إلا ببسط العقوبة .

قال : ما بال الحكماء لا يكثرون ملامة الجهال ؟ — قلت : لأنهم لا يلومون العُمْيان ألا يبصروا .

وقال بزرجمهر :

خمسة أشياء من سجايا العلماء : ألا يأسوا على ما فاتهم ، ولا يحزنوا لما لم يصبهم ، ولا يرجوا ما لا يجوز لهم فيه الرجاء ، ولا يستكينوا ويفشلوا فى الشدة ، ولا يبطروا فى الرخاء .

وقال[2] أيضاً : سبع خصال من طباع الجهال : الغضب فى غير شيء ، والإعطاء فى غير حق ، وقلة المعرفة بأنفسهم ، ولا يفرقون بين عدوهم وصديقهم[3] ، والتصنع للأشرار ، وكثرة الكلام فى غير نفع ، وحسن الظن[4] بمن ليس لذلك بأهل .

وقال أيضاً [١٦ا] : خمسة أشياء تقبح بأهلها : ضيق ذرع الملك ، وسرعة غضب العلماء ، وبذاءة[5] النساء ، ومرض الأطباء ، وكذب القضاة .

وقال السائل : من أشد الأشياء مؤونة ؟ — قلتُ : من تكلف إخفاء الفاقة . ومما يزيد الفاقة شدةً على أهلها الاستكانة لمن لا يجبر فاقتهم .

قال[6] : ما أشد[7] الأشياء عن أهلها غنى ؟ — قلت : النصيحة لمن لا يقبلها ، والإشارة على المعجب برأيه ، والمجادلة لكف حرص الحريص .

---

(١) ف : للملوك . (٢) أيضا : ناقصة فى ف .
(٣) وصديقهم : ناقصة فى ف . (٤) ف : لمن .
(٥) ص : بذادة . ط : وبذاء ، وكذا فى ف .
(٦) ف : وقال . (٧) ط : ما أقل ، وكذا فى ف .

قال : أى السعادات أفضل ؟ ـ قلت : موافقة القدر للهوى وللأمل[١]، أى البخت[٢] .

وقال : ثلاث خصال لايؤمن ضرهن وإن قللن : حب اللهو ، وسوء الخلق ، ولزوم التوانى .

وقال : أرجى علمائنا وأولادنا وفتياتنا أرغبهم فى صالح الأدب ، وأحذرهم للشر ، وآخذهم بالسنن ، وألزمهم للطبقة[٣] التى فوقهم فى السن والحال .

وقال : من علامة الكبر ضعف ما كان قوياً من غير سقم ولا علة .

وقال : ثلاث خصال ينبغى للمرء أن يرغب فيهن : الدعة فى غير تضييع ، والنعمة فى غير شين ، واللذة فى غير مأثم .

وقال : من الدليل على القدر أنه حق : تَـأَتِّى الأمور لأهل الجهل بجهلهم ، وامتناعها على العلماء بعلمهم .

وقال : ينبغى للمرء أن يقى ماله بجاهه ، وأن يقى جسده بماله ، وأن يقى روحه بجسده ، وأن يقى دينه بروحه ؛ ولن تعدو أمور الناس بعض ذلك .

وقال : قوة الغضب الحقد ، ومأواه اللجاجة والحرص . ومن ذخائر الشيطان اللجاجة والحقد .

وقال : مما تُعرف به عزة العقل أنه لا [١٦ب] يمكن أن يستفاد بالثمن ولا يغتصب[٤] من صاحبه .

وقال : إرادة الله من الناس أن يعرفوه ؛ فإنهم إذا [٥] عرفوه أطاعوه . وإرادة الشيطان من الناس أن يجهلوه ، فإنهم إذا عرفوه هان عليهم فعصوه .

وقال : رفض الدنيا قبل الالتباس بهـا أهون من التخلص منها بعد الوقوع فيها .

وقال : من حزم الرجل ألا يخادع أحـداً ، ومن[٦] كمال عقـله ألا يخدعه أحد .

---

(١) ف : والأمل .
(٢) أى البخت : ناقصة فى ط .
(٣) ص : الطبقة .
(٤) ف : يغضب .
(٥) ص ، ط : فاذا عرفوه ... ـ وما أثبتناه عن ف .
(٦) ومن : ناقصة فى ط .

وقال : من صالح أعمال[1] البر الجود فى العسرة ، والصدق فى الغضب ، وألا يتكبر على ذى ضرورة .

وقال : على كل امرئ أن يصلح من الأرض قدر باع ، فاذا أصلحه[2] فقد أصلح جميع الأرض — وذلك الباع بدنه .

وقال : كما ينبغى للمرآة أن تكون أضوأ من الناظر فيها ، فكذلك الإمام المؤدب : يجب أن يكون أفضل ممن يؤم ويؤدب .

وقال : ثمانية رهط لا ينبغى لهم إذا أهينوا أن يلوموا إلا أنفسهم : الذى يأتى مائدة لم يدع إليها ، والجالس المجلس الذى ليس له بأهل ، وطالب الخير من أعدائه ، ومهين[3] رب البيت فى بيته ، والواقع فى حديث بين اثنين لم يدخلاه فيه ، والمتعرض للفضل فى أيدى اللئام ، والمتحمق فى الدالة على السلطان ، والمقبل بحديثه على من لا يسمع منه .

وقال : خصال يعرف بها إخوان العلانية : أن يستّر الرجل منهم على أخيه ما يعرفه من عيب فيه ؛ وأن يحضره [4] بما يحب ويغيّب عنه ما يكره ؛ ولا يخذله عند الشدة ؛ ولا يحسده فى الرخاء ؛ ولا يشمت به فى المصيبة ؛ ولا يكتمه سره ، [5] ولا يفشى[6] عليه أسراره ؛ ولا يفسده على أهله ؛ ولا يحرشه على إخوانه ؛ ولا يسأله[١١٧] ماله ، ولا يضن عليه بما عنده .

وقال[7] : مما يكرم به النساء على بعولهن : الكفاية والعفة والهيبة لأزواجهن ، وحسن التبعل[8] ، وقله المعاتبة ، والإجمال فى الغيرة .

---

(١) ف : الاعمال الجود ...

(٢) ف : قدر وهو تحريف .

(٣) الواو ناقصة فى ف .

(٤) ف : ما .

(٥) الواو ناقصة فى ص .

(٦) ص : نفسى .

(٧) ص : ما .

(٨) « تبعلت المرأة : أطاعت بعلها ، وتبعلت له : تزينت . وامرأة حسنة التبعل : اذا كانت مطاوعة لزوجها محبة له . وفى حديث أسماء الأشهلية : « اذا أحسنتن تبعل أزواجكن ... » — أى مصاحبتهم فى الزوجية والعشرة ؛ والتبعل حسن العشرة من الزوجين » (لسان العرب ج ١٣ ص ٦٢) .

وقال : يجب على العاقل أن يحسن الثقة بالله تعالى فى الحالات كلها ، وبذوى القرابة فى الشدائد ، وبالمرأة الصالحة فى المسكنة ، وبأهل الصدق فى العهود ، وبالعمل الصالح عند الموت النازل[1] .

وقال : إن أمر الدنيا كله مختلط[2] العسر باليسر ، فلست كائناً فى حال يسرٍ[3] لا عُسْر معه ، ولا فى حال عسر لايسر معه . فاذا كنت فى حال الغالبُ فيها عليك اليسر ، فاعرف ما يفضى[4] إليك من لذته مع ما فيه من خلط العسر . واذكر أن يُسْرَ الآخرة هو الخالص من كل عسر ؛ وإن كنت فى حال عسر فاعرف ما يفضى إليك من موؤنته مع ما فيها من خلط اليسر. واعلم أنه لم يصل إليك قط يسر[5] لا عسر معه ، ولا عسر لا يسر معه .

وقال : المرأة الصالحة تشبه الوالدة والأخت والصديق والأَمة . والمرأة السوء تشبه الربة والعدو والسارق . فأما شبهها بالوالدة فلمحبتها لقربه ، وكراهتها غيبته عنها[6] ، واحتمالها فى جنبه كل ما أصابها : فهى تفرح لما يفرحه وإن كان عليها فيه موؤنة ، ويحزنها ما يحزنه[7] وإن كان لها فيه بعض الراحة . وأما شبهها بالأخت فللمحبة[8] المجلة القائمة عليه مقام الأخت على أخيها[9] الأكبر منها . وأما شبهها بالصديق فلأنها تقنع[10] منه بما أتاها وتعذره فيما زواه عنها ، وتبذل ما لها له ، وتوافقه على خلقه ، وتعينه على زمانه . وأما شبهها بالأمة فلأنها تتذلل له [١٧ب] وتتبذل فى خدمته وتصبر على خلقه إن ساء ، وعلى فضله إن قل ، ولأنها تظهر فضله عند الناس فلا تمتن[11] عليه ، وتشكر ما أولاها وتقل معاتبته فيما تنكره منه أو ينكره منها .

---

(١) النازل : زيادة فى ص ، لم ترد فى ف و ط .

(٢) ط : مخلوط . (٣) ط : ولا .

(٤) ص : يقضى (بالقاف) . (٥) ط : ولا .

(٦) ف : وكراهتها لبعده .

(٧) ص ، ط : أحزنه ـ وما أثبتنا عن ف .

(٨) ط ، ص : فالمحبة ، وكذا فى ف .

(٩) ط : أختها .

(١٠) منه : وردت فى ط ، ولم ترد فى ص ، ف .

(١١) ط : تتمنى/ف : تمن وتشكره على ما أولاها .

والمرأة السيئة تشبه الربة والعدو والسارق . أما تشبهها[1] بالربة فلكسلها وفحشها وكثرة تجنيها وغضبها ، ولإغفالها ما يسرُّ زوجها أو يسوؤه[2] . وأما تشبهها[1] بالعدو فلا ستخفافها به[3] وغلظها عليه وجحودها ما كان من إحسانه إليها ، ولسرعة غضبها وطول[4] حقدها وكثرة شكايتها . وأما تشبهها [1] بالسارق فلخيانتها لزوجها فى ماله ولسؤالها إياه ما لا حاجة بها إليه ، ولاحتقارها إحسانه ، ولأنها تتزين له من الود بما ليس فى قلبها ، ولأنها تلج عليه[5] فيما يكره .

ما اخترته من حكم كسرى قُباذ[6]

جوابات كسرى[7] قباذ ملك الروم عما سأله عنه
وما أجاب به غيره من المسائل

سأله[8] سائل : هل من أحد ليس فيه عيب ؟ ــ قال : لا ! لأن الذى ليس فيه[9] عيب لا ينبغى له أن يموت .

وسأله : أى شىء يصيبه الناس هم به أسعد ؟ ــ قال : من طلب حقاً فأدركه ثم وافق ذلك هواه .

قال : فمن يعدُّ سعيداً من الناس ؟ ــ قال : ذو العقل الموفق .

قيل له : أى رجل أحمد عندكم بالعقل ؟ــ قال: البصير بقلة بقاء الدنيا ، لأنه يجتنب الذنوب لبصره بذلك، ولا يمنعه ذلك أن يصيب من لذة الدنيا بقصد .

قيل له : أيحتاج مع الإيمان إلى العقل ؟ ــ قال : نعم ! لأن[10] بالعقل يفصل [11] بين الحق والباطل ؛ والإيمان هو التصديق بما ينبغى أن يصدق به .

---

(١) ط : شبهها/ف : والمرأة السيئة أما شبهها بالربة فلكسلها ...

(٢) ص : ويسوؤه . (٣) ط : بزوجها/ف : وغلظتها عليه.

(٤) ص : يطول . (٥) أى تدخل عليه بما يكره .

(٦) غير موجود فى ط و ف . (٧) ف :كسرى بن قباذ .

(٨) ف : سائل . (٩) ط : لا عيب فيه .

(١٠) ط : نعم ! لأن الايمان انما هو التصديق بما ينبغى أن يصدق به ، وبالعقل يفصل بين الحق والباطل .

(١١) ص : يفضل (بالضاد المعجمة) / ف : بينهما.

قيل : وكيف يفصل[1] بينهما ؟ — قال : لا [١١٨] يبحث العاقل عما استيقن[2] به من الأمر ، ولا يمتنع من البحث عما شك فيه .

قل : أى شيء أنفع للعاقل ؟ وأى شيء أضر له ؟ — قال : أنفع الأشياء له مشاورة العلماء والتجربة والتؤدة ؛ وأضرها له الكسل واتباع الهوى والعجلة فى الأمور .

سئل : ما بال العلماء أكثر الناس فرحاً وأقلهم حزناً ؟ — قال : فرحهم لما قدموا لآخرتهم من الخير ، وقلة حزنهم لصبرهم ورضاهم بما يصيبهم .

قيل له : أى شيء أزين بالناس ؟ — قال : أما للعلماء[3] فلزوم السيرة المرتضاة ، وأما للشجاع فالظفر والعفو بعد الظفر .

سئل[4] : أيغير المالُ العلماء ؟ — قال : ليس بعالم من يغيره المال[5] .

سئل : العلماء كانوا أحمد عند الأولين ، أم الشجعان ؟ — قال : بل العلماء ، لأن منفعتنا اليوم بعلمهم كمنفعة الذين كانوا معهم[6] فى زمانهم .

سئل : بأى شيء يعرف العالم ؟ — قال : بحسن عمله .

سئل : أى الملوك ترونه أفضل ملكاً ؟ — قال : الذين يسوسون بالخير ، ويتقرر فى زمان ملكهم العافيةُ شاملةً .

قيل : ما الذى ينبغى للملك أن يصنعه حتى يعم صلاحه أهل مملكته ؟ — قال : يولى خيار أهل مملكته .

قيل : ما الذى ينبغى للملوك أن يسيروا به فى رعيتهم ؟ — قال : أربع خلال هن ملاك سلطانهم : الحيطة[7] من ورائهم ، والقيام بسنتهم فيهم ، [8] والإحسان إلى عامتهم ، وإصلاحهم وكف الظلم عنهم .

قيل : وما ثمرة الشجاعة ؟ وما ثمرة العلم ؟ — قال : ثمرة الشجاعة الأمن من العدو ، وثمرة العلم الأمن من الذنوب .

---

(١) ص : يفضل (بالضاد المعجمة) / ف : بينها .
(٢) ط : لا يستيقن به .
(٣) ف : العلماء . (٤) ف : وسئل .
(٥) سئل : أيغير ... المال : ناقص فى ط .
(٦) ناقصة فى ص ، ف ، وواردة فى ط .
(٧) ف : والحيطة . (٨) الواو ناقصة فى ف .

سئل عن الفرق بين الفرح وبين اللهو واللعب — قال : الفرح يبقى ، واللهو إنما يكون ما دمت فيه . قيل[١] : [١٨ب] ما معنى ذلك ؟ — قال : لأن الفرح يبقى ، وهو ما رجى خيره فى الآخرة . فأما[٢] ما سوى ذلك فإنما يعد لهواً لأنه يزول .

سئل : ما الذى ينبغى أن يعمل به لله تعالى[٣] وللنفس وللسلطان وللأقربين وللأصحاب ؟ — قال : أما لله تعالى[٤] فالحمد والشكر ؛ وأما للنفس فالاجتهاد [٥] علماً وعملا واجتناب المـآثم ؛ وأما للسلطان فالطاعة والنصيحة ؛ وأما للأقربين فالمحبة والصلة ؛ وأما للأصحاب فاللين والمواساة .

سئل : لم كانت الملوك تتطير من ذكر الموت عندهم وأنتم+ الآن تكثرون ذكر الموت+؟ — قال : لأنهم كانوا يومئذ[٦] ينظرون فى بقاء ملكهم وتدبيره ، ونحن اليوم ننظر فى فراق ملكنا وتدبير ما بعده .

سئل : لم لا يرى أثر الفرح والأمن الشديدين إذا أتياكم[٧] ؟ — قال : لأنا نعلم أنا سنفارقهما[٨] ويفارقانا .

سئل : لم تفخرون بكثرة المال ؟ — قال : لأنا نزداد به إفضالا [٩] وإحساناً إلى الناس وقوة على الأعداء .

سئل : أى السلطان ترونه أفضل ؟ — قال : الذى يثق[١٠] به البرىء ، ولا يأمنه المريب .

قيل : سمعناكم تقولون [١١] : من لا يتيقن[١٢] أن قتلته لاتستطاع دون أجله فلاينبغى له أن يعدّ نفسه من أهل القتال .

---

(١) قيل : مكررة فى ص · (٢) ف : وأما ·
(٣) تعالى : ناقصة فى ط ، ف · (٤) تعالى : ناقصة فى ط ، ف ·
(٥) ص : والاجتهاد ·
(+ ... +) وأنتم ... الموت : ناقصة فى ف ·
(٦) ط : حينئذ ·
(٧) ف ، ص : أتيناكم · الشديدين : فى ط : الشديد ·
(٨) ط : أو / ف : لأنا نعلم سنفارقها أو تفارقنا ·
(٩) ف : احسانا وافضالا على الناس · (١٠) ف : اليه ·
(١١) تقولون : ناقصة فى ف · (١٢) ط : يستيقن ، وكذا فى ف .

فلِمَ قلتم ذلك ؟ قال : إنما قلنا ذلك لأن الأساورة إذا تمهروا أدبناهم بقلة الخوف من الموت . فمن لم يتيقن أن أجله معلوم لم تشايعه[1] نفسه .

قيل له : كنا[2] سمعناكم تقولون : لاينبغى لأحد أن يشك فى أربع خصال — فما هى ؟ — قال : أما واحدة ففى الله عز وجل ، وأما الثانية ففى العمل بالخير ، وأما الثالثة ففى أنه لايستقيم ملك إلا بشريعة ، وأما الرابعة ففى [١٢٠] قضاء[3] الملوك .

قال[4] : فما معنى قولكم : اغبطوا الناس باجتناب الذنوب لا بالغنى ، ونحن نرى كثيراً ممن[5] يتجنب الذنوب فى ضرو بلاء شديد ، ونرى أهل الغنى فى دعة وحسن معيشة ؟ — قال : إن الغنى يصيب أهله منه فرحاً قليلا وحزناً طويلا ؛ وإن[6] الاجتناب من الذنوب يصيب أهله منه نـصَـبٌ قليل وأمن طويل.

قيل : سمعناكم تقولون : إنما ينبغى الاجتهاد[7] فيما يقلل[8] الحزن عند الموت ، لا فى الذى يزيد فى وجع الموت ؛ فما الذى يزيد فى وجع الموت شدة ؟ وما الذى ينقصه ؟ — قال : أما الذى يزيد فى وجع الموت شدةً فالعمل باللهو والباطل ، وكثرة الأعداء ، وقلة أدب الأولاد . وأما الذى[9] ينقص من وجع الموت فالعمل الصالح والصديق الصالح وأدب الأولاد .

سئل : لم يسلم الإنسان نفسه للموت[10] ولا شىء أعز عليه منها ؟ — قال : ليس[11] يفعل ذلك أحد إلا لأربع خصال : إما للشره ، وإما لمخافة[12] العار ، وإما للدين ، وإما للضرورة .

---

(١) ص : اتشايعه .
(٢) ص :كنا نسمعسمعناكم . ط : قالكنا سمعناكم — وما أثبتناعن ف.
(٣) هنا أقحمت الورقة المنقولة عن موضعها وهى الورقة ١٩ وكان حقها أن يكون رقمها ١١ .
(٤) ف : قيل . (٥) ص : تجتب / ف : يجتنب .
(٦) ص : وان أهل الاجتناب . (٧) ص : للاجتهاد .
(٨) ص ، ف : يقل . (٩) الذى : ناقصة .
(١٠) ط : وليس .
(١١) ط : ليس أحد يفعل ذلك الا ... (١٢) ص : المخافة .

سأل رسول ملك الروم كسرى[١] أن يوصى صاحبه بما ينتفع به . قال كسرى : مُـرْهُ أن يحافظ على الشكر ، ويحرص على الإحسان إلى من أنس منه خيراً . ومره أن لا يزال حذراً متشجعاً . ومره ألا يثق بأمر الدنيا فانه[٢] لا عهد لها ولا استقامة ؛ ولا يعين [٣] أحداً على إثم ؛ ولا يبطر لخير أصابه ، ولا يخشع لضر إن نزل به . ومره[٤] فلا يجزع مما لابد أن[٥] يصيبه ، ولا يرغب فيما لا ينبغى أن يرغب فيه . ومره أن يأخذ بسيرة لا يلجأ فيها إلى الحكام . ومره[٦] فلا يذم إخوانه على ما لايذم عليه نفسه .

نسخة كتاب لبزرجمهر إلى [٢٠ ب] كسرى
لمــا سأله ذلك[٧]

اعلم أنه ما ظفر الناس – ملوكهم وسوقتهم – بشيء هم أحظى به وأسعد ، ولا هو لهم أزين وأجمل من التقوى لله عز وجل والتعظيم له ، والتصغير لأنفسهم والإقرار له بالعزة ولأنفسهم بالذلة ، واليقين بالفناء منهم والرجوع إليه ، وأن تتصرم أعمارهم إلى غاية أجلهم فى طلب الحق وما يجب[٨] عليهم معرفته وتنبغى لهم أحكامه من العلوم والمعارف ، والعمل بما توجبه عليهم . فانه بذلك يتم لهم التوفيق وسلوك سبيل مراشدهم وبلوغ ما يحبون من دنياهم وآخرتهم ، وهى السعادة المطلوبة والنعمة المحبوبة . فمن حسنت نيته وخلصت[٩] سريرته ، ودامت طَلِبته ظفر بمعرفة[١٠] ما يحق عليه لله تعالى جَـدُّه ولزم التقوى[١١] واتبع سنة الله فى عدله وحكمته .

---

(١) كسرى هنا مفعول به . (٢) ف : فانها .
(٣) ص ، ط : يعين . (٤) ف : أن لا يجزع .
(٥) ص : يجزع / ف : يجزع منه (٦) ف : أن لا .
(٧) ط : وصـــية بزرجمهر لكسرى لما سأله ذلك ؛ س : نسخة كتـــاب وصية لبزرجمهور الى كسرى لما سـأله ذلك ؛ ف : كتـــاب وصية لبزرجمهر الى كسرى لما سأله ذلك .
(٨) ف : بما . (٩) ص : خاصت .
(١٠) ف : بمعرفته بما . (١١) ص : لزوم القوى .

وإنما يصلح الملك لمن حسنت سياسته لرعيته وكان ما يصلحهم آثر عنده من بلوغ هوى نفسه وطلب النفع للخاصة والعامة . وخير الملوك أشكرهم لله تعالى[1] وأقضاهم بالحق وأرأفهم بالرعية وأحسنهم نظراً فيما يصلح البلاد ويعمرها ؛ وليس يتم ذلك إلا بالعقل[2]. وأنفع الملوك للرعية مُلكاً من عمل بالسنة المعروفة فيهم[3] ، واستعمل خيارهم ، وحقن دماءهم ، ونفى العدو عن أرضه . وأسعدهم من ساس الناس فى الزمان الذى قدر لهم بالرخاء والخير المشاع . وأفضلهم سعادة من كثر علمه ووفق[4] للعمل به . وأحق ما فرح به الخير الذى [5] يصاب منه وما احتاط فيه للرعيــة [6] بما يستوجب به منهم[7] الشكر ، ومن الله الأجر والمثوبة ، ليثق[١٢١] به البرىء ويخافه المريب . فان ثقة البرىء تزيده اجتهاداً ومناصحة ، وخوف المريب يزيده[8] رعباً وهيبة . ومع الاجتهاد بالمناصحة العافية والسلامة [9]، ومع الخوف والرهبة الاستقامة والطاعة . وأحسن أخلاق الملوك أوقرهم[10] عند الغضب وأكثرهم[11] حلماً ودعة ؛ وأقبح أخلاقهم الحدة وضيق الذرع وقلة الفهم والفظاظة وغلبة البخل والقسوة وقلة الاهتمام بأمر العامة .

وينبغى لذوى السلطان أن يعلموا أنهم لا يقدرون على ألا تنطق العامة بعيوبهم ، وألا [12] يتعنوا فى ألا يبصر الناس ما فيهم . وليكن اجتهادهم فى ألا يكون لهم عيب ولا سبيل للقالة عليهم .

وينبغى ألا يسلط على الناس جهالهم ، فان[13] الجهالة قائد الضلالة ، والضلالة قائد البلاء والفتنة ، وفى الفتنة الدمار[14] والهلكة .

---

(١) ط : عز وجل .
(٢) ط : بالعدل ، وكذا فى ف .
(٣) فيهم : ناقصة فى ف .
(٤) ف : ورفق .
(٥) ف : الخير المصاب منه .
(٦) ف : للرعية فيه .
(٧) ط : يستوجب الخير منهم الشكر .
(٨) ف : خوفا .
(٩) والسلامة : ناقصة فى ص ، ف .
(١٠) ف : الوقار — وهو أصح .
(١١) ف : وكثرة الحلم — وهو أصح .
(١٢) تعنى : تجشم ؛ وتعنيت فى الأمر : عنيت فيه .
(١٣) ط : وان .
(١٤) ف : الدماء .

ويحق على الملوك أن يأخذوا للضعيف من القوى ، وللفقير من الغنى بحصصهما من الحق ونصيبهما من العدل . وأن يكونوا للضعيف والفقير[١] أشد نظراً ، وبهم أشد لطفاً ، وعن أمرهما أكثر فحصاً ، لأن القوى والغنى يمتنعان من جل الظلم والضيم . فأما الفقير[٢] والضعيف فانما يكون امتناعهما بعز[٣] سلطانهما ، وقُرّتهما بمعونته إياهما.

واعلم أن سلطان ملوك الدنيا إنما هو على أبدان ما ملكوا وعلى ما يبدو من ظواهر[٤] أمورهم . فأما[٥] نياتهم وما يغيب عنهم من أمورهم فلا سبيل لهم عليه[٦] لأنه غيب محجوب[٧] عنهم . فلا ينبغى للملوك أن يأخذوا الرعية إلا بما يظهر لهم منهم . ويتركون[٨] التظنى ، فان التظنى يدعو إلى [٢١ ب] التهمة ، والتهمة تدعو إلى البلايا .

وأكثر ما ينتفع به السلطان صحبة العلماء والاستكثار من العلم ، فان من فضيلة العلم أن صاحبه كلما استكثر منه أحب أن يزداد منه — وهذا هو الحرص الممدوح .

وقد يلام الناس على شدة الحرص فى طلب الدنيا والمال ، ويمدحون على شدة الحرص فى طلب العلم ومصاحبة العلماء . فازدد بما علمت من العلم ضناً[٩] وابتهاجاً ، وعليه حرصاً ودؤوباً ، ولا تحقرن أحداً وصل إليك علمه فتدع قبوله لاحتقاره ، فان العلم نافع لك[١٠] من حيث أصبته . واعلم أن لكل شىء عيناً ، وعين العلم البيان الواضح . ولا يمنعنك من العلم تقادم السن والكبر ، فانك حقيق بطلبه ما قدر لك العمر ، لأن العلم أكثر من أيام العمر . فأكثر

---

(١) ف : للفقير . (٢) ف : الفقر والضعف .
(٣) ف : امتناعهما وقوتهما بمعونة اياهما — فهنا نقص .
(٤) ط : ظاهر ، وكذا فى ف .
(٥) ف : وأما ... (٦) ط : عليهم .
(٧) ص : غير محجوب / عليهم : فى ص : عليه / ف : لأنه محجوب عنهم . (٨) ص : ويترك .
(٩) ف ، ص : ضياء — وما أثبتناه عن ط .
(١٠) ط : ذلك .

قراءة الكتب[١] والنظر فيها لتزداد بصيرة وانتفاعاً به . وليس شيء أسرّ لأهل العلم ولا أشد جذلا من العمل بالخير والإفشاء له جداً [٢] والاستكثار منه والازدياد فيه . وهم أقل الناس حزناً بحسن عزائهم عما فاتهم . وأحسن الناس تسليما لما ينزل بهم [٣] من الله عز وجل ، فليس للعالم فراغ لغير طلب العلم[٤] والخير . وساعة فراغه أن يقدر على الخير ثم لا يفعله . وذلك غبن فى رأيه ، وزلل فى حكمه وعقله . وفراغ العالم إنما يكون فى إجمام نفسه إذا كل خاطره وضاق ذرعه بالفكر فى استخراج دفائن الحكمة ؛ فحينئذ يروِّح قلبه حتى يعود نشاطه ويجتمع رأيه ويصفو فكره .

شر الزمان زمان يخفى فيه العالم علمه خوفاً من الجهال وإشفاقاً من أن يعاب عليه.

إعلم أن أحق من أكرمت [١٢٢ ا] وقربت ، أيها الملك ، من وعظك وقوَّم أدبك . فأكرم العلماء ، وصلهم ، واستمع آدابهم ، واحفظ مواعظهم ، واحذر من تشبه بالعلماء وليس منهم ، فان هؤلاء هم الأكثرون ، فأبعدهم وتوقَّ حديثهم وما يحامون عليه من رياستهم المزورة . ولا تتبع الهوى ، ولا تتعد[٥] الحق ، ولا تغتنم الراحة ، ولا تسكن إلى التوانى ، ولا تستحي من[٦] استفادة العلم والتعلم ، ولا تغتر بدنيا أصبتها ، ولا تندم على عرف صنعته ، ولا تمل دراسة الكتب فان طول[٧] دراستها إنما هو تصفح عقول العالمين والعلم بأخلاق ذوى الحكمة الماضين والنبيين وجميع الأمم وأهل الملل . إلا أن أكثر ما رسموه ودونوه فروع لم يبينوا أصولها وعللها ، ولم يكشفوا عن أسبابها ، وهى أمور محمودة إلا أنها كثيرة لا يضبطها حفظ ولا يحيط بمعرفة جميعها علم . وقد تعاطى الحكماء أصول هذه الفروع فدلوا على أسبابها وعللها ، وحصروا الجزئيات فى كلياتها . ومن أحكم تلك الأصول استخرج دفائن الصواب من كل مطلوب ، واستكشف[٨] سرائر الحكمة عن كل مستور . ومن فعل ذلك كان عمره طويلا وإن قصرت أيامه .

---

(١) ف : كتب العلم .
(٢) جدا : ناقصة فى ط .
(٣) ف : من أمر الله تعالى .
(٤) العلم : ناقصة فى ط ، ف .
(٥) ط : تتعدى .
(٦) ف : معاودة .
(٧) ف ، ص : فان دراستها انما هى تصفح ...
(٨) ص : استشف .

حكم تؤثر عن أنو شروان

كل شيء أنفقته فى شهوتك وأصبته منها فاعلم أنك (١) لم تصبه وإنما أصابك وهلك به بعضك. فالعاقل من ترك الهوى ليكون كتارك أكْلة ليصل إلى أكلات، وكمجتنب فاحشة ظاهرة لتخفى عليه فواحش [٢٢ب] باطنة، فلا يحال بينه وبينها فتكون حياته(٢) فيها أطول وحاجته منها أنجح.

وقال: إذا غلب الهوى العقلَ صرف محاسن خصاله إلى المساوئ، فجعل الحلم حقداً والعلم رياءاً، والجود سرفاً، والاقتصاد بخلا، والعفو جبناً. فاذا بلغ الهوى من صاحبه ذلك المبلغ تركه لا يرى الصحة إلا (٣) صحة جسده، ولا العلم إلا ما استطال به، ولا الأمن إلا (٤) فى قهر الناس، ولا الغنى إلا فى كسب المال، ولا الثقة إلا فى وجود الكنوز. وكل ذلك مخالف للقصد، مباعد للبغية، مقرب من الهلكة.

وقال: السكْر فى اثنتى عشرة منزلة، وليس ينتهى الشراب بالرجل إلى السكر إلا بمعاونة جميعها أو بعضها وهى: سكر الشباب، وسكر البطَر، وسكر الجمال، وسكر الشبَق، وسكر الخمر، وسكر الهوى، وسكر القدرة. واعلم أن كظة الطعام سكر، وكثرة+ النوم سكر، واستعلاء الجهل سكر، واستيلاء الهم سكر+، وعادة السوء سكر.

وقال: من عدم العقل فلن يزيده السلطان عزاً، ومن عدم القناعة فلن يزيده المال غنى، ومن عدم الإيمان فلن تزيده الرواية فقهاً. وإنما الإنسان عقل فى صورة: فمن أخطأه(٥) العقل ولزمته الصورة لم يكن إنساناً تاماً (٦) ولم يكن إلا كتمثال لا روح فيه.

سئل: ما أغنى الغنى؟ قال: نزاهة النفس وملك الهوى.

---

(١) ف: لن. (٢) ص: خيانة.
(٣) ف: لا – وهو تحريف ظاهر. (٤) الا: ناقصة – تحريفا – فى ف.
(+ .. +) ما بين العلامتين ساقط فى ف.
(٥) ط: فمن عدم أخطأه العقل – وفى س و ص كما أثبتنا.
(٦) الواو ناقصة فى ف.

سئل : أى هيبة تكون أنفع للسلطان فى سلطانه وأعم [٢٣ ا] نفعاً فى رعيته ؟ قال : هيبة العدل والنزاهة وحسم بوائق الأشرار وأهل الريب .

قيل : هل السعادة أنفع للملوك ، أم العقل ؟ — قال : السعادة مقرونة بالعقل ، وإنما تتبين آثاره بالدلائل .

سئل : أى الناس أحق بالملك ؟ — قال : أشدهم محبة لإصلاح الناس وأعلمهم بالتدبير . قيل : ثم من ؟ قال : أشدهم سلطاناً على هواه وأقهرهم له .

قيل(١) : فما الذى يعرف به الوالى(٢) رضا الرب عنه ؟ — قال : مارضى الله عن وال لا يدع لذاته وهواه (٣) ولا يترك شهواته فى إصلاح رعيته وبسط العدل فيهم(٤) ورفع الظلم عنهم .

سئل (٥): ما السرور الذى يغتبط به الملك ؟ — قال : السرور للملك وغيره(٦) ما كان معه رجاء لحسن معاده (٧) . فأما ما سوى ذلك (٨) فهو مُطَّرَح عند ذوى الألباب .

قيل(٩) : وهل شيء من السرور توجد له لذة إذا كان مفرداً من هذا الرجاء ؟ — قال : (١٠) لا أعلم شيئاً أفرد من الرجاء له لذة إلا ما يجده أهل الشفاء من لذة التشفى من الأحقاد .

قيل له : ما القناعة ، وما التواضع ؟ — قال : أما القناعة فالرضا بالقسم ، وسخاء النفس عما لا ينبغى الرغبة فيه . وأما التواضع فاحتمال الأذى من(١١) كل أحد ، ولين الجانب لمن هو دونك .

قيل : وما ثمرة القناعة ، وما ثمرة التواضع ؟ — قال : ثمرة القناعة الراحة ، وثمرة التواضع المحبة(١٢) .

---

(١) له : ناقصة فى ص . (٢) ف ، ص : الوالى به .
(٣) ط : ويترك .. وما أثبتنا فى س و ص .
(٤) ف : ودفع . (٥) ف : وسئل .
(٦) ف : وغير الملك . (٧) ط : رجاء حسن المعاد .
(٨) ف : فمطرح . (٩) الواو ناقصة فى ف .
(١٠) لا : ناقصة — تحريفا — فى ف (١١) ص ، ط : عن .
(١٢) فى الجملة تقديم وتأخير فى ط و س .

سئل : ما العجب ، وما الرياء ؟ — قال : العجب أن يظن المرء بنفسه ما ليس عنده حتى يرى رأيه صواباً ورأى غيره خطأ . والرياء أن يتصنع [٢٣ ب] للناس ويظهر لهم الصلاح وهو خلو منه . قيل : فأيهما أشد له ضرراً ؟ — قال : أما على نفسه فالعجب ، وأما على خلطائه فالرياء لطمأنينتهم إليه فى مهماتهم[١] بما يظهر لهم من نفسه وليس تؤمن منه الخيانة[٢] .

قيل : ما الشره والبخل ، وأيهما أعظم ضرراً ؟ — قال : الشره طلب العبد غير حقه ، والبخل ضنه بالحقوق عن أهلها ؛ والشره أضرهما ، لأن الشره أصل الشر ومعدن الظلم . ومن الشره البخل ، لأنه لا يشبعه من الدنيا شيء .

قيل له : ما بذر جميع الفضائل ؟ — قال : العقل والعلم . قيل : فهل فوق العقل والعلم شيء ؟ قال : التوفيق يزينهما ، والخذلان يشينهما .

قيل : ما الصبر المحمود ؟ — قال : الثبات[٣] على كل أمر كريم وزمُّ الهوى عن[٤] كل أمر[٥] لئيم. قيل: ثم ماذا ؟ قال : ألا تغيرك السراء ولا الضراء فتنقلك من حميد إلى ذميم . قيل[٦] : ثم ماذا ؟ — قال : القوة على الهوى عند إسراف[٧] الطمع ، والقهر للغضب فى حال غليان الغيظ . قيل : ثم ماذا ؟ — قال : احتمال كل كريهة فيما حيز به الفضل . والصبر له أربعة[٨] مواطن : ثبات ، وكفٌّ ، واحتمال ، وإقدام : فالثبات : على الكرائم ، والكف : عن المحارم والمآثم ، والاحتمال : للوازم فيما يوجب الفضل ويظهر المروءة، والإقدام : على الجلائل التى فيها النجاة والفوز .

وقال : الصبر من الشكر ، والشكر من الفضيلة . وهما نوعان : صبر على طاعة الله تعالى[٩] ، وصبر عن معصية الله تعالى[٩] . فالصبر على طاعة الله أداء الفرائض ، والصبر عن معصية الله[١٠] اجتناب المحارم .

---

(١) ف : مما . (٢) ف : الجناية .
(٣) ص : ثبات . (٤) ف : من .
(٥) عن ... لئيم : ناقصة فى ط .
(٦) ص : قال . (٧) ف : اشراف .
(٨) ف ، ص ، ط : أربع .
(٩) تعالى : ناقصة فى ط ، و ف / ف : الله ، وصبر عن اجتناب المحارم .
(١٠) فالصبر ... الله : ناقصة فى ط و ف .

سئل عن التدبير قال: [٢٤ ا] ما فيه طب[١] العالم. قيل له: وما طب العالم؟ — قال: معرفة الدواء والداء فى الكل. قيل: فهل فوق هذه الغاية غاية فى التدبير؟ — قال: نعم؛ قيل: وما هى؟ — قال: بلوغك من جزئَىْ العلم والعمل ما تتقوى به على استخراج الفضائل والمنافع فى الأشياء حتّى تبلغ الغاية منهما. وذلك غير يسير إلا بولايته ومشيئته.

قيل: وما علامة السعادة؟ — قال: مَنْ رضى بقضاء الله فى المحبوب والمكروه، وقنع[٢] بالبلغة من الدنيا، وعلق قلبه بذكره، وأخرج مطامع السوآت من قلبه — فهى علامة السعادة.

قيل: ما محض الكرم؟ — قال: الوفاء بالذمم.

قيل: فما محض اللؤم؟ — قال: التجنى، بمنزلة الذئب الذى هم بأكل السخلة لعامها فقال لها: أنت شتمتنى عام أول.

قيل: فما الأدب النافع؟ — قال: أن تتعظ بغيرك ولا يتعظ غيرك بك.

قيل: ما توفير العقل؟ — قال: أن تطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر.

قيل: فما بالكم أكببتم على النظر فى الكتب إكباباً كاد الناس يردون جميع رأيكم إلى ذلك ويحيلون عليه تدبيركم؟ — قال: ذلك أنا لا نريد العلم للفخر، بل نريده للانتفاع به.

قيل: ما بالكم تحملون على أنفسكم من موؤنة الشفقة[٣] ما كان ينغص عليكم ما أنتم فيه؟ — قال+: ذاك لعلمنا أنه ليس من سرور الدنيا شىء يؤمن عليه الآفات والغير+.

قيل: فما بالكم تطرحون من المدح ما لم يكن مطرحاً عند غيركم من الملوك؟ قال: لكثرة من رأينا من الممدوحين الذين كانوا بالذم أولى منهم بالمدح.

---

(١) ص: التدبير ما فيه، قال طب العالم.

(٢) باللغة ... الى: ولا تعرف وعدا ليس فى يدك وفاؤه. ولما جلس: ناقص فى ط — فهنا كراسة مقحمة من ٢٤ ا الى ٣١ ب.

(٣) ف: كان.

(+...+) ما بين العلامتين ناقص فى ف.

قيل[1] : أى [٢٤ب] الأشياء أمر مرارة ؟ — قال : الحاجة إلى الناس إذا طلبت من غير أهلها .

قيل : أى الأشياء أخلف ؟ — قال : مشورة الجاهل .

قيل : أى التفريطات التى تبتلون بها أشد عليكم ؟ — قال : أن نقدر على خير[2] نعمله فنؤخره ، وربما كانت ساعة فلا تعود .

قيل : فأى الحالات أنتم[3] فيها أخوف لعدوكم ؟ — قال : أشد ما نكون فيه ثقة بأنفسنا ، وأقل ما نكون فيه ثقة بربنا واتكالا على ملكنا وجَدّنا .

قيل له : سمعناكم تقولون : العاقل يدع السعى فيما يصعب عليه الموت عند نزوله به ، ويسعى فيما يهون عليه يوم حلوله ، فأردنا أن[4] نتعرف ذلك ؟ قال : أما الذى يصعب الموت عند نزوله فالشهوات والأهواء التى يسلس[5] المرء القياد فيها ، وهو من الانتفاع بها فى وقت حاجته إلى المنافع صفر . وأما الذى يهون عليه الموت وألمه فما قدم من عمل صالح تعود عليه منفعته يوم لا يأخذ بيد المرء إلى قرة عينه إلا العمل الصالح .

قيل : سمعناكم تقولون : ثلاثة أشياء لم نرها كاملة فى أحد فقط ؛ فما هى ؟

قال : اليقين والعقل والمعرفة .

قيل[6] : سمعناكم تقولون : أربعة أشياء ليس ينبغى للعاقل أن ينساهن على كل[7] حال ؛ فأحببنا أن نعلم ما هى ؟

قال : نعم ! سأخبركم بها فلا تغفلوها : فناء الدنيا ، والاعتبار بها ، والتحفظ بتصرف أحوالها ، والآفات التى لا أمان[8] منها .

قيل له : سمعناكم تقولون : من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لا ينزل به مكروه ، فيكون هو الجانى فيه على نفسه ؛ فأردنا أن نعلم تلك الأشياء .

---

(١) ص : قال . (٢) ف : تعمله فتؤخره .

(٣) ف : أنتم أخوف فيها لعدوكم . (٤) أن : ناقصة فى ف .

(٥) ف : للمرء . (٦) س : قيل له .

(٧) كل : ناقصة فى ف . (٨) ف : فيها .

قال : العجلة ، والعجب ، واللجاجة ، والتوانى . فثمرة العجلة الندامة ، وثمرة العجب البغضة ، وثمرة اللجاجة الحيرة والهلكة ، [١٢٥ ا] وثمرة التوانى الفاقة والضر .

سئل : هل يقدر الإنسان على عمل البر فى كل حين ؟

قال : نعم ! لأنه لا بر أبلغ من الإخلاص فى الشكر لله — جل ثناؤه — وتطهير النية من الفساد .

قيل : هل يقدر الإنسان أن يعُـمَّ الناس بخيره ومعروفه ؟

قال : أما بكثرة مالـِهِ ، فلا . ولكن إذا أحب لهم الخير بنيته وقلبه فقد عمهم بخيره .

سئل : كيف للمرء أن يعيش آمناً ؟

قال : أن يكون للذنوب خائفاً (١) ، ولا يحزن من المقدور الذى لا بد أن يصيبه .

سئل : ما الرأى الجيد فى أمر المعاش ؟

قال : من كان يريد عيش السرور ، فالقناعة ؛ ومن كان يريد عيش الذكر ، فالاجتهاد فى الصلاح وعموم الناس بالخير . ومن أراد سعة الدنيا وفضولها ، فليوطن نفسه على الإثم والغم والنصب .

قيل : فأى الاجتهاد أعون على اكتساب محمود الذكر؟ وأَيُّـه (٢) أعون على إصلاح المعيشة ؟ وأَيُّـه(٣) أعون على الأمن ؟

قال : أعونه على الذكر المحمود الإنصاف من النفس ، ثم اجتناب الظلم . وأعونه على الأمن ترك الذنوب . وأعونه على صلاح المعيشة الاجتهاد على الحق ورفض الشر والحرص .

قيل : أى الرجال العاقل ؟ وأيهم الكيِّـس ؟ وأيهم الداهى ؟

قال : العاقل هو البصير بما يحتاج إليه(٤) فى أمر معاده ، المنفذ لبصيرته بعزيمته . والكيس هو العالم بما لابد منه(٥) ولا غنى عنه فى أمر دنياه . والداهى ذو الفطنة فى التلطف لما يحتاج إليه من أبواب المداراة فيما بينه وبين جميع الناس .

---

(١) ف : خائفا مجتنبا ، ولا يحزن للمقدور .
(٢) ف : وانه — وهو تحريف ظاهر .
(٣) ف : وانه — وهو تحريف . (٤) ف : من .
(٥) لابد منه و : ناقصة فى ف .

قيل : هل للهو وقت ؟

قال : إن كان ، فحين لا يشتغل به عن صلاح معاده[٢٥ب] وما فيه مصلحة معاشه .

قيل : أى الدعة أهنأ ؟

قال : ما كان منها بعد إحكام المهمات .

قيل: أى الناس أكمل سروراً ؟

قال : أما فى الدنيا فمن لم يكن به حاجة إلى غيره فيما يعنيه ، ولم يملك رقبته من غير ملك . وأما فى الأخرى فأوفرهم حسنات .

قيل : أى الناس أسكن ؟

قال : من لم يكن به إلى هلاك أحد ولا بأحد إلى هلاكه استعجال .

سئل : أى علم الوالى أنفع له ؟

قال : أن يعلم أنه لا قدرة له على سد أفواه الناس عن عيوبه ومساوئه ؛ فعند ذلك لا يلتمس إسكاتهم بالوعيد والغلظة ، ولا يلتمس رضاهم وانتقالهم عن ذكر مساوئه وعيوبه إلا بإصلاح تلك العيوب[١] عن نفسه ورأيه وأخلاقه .

سئل : ما ثمرة العقل ؟

فقال : ثماره الشريفة الكريمة كثيرة . ولكن سأحصى لكم ما يحضرنى منها . فمن ذلك أن يحرز الإنسان نصيبه بأن يعقد نيته على مكافأة كل ذى نعمة ، ويبلغ من ذلك الفعل[٢] غاية القدرة . ومنها أن لا يضيع التحفظ والاحتراس[٣] من المعاصى[٤]. ومنها أن لا يسكن من الدنيا إلى حال ، ولا يطمعها فى التفريط من الاستعداد . ومنها أن لا يكون لشىء من الشر مقتنياً . ومنها أن لا يترك ألطافه[٥] لمبغضه . ومنها أن لايقتدى بالجهال ولا فى منفعة جسيمة من منافع الدنيا؛ فأما منفعة الآخرة فلا حظ للجاهل فيها . ومنها أن لا يعمل عملا إلا بعد

---

(١) ف : من .
(٢) الفعل : ناقصة فى ف .
(٣) ص : الاحراس .
(٤) ومنها أن لا يضيع ... المعاصى : وردت فى ف بعد قوله : من الاستعداد .
(٥) ف : الطاعة لمعصية .

التثبت والرفق والأناة . ومنها أن لا تبلغ السراء به بطراً ولا الضراء استكانة . ومنها أن يسير بينه وبين عدوه السيرةَ التى لا يخاف معها حكم الحاكم ، وفيما بين صديقه [١٢٦ ا] وبينه بالسيرة التى لا يحتاج معها إلى العتاب . ومنها أن لا يستصغر أحداً عن التواضع له ، ولا ينقص أهل الفقر عن أهل الغنى ، إلا[١] أن يكون الغنى عالمـاً والفقير جاهلا . ومنها أن لا يجل أهل الدعارة إذا كانوا قرباء أغنياء أو قرناء مداخلين . ومنها أن لا يكون مبتدئاً بالأذى ولا مكافئاً به ،وإن انتصر لم يجاوز فى الانتصار حد العدل والحق . ومنها أن يكون الهوى عنده فى جنب العقل لغواً . ومنها أن لا يستوطئ العجز ، ولا يأنف من السعى فى الرشد . ومنها أن لايجرئه ماضى ذنب سلف وسلم[٢] من عاقبته على معاودة مثله . ومنها أن لا يغلب فى شىء من حالاته على الحلم والوقار ، وأن لا يفرح بمدح المادح بما يعلم أنه خِلو منه . ومنها أن لا يحقد على من عابه بما يعرفه من نفسه . ومنها أن لا يقدم على أمر يخاف أن تعقبه ندامة . ومنها احتمال نَصَب البر ، وإلجام النفس عن كل لذة تخالط مأثماً .

سئل : ما الذى يجب على الملوك للرعية ؟ وما الذى يجب للرعية على الملوك ؟

قال : للرعية[٣] على الملوك أن ينصفوهم وينتصفوا لهم ، ويؤمنوا سِرْبَهم ، ويحرسوا ثغورهم . وعلى الرعية للملوك النصيحة والشكر .

سئل : ما السرور ؟ وما اللذة ؟

قال : السرور ما كان معه رجاء الآخرة ، وما سوى ذلك من السرور لهو وزوال ، وهو إلى الاضمحلال .

ب سئل : هل يكون لهوٌ بلا إثم ؟

قال : لا !

سئل : ما الزهو ، وما الصَّلَف ؟

قال : الصلف[٤] قد يمدح به فى بعض الحالات . وذلك أن صاحبه

---

(١) الا : ناقصة فى ف هكذا : أهل الغنى أن لا يكون الغنى عالما ...
(٢) من : ناقصة فى ف .
(٣) ف : للملوك على الرعية النصيحة والشكر ، وللرعية على الملوك ... ثغورهم .
(٤) قد : ناقصة فى ف .

يأنف من الشيء الحقير ومن التعرض له . والزهو لا يمدح به لأن صاحبه يرفع نفسه فوق منزلتها ، حتى ربما ترفع عن رد [٢٦ب] السلام على من دونه .

قيل : فما الرياء ، وما التصنع ؟

قال : الرياء أن يكون رديئاً ويظهر الخير والجميل . والتصنع أن يظهر من نفسه خلاف ما هو عليه . قيل : فأيها شر ؟ قال : أما فى نفسه فالتصنع ، وأما فى العمل فالرياء .

سئل : ما الذى يرد اشتعال[١] الغضب ؟

قال : ذكر الغضب[٢] من الرب عز وجل عند عصيان المربوب وتعاطيه الفواحش ، وحلمه عنه .

قيل : ما أربع خلال : قلتم[٣] ليس ينبغى أن يرتاب بهن ؟

قال : طاعة الله[٤] تعالى ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، وطاعة الملك فيما يوافق الحق ، وأن لا يشك فى ثواب المحسن ويفوض أمر المسئ إلى خالقه .

قيل : سمعناكم تقولون : هلاك الملوك فى الدنيا والآخرة فى خصلة لا ترتفع معها حسنة . فنحب أن نعرف هذه الخصلة حق معرفتها .

قال : استصغار أهل العلم والفضل .

قيل : سمعناكم تقولون : من كره العار فليجتنب خمس خصال ؛ فما هى ؟

قال : نعم ! الحرص ، والشح ، واحتقار الناس ، واتباع الهوى ، والمَطْل بالعِدَة .

قيل : فما العار عندكم ؟ وهل عار أشد مما وصفتم ؟

قال : نعم ! الكبائر .

قيل : وما الكبائر ؟

قال : منع الواجد[٥] ؛ وأشد منه أن يعد ويخلف[٦]. والموبقات وهى[٧]

---

(١) ف : استعال .
(٢) ف : ذكر غضب الرب ...
(٣) ف : لا .
(٤) تعالى : ناقصة فى ف .
(٥) ص : الواجد ! وكذا فى س ، ف .
(٦) ف : فيخلف .
(٧) ف : فهى .

أن تمد عينك إلى ما لا تملك ولا حق لك[1] فيه . ورأس الكبائر الاستهانة بحدود الله تعالى[2] .

قيل : أى العيش أرغد وأنعم ؟

قال : عيش فى رخاء ، وكفاف بلا فقر ولا غنى .

قيل : كيف للمرء أن يعيش آمناً ؟

قال : يصبح مطيعاً لله ، ويمسى مجتهداً فى طاعته ، راغباً فى عبادته .

سئل : كيف للمرء أن يكون فى جميع حالاته ذاكراً لله تعالى[3] ولا يكون ساهياً ؟

قال : ذاك إذا كان [٢٧ ا] للإثم فى جميع حالاته حذراً وجلا .

وكان يقول : البخل أحسن من المطل، لأن اليأس يقطع الأمل والطمع ، والمطل يكدر العطاء وإن جلت منفعته .

سئل : ما الذى يحتاج إليه صاحب الدنيا ؟

قال : السعة من غير تبعة ، والسرور من غير مأثم ، والدعة من غير توانٍ ولا تضييع .

وقال : موت الأبرار راحة لهم ، وموت الأشرار راحة للعالم .

سئل عن رجل يبلى[4] بقطيعة إخوانه : ما علة ذلك ؟

قال : ذاك من قلة وفائه وترك إجابه لهم[5] ما أوجبوه له ، وقد يكون من قلة احتماله ذلة إخوانه .

سئل عن الذنوب والشكر — قال : من صح شكره لله تعالى برئ من الذنوب .

قيل : أى الذنوب أعظم على الإنسان ؟

قال : أن يخفى عليه عيبه .

قيل[6] : أى الأشياء أحق أن لا ينسى ؟

---

(١) فيه : ناقصة فى ص .
(٢) تعالى : ناقصة فى ف .
(٣) تعالى : ناقصة فى ف .
(٤) ف : بلى .
(٥) ف : وما .
(٦) قيل ... الذنوب : ناقصة فى ف

قال : أما عند أهل العقل فاقترافهم الذنوب ، أما عند أهل الجهل فالأوتار(١).

قيل(٢) : أى الأشياء أعون للحسود على ترك الحسد ؟

قال : أن يعلم أن ذلك أذى يحمله على نفسه ، وأنه لا حجة له فى نقله نعمة عن موضعها ، وأنه لا ينتقص بحسده إلا نفسه .

قيل : فهل يقدر الحاسد أن يضر المحسود(٣) ؟

قال : كيف يقدر على ذلك وهو لا يصل إلى ذلك إلا بشَرٍّ يصل إلى نفسه ؛ وإن زالت نعمة المحسود لم تصل إليه .

قيل : أى شىء يوسم به الملوك أزين ؟

قال : التعفف .

قيل : عمـــاذا ؟

قال : عن الحرمات .

قيل : ثم من ؟

قال : من يعف عما فى أيدى الرعية .

قيل : ثم ماذا ؟

قال : أن لا يعرف بالحرص حتى ينسب إليه ، ولا بالخشع حتى تذهب عنه بهجة الوقار .

قيل : فما الذى يجمع للملوك الحمدَ ؟ وما الذى يجمع لهم الحزم ؟ وما الذى [٢٧ب] يجمع لهم الذم ؟

قال : أما الأمور المحمودة فى خصلة واحدة وهى + إذا هموا بالخير أمضوه ، وأما الحزم فى خصلة واحدة + وهى الاستظهار فى الأمور. وأما الأمور المذمومة فى خصلة واحدة : إذا غضبوا أقدموا(٤) .

---

(١) الوتر والوتر (بفتح الواو وكسرها) والترة والوتيرة : الظلم فى الذحل ، وقيل الذحل عامة — وجمع وتر : أوتار .

(٢) ص : قال . (٣) ف : بالمحسود .

(+ ... +) ما بين العلامتين وارد فى ف ، وساقط فى ص .

(٤) ص : قدموا .

قيل : فما الخصلة الواحدة الجامعة لنفى[1] قالة الحسدة والأعداء عن الملوك ؟

قال : أن يكون متعلقاً بمجالسة[2] العلماء وأهل الفضل ، آخذاً بمحاسن أفعالهم .

قيل : فما الخصلة التى تلصق الباطل وما يلحق به من المساوئ ؟

قال : مجالسة أهل الريب وأهل الدعارة والجهالة .

قيل : ما نهاية العقل الإنسانى ؟

قال : استصغار الدنيا وقدرها عندما يعاين من نفيس أمر الآخرة ، ورفض ما فيها من الخدع باللذات التى لا يأمن فيها من التبعات .

قيل : فهل للملوك عبرة فى أنفسهم ليست للسوقة ؟

قال : نعم ! التفكر فى سرعة انقضاء دولتهم وقصر أعمارهم وإفراط رغبتهم فى الأوزار .

قيل : فالتمتع والتلذذ بالملوك أقبح ، أم بالسوقة ؟

قال : بل بالملوك حين عرفوا قصر الاستمتاع ممن مضوا ، وكثرة التنغيص والعوارض فى نعمهم .

قيل : أى مناقب المرء زين له ؟

قال : الحلم عند الغضب ، والعفو عند القدرة ، والجود بغير طلب الثواب ، والاجتهاد للدار الباقية لا للفانية .

قيل : أى الناس أحق بالاتقاء ؟

قال : السلطان الغشوم ، والعدو القوى ، والصديق المخادع .

قيل[3] : أى العيوب أعسر إصلاحاً ؟

قال : العجب واللجاجة .

قيل : أى الأشياء أولى بالاجتناب ؟

قال : أجلها نصيباً[4] من الهوى .

قيل : أى الأشياء أقل ؟

قال : الوادُّ الناصح .

---

(١) ص : لنقى . (٢) ف : أهل العلم والفضل .
(٣) ورد السؤال والجواب فى س بعد قوله « من الهوى » .
(٤) ص : نصبا .

لمـا استتم أنوشروان كتاب « المسائل » قال فى آخره : قد كنت للعقل[١٢٨ ا] فى الحداثة موثراً ، وللعلم محباً ، وعن كل تعليم مفتشاً ؛ فرأيت العقل أكبر الأشياء وأجلها ، والخيم(١) الصالح خير الأمور ، والحلم أزين الخصال ، والمواساة أفضل الأعمال ، والاقتصاد أحسن(٢) الأفعال ، والتواضع أحمد(٣) الخلال – وحسبنا الله ونعم الوكيل(٤) .

حكم لبهمن الملك

كان بهمن الملك مشغوفاً بمحاسن الكلام ، يقدم(٥) به ويوثر من أجله ندماءه وخلطاءه . فجمع علماء أهل زمانه وأهل المعرفة المشهورين بالحكمة والفهم ، ثم قال لهم :

إنى جمعتكم لمهمٍّ تفكرت فيه ، ولأمور أحببت معرفتها وأنا سائلكم عنها . فليجتهد كل رجل منكم رأيه بالمبالغة من عقله وفهمه بلا عجلة ، ولا مبادرة إلى الجواب بلا روية . أخبرونى عن أعز الأشياء وأرفعه لخساسة الخسيس الذى لم ينهضه قديم . فأجمعوا أنه الصلاح والعلم ، وأنهما يزيدان فى شرف الشريف ، ويقعدان العبيد مقعد الملوك . فقال الملك : هذا رأس أمور الدنيا والدين إذا كان بمساعدة العقل ، فان البناء بأساسه ، لأن الأساس الفهم ، وقوامه الرأى الأصيل . ولا رأى إلا بمعرفة العلم ، ولا أساس للعلم إلا بالعقل .

ثم قالوا : أقسام الأشياء مختلفة : فمنها حارس ، ومنها محروس . فالمحروس المـال ، والحارس العقل . ومنها مسلوب ، ومنها محفوظ . فالمسلوب المـال ، والمحفوظ العقل . فالعقل يحرسك وأنت تحرس المال . والمال لا يحفظ(٦) من سرقة ومن خيانة ومن جور سلطان(٧) وآفات أخر كثيرة سريعة إليه ، والعقل

(١) الخيم (بكسر الخاء) : السجية والطبيعة .
(٢) ف : أفضل .
(٣) ص : الخصال – وما أثبتنا عن س .
(٤) وحسبنا ... الوكيل : لم ترد فى ف .
(٥) أى يفضل الناس بحسب اقتدارهم على الكلام .
(٦) ف : يحرس . (٧) ف : جور سلطانى .

لايناله شيء من هــذه ولا يغلبه شيء ، ولا يغصبه غاصب ، ولا يضره كيد حاسد . ثم إن صاحب العقل إن حرم المال عاش [٢٨ب] بعقله ؛ وصاحب الجهل لايعيش بماله . وذلك أن من لم يعش بعقله حرم معرفة الفصل[١] بين الحسن والقبيح ، والنظر فى عواقب ما يجمل ويحل ، وما لا يجمل ولا يحل . ولا خير فى حياة من فاتته[٢] هذه الخصال ، لاسيما الملوك ، فانهم إلى هذه الأشياء أحوج ، إذ هم الساسة والرؤساء ، وسائر الناس أتباع ؛ وهم إلى إصلاح أنفسهم أحوج ، إذ كانت الرعية إنما تصلح بصلاحهم ؛ وفساد الناس يكون بفسادهم ، فلا قوام للرعية إلا بالراعى ، ولا قوام للبدن إلا بالرأس ، ولا قوام للملك إلا بالهيبة ، ولا هيبة للملوك إلا بالعدل . وحاجة الأدب والمروءة إلى العقل كحاجة البدن إلى الغذاء ، وحاجة البلد [٣] إلى العمارة والمــاء . فالآداب والمروءات محتاجة إلى العقل ، والعقل غنى عنها . ويدل على العقل حسن منافع العقل فى اجتناب الخطايا . والسعادة مقرونة بالعقل : فمن رزق العقل دله على أسباب السعادة ، ومن يرزق[٤] السعادة لم تبق له غاية يطلبها ، لأن السعادة غاية كل مطلوب .

وقال رئيس القوم : علامة العقل أن يرى العبد[٥] حارساً لنفسه من نفسه ، ولأناته من بادرته ، ويروض صعب الهوى حتى يذله للعقل ، فان العقل والهوى مختلفان : اختلفا على هذه النفس فى موافقتها ومخالفتها : فالعقل لها شجن ، والهوى لها سكن . وذلك أن الهوى يهدى إليها[٦] الشهوات واللذات ، والعقل يمنعها[٧] من ذلك إلا فيما يحل ويجمل ، ويحذرها من العواقب . فالنفس إلى ما قارب الهوى أسرع ، ومن كل ما يثقل عليها أجزع .

ثم قال لهم الملك : اتفقوا على كلمة تجمع المكارم فى إيجاز وإحاطة[١٢٩] بارادة المريد ذلك . فابتدأ رئيس القوم فقال : من استصغر كبير[٨] ما يؤتى

---

(١) ص ، ف : الفضل . (٢) ص : فاته .

(٣) ص : وحاجة البدن البلد الى العمارة ...

(٤) ف : رزق . (٥) ف : الانسان .

(٦) ف : لها . (٧) ف : منعها الا ...

(٨) ف : كثير .

من المعروف وستره ، واستكثر قليل الشكر من المصطنع (١) ، فقد استوجب الثناء وأحسن مجاورة النعم .

وقال+ آخر : من ابتدأ المعروف من غير أن تبذل الوجوه ، وإن لم يبتدئ به رد المتعرض بماء وجهه ، فقد استحق الثناء+ .

وقال آخر : أيها الملك ! الكلمة الجامعة للمكارم : من لم تبطره النعمة إذا أصابته ، ولم يحسد عليها إذا أخطأته .

فقال لهم الملك : قد قلتم فأحسنتم . ولكن : من أخذ بمجامع المروءة واحتوى على الشرف فليترك الانتصار وهو قادر . وأبلغ من ذلك : احتمال الكلمة الموجعة عن أهل القلة ، والحلم عن أهل الذلة ، والعفو عند القدرة .

وقال آخر : إنى لما فهمت أخبار زمانى ، ورعيت الآداب ، وقاسيت طبقات الناس تنبهت على أمر عظيم ، وأشرفت على سر من الأخلاق دفين ، وصلتُ إليهما بفراغ من القلب لهما ، وعناية من الفكر بهما . وذاك أنى كنت رجلا نجوت من واحدة ، وذهبت إلى اثنتين ، وكانت فىَّ ست خصال : فأما التى نجوت منها فقلة الشهوة وحب الدنيا . وأما الخصلتان فانى وكلت نفسى بحفظ العبر ، وصرت من ممر (٢) كل يوم على وجل . وأما الخصال الست : فقمعى للحسد إذا نهض وتحرك ، وقهرى للشهوة إذا مالت إلى خلاف الحق ، وإماتتى الضغائن والأحقادَ ، والصبر الجميل على ما له عاقبة جميلة عند الحوادث والنوازل ، وسلامة طبعت عليها ، وخفة مؤونة على الناس . وبعض هذه الخصال أعانتنى (٣) على بعض : فمنها ما وجدته فى الخلقة [٢٩ب] طبعاً من غير تكلف ، ومنها ما أصلحته بقوة الله تعالى وتداركته بالرياضة والأدب .

وقال آخرُ وصيةً : خذ من نفسك عدة لما تريد دركه بعدل لا تشوبه خيانة ، وصدق غير مدخول ؛ ورُمَّ مطلوباتك بالإنصاف ، ثم أنا زعيملك بالإنصاف (٤) ، فانما عوقب من عوقب فى العاجل بطلبهم ما أحبوا (٥) واشتهوا

(١) ف : المصطنع اليه .

(+ ... +) ما بين العلامتين ورد فى ف بعد الفقرة التالية .

(٢) ممر : ناقصة فى ف . (٣) ف : أعاننى .

(٤) ثم ... بالانصاف : ناقصة فى ف . (٥) ص : احتوا

بالجور ، وسعيهم فى جسيم الأمور بالباطل وكذلك لم ينجبوا فيما قصدوا ورجعوا خائبين . ثم حافظ على أحسن ما عرفت به عند أهل العقل والمعرفة ، وتزيَّد فيه ؛ وإياك أن تتعرض لأمر مذموم بدالَّة ما سبق لك إلى الناس من محمود عمل ، وتظن أن حسناتك تستغرق سيئاتك ، فان القليل من الإساءة فى القول والفعل يمحق كثيراً من الحسنات .

.·.

وكان من سيرة قدماء الفرس أن يكتبوا فى نواحى مجالسهم أربعة أسطر : أولها عندنا : الشدة فى غير عنف واللين فى غير ضعف ؛ والثانى : المحسن يجازى باحسانه والمسيء يكافأ باساءته ؛ والثالث : العطيات والأرزاق فى حينها وأوقاتها ؛ والرابع : لا حجاب عن صاحب ثغر ولا[1] طارق ليل .

وكان قدماء[2] الفرس لا يولون الثغور إلا من تكاملت فيه أربع عشرة خصلة من أخلاق الحيوانات وهى : أن يكون أسمع من فرس ، وأبصر من عقاب ، وأهدى من قطاة ، وأحذر من عقعق[3] ، وأجرأ من أسد ، وأوثب من فهد ، وأروغ من ثعلب ، وأوقح من ذئب ، وأسخى من لا قطة الديك ، وأقدم من نمر ، وأجمع من ذرة[4] ، وأحرس من كلب ، وأصبر من حمار ، وأطوع من جمل .

وفى عهد ملك من ملوك الفرس لابنه : [١٣٠ ا] لا تحقرن ذنباً ، ولا تطلبن أثراً ، ولا تمالئن عدواً ولا حسوداً ، ولا تصادقن[5] نماماً ، ولاتعينن لئيما فيبطر ، ولا تسلطن دنيئاً ، ولا تفرطن فى طلب الأجر ، ولا تعينن غاوياً ، ولا تركنن إلى شبهة ، ولا تردن سائلا ، ولا ترضين للناس إلا ما ترضاه[6] لنفسك . واعلم أن للأعمال جزاءاً وللأمور تبعات ، فكن على حذر ؛ ولا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعراً ، ولا تعدن[7] وعداً ليس فى يدك وفاؤه .

---

(١) ص : الا . (٢) ف : حكماء .

(٣) راجع عنه « الحيوان » للجاحظ ٢ : ١٧٤ ، ٣٢٩ ؛ ٥ : ١٥١ ، ٥٣٥ — اذ يضرب به المثل فى شدة الحذر ، وصدق الحس .

(٤) ص : درة — والذرة : النمل الأحمر الصغير ، يضرب به المثل فى الادخار ، راجع « الحيوان » للجاحظ ١ : ٢١٣ ؛ ٢ : ٢٩٥ ؛ ٤ : ٥ ، ٣٤ ؛ ٥ : ٣٦٥ . (٥) ص : تصدقى .

(٦) ف : بما . (٧) تعدن وعدا : آخر النقص فى ط ورقة ١٣٢ .

ولما جلس جمشيد على سرير ملكه[1] فى أول أيامه[2] اجتمع إليه وجوه أهل مملكته ووقف وفود الملوك حوله وأرادوا أن يمتحنوا عقله وسيرته فقام الوزراء والعظماء فقالوا : أيها الملك ! عشت الدهر وملكت الأقاليم . إن رأيت أن تمثل لنا مثالا نعمل عليه ونقتصر فى إنفاذ الأمور عليه ؟

فقال لكاتب رسائله : إن كتابك لسانى والمخبر عن غائب أمرى ، فاختصر الطريق[3] إلى الفطنة ، وأحط بحدود الأمور ، وابدأ بالأولى فالأولى . وقال لصاحب خراجه : إنك عدل فيما بينى وبين رعيتى ، فأجْرِ الأمور على مواردها ، ولا تقصِّر[4] عن اتقانها ، ولا تكل إلى غيرك ما يحيط به نظرك ويبلغه عاملك . وقال لصاحب جيشه : إنك الحصن من العدو ، والمؤتمن على عُدة الملك ، فاستدع المناصحة بالرغبة والطاعة بالرهبة ، واحترس بالتيقظ ، وعاجل مواضع الفرص . وقال لصاحب حرسه : إنك جُنَّتى التى أجتن فيها ، وعينى التى أنظر بها ، فلا تدع التحفظ ، ولا تكن أبداً إلا على أهبة ، ولا تستبطن[5] مريباً . وقال لصاحب شرطته : إنك ظلى فى رعيتى ، والقائم بسوط أدبى . فألبسهم[6] الأمن بالبراءة ، وأشعرهم المخافة [٣٠ب] بالريبة ، ولا تخف[7] فى إيثار الحق لومة لائم . وقال لحاجبه : إنك عدل على مراتب خاصتى ، والحافظ لمكاناتهم[8] منى ، فانظر إليهم بعينى ، واجعلهم على قدر منازلهم عندى ، وضعهم فى كل حالاتهم فى اللوم والإبطاء[9] عن بابى ؛ ثم ازرع فى قلوب الجميع محبتى . ثم قال لخادمه : إنك أمين[10] على ما به حياة الرعية ، وبصلاحه صلاح الملك والأجناد : فاحفظ الوارد ، واستبطئ الغائب ، وعجل الجارى اللازم ، ووامر[11] فى غير اللازم . وقال لصاحب الخاتم : إن التدبير

---

(١) ص : وفى .
(٢) ص : واجتمع .
(٣) ف : الطريقة .
(٤) ف : فى ايقانها .
(٥) ف : لا تستبطئ .
(٦) ص : فالسبهم .
(٧) ص : تخفف .
(٨) ط : لمكافآتهم \ ف لمكانتهم ؛ فانظر ...
(٩) عن بابى: ناقصة فى ص ، ف .
(١٠) ف : لأمين .
(١١) أى : شاور ، والاسم : المؤامرة .

إنما يصدر عنك ، والأمر إنما ينفذ بك ، فاقتصر بحدود كتبي على مواقع أمرى ، ولا تنفذ منها شيئاً إلا عن علمى[1] . وقال لصاحب ديوان النفقات : إنك والى خاصة كل ما يعنيني ، والقائم بما يعود نفعه وضره علىَّ ، فاحتط على أحكام ما تدعو إليه الحاجة فى النفقة ، واحذف نوازع ما تتوق إليه الشهوة . وقال لصاحب الزمام : أنت مستودع سرى ، وذو أزمَّة أمرى ، وبمكان من رأيى — فأمت[2] بالكتمان سرى ، وتحمل ثقل مخالفتى ، ولا تأخذك بأحد رأفة فى حظى .

ثم قال لجميعهم : إنى قد عرفت ما حاولتم بمساءلتكم إياى ما سألتمونى وإن كنتم أظهرتم أنكم إنما أردتم أن أقفكم على مثال[3] تحتذون عليه . وإنما أطلعتكم على علمى بدفائن قلوبكم لتعلموا أنى لم أحقد عليكم إذ أظهرته لكم ، ولتجددوا شكراً على ما أنعم به عليكم من عفوى عنكم ، واعلموا أنه لا يدرك بأعمال المذنبين ثواب المحسنين .

.·.

قال هرمز الملك لخرشيد[4] — وكان عامله على الأهواز وأمينه على كور دجلة ، والناظر فى قضائهن — : ما أعرف لك عيباً غير العظمة ، ولكن التعظم عيب واحد يقترن به |١٣١| عشرة[5] عيوب. قال : وما هن أيها الملك ؟ — قال : العجب : [6] وعاقبته بغض الناس ، والتفتيش عن الأحساب وتركه حسب نفسه : وعاقبته طلب الناس عيوبه ، والاستحياء من التعلم : وعاقبته نقصان الأدب ، وطلب الجلوس فى المحافل للترتب : وعاقبته أن لا يبقى له صديق إلا صار له عدواً يطلب عثراته ويفشى عليه لكى يعرف بالنذالة ، وتجاوز قدره وتعدى طوره وجرأته على السلطان : وعاقبته جر الهوان على نفسه ، وتركه حقوق الناس فى العبادات والتسليم عليهم وما أشبه ذلك من الحقوق : وعاقبته المذلة ودعاء الناس إلى السخرية

---

(١) ط : علم / ف : الا عن أمرى وعلمى .
(٢) ص : فأمة .   (٣) ص : منال .
(٤) ط ، ف : لخرشيد قوله .
(٥) ط ، ص : عشر \ ف . يقرن .
(٦) الواو ناقصة فى ف .

والاستخفاف به ، وتركه الاستشارة : وعاقبته الندم بعد الفوت ، وطلبه إلى الناس أن يعظموه : وعاقبته الاستهانة به ، وبغضه أهل الفضل : وعاقبته التقصير بنفسه وبغض أهل الفضل إياه .

. . .

وقال حكيم الفرس [1] آذرباذ : أمور الدنيا مقسومة على خمسة وعشرين سهماً : خمسة منها بالقضاء والقدر ، وخمسة منها بالاجتهاد والعمل ، وخمسة منها بالعادة ، وخمسة منها بالجوهر ، وخمسة منها بالوراثة . فأما الخمسة التى بالقضاء والقدر: فالأهل والولد والمال والسلطان والعمر .وأما الخمسة التى بالاجتهاد والعمل [2]: فالعلوم — وأشرفها العلم بالله عز وجـــل وجوده [3] — ، ثم العمارات ، ثم [4] الصناعات وأشرفها الكتابة ، ثم الفروسية والفقه [5] . وأما الخمسة التى بالعادة : فالأكل والنوم والمشى والجماع والتغوط . وأما الخمسة التى بالجوهر : فالخيرية ، والتواصل ، والسخاء ، والثقة ، والاستقامة . وأما الخمسة التى بالوراثة : فالذهن ، والحفظ ، والشجاعة ، والجمال ، والبهاء .

وقال أيضاً : التأنى فيما يخاف عليه الفوت أفضل من العجلة إلى إدراك الأمل [٣١ب] .

وقال أيضاً : أيها الشديد ! إحذر الحيلة . أيها العجول ! خف التأنى . أيها المحارب ! لا تفكر فى العاقبة .

فصل [6] من كلام حكيم آخر فارسى

قال : لكل شىء داعية وسبب . فسبب طيب العيش مداراة الناس . وسبب المداراة وفور العقل . وسبب السر الستر . وسبب المزيد الشكر . وسبب زوال النعمة البطر . وسبب العفة غض البصر . وسبب النشب الطلب . وسبب العطب الغضب . وسبب الزينة الأدب . وسبب الفجور الخلوة . وسبب البغضة

---

(١) عنوان فى ف .
(٢) والعمل : ناقصة فى ص .
(٣) وجوده : ناقصة فى ط .
(٤) ف : والصناعات .
(٥) ف : ثم الفقه .
(٦) فصل : ناقصة فى ط .

الحدة . وسبب المحبة الهدية . وسبب الدعة الضعة . وسبب المودة والإخوة البشاشة والبشر . وسبب القطيعة كثرة المعاتبة . وسبب الفقر السرف . وسبب الثروة حسن التدبير . وسبب المقت الخلف . وسبب البلاء المراء . وسبب الهوان الطمع . وسبب[1] الثناء السخاء . وسبب النجاة الصدق . وسبب النجاح الرفق . وسبب المذلة المسألة . وسبب الحرمان الكسل . وسبب[2] الهلاك المداعبة . وسبب العلو حب[3] الرياسة . وسبب الغدر الركون . وسبب[4] النبل ترك المُزْرِية . وسبب الأموال الحلول بساحة الملوك . وسبب البغضة الصلف . وسبب الميل الملق . وسبب الخير كله — ما قيل وما لم يقل — العقلُ .

.·.

وقال آخر : لا تستهن بالمال وتثميره ، فان المال آلة المكارم ، وعون على الدهر ، وقوة على الدين ، ومُتَألَّف للإخوان . وفقد المال معه قلة الاكتراث من الناس ؛ وتتبعه قلة الرغبة إليه والرهبة منه . ومن لم يكن بموضع رغبة أو رهبة استخف به الناس جداً[5] .

.·.

وقال آخر لتلميذه[6] : ضعوا مَن رفعته العامة ، وارفعوا من وضعته[7] ، فانهم[١٣٢] لا يفعلون شيئاً بعقول تامة ولا بأفهام راجحة ولا بعزائم صحيحة .

.·.

وقال آخر : لسنا بالكد فى طلب المتاع الذى نلتمس به دفع الضر والعيلة بأحق منا بالكد فى طلب العلم الذى نلتمس به صلاح الدين والدنيا . اعلم أن الواضعين أكثر من العارفين ، والعارفون أكثر من الفاعلين . وليس كل ذى

---

(١) ص : وسبب صوابه النبل البناء السخاء .
(٢) ص : وسبب الهوان الهلاك .. (٣) ف : حسن .
(٤) ض : سبب النبل ترك المرزيه .
(٥) جدا : ناقصة فى ط و ف ، وواردة فى ص .
(٦) ص : لتلميذه . (٧) ط : وضعته العامة .

نصيب[1] من اللب بمستوجب أن يسمى لبيباً ، ولا أن يوصف بصفات أولى الألباب . فمن رام أن يجعل لنفسه حظاً منه فليأخذ أهبته[2] ، وليؤثره على أهوائه فانه قد رام أمراً جسيما لا يصلح على الغفلة ، ولا يدرك بالمعجزة ، ولا يصبر على الأثرة ، وليس هو كسائر أمور الدنيا وسلطانها ومالها وزينتها التى قد يدرك المتوانى منها ما يفوت المثابر ، ويصيب العاجز منها مايخطىء الحازم . وليعلم أن العامل إذا ضيع ما عمله حكم عليه عقله بمقارنة الجهال ؛ فعلى العاقل أن يعلم أن الناس مشتركون فى الحب لمـــا يوافق والبغض لما لا يوافق[3] ، وأن هذه منزلة استوى[4] فيها الحمق والأكياس ، ثم اختلفوا بعدها فى ثلاث خصال هن جماع الصواب وجماع الخطأ ، وعندهن تفرقت العلماء والجهال والحزمة[5] والعجزة . فالأول من ذلك أن العاقل ينظر فيما يؤذيه وفيما يسره فيعلم أن أحق ذلك بالطلب ، إن كان مما يحب[6] ، وأحقه بالاتقاء، إن كان مما يكره ، أطولُه وأدومه وأبقاه[7] ، فاذا هو قد أبصر فضل[8] الآخرة على الدنيا ، وفضل[8] سرور العلم على لذة الهوى ، وفضل[8] الرأى الجامع الذى يصلح به الأنفس والأعقاب على حاضر الرأى الذى يستمتع به قليلا ثم يضمحل ، وفضل[8] الأكلات على الأكلة والساعات على الساعة . والثانى أن ينظر [٣٢ب] فيما يؤثره من ذلك فيضع الرجاء والخوف فيه موضعه ، فلا يجعل اتقاءه المخوف ولا رجاءه فى غير المدرك ، فيترك عاجل اللذات طلباً لآجلها ، ويحتمل قريب الأذى توقياً لبعيده . فاذا صار إلى العاقبـــة بدا له أن فراره كان تورطاً ، وأن طلبه كان شكاً . والثالث تنفيذ البصر بالعزم وبَعـْد المعرفة بفضل الذى هو أدوم ، وبَعـْد التثبت فى مواضع الرجاء والخوف ، فان طالب الفضـــل بغير صبر تائه حيران ، ومحصر الفضل بغير عزم ودون رصانة[9] محروم .

---

(١) ص : نصب .
(٢) ف : له أهبته .
(٣) والبغض .. لا يوافق : ناقص فى ص \ ف : البغض (من دون واو) .
(٤) ف : يستوى .
(٥) ف : الخزنة .
(٦) ص : ما يجب .
(٧) ص : أيقاه .
(٨) ص : فصل .
(٩) ص ، ف : زمانه .

وعلى العاقل محاسبة نفسه ومخاصمتها والقضاء عليها والإبانة لها ثم التنكيل بها . أما المحاسبة فيحاسبها بماله ، فانه لا مال له إلا أيامه المعدودة التى ما ذهب منها لم يستخلف النفقة ، وما جعل منها فى الباطل لم يرجع فى الحق فيتنبه لهذه المحاسبة عند الحول إذا حال والشهر إذا انقضى واليوم إذا ولى . فينظر(١) فيما أفنى من ذلك وما كسب لنفسه وما اكتسب عليها فى أمر الدين وأمر الدنيا بحساب فيه إحصاء وجد وتذكير وتبكيت للنفس وتذليل لها حتى تعترف وتذعن . فأما الخصومة فإن مِنْ طباع النفس الأمارة بالسوء أن تدعى فيما مضى العذر(٢)، وفيما بقى الأمانى ، فيرد عليها معاذيرها وعللها وشبهاتها . فأما القضاء فانه يحكم فيما أرادت(٣) من ذلك على السيئة أنها سيئة ، والسيئة فاضحة مُرْدية موبقة ، وعلى الحسنة أنها زائنة وأنها مربحة منجية . وأما الابانة والتفصيل فانه يسر نفسه بتذكير تلك الحسنات ، ويرجو عواقبها ، ويأمل فضلها ، ويعاتب نفسه على الحقيقة إذا تذكر السيئات فاستبشعها واقشعر [١٣٣] منها فحزن على ما ارتكبه منها ، وعلم أن أفضل ذوى الألباب أكثرهم محاسبة(٤) لنفسه وأقلهم فترة فيها . وأما التنكيل بها فانه يعاقبها إذا عصته فى بعض الأوقات بالزامها ما يشق عليها من الصوم والطى والعبادات الثقيلة والسعى الذى فيه طول ومشقة إلى المواضع التى يشرفها الناس .

وعلى العاقل أن يذكر الموت فى كل يوم وليلة مراراً ؛ يباشر القلب ويقدع(٥) الطماح ، فان فى كثرة ذكر الموت عصمة من الأشَر وأماناً من الهلع .

وعلى العاقل أن يحصى على نفسه مساوئها فى الدين وفى الرأى وفى الأدب. فيجمع(٦) ذلك كله فى صدره أو فى كتاب ، ثم يكثر عرضها على نفسه ويكلفها إصلاحه ، ويوظف ذلك(٧) عليها من إصلاح الخلة أو الخلتين أو الخلال فى اليوم أو الجمعة أو الشهر . وكلما(٨) أصلح شيئاً محاه ، وكلما

---

(١) ص : ينتظر .
(٢) ف : والعذر — وهو تحريف .
(٣) ص : رادت .
(٤) ص : لها ، وكذا فى ف .
(٥) ص : يقزع .
(٦) ف : فيجتمع ذلك فى صدره .
(٧) عليها : ناقصة فى ف .
(٨) ف : فكلما .

نظر إلى محو استبشر ، وكلما نظر إلى ثابت اكتأب . وعلى العاقل أن يتفقد محاسن الناس ويحصيها ويصنع فى توظيفها على نفسه وتعهدها مثل الذى وصفنا فى إصلاح المساوئ .

وعلى العاقل أن لا يخادن[1] ولا يصاحب ولا يجاور من الناس - ما استطاع - إلا ذا فضل فى الدين[2] والعلم والأخلاق ليأخذ عنه ، أو موافقاً له على إصلاح ذلك فيؤيد[3] ما عنده وإن لم يكن له عليه فضل ، فان الخصال الصالحة[4] فى المرء لا تحيا ولا تنمى إلا بالموافقين والمؤيدين . وليس لذى الفضل قريب ولا حميم هو أقرب إليه ممن وافقه على صالح الأعمال فزاده أو ثبته . ولذلك قال بعض الأولين : إن صحبة بليد نشأ مع العلماء أحب إليهم من صحبة لبيب[5] ذكى نشأ مع الجهال .

وعلى العاقل أن لا يحزن على شيء [٣٣ب] من الدنيا تولى ، وأن ينزل ما أصاب من الدنيا ثم انقطع عنه بمنزلة ما لم يصب[6] ، ولا يدع خطة من السرور بما أقبل منها من غير أن يبلغ به ذلك سكراً أو طغياناً ، فان مع السكر الطغيان ، ومع الطغيان التهاون ؛ ومن نسى وتهاون فقد خسر خسراناً مبيناً .

وعلى العاقل أن يؤنس ذوى الألباب بنفسه ويجعلهم خزنة وحراساً على أفعاله ثم على سمعه وبصره ورأيه ، ويستنيم إلى ذلك ويستريح[7] إليه قلبه ويعلم أنهم لا يغفلون[8] عنه إذا غفل[9] هو عن نفسه . وعلى العاقل ألا يشغله شغل عن أربع ساعات : ساعة[10] يرفع فيها حاجاته إلى ربه ، وساعة يفضى فيها إلى إخوانه وثقاته الذين يصدقونه[11] عن عيوبه وينصحونه فى أموره ، وساعة يصلح فيها أمر منزلته[12] ومعاشه ، وساعة يخلى فيها نفسه

---

(١) ط : يحادث .
(٢) ف : فى العلم والدين والأخلاق .
(٣) ط : فيؤخذ .
(٤) ف : من .
(٥) لبيب : ساقطة فى ف .
(٦) ص : فلا .
(٧) ف : يستروح .
(٨) ص : يعقلون .
(٩) ص : عقل / هو : ناقصة فى ط .
(١٠) ص : ترتفع .
(١١) ص : يصدونه .
(١٢) ص : منزلة .

ولذاتها بما يحل ويجمل فلا يعترض بينها وبينها [1] ، فان هذه الساعة عون على الساعات الأخر ، واستجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها وفضل بُلْغة .

وعلى العاقل ألا ينظر إلا فى ثلاث خصال : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة فى غير محرم .

وعلى العاقل أن يجعل الناس طبقتين متباينتين ويلبس لهم لباسين مختلفين : فطبقة من العامة يلبس لهم لباس انقباض وانحجاز وتحرز فى كل كلمة ؛ وطبقة من الخاصة يخلع عندهم التحرز ويلبس لهم لباس الأمنة واللطف والمفاوضة ، ولا يدخل فى هذه الطبقة إلا واحداً من ألف ليكون كلهم ذوى [2] فضل فى الرأى وثقة فى المودة وأمانة فى السرور [3] ووفاء بالاخاء .

وعلى العاقل إذا استشار عقله ألا يخالفه ولا يستصغر شيئاً من الخطأ الذى يخالفه فيه إن كان فى رأى وزلل فى علم أو [4] إغفال [١٣٤ ا] فى أمر . فان من استصغر صغيراً يوشك أن يجمع بينه وبين آخر صغير ثم صغير ، فاذا الصغير قد صار كبيراً . وإنما هى ثُلَم يثلمها الجهل والعجز والاهمال ، فاذا لم تسدَّ أوشكت أن تنفجر بما لا يطاق . ولم نر مستكثراً [5] مستعظماً إلا وقد أُتِىَ من جهـة الصغير المتغاوى [6] فيه المتهاون به [7] . وقد رأينا الملك يؤتى من جهة المحتقر ، ورأينا الصحة تؤتى من جهة المحتقر حتى يهجم منه على الداء الذى لا خلاص منه ؛ ورأينا الأنهـار تنبثق من الثقب الصغير اليسير [8] المستهان به ؛ ورأينا الحريق العظيم يكون من قبل الشرارة الصغيرة [9] ؛ ورأينا الأحقاد والعداوات من قبل الكلمة الحقيرة التى ربما كان سببها المزاح أو قلة التحفظ . وأقل الأمور احتمالا لصغير الخطأ والتضييع [10] الملكُ ، لأنه ليس شىء منه يضيع وإن كان صغيراً إلا اتصل بآخر يكون عظيما .

---

(١) ص : بعنها . (٢) ف : ذا .
(٣) ط : اليسر . (٤) ف : و .
(٥) ص ، ف : ولم نر مستعظمنا الا ...
(٦) المتغاوى فيه : ناقصة فى ف .
(٧) الواو ناقصة فى ط . (٨) اليسير : ناقصة : فى ط .
(٩) ص : الصغير . ط : الشررة العظيمة الصغيرة .
(١٠) ص : التصنيع .

وعلى العاقل أن يجبن عن المضى على الرأى الذى لا يجد عليه موافقاً وإن ظن أنه على اليقين .

وعلى العاقل إذا اشتبه عليه أمران فلم يدر أيهما الصواب أن ينظر إلى أقربهما إلى هواه مخالفةً ، فان الهوى عدو العقل ، فيحذره . ومن نصب نفسه إماماً فى الدين والحكمة فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها فى السيرة والطعمة والرأى واللفظ والإخوان والمعاشرين[1] ليكون تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه : فانه كما أن كلام الحكماء[2] يروق الأسماع فكذلك عمل الحكمة يروق العيون والقلوب . ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم إذا لم يبدأ بنفسه .

ولاية الناس بلاء عظيم ، فعلى الوالى أربع خصال هى أعمدة السلطان [١٣٤] وأركانه التى يقوم بها وعليها يثبت : الاجتهاد فى التخير[3] ، والمبالغة فى التقدم إلى الوصية ، والتعهد الشديد ، والجزاء العتيد .

أما التخير[4] فللعمال والوزراء فانه نظام الأمر ووضع مؤونة المنتشر[5] ؛ فانه عسى أن يكون بتخيره رجلا واحداً قد اختار ألفاً ، لأنه إن كان من العمال خيار[6] فسيختار كما اختير . ولعل عامل العامل وعامل عماله سيبلغون عدداً كثيراً . فمن ابتدأ بالتخير وسَنَّه فقد أخذ بسبب وثيق . ومن أسس[7] أمره على خلاف ذلك وجد الخلاف والوهن .

وأما المبالغة فى التقدم والتوكيد فانه ليس كل ذى لب أو ذى أمانة يعرف وجوه الأمور والأعمال . ولو كان بذلك عارفاً لم يكن صاحبه حقيقاً أن يكل ذلك إلى علمه[8] دون توفيقه وتبيينه له والاحتجاج به عليه .

وأما التعهد الشديد فان الوالى إذا فعل ذلك كان سميعاً بصيراً ، وإن العامل إذا فعل ذلك وعمل هو به كان متحصناً حريزاً[9] .

---

(١) الواو ساقطة فى ط .

(٢) ط : يونق . (٣) ص : التحير .

(٤) ص : التقدم أى الوصية / الى الوصية : ناقص فى ط .

(٥) ص : المنشر . (٦) ط : خيارا .

(٧) ف : أسرَّ . (٨) ف : على عمله .

(٩) ص : عزيزا / ف : محصنا حريزا .

وأما الجزاء العتيد فانه يثيب المحسن ويريح من المسيء .

السلطان لا يستطاع إلا بالأمناء والنصحاء ، والأمناء والنصحاء[1] لا يوجدون إلا مع المودة ؛ والمودة لا تتم إلا بمشاركة[2] لا استئثار معها . ولما كانت أعمال السلطان كثيرة ، لم يمكن[3] أن تستجمع هذه الخصال المحمودة عند أحد ؛ وإنما الوجه والطريقة فى ذلك والسبيل الذى به[4] يستقيم العمل أن يكون صاحب السلطان عالماً بأمور الدنيا وبأمور من يريد الاستعانة به حتى يندب لكل عمل من عرفه بالنفاذ والأمانة والرأى [٣٥ ا] فيه . ثم على الملوك بعد ذلك أن يتعهدوا عمالهم ويتفقدوا أمورهم حتى لا يخفى عليهم[5] إحسان محسن ولا إساءة مسيء . ثم عليهم بعد ذلك ألا يتركوا محسناً بغير جزاء ، ولا يقروا مسيئاً ولا عاجزاً على العجز . فان هم تركوا ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الأمر وضاع العمل .

وصية أخرى للفرس

كن صدوقاً لتؤمن على ما تقول . وكن ذا عهد ليوفى بعهدك . وكن شكوراً تستوجب الزيادة . وكن جواداً لتكون للخير أهلا . وكن رحيما بالمضرورين لئلا تبتلى بالضر . وكن ودوداً لئلا تكون معدناً لأخلاق الشياطين . وكن مقبلا على شأنك لئلا تؤخذ بما لم تجترم . وكن متواضعاً ليفرح لك بالخير . وكن عالماً لتقر عينك بما أوتيت . وسُرَّ للناس بالخير لئلا يؤذيك الحسد . وكن حذراً لئلا تطول مخافتك . ولا تكن حقوداً لئلا تضر بنفسك الفانية إضراراً باقياً . وكن ذا حياء لئلا تستذمَّ إلى العلماء ، فان مخافة العاقل مذمة[6] العلماء أشد من مخافة السلطان . من العلم أن تعلم[7] أنك لا تعلم . أحسن تقدير معاشك ومعادك تقديراً لا يفسد عليك أحدهما الآخر ، فان أعياك[8] ذاك فارفض[9]

---

(١) ط ، ص : والأمناء النصحاء .

(٢) ط : مع مشاركة . (٣) ط : ولم .

(٤) به : ناقصة فى ص / ف : يستقيم به .

(٥) ف : أخبار . (٦) ص : مدبه / بمذمة .

(٧) أن تعلم : ناقصة فى ص ، ط (٨) ط : أغناك / ف : أعياك ذلك .

(٩) ص : فارفض ، وكذا فى ف .

الأدنى[1] وآثر الأعظم . إعلم أنه ليس أحد تؤديه التوبة إلى النار ، ولا أحد يؤديه الاصرار إلى الجنة ، فتب من كل ما تعلمه خطيئة ولا تصر على ذنب وإن كان صغيراً . أفضل البر ثلاث خصال : الصدق فى الغضب ، والجود فى العسرة ، والعفو فى القدرة . ورأس الذنوب الكذب ، وذاك أنه[٣٥ب] هو يوسوسها[2]وهو يؤيدها ويثبتها[3] بالأيمان الفاجرة وبالجحود مع المكابرة وبالجدل[4] واللجاج فيه ، فيبدأ صاحبه بالأيمان الكاذبة فيما يزين[5] من الشهوات للسوآت[6] فيشجعه عليها بأن ذلك سيخفى عنه ؛ فاذا ظهر كابره بالجحود فغلب بهما . فاذا أعياه ذلك ختمه بالجدل[7] فخاصم عنه بالباطل ووضع له الحجج والتمس به التبيين وكابر به الحق حتى يكون[8] شارعاً للضلالة ، مكابراً بالفواحش .

الرجال أربعة : اثنان يختبر ما عندهما بالتجربة ، واثنان قد كفيت تجربتهما . فأما اللذان يحتاج إلى تجربتهما فان أحدهما بَرٌّ كان مع أبرار ، والآخر فاجر كان مع الفجار . فانك لا تدرى[9] لعل البر منهما إذا خالط الفجار ، والفاجر منهما إذا خالط الأبرار[10] تبدل البر فاجراً والفاجر براً . وأما اللذان قد كفيت تجربتهما وتبين لك صور أمورهما [11] فان أحدهما فاجر كان فى أبرار ، والآخر بَر كان فى فجار .

احذر خصومة الأهل والولد والصديق والضعيف ، واحتجَّ عليهم من غير غضب .

لا يوقعنك بلاءٌ تخلصت منه فى آخر لعلك لا تتخلصن [12] منه .

على الرجل العاقل أن يعلم أنه إذا عمل بما يعلم أنه خطأ — من الهوى ، والهوى آفة العقل ، وهو جالب كل فتنة ؛ وتركه العمل بما يعلم أنه من الصواب

---

(١) ف : الأذى .
(٢) ف : أنه يوسوسها وهو يزيدها .
(٣) ص : ينبتها . (٤) ص : الواو ناقصة .
(٥) ف : يرين .. (٦) ص : للسرأت .
(٧) ص : بالجحود . (٨) ف : ليكون .
(٩) لعل : ناقصة فى ف .
(١٠) ف : تبدل الفاجر برا والبر فاجرا .
(١١) ص : أمرهما . (١٢) ص : تتخلفن .

تهاون ، والتهاون آفة الدين ؛ وإقدامه على ما لا يدرى أصواب هو أم خارج – من الصواب جماحٌ ، والجماحُ آفة العقل .

وقِّرْ مَنْ فوقك ، ولِنْ لمن دونك ؛ وأحسن مواتاة أكفائك ، وليكن أثر ذلك عندك مواتاة الأكفاء ، فان هذا هو الشيء [1] الذى يشهد لك بأن إجلالك لمن فوقك [2] ليس [١٣٦] بخضوع لهم [3] منك ، وأن لينك لمن هو دونك ليس لالتماس أخذ شيء منهم .

خمسة مفرطون فى خمسة أشياء وكلهم متندمون أبداً : الواهن المفرط إذا فاته العمل ، والمنقطع من إخوانه وأصدقائه إذا نابتهم النوائب ، والمستمكن منه عدوه لسوء رأيه إذا ذكر حقده ، والمفارق الزوجة الصالحة إذا ابتلى بالطاعة ، والجرىء على الذنوب إذا حضره الموت .

أمور لا تصلح إلا بقرائنها : لا ينفع العقل بغير ورع ، ولا شدة البطش بغير شدة القلب ، ولا الجمال بغير حلاوة ، ولا الحسب بغير أدب ، ولا السرور بغير أمن ، ولا الغنى بغير جود ، ولا المروءة بغير تواضع ، ولا الخفض بغير كفاية ، ولا الاجتهاد بغير توفيق .

أمور تَبَعٌ لأمور ، والمروءات كلها تبع للعقل ، والرأى تابع [4] للتجربة ، والغبطة تابعة [4] لحسن الثناء ، والقرابة تابعة [4] للمودة ، والعمل تابع [4] للقدر ، والانفاق تابع [4] للجدة .

لا تذكر الفاجر فى العقلاء ، ولا الكذوب فى الأعفّاء ، ولا الخذول فى الكرماء ، ولا الكفور بشيء من الخير [5] . ولا تؤاخين خَبّاً [6] ، ولا تستنصرن عاجزاً ، ولا تستعينن كسلا [7] ، ولا تفرح بالبطالة وإن كان فيها راحة ، ولا تجبن من العمل وإن كان فيه تعب .

---

(١) الشيء : ناقصة فى ف .

(٢) ط : هو فوقك . (٣) ط : منك لهم .

(٤) ط : تبع . (٥) الواو ناقصة فى ف .

(٦) الخب (بالفتح ثم التشديد) : الخداع والذى يسعى بين الناس بالفساد .

(٧) الواو ناقصة فى ط .

اغتنم من الخير ما تعجلت[1] ، ومن الأهواء[2] ما سوَّفت . من حاول الأمور احتاج فيها إلى[3] ست : الأدب والرأى والتوفيق والاجتهاد والفرصة والأعوان ، وهن أزواج : فالأدب والرأى زوج لا يكمل أحدهما إلا بالآخر ، والأعوان والفرصة زوج لا ينفع أحدهما إلا بالآخر ، والتوفيق [٣٦ب] والاجتهاد زوج : فالاجتهاد سبب التوفيق ، والتوفيق سبب نجح الاجتهاد .

أمور[4] يلزمها كل من استبصر فى عقله : لا تجد عاقلا يحدث من يخاف[5] تكذيبه ، ولا يسأل من يخاف[5] منعه ، ولا يعد ما لا يثق بانجازه ، ولا يرجو ما يعنف برجائه ، ولا يقدم على ما يخاف العجز عنه . وهو يسخى[6] بنفسه عما يغبط به القوالون[7] خروجه من عيب نفسه[8] بالتكذيب . ويسخى بنفسه عن مراتب المقدمين بما يرى من فضائح المقصرين. ويسخى بنفسه عما يسأل السائلون سلامته من مذمة الذكر وخوفه الرد[9] . خمول الذكر أجمل من النباهة بالذكر[10] القبيح . لا يوجد الفجور محموداً ، ولا الغضوب مسروراً ، ولا الحر حريصاً ، ولا الكريم حسوداً ، ولا الشره غنياً ، ولا الملول ذا اخوان . قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك منه ، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترىء عليك مع ما تذل به نفسك ويرعب ناصرك . والمثل فى ذلك مثل العود المنصوب فى الشمس : إن أملته قليلا زاد ظله ، وإن جاوزت الحد فى إمالته نقص الظل . الحازم لا يأمن عدوه على كل[11] حال : إن كان بعيداً لم يأمن من[12] معرته بالكيد ، وإن كان قريباً لم يأمن مواثبته ، وإن كان منكشفاً لم يأمن استطراده ،

---

(١) ص : تعجلت به . (٢) ص : ما سوقة .
(٣) ف : سبب . (٤) ص : أمور تلزم ما كل .
(٥) ص : خاف ، وكذا فى ف .
(٦) سَخَّى (بفتح السين وبالخاء المعجمة المشددة) نفسَه عنه وبنفسه : تركه . وسخيت نفسى عنه : تركته ولم تنازعنى نفسى اليه .
(٧) ف : القائلون .
(٨) فى ف : من عيب التكذيب عن مراتب المتقدمين ما يرى ...
(٩) ط : الردة .
(١٠) القبيح : ناقصة فى ص / ف : من نباهة الذكر القبيح .
(١١) كل : ناقصة فى ط . (١٢) من : ناقصة فى ط .

وإن كان وحيداً لم يأمن مكره . الكريم يمنح أخاه مودته عن لقاءة واحدة أو معرفة يوم ، واللئيم لا يواصل أحداً إلا عن رغبة أو رهبة . وجدنا البلايا يسوقها إلى أهلها الحرص والشره . ليحسن اجتهادك لنفسك مما تكون به للخير أهلا ، فانك إذا فعلت ذلك أتاك الخير [١٣٧] يطلبك كما يطلب الماءُ فى السيل[١] الحدورَ . خمسة أشياء لا بقاء لها ولا ثبات : ظل الغمام ، وخلة الأشرار ، وعشق النساء ، والثناء الكاذب ، والمال الكثير . ليس يفرح العاقل بالمال الكثير ولا يحزن[٢] لقلته ، ولكن ماله وعقله وما قدم من صالح عمله . لا يعد غنياً من لم يشارك فى ماله[٣] ، ولا يعد نعيما ما كان فى سوء ثناء ، ولا يعد غنما ما ساق غرماً ، ولا يعد غرماً ما ساق غنما ، ولا يعد حياة ما كان فى فراق الأحبة ، فان من المعونة على تسلية الهموم وسكون النفس لقاء الأخ أخاه إذا أفضى كل واحد[٤] إلى صاحبه ببثه ، وإذا فرق بين الأليف وإلفه فقد حرم السرور وسُلب الأنس وأفقد البهجة . من أتاه[٥] الله سَعة فى الفهم وقوة فى العقل فقد أتاه السلطان الذى يملك به نفسه ؛ ومن ملك نفسه بسلطان عقله قل أسفه على كل شىء[٦] فائت ، وذاك أنه ينقض[٧] باليقين ما تبرم الشهوات ، ويسوس نفسه بأن يقهرها على درك الخيرات . ومن لم يكن كذلك ملكته نفسه فأوردته الموارد المهلكة[٨] المردية . يحسبك مثقفاً لعقلك ومهذباً[٩] لرأيك وهادياً إلى مراشدك ما تراه فى غيرك من سيرة حسنة يغبط[١٠] بها وقبيح يذم عليه . فمن لم يفهم من أحوال الناس ما يصطفى منه الأفضل ويتجنب الأنقص ، فلا حياة به ولا حيلة لمصلحته . الدهر أفصح المؤدبين ، وكفاك من كل يوم خبرٌ

(١) الحدور (بفتح الحاء) : اسم مقدار الماء فى انحدار صببه ، وكل موضع منحدر ، والهبوط ؛ والحدور (بضم الحاء) : جعل الشىء ينحدر ، يقال : حدر الشىء يحدره ويحدره (بكسر الدال وضمها) حدرا وحدورا ، فانحدر : حطه من علو الى سفل — وضبطت فى ف : بالفتح .

(٢) ط : يفرح — وهو تحريف ظاهر .

(٣) ف : حاله .

(٤) ف : واحد منهما .

(٥) ف : الله عز وجل .

(٦) شىء : ناقصة فى ط .

(٧) ص : ينقص .

(٨) المهلكة : ناقصة فى ط و ف .

(٩) ف : مهديا .

(١٠) ص ، ط : به .

يورده عليك ويعلمك من أى ناحية أتى به وأين مصيره وما فيه من عبرة وتأديب. فمن فهم عن الأيام أورث زيادة، وسطع نور عمله، ولم يفتقر إلى غير نفسه. على أن للإنسان حالات فى أيام عمره؛ وإنما ذلك بقدر عزته بأيامه [٣٧ب] وغفلته فى زمانه وقلة تحفظه لما تفيده[١] الأيام من تجاربه. فاذا فهم ما تملى[٢] عليه الأيام[٣] وحفظ أخبار الناس لم يلبث أن يصير محتنكاً نافذ البصيرة[٤] حازماً فيما يحاول من الأمور كلها، مستشاراً فيما ينوب غيره من الحوادث. وعلى حسب إحاطة عقله وإعانة فهمه له يكون إشرافه على الأمور. فأما ذو الغفلة فلو صحب الدنيا بعجائبها فيما تصرفت به على القرون لكان جَـذَعاً[٥] فى الغرة متدلهاً فيما يحدث، لأن الغفلة ظلمة راكدة، والمعرفة مصباح مضئ للخليقة. ولولا غيبة المخلوق وما يعرب من عقولهم عن عجيب فطرهم لكان فيما يقف عليه المرء من نفسه فى رضاه وسخطه، وضيقه وسعته، وإمساكه وبذله، وسكونه وقلقه، وإسرافه وقصده[٦]، وجده وملاله[٧] وحزمه وتفريطه. ما يكفى ميزان عقله مشغلة عن التعجب من غيره وتعرف أحواله من أحوال سواه. وذاك[٨] أن عنده وفيه ما يعرف به حال نفسيه وفضل إحداهما على الأخرى. فاذا مال[٩] إلى الأخس منهما — وقد تقدمت معرفته بشكوى عاقبته وخبرهما بندامتها[١٠] فى سالف أيامه — أما فى هـــذا ما يمنع المنصف عن ادعاء الحكمة ويرده عن الاستطالة بالفطنة، ويوجب التقصير فى الرأى؟ لكنه أبصر[١١] أمر سواه بعينه وفهمه، ونظر إلى نفسه بغفلته وسهوه، فثبت عنده ما عاين فى غيره،

---

(١) ف : تفسده . (٢) ف : تبلى عليه .

(٣) ص : الأيام من تجاربه حفظ ...

(٤) ص : فاقد البصيرة / ف : نافذا لبصيرته .

(٥) جذعا : جديدا . متدله : متحير / ف : خدعا .

(٦) هنا تنتهى ورقة ٤٢ ب فى ط وهنا أقحم كراس، والتتمة ترد بعد فى ورقة ١٥٧ من المخطوط ط .

(٧) ص : ملاكه . وجده : .. : حدث خلط فى تجليد ط فصارت هذه الكلمة أول ورقة ١٥٧ ا . (٨) ط : وذلك .

(٩) ف : فاذا مال الى الأخرى فاذا مالى الى الأخس منهما ...

(١٠) وقد ... بندامتها : ناقصة فى ص .

(١١) أبصر : ناقصة فى ط .

وسقط عنه ما يليه من أمره . ومن أعجب ما يوجد فى الانسان أنه لا يزال عاتباً على غيره ومستزيداً له ، كأنه قد كمل لمن عتب عليه ووفر لمن يستزيده . أما لو اعتاد قمع عوارض العدوان وإطلاقه العدل والانصاف لم يعدم ما يحمد من رأيه وبلوغ ما يحب مما يتمناه لنفسه إذا [١٣٨] سكن من هيجه. لكنه استثقل الحمية ، ورق عن مخالفة نفسه الأمارة بالسوء فى شهواته ، ثم التمس الدواء بالتمنى ، والسلامة بغير احتمال مؤونة . هيهات ! لا تصلح أرض للزرع[١] بغير حرث وبذر ، ولا تزكو خلقة حتى تحتمل مضض المشقة ، ولن تحصل الفضيلة إلا بعد مغالبة النفس والهوى . فانظر ما تحمد من غيرك ، فلا ترضين من نفسك إلا به . ولا تأنسن بما خفى من عيوبك وإن لم ينتشر عنك ولم يظهر عليه سواك ، فان أنسك بذلك ضراوة على المعاودة ، وإذا تكرر القبيح بدا وغلبت الشقوة على صاحبه .

اعلم أن قليل العيب[٢] يمحق كثير المحاسن ، لأجل الحسد الموكل بأهل الفضل ؛ فاحذر أن تُذْكر بأنواع من الجميل ثم يعترض حاسد واحد بقبيح واحد فيهدم ما شيده مادحك ، فيكون ذلك مقروناً بذكرك فى كل موضع حتى يمسك المادح عما يريد من تبجيلك مخافة أن يجيبه حاسدك بما يكره عند ذكرك ، مع أنه لا يسلم أحد من تهمة توجه نحوه وظن يرجم به[٣] ويقال فيه . وليس هذا أخاف عليك ولا هو الذى يفسد جميل فعلك ، ولكن ما صح عندك وعرفته من نفسك وصدق فيه حاسدك . فمنه أشفق على صالح عملك وعلمك إن أردت زينة الدنيا وجمالا لاتهدمه الأيام ، وطاعة فيما تسأل ، وثناء فيما تباشر ينتشر[٤] فى الآفاق ، ومحبة ممن وصفت عنده[٥] على النأى ، وعزاً[٦] لا ينداك

---

(١) للزرع : ساقطة من ف . (٢) ف : العجب .

(٣) الرجم : القذف بالغيب والظن ، وكلام مرجم : عن غير يقين ، والمراجم : الكلم القبيحة ، وتراجموا بينهم بمراجم : تراموا .

(٤) ط : ينشر فى الآفاق محبة ...

(٥) وقع اضطراب آخر فى تجليد ط فورد ما يتلو فى ورقة ١٤٥ ا بعد ٥٧ ب .

(٦) ط : ينالك ... ويندك : تأتيك ، ينالك ـ تقول : ما ندينى منه شىء : أى نالنى ؛ وما نديت منه شيئا : أى ما أصبت ولا علمت ، ولا يندك منى شىء تكرهه : أى ما يصيبك .

معه ضيم ، وشرفاً تليداً باقياً . فاصحب العقل ، واصبر على صيانة نفسك ، فان صاحبها على ذروة من الشرف وإن لم تكن[1] له ثروة [٣٨ب] ولا عدد . ولا تحسب الفضيلة التى تتم بها[2] المروءة والانسانية تمتنع على طالبها إلا ببذل الرغائب ، وأنها تشتط فى السوم . فانها لو كانت كذلك وتنال بالمال ، كانت لا تفيد أكثر من قيمة ما يبذل لها . ولو كانت لا توجد إلا فى البلد النازح[3] بالمؤن العظام ، وجب على كل[4] من يعرف قدرها وتحلى من الفضائل بها أن يلتمسها على كل حال . لكنها عندك محبوسة ، وفى أخلاقك مستكنة ، فاقدحها ينتشر عنك رونقها ، وتظهر عندك جلالتها ونبلها ، بأن تدع كل ما تكرهه من غيرك وترفض كل ما يشين أهله ولا تدع عليك حقاً إلا أديت فرضه بحسب الامكان . لا يقولن أحد: المروءة تكون بالمال، فان المال يمحق المروءة والانسانية ويعسر انقيادها على صاحبه[5] لتوابع المال وغلبته على أهله . وربما أفسد الخلق الصالح وثلم فى الكرم والحرية ؛ وشروطه متشعبة ، والفضيلة موجودة فى كل طبقة ؛ وليست تباع بالثمن : إنما هو حسن يفعله قولاً إن لم يكن ببذل ، أو صمت إن ضر القول ، وأنت تستحقها بهذا القدر إن لم تستطع أكثر منه . وعلى حسب التزيد فيما تجد السبيل إليه[6] يجب عليك التزيد[7] فيها .

داوِ الحسد ، إن وجدت حسه ، بقمعه بالتوبيخ . وصغر قدر من عرف به فانه لا يدفع النعمة عن المحسود ولا يوصلها إليه لو زالت عنه . وعلى كل مخلوق نعمة وإن خفيت عليه . والنعم أنواع وضروب . وما أعطى الله[8] تعالى عبداً فى نفسه من السلامة ووهب له من العافية فى الجوارح أفضل من غرض الدنيا . ورب حاسد لمن هو أعظم فى نعمته التى حسده عليها ، فلو شغل بشكر ما أعطى كان أجدى عليه[9] . وفى الحسد اثنتان [١٣٩] : كمد عاجل يثلم العقل[10] ،

(١) ط : لك . (٢) ط : بها تتم .
(٣) ف : ناصح ـ والنازح : البعيد .
(٤) كل : ناقصة فى ط . (٥) ص : صاحبها .
(٦) اليه : ناقصة فى ف .
(٧) يجب ... فيها : ناقصة فى ط .
(٨) تعالى : ناقصة فى ط / ف : الله عز وجل .
(٩) الواو ناقصة فى ص . (١٠) ف : القلب .

وكدر حادث فى العيش . تنكب القبائح التى تذمها من غيرك ؛ واعلم أنك موصوف بكل ما تسمعه فى غيرك من قبيح إذا فعلت فعله . احذر العجلة قولا وفعلا ، واستفد من حريق الغضب بالأناة قبل أن تلتهب[1] ناره فى قلبك ، فان إطفاءه قبل انتشاره يسير ، وإذا اشتعل قبَّحَ محاسن كنت تتجمل بها وعسر[2] إطفاؤها . اعلم أنه ليس فى وقت الرضا وصف الحلم ، ولا عند الامساك حمد الجواد ، وليس يذكر بالشجاعة إلا من مارس الحروب . اعلم أن الفرائض[3] فى الأموال أقل منها فى الأخلاق ؛ وإنما قدرك بالمال ما صحبك وكان لك ، وجاهك بأخلاقك غير زائل ولا معصوب عليه ، والمال يتلفه الزمان لا محالة ، والفضيلة لا تبلى بهجتها أبداً .

٩ وقال[4] : رأيت خلقاً فى بعض العلماء ممن أوتى فهماً وذكاءً وعلماً [5] بأمور الدنيا ولساناً يعبر به عن الدهر وأحداثه ، فعظمه كل من عرفه ، وجلَّ قدره عند الناس . وكان الذى زاده عندهم على نظرائه أنه لم يكن يفتخر بما يحسن ولا يعرفه به إلا من باحثه عنه وناظره فيه ، وكان مع[6] ذلك فى كل طبقة [7] مقارباً لهم فيما يحتاجون إليه ويجرون فيه . لا يبذخ بلسانه ، ولا يتطاول بمنطقه ، ولا يخرجهم إلى ما لا يعلمون [8] من القول . يفهم الغبى بقدر ما يدركه ذهنه ، ويحقق المعانى عند الذكى بشرح غوامضها . فعظمه العلماء والأوساط ، واجتمع له الحظَّان : من الخاصة والعامة .

ورأيت رجلا يعذله على بذله العلم [9] لطبقات الناس وقبوله كل من تعرض لمودته ، فقال[10] له : إن على حسب كثرة الرعية يعلو شأنُ الملك ، وفى [11] كل [٣٩ ب] مخلوق آلة لما يحتاج إليه . والمقصر عن علمك إذا

---

(١) ط : تتلهب .
(٢) وعسر اطفاؤها : ناقصة فى ط .
(٣) الفرائض : ناقصة فى ف . (٤) الواو ناقصة فى ط .
(٥) ف : وفهما وعلما ــ تكرار .
(٦) ف : وكان مع كل الطبقات مقاربا ...
(٧) ط : وكان مع كل الطبقات مقاربا ...
(٨) ط : يفهمون . (٩) ص : الطبقات .
(١٠) ف : فقال : على حسب ... (١١) وفى : ناقصة فى ف .

أفهمته قدر ما يحتمله[1] عقله أسرع إلى تعظيمك . وكان أحوط عليك من نظيرك[2] فى مذهبك . ولو كنتُ ذا مال كان أكثر ما أصرفه فيه استعطاف[3] الجمهور لأعز بهم وأسلم من مكروهم . ومن عظمك ليعلمك لم يحملك مؤونة فى مالك ، وليس يجد العالم فى كل وقت مثله . فان لم يعاشر إلا[4] من هو نظير له فى كماله لم يعش مغبوطاً ، ولم تره إلا مستوحشاً ، وذلك ما لا أراه تدبيراً .

ورأيت رجلا يعذله على مخاطبة رجل نال منه ما يكره فى محفل وقبوله العذر منه بعد ذلك وتسرعه إلى العفو عنه ، فقال[5] : إنما أُظهر بنقصانه رجحانى ، وبعداوته إنصافى ، وبنزقه ركانتى[6] ، وبعجلته وقارى . وذلك مالم يكن عند القوم منى . ثم أتانى بعد ذلك يعثر فى ذيل الندامة ، ويبذل القصاص من نفسه ، ويسألنى كما يسأل العبد مولاه — الصفحَ[7] عن جرمه ، فربحت قولا حسناً يبقى لى ذكره عند من شهد ما كان منه ولبس لى[8] ذلا بخضوعه ، واستكانة[9] باقراره ، وأوجب لى طَـوْلا عليه بالعفو عنه ، وشكراً ما بقيت . فلولا مخافة العجز عن احتمال الأذى سألت الله[10] تعالى فى كل صباح مِثْلَ ما اتفق لى منه .

ورأيت بعض الحكماء كثير المعاشرة بالمصافحة ، قليل الثقة بالأنس — فقلت له فى ذلك فقال : كنت امرءاً أوجب لمن صافيته أكثر مما كنت أجد عنده فتطول معاتبتى فى ذلك فلا أجد ما أقنع به . فلما طال تصفحى للدهر وأهله ، ودامت[11] عشرتى للناس ، علمت[12] أنى لا أجد كفءاً على مثل ما أنا عليه [١٤٠] فى الأخلاق[13] ، [فرأيت ألا أتعب نفسى لمن هو فى عزلة

---

(١) ف : يحتمل . (٢) من نظيرك : ناقصة فى ف
(٣) ص : استطعاف . (٤) الا : ساقطة من ف .
(٥) ص : قال .
(٦) بالراء المهملة : السكون والوقار والرزانة — وبالزاى المعجمة : الفهم أو الظن الصحيح . (٧) ص : والصفح .
(٨) ف : ليس . (٩) ص : ولا استكانة .
(١٠) تعالى : زيادة فى ص \ ف : الله عز وجل .
(١١) ط : وطالت . (١٢) ف : عملت — وهو تحريف ظاهر .
(١٣) ص : أخلاق .

مما بى[١] ، وذلك لقلة اتفاق الأشكال . ورأيت أنى إن كلفت أحداً ما لا يجده فى خلقته ظلمته فيما أحمّله ، فطرحت عن نفسى العناية بما أوجبه وأبذله لمن صافيته. فبذلت لهم لين الكنف وسلامة الغيب وحسن اللقاء وتحرى ما يحبون ، وسلامتهم ومسامحتهم[٢] فيما تعذر عليهم ومنهم ، فان فى ذلك بلغة ومتاعاً إلى حين . فاطرح عن نفسك طلب[٣] الوفاء من الناس ، ولا تعلق[٤] قلبك بحفظهم لعهدك إن كبا بك دهر[٥] وعثر بك زمان ، فقد صرحوا بذلك لمن حسن ظنه بهم قبلك . فاحسم هذا الطمع منك، وكذب ظنك إن ضمنه لك عليهم. وبالحرى إن استشعرت ما أمرتك[٦] به ألا تموت أسفاً عند إعراض الثقاة[٧] عنك وإفرادهم إياك بهمك ، وانصرافهم عما بك إلى لهوهم ، واختداع آخر بزخرف غرورهم حتى يحل محلك ، فانهم أبناء الدنيا الغرارة، وقد عاشروا النكث قديماً . فاذا تمكن يأسك[٨] منهم ومن وفائهم فكن أنت على ما كنت تحبه منهم تصر حصناً يلجأ إليه ، وركناً يعتمد عليه ، ومفزعاً عند النوائب ، وفخراً للأعقاب . وإياك والاستنان[٩] بشىء من الأعمال وقبيح[١٠] من الأفعال وإن كثر ذلك من الناس ، فان السيّد الذى يستحق هذا الاسم إنما يستحقه بصبره على الجميل واحتماله فرائض المروءة وصيانة نفسه عن دنئ الأخلاق. ومن عرف نفسه بالكرم لم يستوحش ممن يأتيه عليه ، وله الفوز بالسبق يوم الخصال . إنه ليس فى عقل من عقول العوام محتمل ، ولا مكان للأدب ، فلا تحمل الناس فوق وسعهم فتثقل نصيحتك عليهم ، فإن[١١] الطبيب الحاذق إنما يأمر من الدواء بقدر احتمال النحيزة[١٢] .

رأيت صلاح الأخلاق بمعاشرة الكرام وفسادها بمخالطة اللئام ، ورأيت الخلق إنما يستمر ويجرى على ما يساس به. ورب طَبْعٍ صالح أفسدته [٤٠ب]

(١) ف : مما فى ذلك لقلة ...
(٢) وسلامتهم : ناقصة فى ص .
(٣) ص : طالب .
(٤) لا : ساقطة من ف .
(٥) ص : أو .
(٦) ف : وما .
(٧) ط : القعات .
(٨) ف : بأسك (بالباء الموحدة) منهم ومن رقابهم .
(٩) الاستنان : الاقتداء .
(١٠) من : ناقصة فى ص ، ط .
(١١) ط : وان .
(١٢) النحيزة : الطبيعة .

منادمة الأشرار وعشرة السِّفْلة ومعاطاة أهل السُّخف . على أن الجوهر يعود إلى سِنْخه[١] إذا كان صالحاً حتّى يتنبه من غفلته ، ويعالِج نفسه من درن[٢] تلك الأعراض بلطف الأدب ورقة المواعظ والرفق فى الرياضة .

.:.

وقال آخر[٣] : ذللوا أخلاقكم للمحاسن ، وقودوها[٤] إلى المحامد ، وعلموها المكارم ، وعودوها[٥] الجميل ، واصبروا على الإيثار على أنفسكم فيما تحمدون غِبَّه ، ولا تداقوا[٦] الناس وزناً بوزن ، وتكرموا بالغنى عن الاستقصاء ، وعظموا أقداركم بالتغافل عن دنىّ[٧] الأمور ، وأمسكوا رمق الضعيف بالمعونة ، ولا تكونوا بحاثين عن مغيبات الأحوال فيكثر عتبكم .

.:.

وقال آخر : خرِّجوا عقولكم بأدب كل زمان ، واجروا مع أهله على مناهجهم يقل من يناوئكم وتسلم أعراضكم ، وضعوا عنكم موؤنة الخلاف والمماحكة فى المنازعة ، فربما أورثت السخائم[٨] ، ونقضت مبرم المودة المحكمة[٩] . اتسعوا لعشرة العوام ، فانه أكبر ما تدبرون به أموركم ، وكل وصية فهمها المنصوح وقبلها من الواعظ ووفق للعمل بها فبعد احتمال المضض والصبر على فراق ما كان يألف حتّى تنقاد له نفسه وتعتاد ما أمرت به .

---

(١) ط : أصله .
(٢) ف : دون .
(٣) ف : بعضهم .
(٤) ص : قودها .
(٥) ط : علموها .
(٦) داققته فى الحساب مداقة : حاسبته بالدقة ؛ ويقال : انه ليداقه فى الحساب .
(٧) ف : ذرى (!) .
(٨) السخيمة : الحقد والضعينة والموجدة فى النفس — وفى الحديث : « اللهم اسلل سخيمة قلبى » ، وفى حديث آخر : « نعوذ بك من السخيمة » ، ومنه حديث الأحنف : «تهادوا تذهب الاحن والسخائم» ، أى الأحقاد (لسان العرب) .
(٩) المحكمة : ناقصة فى ط .

فصـــل [1]

ربما كان الفقر [2] نوعاً من آداب الله تعالى وخيرة فى العواقب. والحظوظ لها أوقات فلا تعجل على ثمرة لم تكن تدرك، فانك تنالها فى أوانها عذبة؛ والمدبر [3] لك أعلم بالوقت الذى تصلح [4] فيه لما تؤمل، فثق بخبرته فى أمورك، ولا تجعل حوائجك طول عمرك فى يومك [5] الذى أنت فيه فيضيق عليك قلبك ويثقلك القنوط.

اجعل بينك وبين محبوباتك [١٤١] وقنياتك [6] حجاباً من ترقب زوالها لئلا يفدحك فَقْدُ شيء منها إذا نقلته الحوادث، فان من لم يتقدم بالتعزية قبل المصيبة جرح قلبه الرزء وتفاوت أمره إذا هجم عليه. وقد قسم الزمان النعم وجعل لها وقتاً وأجلا، ولم يعد الخلود بها، وقد أخذها من قوم وتركها عند آخرين وكلٌّ مُتَـبَّرٌ [7] عنده لا محالة، وليس فى شرطه حين أفادها ألا يعود على أخذها منهم ولا ذلك فى أمل الآمل من العقلاء، وإنما هى متعة [8] وأيام معدودة. وما كان لآخره نهاية وأمامه محصٍ فعن قليل نفاد عدته وفناء [9] آخر مدته.

وقال آخر [10]: اصحب الملوك بالهيبة وإن طال أنسك بهم، تتم لك مودّاتهم، فانهم إنما احتجبوا عن العوام لتبقى هيبتهم عندهم، فلا تدع تعهد ذلك من نفسك إن اتصلت بواحد منهم، ولا تيأسن [11] من الزمان وإن [12] مطل أيامك، وانظر مع ذلك ما تمنّته [13] نفسك إذا وجدته عند غيرك كيف تناولته العواقب، وإلى أى [14] شيء انتهت حاله.

---

(١) ف: فصل آخر. (٢) ص: القفر.
(٣) الواو ناقصة فى ف. (٤) تصلح: ناقصة فى ف.
(٥) ف: نومك.
(٦) ص: قنيابك. — والقنية (بضم القاف وكسرها بعدها نون ساكنة): ما اكتسب، والجمع قنى — وفى ف: فتناتك.
(٧) اسم فاعل من تبر = أهلك ودمر، ومنه: «وهؤلاء متبر ما هم فيه» أى هالك مدمر. (٨) ص: منعة.
(٩) عدته وفناء آخر: ناقص فى ص \ ف: نفاد مدته وفناء آخر مدته.
(١٠) آخر: ناقصة فى ط، ف.
(١١) ف: ولا تأنسن — وهو تحريف ظاهر.
(١٢) ص: فان. (١٣) ص: ذلك تمننته.
(١٤) ص: والى شيء ... \ الواو ناقصة فى ف.

فصل من كلام حكيم آخر

يا من مُحِصَ[1] بقليل من البلاء فغمط كثير الرجاء، وامتحن بلذعة[2] من المكروه فنسى متتابع النعماء! إنى مخبرك عن نظير لك كان مثلك فى بلوى الامتحان، وشريكك فى تتابع الحدثان، تتخذه[3] سلفاً وتقتدى به[4] خلفاً، فان للأسلاف معونة للأخلاف، وفى السابقين عصمة للاحقين. وقد رفع الله تعالى[5] لكل خلف أعلام سلف، وأيدهم من بعدهم باخبارهم أن سلفاً كان لنا مُحِنَ بضروب من البلاء، وكان ممن يفتقر[6] الخمول ضناً بالعافية وقصر الهمة وتفادياً من خطر الصرعة ودناءة المكاسب[٤١ب] محاذرةً لسوء العاقبة، حتى إذا اشتملت الصنعة على محاسنه، وعفى الخمول على همه، شحذ ذلك من كهامة[7] نفسه وأحدَّ من كلول نابه، فسمع بأذن غفلته، ونظر بعين أمنيته، وتكلم بلسان همته، ثم اعتلجت الخواطر على قلبه، وتزاحمت الأضداد على ضميره فاعتركن[8] على محصوله، فاذا أوقد عز الحقد ناراً خباها ذل التجاوز وتَعِدُه الأضغان لذاذة الظفر، وتزهده فيها محاذرة الأيام. فاذا أشرعه الطمع شريعة ورْدٍ حَلَّأه[9] عنها ترقب الشفقة، فتعاونت هذه الأضداد على قلبه وتناهت إلى تحكيم عقله، كلٌّ يدلى بحجته، فينتظر فصل قضيته، فأشار العقل بالصبر والحلم، وخَوَّفه الشر والاثم، وصار من القلب إلى قاض حيران، إذا هم بالاغتفار عارضته الأحقاد، وإذا استحسن الصفح أتيح له خوف الذل، وإذا رجا عاقبة الصبر عاجلته بوادر السفه، وإذا أشفق من خوف الآثام مثلت له رُخَص الايهام. فلما طال اعتراك هذه الخصومة[10] لديه وتنافرها إليه وإيراد حججها عليه :

---

(١) ف : يا من يخص بقليل من البلاء فغمض كثير من الرجاء .

(٢) ص : بدعة . (٣) ص : متخذه .

(٤) ف : يفتدى .

(٥) تعالى : زيادة فى ص \ ف : الله عز وجل .

(٦) ص : يقتفر .

(٧) كهم الرجل (من بابى علم وكرم) كهامة وكهوما : ضعف و ـ السيف : كل . (٨) أى تشاجرن .

(٩) ط : خلاه . وحلأه (بالحاء المهملة) عن الماء : منعه .

(١٠) ط : الخصوم .

كل يقدح بزنده ، وينتصر بما حضره من ذلك[1] ، فاستخلص العقل وزيراً ، والعلم نصيحاً ، فخوّفاه عواقب الاثم ، وقربا له وقت الفناء ، وأرياه غب المعاد، وأحضراه مكارع[2] الأهوال ، وكشفا له حجب الغيوب، وقللا عدته من الزاد، وحذراه إحباط المقبول ، ثم عرفاه ما فى التعجل إلى الشهوة من استنفاد المدة ، وما فى قضاء الأوطار من الازراء بالعدة ، ثم ذكراه ظل عاقبة[3] كان فيه ، ومعقل كفاية كان يؤويه ، بلا احتيال كان منه فى إدامته ، ولا تعرض لمكروه فى كفايته ، ورهباه من خروجه[١٤٢] عن كنف الصنع إلى التغرير ، ومن الغنى بربه إلى الفاقة إلى خلقه مع مقارعة الأحداث فى حيلته ، ومراهنة المنايا دون همته ، وتعرض الفوت فى استشهاده واستنفاد أُكُله ، فاستوعر مسلك الخذلان ، واستوحش من مفارقة الثقة ، وطامن[4] من جأشه ، وسكن من نُفْرته ، وأطفأ نار شهوته ، ووضع من حميته ، ورجع على نفسه بمخاصمته ، وصاف[5] بالعلم جنود شِرَّته[6] ، واستظهر على الصبر بتقارب مدته . فتفرقت مكائد عدوه ، وضلت خُدَع مُخادِعه وانفضت[7] جموحُ غوائله ، فخضع للمذلة هيبة لمقاحم[8] العزة ، وادخر الصبر شفقة من الفتنة ، فصار علماً لمن بعده ، وسلفاً لمن اقتدى به ، وعصمة لمن سلك مسلكه واعتد عدته ، وحاسب على هذه العقائد نفسه .

نفعنا[9] الله وإياكم بأخبار الأبرار ، ووفقنا وإياكم للاقتداء بالأولياء[10] الأخيار .

---

(١) من ذلك : الزيادة فى ص .
(٢) فى صلب ص : مصارع ، وبالهامش : مكارع . ــ والمكارع : الموارد .
(٣) ف : عافية .
(٤) مخفف طأمن ــ وطأمن الشيء : سنه ؛ والجأش : رواع القلب .
(٥) صاف (بتشديد الفاء) القومُ القومَ فى القتال مصافة : وقفوا مصطفين .
(٦) الشرة : الحرص والنشاط ، وفى الحديث : « ان لهذا القرآن شرة ، وان للناس عنه فترة » .
(٧) ف : انقضت .
(٨) ص : المقاحم . والمقاحم : مواضع الدخول و الوثوب .
(٩) ص : الله اياكم .
(١٠) بالأولياء : ناقص فى ط / ف : للاقتداء بالأخيار ، بمنه وسعة لطفه .

< حكم الهنـــد >

ومما يؤثر من حكم الهند : اثنان من الناس ينبغي أن يتباعد منهما : أحدهما الذي يقول : لا ثواب ولا عقاب ولا معاد ولا بر ولا إثم ؛ والآخر الذى لا يملك شهوته ولا يستطيع أن يصرف قلبه وبصره عن شهوة ما ليس له، فيرتكب الاثم ، ويقوده الحرص إلى الخزى والندامة فى الدنيا مع المصير إلى الجحيم والعذاب الأليم فى الآخرة .

ثلاثة يلقنون الجواب سريعاً : الملك الذى يأمر وينهى ويعطى ويقسم من خزائنه ، والمرأة الجميلة التي تَدِلُّ على من يهواها من ذوى الثروة ، والرجل العالم الموفق للخير بتعليم (١) دين الله .

ثلاثة ينبغي لهم أن يحزنوا : الرجل الذى يملك فرساً حسن المنظر سيء المخبر ؛ وصاحب القِدْر التي يكثر مَرَقها ، فاذا [٤٢ب] أكل منها لم يجد لها طعماً ؛ والذى يتزوج المرأة الحسناء ذات الحسب ولا يستطيع (٢) أن يكون معها كما ينبغي فلا تزال تفحش عليه .

ثلاثة يضيعون ما أتاهم الله : الرجل الذى يلبس الثياب السرية ويجالس الصاغة والحدادين فيقرب من نيرانهم وكيرانهم (٣) ودخانهم ؛ والرجل التاجر (٤) يتزوج المرأة الحسناء الشابة ثم يغترب (٥) عنها فى أسفاره وتجارته ؛ والرجل الفهم الذكى يجالس (٦) أصحاب الريب وأهل المكر والفواحش ومحبى الخداع والآثام .

ثلاثة ينبغي أن يعذبوا أشد العذاب : المجرم الذى يظلم من لا جرم له ، والمتقدم إلى مائدة لم يُدْعَ إليها ، والذى يسأل أصدقاءه (٧) ما ليس فى وسعهم فاذا أخبروه أنه لا يمكنهم عاودهم المسألة ولم ينته .

ثلاثة ينبغي أن يسفَّهوا ويحكم عليهم بالحمق : المتطبب الذى يداوى المرضى من الكتب والدفاتر ولا يعرف الطبائع والقوى ، وما الذى يضر وينفع ،

---

(١) ص : يتعلم .
(٢) ذات الحسب : ناقصة فى ط . \ ص فلا .
(٣) جمع كور ــ وكور الحداد : موقد مبنى من الطين توقد فيه النار وفيه الجمر .
(٤) ط : التاجر الذى ، وكذا فى ف .
(٥) ص : يعترض .
(٦) ص : يعترب يجالس . (٧) ف : اخوانه وأصدقاءه .

فيجرب على الأبدان ويهلك النفوس ؛ والنجار الذى يأخذ القدوم(١) فلا يزال ينحت الخشب حتى يملأ حانوته من الحطب ثم لا يبقى له موضع فيه فيخرج هو وامرأته وولده إلى الشمس فى الهاجرة وأيام الصيف ، وإلى البرد والرياح والأمطار فى الشتاء ؛ والمفتى فى الدين وهو لا يعرف الفقه ولا يقتبس العلم من موضعه .

ثلاثة ينبغى لهم أن يتأنوا ويثبتوا ويُقْدموا بعد تؤدة : الذى يرقى فى الجبل الشاهق ، والذى يهم بالأمر الجسيم من الدنيا ، والذى يميز الحق من الباطل ليفتقد الصواب ويعمل به .

ثلاثة يتمنون ما لا يجدون ولا يقدرون عليه أبداً : العاصى المصرُّ على الخطايا ويتمنى الجنة ؛ والرجل [١٤٣] الحقود يتمنى أن يظفر بجميع من يعادى فلا يبقى منهم أحداً ؛ ومتمنى الخلود والبقاء فى دار الفناء(٢) .

ثلاثة يجنون على أنفسهم ويؤلمون أبدانهم : الذى يأتى القتال بغير جُنة فيقذف نفسه بين الصفوف ويقول : لن يصيبنى إلا ما قُضِىَ عَلَىَّ — فلا يخلو من ضربة أو طعنة أو رمية ، وربما قتل ؛ والرجل الموسر الذى لا ولد له ولا حميم فيقتر على نفسه ، وربما قتل لماله ، وإن عاش عاش فى ضر وبؤس ؛ والشيخ الكبير الفانى ينكح المرأة الجميلة فلاتزال تسبه وتتمتع بكل شاب أجمل من الآخر وربما سعت فى هلاكه(٣) .

أربعة هم الذين يستخفون بأنفسهم ويحقرونها : الذى يهذى ويعرف بالفرفرة(٤) ويتكلم بما لا يسأل عنه ويقول بما لا يعلم ويبادر بالكلام على ما خطر بقلبه ؛ والذى يتسلط على الناس من غير معونة لهم ؛ والغلام الذى يغلظ القول لصاحبه ويرد عليه(٥) الصواب ؛ والذى يدخل على القوم المتخلين لمهم من غير استئذان عليهم(٦) .

---

(١) آلة للنجر والنحت ، قال ابن السكيت : ولا يشدد ، وقال الزمخشرى : التشديد لغة فيه .

(٢) ف : دار الدنيا . (٣) ف : اهلاكه .

(٤) الفرفرة : التخليط والكثرة فى الكلام ؛ الطيش والخفة ؛ العجلة .

(٥) عليه : ناقصة فى ف . (٦) عليهم : ناقصة فى ط .

أربعة ينبغي أن يسخر منهم ويهزأ بهم : الذي يقول شهدت الحروب وقاتلت وفتكت بالأبطال وركبت الأهوال ونازلت الفرسان ، ولا يرى في جسمه أثر [1] شيء من الجراحات ؛ والذي يخبر أنه من الزهاد والعباد وأنه ممن رفض الدنيا ويعمل للمعاد ، وهو سمين ظاهر الدم [2] عظيم الكدنة ، فذاك أهل لأن يضحك منه ويتهم في جميع الأمور : وذاك أن [3] من علامات الزهاد أن يكونوا قليلي الطعام متغيري الألوان طائري القلوب وجلين خائفين منتظرين لأمر الله أن يحل بهم بياتاً أو صباحاً ، ومن كان كذلك لم يكن له لحم ولا شحم ولا نشاط ولا مرح ؛ والمرأة التي تزعم أنها [٤٣ب] بكر عذراء ، وهي ثيبة غير طاهرة ولا ممتنعة على الرجال ، فتوهم أنها بكر وتعلم كيف هي ؛ والرجل الذي يتحلى بمعرفة [4] وبعلم وهو خال منه ، فاذا +سأل سائل عن مشكلة افتضح ودهش ، وضحك منه+ .

ثلاثة يجوز عليهم أن يندموا : الذي يشير على السفيه [5] بالحلم ثم يماريه إذا لم يقبل ، فلا يزال معه في مراء حتى يخرج إلى ما لا ينبغي [6] ، ثم يندم على فعله ؛ والرجل الذي يُهَيِّج السفيه بالأذى ليضحك منه ويناديه بلقب ثم يحترس أن تناله يده ولا يقدر أن يحترس من لسانه وقذفه ؛ والرجل الذي يفضي بسره إلى من لا يخبره بالأمانة ويأتمنه [7] في الأمر العظيم ويثق به ثقته بنفسه .

ثلاثة هم الذين يجنون على أنفسهم [8] المشقة والتعب الشديد : الذي يمشي إلى خلفه ناكصاً على عقبيه ، فربما تردى في بئر أو مهواة ؛ والذي يقول : لا يملأ قلبي شيء من الأهوال ، ولست أتقي الأقران ويغرُّ قوماً بما يسمعونه منه ،

---

(١) أثر : ناقصة في ف .

(٢) ص : التذمم . — والكدنة (بضم الكاف وكسرها) : كثرة الشحم واللحم ، وقيل هي الشحم واللحم أنفسهما اذا كثرا .

(٣) أن : ناقصة في ط / ف : وذلك أن ...

(٤) ص : بمعرفة أو علم ؛ وكذا في ف .

(+ ... +) ما بين العلامتين ناقص في ف .

(٥) ف : السفه . (٦) لا : ناقصة في ف .

(٧) ص : ولا يأتمنه .

(٨) في ط : يجنون المشقة والتعب الشديد على أنفسهم .

فاذا التقت الزحوف[1] التفت يميناً وشمالا ، احتيالا للهرب فيكون أول هارب ؛ والرجل البليد البطئ الفهم يتعاطى العلوم اللطيفة والمعانى الدقيقة ، فيكلف[2] طبعه ما لا يطيق ، فهو أبداً فى تعب ولا يظفر بطائل .

ثلاثة لا يلبث ودهم أن يتصرم : الصديق الذى لا يقوم بحق صديقه عند النوائب ، ويطيل غيبته[3] عنه ، ويتوانى عن زيارته ، ولا يكاد يصير إليه إلا على كره[4] ، فاذا صار إليه ماراه فى كل ما نطق به ؛ والمداخل لأصدقائه فى النعم[5] والفرج ، حتى إذا نابتهم[6] نائبة قطعهم ؛ والرجل يريدك لأمر حتى إذا وصل إليه استغنى عنك فزال وده[١٤٤] بزواله .

ثلاثة يدعون المهارة وهم أغبياء : الذى لا يحسن[7] اللحون ولا يعرف الاتفاقات والاختلاف فيتعاطى ضرب العود ؛ والمصور الذى يزعم أنه ماهر وهو[8] لا يحسن خلط الأصباغ ولا تأليف الأشكال ولا تأدية الحركات[9] ؛ والذى يزعم أنه لا يحتاج إلى علم شىء من الأعمال وأنه عالم بجميعها وهو لا يعلم مخارج الألفاظ ، ولاحدود المنطق ، وكيف ينبغى أن يتكلم ، وأين يضع منطقه .

ثلاثة يعملون بغير الحق : الذى يعطى بلسانه ، ولايحقق بفعله ؛ والسريع إلى الأكل ، البطئ عن العمل ؛ والذى لا يستطيع أن يسكن غضبه ، ولا يملك هواه ، وإذا هم بالأمر العظيم ركبه .

ثلاثة يعملون بالسُّنة فلا لوم عليهم : الذى يصنع الطعام وينظفه ويهيؤه قبل حينه حتى يقدمه إلى سيده فى حينه ؛ والذى لا يرضى سيرة الفساق ولكنه يرضى بامرأة واحدة يملكها ولا يمد عينه إلى حرمة غيره ؛ والذى يعمل العمل الجسيم بمشاورة العلماء .

---

(١) الزحف : الجيش يزحف الى العدو ، والجمع زحوف . وهذه تسمية بالمصدر لأنه لكثرته وثقل حركته كأنه يزحف زحفا .

(٢) ف : قلبه .

(٣) هنا اضطراب فى أوراق ط ، اذ تبدأ الورقة ١٥٨ بعد ٥١ ب .

(٤) ص : كرة .

(٥) ف : الغم — وهو تحريف ظاهر .

(٦) ص : نابهم .

(٧) ص : الذين لا يحسنون .

(٨) هو : ساقطة من ف .

(٩) ص : ولا ما الحركات .

أربعة أشياء ينبغى لكل كريم أن ينذر فيها النذور حتى لا تزول عنهم : الشهرى[١] الفاره الجواد الذى هو قُعْدة مولاه وراكبه ، والثور الحراث المجيب إلى ما يستعمل فيه ، والمرأة العاقلة المستجيبة[٢] لزوجها الموافقة له ، والعبد الناصح المجتهد فى الخدمة الصدوق فى اللهجة الهائب لسيده .

أربعة لا ينبغى لهم أن يحزنوا : العاقل الذى يرميه الجاهل بما يكره ولا حقيقة له ؛ والرجل الرغيب[٣] البطن إذا كان غنياً كثير المال ؛ والرجل المقتصد الذى لا عيال له ؛ والعالم الذى لا يحتاج إلى[٤٤ب] السعى فى الازدياد .

أربعة[٤] لا يكاد أحد[٥] أن يقدر عليها : المرأة التى قد ذاقت الأزواج وتمتعت بهم وتطعمت الرجال : أن ترضى برجل واحد ؛ والرجل الذى عود لسانه الكذب : أن يصدق ؛ والرجل التياه الصَّلِفُ البطر العادى لطوره : أن يتواضع ويغير طباعه حتى يصير فاضلا محبوباً .

أربعة أشياء ينبغى أن تعمل قبل حينها ويتقدم فيها الرجل : المكايد لعدوه[٦] : فى الذب[٧] عن الملك قبل حضور البأس ؛ — والخصومة فى الحق : ينبغى أن يتقدم فى ابتغاء حاكم عادل فى القضاء ، عفيف لا يقضى بالهوى ولا يقبل الرشى[٨] ولا ينقض قضاءه ولا ينسى ما حكم به ولا يبدو له فيما يأتى به من الحق ، ولا يميل مع كبير على صغير ولا مع غنى على فقير ؛ — وتدبير الدهشة : ينبغى أن يتقدم فى ابتغاء لبيب عالم يشير عليه فى أمره وينفذ له أعماله ؛ — وذو المروءة إذا دعا رجلا شريفاً : ينبغى أن يتقدم فى تهيئة طعامه وما يصلح له لئلا يعجل على أهله بالأذى عند حضوره .

---

(١) الشهرى (بكسر الشين) : ضرب من البرذون ، والجمع : شهارى والفاره : الحاذق النشيط الخفيف ، والقعدة : الحمار والمركب (= اداة الركوب) .

(٢) ط : المستحسنة .

(٣) الرغيب : الواسع الجوف . ورجل رغيب الجوف : اذا كان أكولا .

(٤) لم يذكر هنا فى الواقع غير ثلاثة ، لا أربعة .

(٥) أحد : ناقصة فى ف ، ص .

(٦) ف : عدوه .

(٧) فى الذب ... : أول ورقة ١٤٣ فى ط بعد ورقة ٥٨ ب .

(٨) الرشى (بكسر الراء وضمها) : جمع رشوة (مثلثة) : ما يعطى لابطال حق أو احقاق باطل .

أربعة لا يفكرون فى بر ولا إثم : المريض الشديد الألم ، والخائف ممن هو أقوى منه ، والمكار لعدوه ، والمظلوم الحقود الجرىء على صاحبه .

أربعة ينبغى أن ترفض غاية الرفض : الذى يؤدى إلى الهم والندامة ، والذى يقصر العمر ويقرب من الموت ، ومعصية الله تعالى فى مرضاة المخلوقين ، ومساعدة الأصدقاء على ما يفسد الجسم والعقل .

أربعة لا ينبغى لأحد أن يثق بهم : الحية المـاردة وكل سبع ضار ، والأئمة الفجار من الناس ، والمال المجتمع عند |١٤٥| المسرف[١] ، والموت الذى لا يدرى متى يهجم .

أربعة لا ينبغى أن يمازحوا ولا يضاحكوا : الرجل العظيم الشأن الجبار ، والعالم الناسك ، والدنىء الطبع اللئيم ، والحزين الثاكل .

أربعة من الناس المال أحب إليهم من أنفسهم : الذى يفترض[٢] مع الأمير الخارج إلى الحرب ، والتاجر الذى يركب البحر ، واللص الذى ينقب البيوت فلا ينجو من صاحب البيت أو السلطان ، والمرتشى الجائر فيما يدخله الله به نار جهنم .

أربعة يفسدون أعمالهم[٣] وحكمتهم : عامل الحسنات الذى ينشرها للناس فيقول : فعلت وفعلت كأنه يمن[٤] بها ؛ وواضع المعروف عند السفل المصطنع من لا يستأهل الصنيعة ، والمكرم للعبد المتوانى الفظ الذى لا يرحمه[٥] ، والامرأة التى تصنع الخير بولد السوء .

خمسة مفرطون فى خمسة أشياء فهم أبداً نادمون : المفرط فى العمل إذا فاتته منفعته ، والمنقطع عن أصدقائه إذا نابتهم النوائب ، والمستمكن منه عدوه إذا عرف حقده ، والمفارق الزوجة الصالحة إذا ابتلى بالطالحة ، والجرىء على الذنوب إذا حضره الموت .

---

(١) ص : المشرف .

(٢) افترض الجند : أخذوا عطاياهم .

(٣) ف : مالهم .　　(٤) ط : يمتن .

(٥) ط : الذى لا رحمة به ، والأم التى ... — وكذا فى ف .

سبعة لا ينامون : الذى يهم بدم يسفكه ، وذو المال الكثير الحريص[1] الخائف عليه[2] ، والمديون الفقير المأخوذ بما لايقدر عليه ، والمريض[3] المدنف الذى لا طبيب له ، وصاحب الزوجة الفاسدة ، والجار السوء الحاسد لجاره ، والمفارق للإلف الذى كان أحب الخلق إليه .

سبعة لا رحمة لهم : الرجل الحقود ، وحامل الموتى بكراء[4] ، وقاطع الطريق ، ومانع [٤٥ب] العطشان الماء[5] ، والجلاد الذى يجلد الناس فيموتون أو تنقطع جلودهم من غير ذنب منهم إليه ، وصاحب[6] المسلحة ، والطامع فيما ليس له .

عشرة لا ينبغى أن يعمل معهم ولا يلابسوا : المشاور من لا علم له ، والذى لا يتثبت فى الأمور ويتلون فى الرأى ، والمعجب المنفرد برأيه ، والذى يؤثر ماله على نفسه ، والضعيف العقل ، وراكب السفر البعيد على خطر ، والعاتب على من يفشى سره ولا يتحفظ بعده — وهو أولى بأن يعيب[7] نفسه ويعتب عليها[8] إذ أفشى سره إلى من أفشاه عنه ، والمجادل المخاصم الممارى فيما لا يعنيه ، والغضبان على من لا يبالى بغضبه ، والمتسرع إلى القتال .

عشرة لا ينبغى أن يسكن إليهم حتى يجربوا ويمتحنوا[9] ثم يوصفوا : الشجاع[10] المدعى للحرب واللقاء ، والظريف[11] المستعد للعشرة ، والحليم

(١) ص ، ف : الحرص . (٢) عليه : ناقصة فى ط .

(٣) الدنف (بفتحتين) : المرض اللازم المخامر ، وقيل : هو المرض ما كان ؛ ورجل دَنَف ودَنِف . (بفتح النون وكسرها) : براه المرض حتى أشفى على الموت .

(٤) الكراء : الأجر . (٥) س : من الماء .

(٦) المسلحة : الثغر والمرقب — وفى الحديث : « كان أدنى مسالح فارس الى العرب : العذيب » ؛ والمسلحة موضع المخافة ، والمرقب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة ، فاذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له — وفى ف : السلحة .

(٧) ص : يعتب على نفسه . (٨) س : اذا .

(٩) ص : ويمنحونهم . (١٠) ص : للشجاع .

(١١) س : والظريف الذى يتعرض للعشرة

عند الغضب ، والتاجر عند المحاسبة ، والصديق عند الشدة ، والسخى عند السؤال ، والمستودع [1] بالدراهم ، والمحارم ، والكريم عند الشكر ، والحازم عند حلول المصيبة.

عشرة لا يزالون فى سخط الناس : السريع الغضب الذى لا تؤدة له ولا عفو ، وصاحب المودة[2] الذى ليس بماهر فيستعمل المودة[3] فى غير موضعها[4] ، والماهر الكامل الذى لا يريد الصلاح ويدبر[5] البشر ، والخبيث اللسان الذى لا ينجو من لسانه أحد ، والمنحنى المرائى الذى ليس الانحناء من شيمته ، والعاصى الشره والبخيل الجماع ، وذو العلم الضنين بعلمه ، والمتصنع المتشبه بالعابدين يريد بذلك الثواب فى الدنيا ، ومن يعمل[١٤٦] الأعمال وهو آمن من الغير ، والمتسلط بقوته على الضعفاء .

عشرة يعنُّون أنفسهم وغيرهم : ذو العلم القليل يتكلف من العلوم ما لا يقوم به فيعنى نفسه ويعنى من يتعلم منه ؛ والذى يروم الممتنعات من الأمور[6] ويطلب ما لا يلحق ؛ والمتعاقل الذى لا ينظر لنفسه ولا يناظر الفيلسوفين ؛ والفخور العادى لطوره وليس بذى فضيلة ويريد من الناس أن يمدحوه ويخضعوا له بلا إفضال منه عليهم ؛ والمستغنى برأيه عن المشاورة ثم يطلب الرأى فلا يجده ؛ وصاحب السلطان العفيف الذى يعنى نفسه فى إصلاح[7] من لا يحمده ولا يؤجر فيه ولا ينال منه خيراً ولا علماً ؛ والسفيه الطياش المغالب للناس[8] ولا ظهر له ولا سند ؛ والذى يطاول من هو أعظم منه شأناً ؛ والذى يصحب الملوك بالغش لهم[9] والخيانة ؛ والقهرمان أو الخازن[10] يصَكُّ عليه[11] لانسانٍ بشىء

(١) ص : والمتورع بالدراهم المحارم\ف : والمتورع بالدرهم والمحارم .
(٢) ص : التؤدة . (٣) ف : فيستعمل ذلك فى غير موضعه .
(٤) ص : موضعه . والتصحيح عن س .
(٥) ص : ويدير اليسر . (٦) ف : العلوم والأمور . (٧) ص : الصلاح .
(٨) ص : ولا يظهر له ظهر ولا سند . ــ وما أثبتناه عن س .
(٩) لهم : ناقصة فى س . (١٠) ف : و .
(١١) كان الامراء يكتبون للناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتبا هى الصكوك ، فقوله : يصك عليه لانسان : أى يكتب اليه صك لصرف عطاء انسان والصك : الكتاب ، معرب ، وهو بالفارسية : چك ، وهو الذى يكتب للعهدة .

فيردده ويؤخر أمره من غير أن ينفعه ذلك ، وهو على حال لابد أن يعطيه ما قد أمر به وهو غير محمود .

ستة لا تخطئهم الكآبة : فقير قريب العهد بالغنى ، ومكثر يخاف على ماله ، وطالب مرتبة فوق قدره ، وحسود على رزق غيره ، وحقود على من لا ينتصر منه ، وخليط أهل الأدب من غير أدب معه .

ستة يُسلبون خصالا من الخير بخصال من الشر تكون فيهم : يُسلب الماجنُ المحمدةَ ، والمخادعُ الإخوانَ ، والسيىء الأدبِ الشرفَ ، والحريص الثناءَ ، والشحيحُ النعمةَ ، والكَسِلُ[1] منافعَ العمل .

أربعة أشياء تعين على العمل : الصحة ، والغنى ، والعلم ، والتوفيق .

وقال آخر : أحق الناس أن يحذر : العدو الفاجر ، والصديق الغادر ، والسلطان الجائر .

وقال : لهب الشوق أخف[2] محملا من مقاساة الملالة .

وقال : بالعافية توجد عذوبة[٤٦ب] كل مطعم ، فاطلب العافية قبل اللذة.

الشماتة اغترار[3] ، والتوانى فاقة ، والحرص شقاء . الحريص إن وجد لم يسترح ، وإن استفاد لم ينفق : فيجتمع فى الحريص التعب والشره والبخل . ذم[4] العقلاء أشد من عقوبة السلطان ، فان هذا خذلان ، وذلك[5] تعزير .

شرائط[6] صحبة السلطان

النصيحة ، وحفظ السر ، وتزيين أمره ، وإيثار هواه ، وتقدير الأمور على موافقته فى الكره والرضا ، ومجانبة الغاشِّ له ، وصلة من وصل[7] وقطع من قطع ، وأن لا يخفى[8] عنه سراً ، ولا ينتقل له عن طاعة ، ولا يرغب

(١) ف : والكل — وهو تحريف ظاهر .
(٢) ف : أحب . (٣) ف : اقرار — وهو تحريف .
(٤) ص : وذم . وما أثبتناه عن س ، ف .
(٥) ف ، ص : وهذا . وما أثبتناه عن س .
(٦) لم يوضع فى ف على صورة عنوان .
(٧) ف : وصله .
(٨) ص : يخف عنه سرا/ف : يطوى عنه سرا .

بنفسه (١) عن شيء يوافقه ، ولا يتسخط قليل عطيته ، ولا ينظر (٢) كرامته ، ولا يستعمل الدالة عليه ، ولا يكذبه إذا سأل ، ولا يستثقل ما حمّله (٣) ، ولا يسأله إذا جفاه ، ولا يأمنه إذا أرضاه ، ولا يعذر من لام ، ولا يلوم من عذر . وأقلّ مماراته ، ولا تظهر غناك عنه .

ستة تشتد عشرتهم على معاشريهم : الملك الفظ (٤) ، والقاضي المرتشي ، والخليط المخادع ، والخادم (٥) الخب ، والمرأة الورهاء ، والعون المحب للبطالة .

وقال : لا تتودد على السلطان بالدالة وإن كان أخاك ، ولا بالحجة وإن كانت لك (٦) دونه ، ولا بالنصيحة وإن كانت له دونك : فان السلطان يعرض له ثلاث دون ثلاث : القدرة دون الكرم ، والحمية دون النصفة (٧) ، واللجاج دون الحظ (٨) .

لا يجب للعاقل أن يزرع العداوة اتكالا على قوته (٩) ، كما لا يجب لصاحب (١٠) الترياق (١١) أن يشرب السم اتكالا على أدويته (١٢) .

من جمع لك إلى المودة رأياً حازماً (١٣) فاجمع له إلى المحبة طاعة لازمة .

شر ما شغلت به عقلك وضيعت [١٤٧] به عمرك إشارة على معجب بنفسه (١٤) .

---

(١) س : ولا ترغب بنفسك/ف ، ص : بنفسه .

(٢) س : من كرامته .

(٣) س : حملك .. جفاك ... أرضاك . وفي ص ، ف : حمله ... جفاه .. أرضاه ... أقل .

(٤) ف : الفض — وهذا يدل على أن الناسخ ينطق بالضاد ظاءا ، أو من أملى عليه .

(٥) الخب (بفتح الخاء وتكسر) : الخدّاع . والورهاء : الحمقاء .

(٦) س : له دربة بها . (٧) النصفة : الانصاف .

(٨) ص ، س : الحط (بالطاء المهملة) .

(٩) قوته ... على : ناقصة في س .

(١٠) ف : على صاحب .

(١١) دواء فيه من ريق الحيات فلا يؤثر السم في صاحبه — فيما يزعمون قديما .

(١٢) ف : الأدوية . (١٣) ف : جازما (بالجيم) .

(١٤) بنفسه : ساقطة في س و ف ، وواردة في ص .

< حكم العرب >

(١)

ومن حكم العرب :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء بأخيه .

وقال : اليد العليا خير من اليد السفلى (٢) .

وقال : ابدأ بمن (٣) تعـول .

وقال : لا تجني يمينك على شمالك .

وقال : ما أملق (٤) تاجر صدوق .

وقال : بطون الخيل كنز ، وظهورها حرز .

وقال : خير المـال عين ساهرة لعين نائمة .

وقال : النخل هي المطعمات في المحل ، الراسخات في الوحل .

وقال : الخيل معقود في نواصيها (٥) الخير .

وقال : الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة .

وقال : ما قل وكفى خير مما كثر وضر وألهى (٦) .

وقال : لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنما والصدقة مغرماً .

وقال : رأس العقل ، بعد الايمان ، مدارة الناس (٧) .

---

(١) ف : ومما يؤثر من حكم العرب .

(٢) يعني : المنفق خير من الآخذ ما لم تشتد حاجته ـ أخرجه ابن حنبل والطبراني عن ابن عمر .

(٣) س : بما ـ والحديث معناه : ابدأ بمن تلزمك مؤنته وقدمه عـلى غيره ، أخرجه الطبراني عن حكيم بن خزام .

(٤) أي لا يصيبه الفقر .

(٥) ف : بنواحيها ـ ورد في البخاري في كتاب المناقب (باب ٢٨) ، مسلم (كتاب الزكاة ، باب ٢٥ ؛ كتاب الامارة ، ٩٦ ـ ٩٩) ، أبو داوود (كتاب الجهاد ، باب : ٤١) ، ابن ماجة (التجارات : ٢٩)

(٦) ألهى : ناقصة في ف ـ ورد في « الجامع الصغير » (جـ ٣ ص ٢٤١) : ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ـ رواه أبو يعلى في مسنده والضياء المقدسي عن أبي سعيد الخدري باسناد صحيح ، ومعناه أنه : ينبغي التقليل من الدنيا ما أمكن ، فان كثيرها يلهي عن الآخرة .

(٧) تمام الحديث : « وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة » والمدارة : ملاينة الناس وحسن صحبتهم وتحمل أذاهم ـ رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج عن سعيد بن المسيب ، رواه مرسلاً ؛ والحديث ضعيف (راجع شرح الجامع الصغير ج ٢ ص ٢٧٩) .

وقال : رحم الله امرءاً قال خيراً فغنم أو سكت (١) فسلم .

وقال : لاتجلسوا على ظهور الطرق ، فان أبيتم فغضوا الأبصار ، وردوا (٢) السلام ، واهدوا الضال ، وأعينوا الضعيف .

وقال : إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبله ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاّه أموركم . ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال (٣) .

وقال : لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، ولبست فأبليت (٤) ، وأعطيت فأمضيت .

وقال (٥) : أعوذ بالله من دعاء لا يسمع ، وقلب لايخشع ، وعلم لاينفع .

وقال (٦) : تهادوا تحابوا .

وقال : لو تكاشفتم ما تدافنتم .

وقال : ما هلك امرؤ عرف قدره .

وقال : لا يحسن الملق إلا فى طلب العلم .

وقال : علق سوطك[٤٧ب] حيث يراه أهلك (٧) .

وقال : ارحموا عزيز قوم ذل وغنياً افتقر — ثم قال عليه الصلاة والسلام (٨) : وعالماً بين جهال .

---

(١) ص : وسكت — أورده ابن المبارك فى الزهد عن خالد بن عمران ، مرسلا — وهو حديث حسن .

(٢) ص : رد .

(٣) ورد برواية مخالفة فى « الجامع الصغير » (جـ ١ ص ٣٥٢) ؛ رواه أحمد بن حنبل فى مسنده ومسلم عن أبى هريرة .

(٤) ص : فأمليت .

(٥) ورد فى « الجامع الصغير » (١/٢٧٧) هكذا : « اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » — رواه أحمد فى مسنده ، ومسلم والنسائى عن زيد بن أرقم .

(٦) رواه أبو يعلى فى مسنده عن أبى هريرة باسناد جيد .

(٧) فى « الجامع الصغير » هكذا (٢/٤٠٥) : « علقوا الصوت حيث يراه أهل البيت فانه أدب لهم » — أورده عبد الرزاق فى المجامع والطبرانى عن ابن عباس ، وهو حديث حسن — أهلك : ناقصة فى ف .

(٨) ثم قال عليه السلام : ناقصة فى ف .

وقال : اخش الله فى الناس ، ولا تخش الناس فى الله تعالى !

وقال (١): الولد مجبنة مبخلة .

وقال : التهنئة على آجل الثواب أولى من تعزية (٢) على عاجل المصيبة .

وقال (٣): أكثروا ذكر الموت هادم اللذات .

وقال : طوبى لمن أنفق فضل ماله وأمسك فضل قوله .

وقال : نهيتكم عن عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات .

وقال (٤): المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء ، وعودوا بدنا ما اعتاد .

وقال (٥): اغدُ عالماً أو متعلماً أو مجيباً أو سائلا ـ ولا تكن الخامس فتهلك.

وقال : يا عجبي للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور!

وقال (٦): ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن .

وقال : لو كان العسر فى كوة لجاء يسران حتى يخرجاه .

وكان يقول صلى الله عليه وسلم : تضايقى تنفرجى . وفى حديث آخر (٧): اشتدى أزمة تنفرجى .

---

(١) فى « الجامع الصغير » : « الولد ثمرة القلب وانه مجبنة مبخلة محزنة » أى يجبن أبوه عن الجهاد ويمتنع من الانفاق فى الطاعة خوف فقره ويحزن أبوه لمرضه (٣/٤٠٧) ـ رواه أبو يعلى فى مسنده عن أبى سعيد .   (٢) ف : التعزية .

(٣) فى « الجامع الصغير » (١/٢٤٦) : « أكثروا ذكر هادم اللذات ، الموت » ـ أورده الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقى ـ عن أبى هريرة ؛ والطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى ـ عن أنس ، وفى الحلية عن عمر بن الخطاب .

(٤) ورد منسوبا الى الحارث بن كلدة فى ابن أبى أصيبعة (١/١١٢) وقيل هو من كلام عبد الملك بن أبجر (١/١١٢) .

(٥) فى « الجامع الصغير » (١/٢١٨) : « اغد عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ، ولا تكن الخامسة فتهلك » (بكسر اللام) والمراد بها بغض العلم وأهله ، والمحب : أى المحب لواحد من هؤلاء الثلاثة . ـ أخرجه البزار فى مسنده والطبرانى فى الأوسط عن أبى بكرة (بفتح الكاف وتسكن) .

(٦) فى « الجامع الصغير » (٣/٢٥٦) : « ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن » ـ أخرجه الترمذى والحاكم فى المستدرك عن عمرو بن سعيد بن العاص ـ ص : من ولد وأدب حسن .

(٧) ورد بهذه الصيغة الثانية فى « الجامع الصغير » (١/١٨٨) ـ أورده القضاعى فى الشهاب والديلمى فى مسند الفردوس كلاهما عن على ابن أبى طالب؛ وهو حديث ضعيف ـ ف : كان يقول عليه السلام .

وقال : ما من آدمى إلا وفى عمله نقص(١) من علمه ، ضل خلاله ! يسرُّ بمالٍ يزيد ، وعمر ينقص !

وقال فى كلام جرى له : إن لطالب الحق على الغاصب سورة تلحقه بالظـالم .

وقال : من قال : قبّح الله الدنيا ، قالت الدنيا له (٢) : قبح الله أعصانا لربه.

وقال فى كلام جرى بحضرته : وأى داء أدوى من البخل (٣) !

وقال : بَشِّرْ مال البخيل بحادث أو وارث .

وقال (٤) : ما بعثتُ إلا لأتمم محاسن الأخلاق .

---

(١) ف : عن .

(٢) ف : له الدنيا .

(٣) عند هذا الموضع في الهامش : « حاشية : في قصة جد بن قيس الاز <صارى> روى أن النبى صلى الله عليه وس<لم> لما قدم مدينة يثرب مهاجرا واشد<تد> به الحال فاجتمع اليه وجوه أهل المد<ينة> وهما قبيلتان من الأزد هما الأو<س> والخزرج ، فقال لهم : من سيدكم ؟ فقال<وا> له : جد بن قيس ، على بخل فيه . فقال : وه<ل> داء أدوى من البخل ؟! فأخذ الراية من على بابه ونصبها على باب البراء بن عازب . فقال حسان بن ثابت الأنصارى فى ذلك : شعر :

وقال رسول الله ، والقول لا حق
لمن كان <منا> من تعدون سيدا
فقلنا له : جَدْ بن قيس على الذى
يعانيه من بخلٍ وان كان أنكدا
فسوغها بابَ البراء بن عازبٍ
. . .   .

ـ والبراء بن عازب الانصارى الحارثى نزيل الكوفة . توفى سنة ٧٢ هـ . ـ وقد وردت الرواية والأبيات على طريقة أخرى فى « الروض الأنف » للسهيلى جـ١ ص ٢٨٢ (القاهرة سنة ١٩١٤ م) فراجعها هنالك ، حيث ورد أن النبى قال : بل سيدكم عمرو ابن الجموح ؛ وراجع أيضا « مجمع الزوائد» للهيثمى جـ ٩ ص ٣١٤ ص ٣١٥ (نشرة القدسى بالقاهرة) ، حيث يرد الحديث عن كليهما معا : بشر بن البراء بن عازب وعمرو بن الجموح .

(٤) فى « الجامع الصغير » (٢/٤٤) هكذا : انما بعثت لأتمم صالح الاخلاق ـ وفى رواية : مكارم الأخلاق ـ رواه ابن سعد ، والبخارى فى الأدب ، والحاكم فى المستدرك ، والبيهقى ، عن أبى هريرة ، حديث صحيح .

وقال : من كان له صبي فليستصْبِ له .

وقال (١): صلة الرحم منماة للولد مثراة للمال .

وقال : الشديد من غلب نفسه .

وقال[١٤٨] : الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

وقال (٢): الحرب خُدْعة .

وقال : المؤمن مرآة أخيه (٣) .

وقال (٤): فضل العلم خير من فضل العبادة .

وقال : اليمين الفاجرة تدع الديار بلا قع .

وقال : إن من البيان لسحراً .

وقال (٥): النـــدم توبة .

وقال (٦): حبلك الشيء يعمى ويصمُّ .

وقال : لا يشكر الله من لا يشكر الناس .

---

(١) وردت أحاديث قريبة منه فى « الجامع الصغير » (٣٥٢/٢) فراجعها لاختلاف الرواية .

(٢) أى الحرب الـكاملة هى المخـادعة ، لا المواجهة ، وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر ؛ وفيـه التحريض على أخذ الحذر فى الحرب — راجع تخريجه فى « الجامع الصغير » (٢١٧/٢) .

(٣) ف : المؤمن .

(٤) في « الجامع الصغير » (٢١/٣) هكذا : « فضل العلم أحب الى من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع — أخرجه البزار ، والطبرانى فى الأوسط ، والحاكم فى المستدرك ، عن حذيفة بن اليمان عن سعد ابن أبى وقاص .

(٥) فى « الجامع الصغير » (٣٧١/٣) — أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده ، والبخارى فى التاريخ ، وابن ماجه ، والحاكم فى المستدرك عن ابن مسعود ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك أيضا والبيهقى عن أنس ، واسناده صحيح .

(٦) فى « الجامع الصغير » (٢٠٠\٢) هكذا : حب الثناء من الناس يعمى ويصم — أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عباس باسناد ضعيف ، وأورده بنصه هنا « تمييز الطيب من الخبيث » لابن الربيع الشيبانى ص ٦٤ ورجحه .

وقال[1]: لا يُتْمَ بعد احتلام .

وقال: إياكم والذلة ! فان الذلة مع القلة[2] .

وقال: رضى الناس غاية لا تدرك .

وقال: لقاء الأحبة مسلاة للهم .

وقال[3]+: من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

وقال[4]: العلم خزائن ومفاتحها السؤال+.

وقال: الصحة والفراغ مغبون فيهما الناس .

وقال لعبد الله بن عباس[5]: يا ابن عم ! ألا أعلمك كلمات لعل الله[6] ينفعك بهن ؟ — قال ابن عباس: فقلت: نعم يا رسول الله ! — قال: احفظ الله يحفظك . تعرّف الى الله في الرخاء يعرفك فى الشدة . إذا سألت فاسأل الله ؛ وإذا استعنت فاستعن بالله ؛ وإن استطعت أن تعمل لله بالصدق فى اليقين فافعل ؛ وإن لم تستطع ذلك فان فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً . واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج بعد الكرب ، وأن مع العسر يسراً .

وقال[7]: ثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات: فأما المنجيات فخشيه الله

---

(١) أى اذا بلغ اليتيم أو اليتيمة زمن البلوغ الذى فيه يحتلم غالب الناس ، زال عنهما اسم اليتيم حقيقية وجرى عليهما حكم البالغين سواء احتلما أو لم يحتلما — ورد فى « الجامع الصغير » (٤٣٢/٣) ، وأخرجه داود عن على باسناد حسن .

(٢) ف : « وقال : اياكم والوشائظ ، فان ... » — والوشائظ السفلة ، رواه الشعبى (راجع لسان العرب ٣٤٦/٩) .

(٣) ورد هذا القول فى « نهج البلاغة » ١٤٢/٢ منسوبا الى على بن أبى طالب ورواه مسلم عن أبى هريرة .

(+ ... +) ما بين العلامتين ناقص فى ف .

(٤) فى « الجامع الصغير » (٤٣٣/٢) : ومفاتيحها ، وفى رواية : ومفتاحها ، أورده أبو نعيم فى الحلية عن على باسناد ضعيف .

(٥) ف : العباس رضى الله عنهما : يا عليم الا ..

(٦) ف : الله تعالى .

(٧) هنا ورد فى ف : وقالمن بطأ .. السؤال — وقد ورد قبل س ٥—٦ ..

فى السر والعلانية ، والاقتصاد فى الفقر والغنى ، والحكم بالعدل فى الرضا والغضب . والمهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه (١) .

وقال : أيها الناس ! لا تخالفوا على الله (٢) أمره ، فان فى الخلاف (٣) أن تسعوا فى عمران ما قضى [٤٨ب] الله فيه بالخراب (٤) .

وقال (٥) : حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، وردوا نوائب الدهر بالاستغفار .

سئل : أى الأعمال أفضل ؟ — فقال : أن تدخل على أخيك سروراً أو تكشف عنه غما أو تطعمه عن حاجة .

وقال : من رأى أنه مسىء فهو محسن .

وقال : سيئة تسوؤك خير من حسنة تعجبك .

وقال : إذا قال العبد : اللهم اغفر لى ! — قال له ربه سبحانه وتعالى (٦) : قد غفرت لك ولكنك لا تعلم .

وقال (٧) : من أذنب ذنباً فأوجعه قلبه عليه غفر له ذلك الذنب ، وإن لم يستغفر منه .

---

(١) ورد فى «الجامع الصغير» (٢\١٧٤) هكذا : « ثلاث منجيا : خشية الله تعالى فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الفقر والغنى ؛ وثلاث مهلكات : هوى متبع ، وشح مطاع ، واعجاب المرء بنفسه » — أخرجه أبو الشيخ فى التوبيخ عن أنس ، واسناده ضعيف ، كما أورد بعده صيغة أخرى ، أخرجها الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر بن الخطاب باسناد ضعيف .

(٢) ف : الله عز وجل . (٣) ف : من . (٤) ص : بابحراب ! .

(٥) فى « الجامع الصغير » (٢/٢٠٧) ورد هكذا : « حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصداقة ، وأعدوا للبلاء الدعاء — أخرجه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية والخطيب البغدادى عن ابن مسعود باسناد ضعيف ؛ وفى رواية أخرى : حصنوا ... بالصدقة واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع — أخرجه أبو داوود فى مراسليه عن الحسن البصرى مرسلا . (٦) وتعالى : ناقصة فى ف .

(٧) ورد فى « الجامع الصغير » (٣/٢٤٥) بهذا المعنى حديثان هما : — ا — من أذنب ذنبا فعلم أن له ربا ان شاء أن يغفر له غفر له ، وان شاء أن يعذبه عذبه ، كان حقا على الله أن يغفر له — أخرجه الحاكم فى المستدرك ، وأبو نعيم فى الحلية عن أنس ؛ — ب — من أذنب ذنبا فعلم أن الله قد أطلع عليه غفر له ، وان لم يستغفر ، — أخرجه الطبرانى فى الأصغر عن ابن مسعود باسناد ضعيف .

وقال : ما مست عبداً نعمة فعلم أنها من الله تعالى إلا كتب له شكرها وإن لم يحمده .

وقال : يا ابن آدم ! لست ببالغ أملك ، ولا بدافع أجلك ، ولا بمرفوع عن رزقك ، فبماذا تشقى نفسك يا شقى ، يا شقى !

ما يؤثر[1] عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام

قال : ما أخذ الله تعالى على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعَلِّموا .

وقال : وحشة الانفراد أبقى للعز من أنس التلاقى .

وقال : احذر من يطريك بما ليس فيك ، فيوشك أن يبهتك بما ليس فيك .

وقال : البخل والجبن والحرص من أصل[2] يجمعهن سوء الظن بالله تعالى .

وقال : نعمة الجاهل كروضة[3] على مزبلة .

وقال جابر بن عبد الله[4] : قال لى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه[5] السلام : يا جابر ! قيام الدنيا بأربع تبقى ما بقيت : عالم يستعمل علمه ، وجاهل [١٤٩] لا يستنكف[6] أن يتعلم ، وغنى يجود بمعروفه ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه . فاذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم ويأخذ من علمه ؛ وإذا[7] بخل الغنى بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه — فاذا فعلوا ذلك تعسوا وانتكسوا ؛ فهناك الويل لهم ، ثم[8] العويل عليهم .

---

(١) ما يؤثر : لم يرد فى ف . (٢) ف : أصل واحد . (٣) ف : فى .

(٤) جابر بن عبد الله الأنصارى — وقد وردت هذه الفقرة فى « نهج البلاغة » ج ٢ ص ٢٢٤ ، مع اختلاف فى الرواية وزيادة هنا ونقص هناك — وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد ، من الستة نفر الذين أسلموا من الأنصار أول من أسلم منهم بمكة . شهد بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها مع النبى ، وروى عن النبى ، وتوفى وليس له عقب فى سنة ٧٧ هـ وقيل ٧٨ هـ — راجع عنه : « طبقات » ابن سعد ج ٣ ق٢ ص ١١٤ ؛ « النجوم الزاهرة » ج ١ ص ١٩٦ ، ص ١٩٨ .

(٥) ف : صلوات الله عليه وسلامه . (٦) ف : يأنف .

(٧) يتعلم و : ناقصة فى ص . (٨) ف : والعويل .

وقال فى آخر خطبة(١) : أما بعد ! فان ذمتى رهينة ، وأنا بها زعيم . لا يهيج زرعُ قومٍ على التقوى . وإن الخير كله فيمن عرف قدر نفسه . وكفى بالمرء جهلا أن(٢) لا يعرف قدر نفسه .

وقال : إن البخيل فقير غير مأجور .

وخطب عليه السلام فقال : احذروا الدنيا فانها عدوة أولياء الله وعدوة أعدائه : أما أولياؤه فغمتهم ، وأما أعداؤه فغرتهم .

وقال : تجنبوا الأمانى فانها تذهب بهجة ماخولتم(٣) وتصغر مواهب الله عندكم(٤) وتعقبكم الحسرات على ما أوهمتكم أنفسكم(٥) .

وقال : إنما زهد الناس فى طلب العلم ما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نعوذ بالله من علم لا ينفع(٦) .

وقال : كل شيء يعز حين ينزر ، والعلم يعز حين يغزر(٧) .

وقال : اطلب الرزق من حيث كفل لك به ، فان المتكفل لا يخيس(٨) به ؛ ولا تطلبه من طالب مثلك لا ضمان له عليه إن وعدك أخلفك ، وإن ضمن لك خاس بك .

وكتب(٩) عليه السلام إلى سلمان رحمه الله وهو بالمدائن والياً عليها : أما بعد! فان الدنيا مثلها مثل الحية لَيِّنٌ مَسُّها ، يقتل سمها . فأقلل ما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها ، ودع غمك(١٠) بهمومها لما أيقنت من فراقها ؛ وكن آنس [٤٩ب] ما تكون بها أحذرَ ما تكون منها : فان صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخصته منه إلى مكروه(١١) .

---

(١) ف : خطبة خطبها .
(٢) ف : أن يجهل قدر نفسه .
(٣) ف : ولم .
(٤) ف : الله عز وجل .
(٥) ف : نفوسكم .
(٦) راجع هذا الحديث قبل ص ١٠٤ س ٩ .
(٧) ص : يقزر ، والتصحيح بهامشها — وينزر : يقل .
(٨) خاس عهدَه وبعهده : نقضه وخانه ؛ خاس فلان بوعده ، يخيس : أخلف .
(٩) ورد فى « نهج البلاغة » (ج ٢ ص ١٢٨ . نشرة الحلبى ، القاهرة من دون تاريخ) مع اختلاف فى ألفاظ الرواية .
(١٠) فى « نهج البلاغة » : وضع عنك همومها ...
(١١) ص : مكروه السلم ! — وفى « نهج البلاغة » : أشخصته عنه الى محذور .

ووصف جعفر بن يحيى البلاغة ثم قال : هو مثل كلام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال : « أين من سعى واجتهد ، وأعد واحتشد ، وجمع ومدد ، وبنى وشيد ، وفرش ومهد » ! — فاتبع كل لفظة لفظة تناسبها . ولو نقل بعض الألفاظ إلى بعض لكان كلامه مستوياً ، ولكن : أين سماء من أرض !

وقال : المسؤول حر حتى يعد .

وقال : الساعى ظالم لمن سعى به ، خائن لمن سعى إليه .

وقال : رب حياة سببها التعرض للموت ، ورب منية سببها طلب الحياة .

وقال : أجموا النفوس والتمسوا لها طرف الحكمة ، فانها تمل كما يمل الجسد.

وقال : الفقيه الواعظ هو الذى لا يُقنط الناس من رحمة الله تعالى (١) ، ولا يؤمنهم من مكر الله ، ولا يوئسهم من رَوْح الله ، ولا يرخِّص لهم فى معاصى الله .

وقال : حسن الظن أن لا ترجو إلا الله ولا تخاف إلا ذنبك .

وقال : ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه لأن الله تعالى يقول : « من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها » (٢) .

وسأله رجل عن الرجل يذنب (٣) ويستغفر ، ثم يذنب ويستغفر ، ثم يذنب ويستغفر ، فقال (٤) عليه السلام : يستغفر أبداً حتى يكون الشيطان الحسير (٥) .

وروى الحسن بن على عليهما السلام عن أبيه أنه قال : يقول الله عز وجل : يا ابن آدم ! إذا عملت بما افترضت عليك فأنت من أعبد الناس ، وإذا اجتنبت ما نهيتك عنه فأنت من أورع الناس ، وإذا اقتنعت بما رزقتك فأنت من أغنى الناس (٦) .

سئل أمير المؤمنين على عليه السلام عن النعيم فقال : من أكل خبز البُر [١٥٠] وشرب ماءاً فراتا وأوى إلى ظل ، فهو فى نعيم .

---

(١) تعالى : ناقصة فى ف .

(٢) سورة « فصلت » آية : ٤٦ ، وسورة « الجاثية » : ١٤ .

(٣) ف : يذنب الذنب .

(٤) ص : وقال .

(٥) الحسير : الشديد الندامة على أمر .

(٦) واذا اجتنبت ... الناس : ناقصة فى ص .

وقال : « ألا[1] إن الخطايا خيل شُمْس[1] حمل عليها أهلها ، ونزعت عنها لجمها ، فأقحمت بهم[2] إلى النار فهم فيها كالحون . ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها وأعطوا أزِمَّتها ، ثم أنزلوا وفتحت لهم أبواب الجنة « وقيل : ادخلوها بسلام آمنين »[3] .

وقال فى خطبة له : أحسن الأمور عند الله أحسنها عند الناس ، لأن الله لا يأمر إلا بالحسنى[4] ، ولا ينهى إلا عن القبيح ؛ ولا تخافوا ظلم ربكم[5] وخافوا ظلم أنفسكم .

وقال فى خطبة أخرى : اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطى ، ولك الحمد على ما تُبْلى وتبتلى — حمداً يكون أرضى الحمد لك ، وأحب الحمد إليك ، وأفضل الحمد عندك ، حمداً يبلغ ما أردت ، وحمداً لا يحجب عنك ولا يقصر دونك ، ويبلغ فضل رضاك . — ثم قال : أوصيكم بخصال لو ضربتم إليها آباط[6] الإبل كُنَّ أهلا لها : لا يرجونَّ أحد إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحيين إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم ! ، ولا يستحيين إذا لم يعلم الشىء أن يتعلمه .

وقال : من قوى[7] فليقْوَ على طاعة الله ، ومن ضعف فليضعف عن محارم الله — فكان[8] ابن المقفع يقول : ليجتهد البلغاء أن يزيدوا فى هذا حرفاً ! — من اقتصد فى الغنى والفقر فقد استعد لنوائب الدهر . اشكر من أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك . من أخافك حتى آمنك خير لك ممن آمنك حتى أخافك . لا تعدَّن شراً ما أدركت به خيراً . ما منعنى رعاية الحق له من إقامته[9] عليه .

...

---

(١) ألا : ناقصة فى ف — وشمس : جمع شموس وهو النفور من الدواب الذى لا يستقر لشغبه وحدته ، وقد توصف به الناقة ، قال أعرابى يصف ناقة : انها لعَسوس شَموس ضروس نَهوس .

(٢) ف : فاقتحمت بهم النار . (٣) سورة « الحجر » آية : ٤٦ .

(٤) ف : بالحسن . (٥) ف : ولكن .

(٦) جمع ابط (بكسر الهمزة وسكون الباء) : باطن المنكب .

(٧) ص : قرى . (٨) ف : وكان .

(٩) ف : اقامة الحق عليه .

وروى[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : للعبد بين يدى الله عز وجل خمسون موقفاً كل موقف ألف عام [٥٠ب] . فقال بعض المفسرين: هذا الخبر موافق[2] لقول الله تعالى : « تَعْرُجُ الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »[3] .

أوحى[4] الله تعالى إلى بعض الأنبياء : إن عبدى يستخيرنى فى أمر ، فاذا خِرْت له لم يَرْضَ به .

وقيل فى قوله عز وجل : « أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى »[5]ـ أذهب عنهم الشهوات .

وقيل فى قوله عز وجل: « ولكنكم فتنتم أنفسكم »[6]ـ قال : بالشهوات .

وقال بعض العارفين : نعم يا رب ! قلتَ إنى غفور ـ أفلا أتقى الغفور وأعبده ؟ !

وفى الوحى القديم : مسكين عبدى ! يسره ما يضره !

وصَّى حكيمٌ ابنه فقال : إذا أردت أن تؤاخى إنساناً فأغضبه قبل ذلك ثم عامله ؛ فان أنصفك ـ وإلا فاحذره .

وقال الحسن : ما كتمته من عدوك فلا تظهر عليه صديقك .

وقال آخر : هاجر إلى الراغب فيك .

سئل بعضهم عن المروءة فقال : إفاضة المعروف : إما بلسانك ، وإما عالك ، وإما بجاهك .

وقال : حاجب الرجل عامله على عرضه . الجود حارس الأعراض . من رضى عن نفسه رأى فيه غيره ما لا يرى[7] . المنتمون إلى العلم كثير ، وإن حصلوا أفناهم التحصيل . أصاب مُتَأَنٍّ[8] أو كاد ، وأخطأ مستعجل أو كاد .

---

(١) من دون واو فى ف • (٢) ف : لما قال •
(٣) سورة « المعارج » آية : ٤ •
(٤) أى اخترت ؛ وخاره على صاحبه خَيراً وخيرة • وخيره : فضَّله ؛ خارله : أتاه بالخير •
(٥) سورة « الحجرات » آية : ٣ • (٦) سورة « الحديد » آية : ١٣ •
(٧) ف : من رضى عن نفسه كثرت الساخطون عليه • **وهذا من كلام أمير** المؤمنين عليه السلام : المنتمون الى العلم •••
(٨) فى صلب ص : متأمل ، وبهامشها : متأنى \ ف : متأمل •

قيل[١] لبعض العلماء : إن أبا ذرّ[٢] كان يقول : « الفقر أحب إلىّ من الغنى ، والسقم أحب إلى من الصحة ، والموت أحب إلى من الحياة » — فقال : رحم الله أبا ذرّ ! ولكنى أقول : من توكل على الله حق توكله فى حسن الاختيار له لم يحب أن يكون فى حال سوى حاله .

وقال : إذا أراد الله بعبد خيراً آنسه بالوحدة .

وقال الربيع بن خيثم[٣] : تعلموا العلم ، فاذا تعلمتم فاعتزلوا الناس[٤] !

وقال آخر : لو لم تكن فى الوحدة من الراحة [١٥١] إلا الخلاص من مداراة الناس والسلامة من شرهم ، لكان كثيراً طيباً .

وقال[٥] بعض الأمراء لرجل زاهد مجتهد : ما رأيت أزهد منك ولا أصبر ! قال : أما زهدى فرغبة كله ، وأما صبرى فجزع كله . فقال : فسر لى ما قلته ! قال : أما زهدى فللرغبة فيما هو أعظم مما أنت فيه ، وأما صبرى فللجزع من النار .

لسان[٦] العلم الصدق . الكذب أكثر ما أنت سامع . لا تحدث الكذوب بالصدق فيشك فيك . اللغة الحلّافة[٧] تدل على كذب أصحابها . اصبر على عمل

---

(١) ف : وقيل .

(٢) أبوذر الغفارى : صحابى كبير ، عرف بالزهد والبعد عن الدنيا ، وانطوى على نفس كبيرة تشارك الفقراء وتحرص على معانى الانسانية والعدالة الاجتماعية . — راجع عنه : « الكواكب الدرية » ج ١ ص ٤٧ (وفيها أنه توفى سنة ٣٢ هـ) ؛ «الحلية» ج ١ ص ١٥٦ — ص ١٧٠ ؛ و « المعارف » لابن قيبة (القاهرة سنة ١٩٣٥) وفيه أنه توفى بالربذة سنة ٣٢ هـ .

(٣) هو الربيع بن خيثم الثورى ، يكن أبا يزيد ، من أكابر التابعين المشهورين بالزهد ، كثير الاحسان كثير البكاء ، رآه ابن مسعود فقال له : لو رآك رسول الله لأحبك وأوسع لك الى جنبه (« صفة الصفوة » ج ٣ ص ٣٢ س ٢ — س ٣) . توفى فى أواخر أيام معاوية (« الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٠٧ س ٥) ، « توفى بالكوفة فى ولاية عبيد الله بن زياد عليها » (« صفة الصفوة » ج ٣ ص ٣٦ ، السطرين الأخرين) . — راجع عنه : ابن الجوزى : « صفة الصفوة » ج ٣ ص ٣١ — ص ٣٦ (وفيه يرد اسمه هكذا : ابن خثيم) ، المناوى : « الكواكب » ج ١ ص ١٠٦ — ص ١٠٧ / وفى ف : خثيم .

(٤) الناس : ناقصة فى ف . (٥) أول الورقة ١٤٤ فى ط .

(٦) العلم ... بالصدق : ناقص فى ف .

(٧) أى التى يكثر فيها الحلف والأيمان .

لابد لك من ثوابه ، وعن عمل لا صبر لك(١) عن عقابه . أَعَلُّ القلوب قلب حاسد . أنغص الناس عيشاً الحسود . خير الأمور مغبةً العفو .

قيل لبعضهم(٢) : لم تجمع المال وأنت حكيم(٣) ؟ قال : لأصون به العرض ، وأؤدى منه الفرض ، وأستغنى به عن القرض .

قيل لبعض الصالحين : فلان يشتمك — وكان(٤) صديقاً له — فقال : هو فى حِلّ . فقيل له : ولم ؟ — قال : ما أحب أن يثقل الله ميزانى بأوزار إخوانى.

وقيل(٥) : ليس على المذنب أكثر من التوبة ؛ فكيف يكون على من لا ذنب له أكثر من الاعتذار ؟ !

وقيل لاعرابى : كم ولداً(٦) لك ؟ — قال : لى عند الله خمسة ، وله عندى ثلاثة .

وقال رجل لابن السَّمّاك : عظنى ! فقال : أحذرك أن تُقْدِمَ على جنة عرضها السموات والأرض ، وليس لك فيها موضع قدم !

وقال آخر : الويل لمن ضاقت عنه رحمة(٧) الله التى وسعت كل شىء !

وقال حكيم : لو رأيتم مسير الأجل لأعرضتم عن غرور الأمل .

سب رجل حكيما فأعرض عنه ، فقال له : لك أقول(٨) . فقال : وعنك أُعْرِض .

كلم رجل[٥١ب] بعض السلاطين بغليظ الكلام فقال : لقد أقدمت علىّ بكلامك . فقال : لأنى(٩) كلمتك بعز اليأس لا بذلِّ الطمع .

وقال(١٠) آخر : عجبت لمن ظلم لغيره كيف ينصف من نفسه ! وعجبت لمن أنصف من نفسه كيف يظلم لغيره !

---

(١) ف : على .
(٢) ف : لبعض الناس : لم تجتمع ...
(٣) ص : حليم .
(٤) وكان صديقا له : وردت فى ص
(٥) ف : وقال .
(٦) ص : ولد ، وكذا فى ف .
(٧) ص : برحمة .
(٨) ص : لقول \ له : ناقصة فى ط .
(٩) ف : انى .
(١٠) ط : وقال آخر : عجبت لمن أنصف ...

وقال الحسن البصرى : الدنيا جيفة والناس كلابها .

وقال : من لم يقف مواقف التهمة لم يكن له أجر الغيبة .

وقال الحسن بن على عليهما السلام [1] : الحمد لله الذى لو كلف[2] الجزع على المصيبة لصرنا إلى معصيته ، وآجرنا على الصبر الذى لابد من الرجوع إليه .

وقال[3] جعفر بن محمد لأصحابه : عليكم بالصبر ! فان به يأخذ الحازم وإليه يعود الجازع[4] .

وقيل لحكيم : هل تعرف[5] أجلّ من الذهب ؟ — قال : نعم ! المستغنى عنه .

تعزية : إن الماضى قبلك أنت المأجور فيه ، وإن الباقى بعدك هو المأجور فيك .

وقال التيمى[6] : إن الله تعالى أنعم على المخلوق بقدر قدرته ، وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم .

وقال آخر : أفضل الناس من تواضع عن رفعة ، وتزهد عن ثروة ، وأنصف عن قوة .

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : نحن بخير ما أبقاك الله[7] . فقال : أنت بخير ما اتقيت الله تعالى .

---

(١) ف : وقال رحمه الله .

(٢) ص : اكلفنا .

(٣) لعله : أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير البغدادى الخواص ، الخلدى ، الزاهد ، شيخ الصوفية — توفى سنة ٣٤٨ هـ — راجع « شذرات الذهب » جـ ٢ ص ٣٧٨ .

(٤) وقال الحسن ... الجازع : ناقص فى ط .

(٥) ف : أتعرف ...

(٦) وجدنا بهذا الاسم : سليمان بن طرخان التيمى : كان من العباد المجتهدين ، وكان هو وابنه يدوران بالليل فى المساجد فيصليان مرة فى هذا ، ومرة فى هذا حتى يصبحا . وقد مكث فى قبة لبود قرابة ثلاثين سنة وتوفى بالبصرة سنة ١٤٣ هـ . — راجع عنه : « صفة الصفوة » جـ ٣ ص ٢١٨ — ص ٢٢١ .

(٧) أول ورقة ١٥٢ فى ط .

تزوج بعض الصالحين امرأة[١] صالحة فقال لها : إني سيء الخلق . فقالت له : أسوأ خلقاً منك من يلجئك[٢] إلى سوء الخلق .

قال بعض العقلاء : أعقل الناس أعذرهم عند الناس .

وقال آخر : من لم يتحرز من علمه بعقله هلك من قبل علمه .

قيل للأعمش[٣] : يا أبا محمد ! إنك لتحب[٤] الدراهم — فقال : [٥٢ ا] إنما أحب الاستغناء عن مثلك .

< من إشارات الصوفية >

من عجيب إشارات الصوفية أن بعضهم سمع قوماً يقرأون القرآن فقال : ويحكم ! « لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب »[٥] .

وسأل بعضهم صديقاً له غنياً المواساة[٦] فقال : لك رب فاطلب منه . فقال الصوفي : إني لأستحيي من ربي أن أطلب منه سواه .

وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : إذا أحرزت[٧] النفس قوتها اطمأنت — فقال : قوتها معرفة الله عز وجل . — وسئل[٨] عن الزاهدين من هم ؟ فقال : كلكم زاهدون في الله عز[٩] وجل .

---

(١) ف : بامرأة .

(٢) ص : يلحبك / ط : سوء .

(٣) الأعمش لقب الامام : أبو محمد سليمان بن مهران الأسدى الكاهلى . روى عن ابن أبي أوفى وأبي وائل . وكان محدث الكوفة وعالمها ، واسع الباع في الفرائض وحفظ الحديث ، توفى في ربيع الأول سنة ١٤٨ هـ — راجع عنه « شذرات الذهب » ج ١ ص ٢٢٠ ص ٢٢١ ؛ « المعارف » لابن قتيبة ص ٢١٤ (وفيه أنه ولد يوم مقتل الحسين بن علي ، في عاشوراء سنة احدى وستين) .

(٤) ف : تحب الدرهم .

(٥) سورة « طه » آية ٦١ — ويسحتكم (بضم الياء وتقرأ بفتحها وفتح الحاء) : يستأصلكم .

(٦) ص : من صديق له غنى عن المواساة — والتصحيح عن ف .

(٧) ص : أحزرت .

(٨) وسئل عن الزاهدين ... عز وجل : ناقصة في ص .

(٩) ف : الله تعالى .

وسُئل عن الأنس فقال : وحشتك من نفسك .

وقال آخر : لو أن الدنيا مملوءة حيات وعقارب وسباعاً[1] وأفاعى ما خفتها ؛ ولو بقى فيها من البشر[2] واحد لخفته لأن البشر شر منها .

وقال آخر : إلهى ! إن قصدتك أتعبتنى ، وإن هبت منك طلبتنى ؛ ليس معك راحة ، ولا فى سواك أنس ، فالمستغاث بك منك ! — وهذا يشبه قول الآخر : يا عجبا كل العجب ! أشكو إليه منه ، وأهرب منه إليه ، وأستعين به عليه ، وأتوب منه إليه ، وأطيعه به ، فكله هو.

وقال آخر : من عرف مقدار ما يطلب هان عليه ما يبذل .

وسئل بعضهم عن قول الله عز وجل : « وأما السائل فلا تنهر »[3] — قال : هو سائل العلم . وفى القرآن مثله : « عبس وتولى . . . »[4] وما يليه .

وسئل عن قول النبي عليه[5] السلام : « إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا ربكم العافية ! » — فقال : هم أهل الغفلة عن ذكر الله تعالى[6] .

وقال فى قوله تعالى جده : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه[7] » فقال : أوجده الهمةَ [٥٢ب] ليذوق طعم العصمة .

نظر بعض الملوك إلى ملكه فأعجبه فقال : إنه لملك لولا أن بعده لهلك ، وإنه لسرور لولا أنه غرور ، وإنه ليوم لو كان يوثق له بغد .

وقال بعضهم : أعظم حجاب العارفين الجنة . فقيل[8] : ولم ؟ فقال[9] : لأن الاشتغال بها وبذكرها عن الحق نفسه هو[10] المصيبة الكبرى . قيل له : ولم تكره الجنة ؟ قال : لأنها خرجت من تحت ذلكن .

---

(١) وأفاعى : ناقصة فى ص ، ف .
(٢) ط : واحد من البشر .
(٣) سورة « الضحى » آية : ١٠ — قول الله : فى ط : قوله .
(٤) سورة « عبس » آية : ١ . (٥) ف : صلى الله عليه آله وسلم .
(٦) تعالى : ناقصة فى ط/ف : الله عز وجل .
(٧) سورة « يوسف » آية : ٢٤ . (٨) ف : قيل .
(٩) ص : قال . — الاشتغال : نهاية الورقة ٥٢ ف فى ط .
(١٠) هى : فى ص .

روى أن بعض الأنبياء أتاه مَلَكٌ ، فقال : قد جئتك بالعقل والدين والعلم فاختر أيها[1] شئت ! — فاختار العقل . فقال الملك : الدين والعلم ارتفقا[2] فقالا : أمرنا ألا نفارق العقل . وقد أجمع العلماء على أن من لم يكن عقله أكمل ما فيه كان هلاكه بأكمل ما فيه . يحكى أن أبا ربيعة النحوى قال : حدثت بهذا الحديث الأصمعى[3] فقال : هذا حسن ؛ وعندى آخر يشبهه : كانت العرب تقول : من كانت فيه خصلة هى أكمل من عقله فبالحرى أن تكون سبب منيته . فحدثت بهذين الحديثين أبا عبيدة[4] فقال : هما حسنان ؛ وعندى أحسن منهما : كانت العرب تقول : من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه فى أغلب خصال الخير عليه . فحدثت بهذه الأحاديث أبا دلف[5] فقال : هذه حسان ، وعندى آخر يشبهها : كان العلماء يقولون : كل شىء إذا كثر رخص ، إلا العقل : فانه إذا كثر غلا .

فأما حديث الخليل بن أحمد لما اجتمع مع ابن المقفع وما قال أحدهما للآخر[6] فهو مشهور[7] .

---

(١) ف : أيهما · (٢) ف : ارتفعا ·

(٣) أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى الباهلى ، تلميذ أبى عمرو بن العلاء وخلف الأحمر ، ولد سنة ١٢٣ وعاش نيفا وتسعين سنة — راجع ابن الأنبارى ١٥٠ ، ابن خلكان ٣٥٢ ؛ بروكلمن ١\١٠٤ ·

(٤) أبو عبيدة هو معمر بن المثنى ، مولى لتيم قريش ، وكان عالما بأخبار العرب وأيامهم ، وكان مع ذلك يبغض العرب ، شعوبيا متعصبا ، ألف فى مثالب العرب كتابا ؛ وكان يرى رأى الخوارج ، توفى سنة ٢١٠ أو ٢١١ — راجع عنه : « المعارف » لابن قيبة ص ٢٣٦ (طبع مصر سنة ١٩٣٥) ؛ ابن خلكان ، ترجمة رقم ٧٠٢ ، شذرات الذهب ٢/٢٤ ؛ بروكلمن ١/١٠٢ ؛ ابن الأنبارى ص ١٣٧ الخ ·

(٥) أبو دلف : لعله أبو دلف القاسم بن عيسى ، العجلى ، أحد قواد المأمون ثم المعتصم ، وكان جوادا شجاعا ، أخذ عنه الأدباء والفضلاء ، توفى سنة ٢٢٥ أو سنة ٢٢٦ ببغداد — راجع ابن خلكان ، ترجمة رقم ٥١١ · (٦) ف : فى الآخر ·

(٧) أورده ابن خلكان (ج ٢ ص ١٧) هكذا : « اجتمع الخليل وعبد الله بن المُقَفَّع ليلة يتحدثان الى الغداة · فلما تفرقا قيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : رأيتُ رجلاً علمه أكثر من عقله · وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : رأيت رجلا عقله أكثر من علمه » ·

وأوحى الله تعالى إلى [١٥٣] بعض الأنبياء : لا تسكر ، فان السكر يذهب عنك أحب خلقى إلىّ وهو العقل .

وأوحى إلى بعض الأنبياء : إذا قصدنى عبدى فقد وصل إلىّ .

وقال بعض العلماء : لأن يطلب الرجل الدنيا بأقبح ما تطلب به الدنيا أحسن من أن يطلبها بأحسن ما تطلب به الآخرة .

رأى محمد بن واسع(١) رجلا يضحك فقال له : لو رأيت فى الجنة رجلا يبكى ، ألست كنت تتعجب منه ؟ — قال : بلى ! — قال : فالذى يضحك فى الدنيا ولا يدرى إلى أين مصيره أعجب منه .

غاية البطل الرامى أن يقتل سهمه رجلا واحداً ، لكن كيد العاقل يقتل برمية واحدة الجيشَ بأسره .

وقال بعض الأمراء لوزيره : مُرْ جُباة الأموال بالرفق وترك الخرق، فان العَلَقة تنال من الدم بغير أذى ولاسماع صوت ما لاتناله البعوضة بِحَرِّ لسانها(٢) وهول صوتها .

ألفاظ لبعض الملوك الأدباء

الحرص ينقص قدر المرء ولا يزيد فى حظه . الحسد والكذب والنفاق أثافىُّ الذل . الجزع أتعب من الصبر . عود الحياة كل يوم يعتصر . من أرخى عنان أمله عثر بأجله . المقتصد أطول أكلا وأدوم فضلا . شر السلاطين من خافه البرئ . إصلاح المال خير من طلبه . الأمل سلطان الشيطان على قلوب الغافلين .

. . .

مكتوب فى التوراة : « أطعنى فيما أمرتك — فما أعرفنى بما يصلحك ! »

---

(١) أبو عبد الله محمد بن واسع : زاهد كثير الخشوع ، مستمر البكاء حتى كان وجهه يرى كأنه وجه ثكلى ، وروى عن جمع من التابعين . مات بعد الحسن البصرى بعشر سنين ، أى كأنه توفى سنة ١٢٠ هـ — راجع عنه « حلية الأولياء » ج ٢ ص ٣٤٥ — ص ٣٥٧ ؛ « الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٦١ — ص ١٦٢ .

(٢) ف : لسعتها .

يقال[1] إن أول حرف كتب في الزبور[2] : « طوبى لرجل لم يسلك طريق الخطائين ، ولم يعمل أعمال المذنبين » . — وأول حرف كتب في الألواح من التوراة : « ويل للظلمة » .

ومما يؤثر في الوحي القديم : يقول الله تعالى[3] : يا ابن آدم ! لو أن لك الدنيا كلها [٥٣ب] لم يكن لك منها إلا القوت . فاذا أنا أعطيتك القوت منها وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن .

وقال بعضهم : أعيا[4] ما يكون الكريم إذا سأل حاجة لنفسه ، وأعيا ما يكون الحكيم إذا خاطب سفيهاً !

وكانوا[5] يقولون : الصبر صبران : صبر عما[6] تهوى ، وصبر على ما تكره . ثم اختلفوا : فقال بعضهم[7] : الصبر عما تهوى أفضلهما ، وقال آخرون : الصبر على ما تكره أفضلهما .

أتى رجل مطيع بن إياس[8] فقال : جئتك خاطباً مودتك ! — فقال له[9] مطيع : فاجعل المهر أن لا تقبل فيّ قولَ الناس .

وقال عبد الله بن صالح[10] : دخل عليّ طاووس وأنا مريض فقلت له : يا أبا عبد الرحمن ! ادع الله لي ! فقال : ادع لنفسك فانه يجيب المضطر إذا دعاه .

وقال الأحنف : الشكر في ثلاثة[11] منازل : محبة في القلب ، وثناء باللسان ، ومكافأة بالفعل .

---

(١) ان : ناقصة في ف .
(٢) راجع « مزامير داوود » في الكتاب المقدس : أصحاح ١ ، آية : ١ .
(٣) ف : تبارك وتعالى . (٤) ف : أغنى .
(٥) ص : كان . (٦) ص : على عما !
(٧) بعضهم : ناقصة في ص .
(٨) شاعر يعد أول المجددين في عصره ، كان أبوه من فلسطين وممن أرسلهم عبد الملك لقتال ابن الزبير وابن الأشعث ، ولد مطيع ونشأ في الكوفة ، وبرز في عهد الوليد بن يزيد ؛ ثم حظا برضا المنصور ، وتوفي في رجب سنة ١٧٠ هـ \ يناير سنة ٧٨٧ — راجع عنه « الاغاني » ج ١٢ ص ٨١ — ص ١١١ (ط١) أو ٧٥ — ١٠٥ (ط٢)
(٩) له : ناقصة في ف . (١٠) ص : أبي صالح .
(١١) ص : ثلاث .

وقال محمد بن الحنفية فى قوله عز وجل[1] : « فاصبر صبراً جميلا »[2] — قال : صبراً لا يشوبه الشكوى إلى الناس . فقال : ومن شروط الصبر أن تعرف كيف تصبر ، ولمن تصبر ، وما تريد بصبرك ، وإلا كنت كالبهيمة تصبر أو تضطرب من غير معرفة بحقوق الصبر ولا وضعه فى موضعه .

جُعِلَ لرجل جُعْلٌ على أن يسفه الأحنف ، فأتاه ، فقال له[3] : يا أبا بحر ! لا حياك الله — فضحك ، وقال : هل لك فى طعام[4] أو شراب ؟ فانك تحدو بجمل ثقال — وجعل لآخر شيء على أن[5] يستخفه ؛ فأتاه فأوسعه شتما ، فتبسم وقال : ما أعلمهم أين وضعوا خطرهم . — وعابه رجل بالدمامة وقال : لأن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه — فقال : لقد عبتنى بمـــا لم أوامر فيه .

كان أكثم بن صيفى يقول : من إكرام الرجل نفسه ألا يتكلم بكل ما قد أحاط به علماً . والعرب تقول : رب [١٥٤] كلمة تقول : دعنى !

وكان فى محراب غمدان مكتوباً[6] بالسند : فى صدره : سلط السكوت على لسانك إن كانت العافية من شأنك ، وفى الجانب الأيمن منه : السلطان نار فانحرف عن مكافحتها ؛ وفى الجانب الأيسر منه : وَلِّ الثكل[7] أمَّ غيرك .

وقيل لعيسى عليه السلام : دلنا على صالح عمل نستحق به الثواب ! فقال : لا تنطقوا أبداً ! فقالوا : وكيف نستطيع ذلك ؟ فقال : فلا تنطقوا[8] إلا بخير .

وقال حكيم : إنما حمد الناسُ السكوتَ لأنه وعاء الأخبار[9] ، وتأوّلوا قولهم : لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب : إن الكلام لو كان فى طاعة الله من فضة لكان السكوت والامساك عن معاصيه من ذهب .

---

(١) سورة « المعارج » آية : ٥ .
(٢) ص : فاصبر الصبر الجميل — والتصحيح بالهامش .
(٣) له يا : ناقصة فى ف .
(٤) ف : و . (٥) ف : أنه .
(٦) ص : مكتوب / ف : عمـــدان — راجع عن غمـــدان وقصر غمـــدان : « معجم البلدان » لياقوت ج ٦ ص ٣٠١ — ص ٣٠٣ .
(٧) ص : الكلل أمر . (٨) ف : لا . (٩) ف : الاختيار .

وحكى الخليل بن أحمد[1] عن بعض الملوك ممن طال عمره فى ملكه ، وقد جرى بين يديه[2] ذكر الندم — على أى شيء أندم ؟ — قال : على اجتهادى فى رضا من لا شكر له .

وكان المأمون يقول : إنما يراد الملك لنفاذ الأمر ، وإنما يراد نفاذ الأمر لتحاز به الدنيا ، وإنما تحاز الدنيا لتعطى المستحقين ؛ وإلا ، فما قدر حظك منها ؟ !

وقال بعض الصحابة : ما كذبت[3] منذ أسلمت ، إلا أن الرجل يدعونى إلى طعامه فأقول : ما أشتهيه .

وقيل لرقبة[4] بن مصقلة : إنك لتكثر[5] الشك فى الحديث . فقال : تلك محاماة على اليقين .

وقيل لبعضهم : ما أحسن بالانسان أن يصبر عما يشتهى ! فقال : أحسن منه ألا يشتهى إلا ما ينبغى . وقد قيل : إن من العصمة أن لا تجد .

وقال عبد الله بن مسعود [6] : اجعلوا بينكم وبين الحرام حاجزاً من الحلال .

---

(١) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، الفراهيدى ، النحوى اللغوى الشهير ، وأول من استخرج العروض ، وكان زاهدا وكان شاعرا مقلا · توفى بالبصرة سنة ١٧٠ وعمره ٧٤ سنة — راجع : « الفهرست » لابن النديم (ص ٦٣ — ص ٦٤ ، طبع مصر) ، ابن خلكان (رقم ٢٠٦) ، ياقوت ١٨١/٤ بروكلمن الملحق جـ١ ص١٥٩ الخ·

(٢) بين يديه : ناقصة فى ص ·

(٣) ص : مذ — وما أثبتناه عن ف ·

(٤) رقبة من مصقلة بن عبد الله العبدى ، الكوفى ، أبو عبد الله · روى عن أنس فيما قيل ، ويزيد ابن أبى مريم وأبى اسحق · محدث ثقة ؛ وكان مفوها ، وقال الدارقطنى : ثقة الا أنه كانت فيه دعابة — راجع عنه : « تهذيب التهذيب » جـ ٣ ص ٢٨٧ ؛ توفى سنة ١٢٩ على ما رواه ابن الأثير ·

(٥) ف : الكثير ·

(٦) ف : رضى الله عنه ·

وقال حميد الطويل[1] لسليمان[2] بن على ، وهو والى البصرة ، يعظه : لئن[3] كنت [٥٤ب] إذا عصيت ربك ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ، ولئن ظننت أنه لا يراك لقد كفرت .

قرأت فى بعض الكتب المنزلة أنه : ليس بنافعك ما تعلم إذا لم تعمل بما علمت — مثل ذلك مثل رجل حزم حزمة حطب فأراد حملها فلم يطق فوضعها وجمع إليها .

وقال المسيح عليه السلام : أبغض العلماء إلى الله عز وجل الذى يحب الذكر وأن يوسع له فى مجالس العظماء ويدعى إلى الطعام . وحقاً أقول : لقد تعجلوا أجورهم فى الدنيا .

وقيل : أشد الناس عند الموت ندامةً العلماء المفرطون[4] .

وقالوا[5] : تعلم قول : « لا أدرى ! » — فانك إن قلت : « لا أدرى » علموك حتى تدرى ؛ وإن قلت : « إنى أدرى » سألوك حتى لا تدرى . وما أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اسألونى ! » إلا على بن أبى طالب عليه السلام .

---

(١) حميد الطويل : أحد الثقاة التابعين البصريين ، وكنيته أبو عبده ؛ وكان شديد المجاهدة مكث أربعين سنة يصوم يوما ويفطر يوما ، ويصلى الفجر بوضوء العشاء . توفى فى سنة ١٤٣ هـ . — راجع عنه « شذرات الذهب » ج ١ ص ٢١١ .

(٢) سليمان بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، القرشى ، الهاشمى ، أبو أيوب ، المدنى وقيل : البصرى — عم أبى العباس السفاح وأبى جعفر المنصور . ولى الموسم فى خلافة السفاح ، وولى البصرة وغيرها للمنصور ، توفى فى البصرة سنة ١٤٢ هـ — راجع الطبرى حوادث عام ١٤٢ هـ ، « وطبقات » ابن سعد ، الطبقة الرابعة من أهل المدينة ، و « تهذيب الكمال » ورقة ٢٧٤ ب ، و « شذرات الذهب » ج ١ ص ٢١٠ .

(٣) ف : ان .

(٤) ف : المضطرون .

(٥) ف : وقال .

قال سهل[١] بن أسلم العدوى فى قول الله[٢] عز وجل : « وأما السائل فلا تنهر[٣] » — إنه ليس سائل[٤] طعام ولكنه سائل علم[٥].

وقال أبو الدرداء[٦] يوماً : يا أهل دمشق ! أما تستحيون ؟ ! تجمعون ما لا تأكلون ، وتبنون ما لا تسكنون ، وتأملون ما لا تبلغون ! قد كانت الملوك قبلكم يجمعون فيوعون ، ويأملون فيطيلون ، ويبنون فيوثقون ، فأصبح جمعهم بورا ، وأملهم غرورا ، وبيوتهم قبورا . هذه عاد قد ملأت ، ما بين عدن إلى عمان ، أموالا وأولاداً ، فمن يشترى من تركة عاد بدرهمين ؟ !

وكان يقول : من لم يكن غنياً عن الدنيا فلا دنيا له .

وقيل لمحمد بن سيرين[٧] : كيف أصبحت ؟ — فقال : كيف يصبح من يرحل فى كل يوم إلى الآخرة مرحلةً ؟

وقال والى البصرة لمالك بن أنس[٨] : ادع الله [٥٥ ا] لى ! — قال : بالباب مظلوم يدعو عليك .

قال مجاهد فى قوله تعالى : « وأولى الأمر منكم[٩] » — قال : هم ذوو العقل .

---

(١) سهل بن أسلم العدوى ، أبو سعيد ، البصرى ، مشهور ثقة ، توفى سنة ١٨١ — راجع « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٢٤٦ .

(٢) ف : الله تعالى . (٣) سورة « الضحى » آية : ١٠

(٤) ف : بسائل . (٥) ص : وانما هو العلم .

(٦) أبو الدرداء الخزرجي الزاهد الحكيم ، أسلم بعد بدر ؛ وولى قضاء دمشق لمعاوية فى خلافة عثمان . توفى سنة ٣٢ هـ — راجع « شذرات الذهب » ج ١ ص ٣٩ ؛ « المعارف » لابن قتيبة ص ١١٦ (طبع القاهرة سنة ١٩٣٥) ؛ « صفة الصفوة » ج ١ ص ٢٥٧ — ص ٢٦٥ .

(٧) أبو بكر محمد بن سيرين ، شيخ البصرة وامام المعبرين للرؤيا ؛ وكان أبوه عبدا لأنس بن مالك ، وكان هو كاتب أنس بن مالك بفارس . ولد سنة ٣٣ هـ ، وتوفى فى سنة ١١٠ هـ . — راجع عنه « شذرات الذهب » ج ١ ص ١٣٨ — ص ١٣٩ .

(٨) ف : لأنس بن مالك .

(٩) سورة « النساء » آية : ٦٢ . — ومجاهد هو الامام أبو الحجاج مجاهد ابن جبر ، المفسر المشهور ، وقد قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة . مات بمكة وهو ساجد سنة ١٠٣ هـ عن ثلاث وثمانين سنة .

وقال معاوية : ما غضبي على من أملك ! وما غضبي على من لا أملك !

أثنى رجل على محمد بن واسع فقال له محمد : يا هذا ! إن الذنوب لو كان لها ريح لمـــا[1] استطعت أن تدنو مني .

وقال ابن السماك : إن أناساً غرهم الستر وفتنهم الثناء ، فلا يغلبن عليك جهل غيرك بنفسك .

وقال آخر : ما أحب أن يعرفني بطاعة الله غيره .

وقال أيوب السختياني[2] : ما صدق الله عبداً إلا سره ألا يشعر بمكانه .

وقال آخر : اعتزل الشر يعتزلك الشر ، فان الشر يسرع إلى الشر .

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! دلني على عمل إذا عملته أحبني الله[3] وأحبني الناس ! فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما[4] في أيدي الناس يحبك الناس . ليس بين الجنة والنار منزل ينزله العباد ، فرحم الله امرءاً اختار لنفسه[5] أفضلهما !

ما اخترته من وصايا لقمان لابنه

اغلبْ غضبك بحلمك ، ونزقك بوقارك ، وهواك بتقواك ، وشكك بيقينك ، وباطلك بحقك ، وشحك بمعروفك .

كن في الشدة وقورا ، وفي المكاره صبورا ، وفي الرخاء شكورا ، وفي الصلاة متخشعاً ، وإلى الصدقة متسرعاً .

لا تُهِنْ من أطاع الله ، ولاتكرم من عصى الله ، ولاتدع ما ليس لك، ولا تجحد ما عليك .

(١) ف : ما .

(٢) هو فقيه أهل البصرة ، كان من صغار التابعين ، متضلعا في الفقه ، ومن أشد الفقهاء أتباعاً للسنَّة ، واسمه : أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري . توفي سنة ١٣١ هـ - راجع عنه : « شذرات الذهب » ج ١ ص ١٨١ .

(٣) ف : الله تعالى فقال . (٤) ف : في الذي .

(٥) لنفسه : ناقصة في ف .

لا تعترض بالباطل[١] ، ولا تستحى من الحق ، ولا تقل ما لا تعلم ، ولا تتكلف مالا |٥٥ب| تطيق ، ولا تتعظم ، ولا تَخْتَلْ ، ولا تفخر ، ولا تضجر ، ولا تقطع الرحم ، ولا تبلين[٢] الجار ، ولا تشمت بالمصائب ، ولا تذع السر[٣] ، ولا تغتب ، ولا تحسد ، ولا تنبز ، ولا تهمز . وإن أسيء إليك فاغفر ، وإن[٤] أحسن إليك فاشكر ، وإن ابتليت فاصبر . احفظ العبر واحذر الغير[٥] . انصح المؤمنين ، وعُدْ مرضاهم ، واشهد جنائزهم ، وأعن فقراءهم . أقرض خلطاءك ، وأنظر غرماءك ، والزم بيتك ، واقنع بقوتك . تخلق بأخلاق الكرام ، واجتنب أخلاق اللئام .

اعلم يا بنى أن المقام فى الدنيا قليل ، والركون إليها غرور ، والغبطة فيها حلم . فكن سمحاً سهلا ، قريباً أميناً ، وكلمة[٦] جامعة : اتق الله فى جميع أحوالك ، ولا تعْصه فى شىء من أمورك .

* * *

كان الحسن البصرى يقول : ذكر النعمة شكر .

كان يزيد[٧] الرقاشى يعظ إخوانه ويقول : إنه ليخيَّل إلىَّ أن كلامى لو نجع فى قلبى لنجع فى قلوبكم . لكن كيف بالقائل إذا كان مدخولا ! خذوا الذهب من الحجر ، واللؤلؤ من البحر ، والكلمة الطيبة مِمَّن قالها وإن لم يعمل بها .

---

(١) ص : الباطل . (٢) ف : تنكس .
(٣) ص : السر .
(٤) ص : فان \ وان أحسن ... فاصبر : ناقصة فى ف .
(٥) ف : وانصح .
(٦) ف : وكله اتق ... الله تعالى .
(٧) يزيد بن أبان الرقاشى : قال عنه المناوى فى « الكواكب الدرية » (جـ ١ ص ١٨١ . القاهرة سنة ١٩٣٨) : « العالم الباكى ، الصائم الظامىء ... جوع نفسه ستين سنة حتى ذبل بدنه » . توفى سنة ١٢٩ هـ (سنة ٧٤٦ م) . راجع عنه « الحلية » لأبى نعيم جـ ٣ ص ٥٠ ـ ص ٥٤ ، « الكواكب الدرية » جـ ١ ص ١٨١ .

وقال خالد بن صفوان[1] : رأيت رجلا شتم عمرو بن عبيد فما بَقّى شيئاً، فلما سكت قال له عمرو : آجرك الله على الصواب ، وغفر لك الخطأ . — قال خالد : فما حسدتُ أحداً حسدى له على حلمه وكلمته[2] .

وقال بشر بن[3] الحارث : من سأل الله[4] الدنيا فانما يسأل طول الوقوف .

وقال سفيان : إذا أردت أن تعرف قدر الدنيا فانظر عند من هى .

وقال آخر : ما فاتك من الدنيا فهو[5] غنيمة .

وسئل الحسن عن قول الله عز وجل : « إن الذين يشترون [٦-١] بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا »[6] — ما الثمن القليل ؟ قال : الدنيا بحذافيرها .

وقال : الدنيا تطلب الهارب منها ، وتهرب من الطالب لها . فان أدركت الهارب منها جرحته ، وإن أدركها الطالب لها[7] قتلته .

ويحكى أن بعض أهل البطالة مر بالمسيح عليه السلام ، وقد توسد حجراً ، فقال : يا عيسى ! قد رضيت من الدنيا بحجر ! — فقذف به إليه وقال : هذا لك مع الدنيا ! لا حاجة لى فيه .

وقال+ آخر : اعمل للدنيا على قدر مكثك فيها ، وللآخرة كذلك+ .

ويحكى عن الوحى القديم أن الله تعالى يقول : إذا أحب العالم الدنيا نزعتُ لذة مناجاتى من قلبه .

---

(١) لخالد بن صفوان قصيدة سمتها الغرب « العروس » توجد مع شرحها ضمن مجموعة برقم ٦١ بالخزانة المتوكلية بصنعاء (فهرس المكتبة المتوكلية ، ٢٩٢) راجع بعد ص ١٨٤ تعليق ! ٠

(٢) ف : كلمته وحلمه ٠

(٣) أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال ، المروزى ، المعروف بالحافى : صوفى مشهور ، أصله من مرو ، ولد سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) وتوفى فى بغداد أو مرو سنة ٢٢٦ أو ٢٢٧ هـ (٨٤٠ — ٨٤١ م) ٠ راجع عنه ابن خلكان ج ١ ص ٢٤٨ — ص ٢٥١ ، و « الحلية » لأبى نعيم ج ٨ ص ٣٣٦ — ص ٣٦٠ ، و « الكواكب الدرية » ج ١ ص ٢٠٨ — ص ٢١٢ ٠

(٤) ف : عز وجل ٠ (٥) ص : فهى ٠

(٦) سورة « آل عمران » آية : ٧١ ٠ (٧) لها : ناقصة فى ف ٠

(+ ... +) ما بين العلامتين ناقص فى ص ، ووارد فى ف ٠

مر عبد الله بن المبارك[1] برجل واقف بين مقبرة ومزبلة فقال : يارجل ! إن عندك كنزين من كنوز الدنيا ، بينهما معتبر : كنز الأموال ، وكنز الرجال .

وتحدث إسحٰق بن ابراهيم الموصلي ، قال : قال لي حمزة[2] القارئ : يا إسحٰق ! إن لي فيك رأياً : أترضى — مع فهمك وأدبك ورأيك — أن يكون عوضك من الآخرة فضل مطعم على مطعم ؟

وقال الحسن البصري : رُبَّ هالكٍ بالثناء عليه ، ومغرور بالسَّتر عليه[3] ، ومستدرج بالأمهال له !

وقال آخر : من ذا الذي بلغ جسيما فلم يبطر ، واتبع الهوى فلم يعطب ، وجاور النساء فلم يفتن ، وطلب[4] إلى اللئام فلم يهن ، وواصل الأشرار فلم يندم ، وصحب السلطان فدامت سلامته ؟ !

وقال : أسوأ الرجال حالا من لا يثق بأحد ، ولا يثق به أحد ، لسوء فعله .

وقال أمير المؤمنين[5] عليٌّ عليه السلام : إن أخيب الناس سعياً وأخسرهم صفقة[٥٦ب] رجل أتعب بدنه في آماله ، وشغل بها عن معاده ، فلم تساعده المقادير على إرادته ، وخرج من الدنيا بحسرته ، وقدم على[6] آخرته بغير زاد .

---

(١) عبد الله بن المبارك : هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح ، المروزي : جمع بين العلم والزهد ، وتفقه على سفيان الثوري ومالك ابن أنس ، شديد الورع ، محب للخلوة . ولد في مرو سنة ١١٨ هـ (٧٣٦ م) ، وتوفي في هيت سنة احدى (وقيل اثنتين) وثمانين ومائة (٧٩٧ — ٧٩٨ م) . راجع عنه ابن خلكان ج ٢ ص ٢٣٧ ص ٢٣٩ ، المناوي : « الكواكب » الدرية » ج ١ ص ١٣١ — ص ١٣٣ ، أبو نعيم : « حلية الأولياء » ج ٨ ص ١٦٢ — ص ١٩١ .

(٢) حمزه : هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن اسماعيل ، الكوفي المعروف بالزيات : أحد القراء السبعة ، وعنه أخذ الكسائي ، وأخذ هو عن الاعمش ، توفي سنة ١٥٦ هـ (٧٧٢ م) . — أما اسحق بن ابراهيم الموصلي فلا يمكن أن يكون المغني المشهور لأن هذا ولد سنة ١٥٠ هـ ، ويمكن أن يكون أباه أبا اسحق ابراهيم بن ماهان الذي ولد بالكوفة سنة ١٢٥ هـ وتوفي ببغداد سنة ١٨٨ هـ ، واذا صح ذلك كان يجب تصحيحه هكذا في نصنا : أبو اسحق بن ابراهيم ...

(٣) ص : بالستر ومستدرج بالامهال عليه .

(٤) ف : وطالب . (٥) عليٌّ : ناقصة في ف .

(٦) ف : بغير زاد على آخرته .

قيل لبعض الصحابة : ما فعل أهلك وعشيرتك ؟ — فقال : أكلهم الدهر الذى لا يشبع .

وقال[1] : قبح الله الدنيا ! فانها إذا أقبلت على إنسان أعطته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه .

وقال المسيح عليه السلام لقوم غلَوْا فيه : إنى أصبحت لا أملك نفع[2] ما أرجو ، ولا أستطيع دفع ما أحذر ، وأنا مرتهن بعملى ، والخير كله بيد غيرى : فأى فقير أفقر منى ، وأى عبد أحوج إلى مولاه منى !

أسْمَعَ رجلٌ الأحنفَ فأكثر ؛ فلما سكت ، قال الأحنف : يا هذا ! ما ستر الله أكثر .

وقال الأحنف[3] : العجلة فى خمسة أشياء محمودة : فى الكريمة إذا خطبها كفؤ أن تزفها ، وفى الميت حتى تخرجه ، وفى عيادة المريض حتى تخرج من عنده ، وفى الصلاة إذا دخلتها[4] حتى تؤديها ، وفى الضيف إذا نزل[5] حتى تدنى إليه الطعام .

وقال آخر : الفاضل يجنب مجلسه ثلاثاً : الدعابة فانها تحدث الإحنة ، وذكر النساء فانه سخف فى المروءة ، والإفاضة فى ذكر الطعام فانه يخبر عن نفسه[6] بالدعابة .

---

(١) ورد هذا القول فى « نهج البلاغة » ج ٢ ص ١٤٠ (طبعة الحلبى ، القاهرة) هكذا : « وقال ع : اذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره ، واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه » — أى أن هذا القول ينسب الى على بن أبى طالب .

(٢) نفع : ساقطة من ف .

(٣) هو الأحنف بن قيس التميمى السعدى : من سادات التابعين ، يضرب به المثل فى الحلم . أدرك عهد النبى ، وأسلم قومه باشارته ، وكان لا يحسد أحدا ولا يبغى على أحد ، وكان من أعظم الناس سلطانا فى قيامه على نفسه . توفى سنة ٧٢ هـ . — راجع عنه « شذرات الذهب » ج ١ ص ٧٨ .

(٤) اذا دخلتها : ساقطة من ف .

(٥) ف : نزل بك .

(٦) رجل رغيب الجوف : اذا كان أكولاً ، والفعل : رغب يرغب (من باب كرم) رغابة .

وقال الحسن : لله يومٌ الحكم فيه بالقسط ، والجزاء عن الأعمال ، والقصاص من الحسنات[١] .

قال[٢] رجل لوزير : لئن أصبحت الدنيا[٣] بك مشغولة ، لتمسين منك فارغة .

وقيل لأعرابى[٤] : بِمَ ساد فلانٌ قومه ؟ — قال : بحسبٍ لا يطعن عليه ، ورأى لا يستغنى عنه .

أتى عمر بن الخطاب[٥] — رحمه الله — بنائحة قد بلبلت[٦] فقال : أبعدها الله ! إنه لا حرمة لها ، ولا حق عندها ، ولا نفع معها . إن [١٥٧ ا] الله تعالى أمر بالصبر وهى تنهى عنه ، ونهى عن الجزع وهى تأمر به . تريق دمها ، وتبكى شجو غيرها ، وتحزن الحى ، وتؤذى الميت .

وقال الحسن : إن لم تطعك نفسك فيما تحملها عليه مما تكره ، فلا تطعها فيما تحملك عليه مما تهوى .

وقال : العادات[٧] قاهرات : فمن اعتاد شيئاً فى سره وخلواته فضحه فى علانيته عند الملأ .

وروى أن عيسى عليه السلام قال لرجل لا يستحق : « حفظك الله » ! فقيل له : أتقول هذا لمثل هذا ؟ فقال : لسانٌ عُوِّد الخير فهو ينطق به لكل أحد .

وقيل للحُصَين[٨] : ما السرور ؟ — قال : عقل يقيمك ، وعلم يزينك ، وولد يسرك ، ومال يسعك ، وأمن يريحك[٩] ، وعافية تجمع لك المسرّات . فقيل له : ما اجتمعَتْ لأحد . فقال : ولو اجتمعت ما دامت .

---

(١) ف : الحساب .
(٢) ف : وقال .
(٣) بك : ناقصة فى ف .
(٤) ص : بما .
(٥) ف : رضى الله عنه .
(٦) بلبل القوم بلبلة وبلبالا : حركهم وهيجهم — وفى ف : تلتلت — والتلتلة : التحريك والاقلاق والزعزعة .
(٧) ص : العاديات ، والتصحيح بالهامش .
(٨) لعله الحصين بن عبد الرحمن السلمي الكوفى الحافظ ، المتوفى سنة ١٣٦ هـ عن ثلاث وتسعين سنة — راجع « شذرات الذهب » ج ١ ص ١٩٣ — ص ١٩٣ .
(٩) ف : يسرك وأمن يريحك ومال يسعك ، وعافية ...

وقال بكر بن عبد الله المُزَنى(1) : إن ألله أمر بطاعته وأعان عليها ولم يجعل فى تركها عذراً ،ونهى+عن المعصية وأغنى عنها ولم يجعل فى ركوبها عذراً+ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضل العلم خير من فضل العبادة .

وقال : خُيِّر سليمان بن داود بين الملك والمال والعلم ، فاختار العلم . فأعطى العلم والمال والملك باختياره العلم .

وقال ابن عباس(2) : يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات على الذين آمنوا .

ويحكى فى مناجاة موسى(3) أنه قال : رب ! مَنْ أَعْلَمُ خلقك ؟ — فقال : العالم الذى يبتغى إلى علمه علماً .

سمع أمير المؤمنين على عليه السلام رجلا يغتاب (4) رجلا عند ابنه الحسن عليه السلام فقال : يا بنى ! نزه نفسك (5) وسمعك عنه ! فانه نظر إلى [57ب] أخبث ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك .

وقال سفيان(6) الثورى : إذا لم يكن(7) لله فى العبد حاجة خلى بينه وبين الدنيا .

---

(1) ص : المرى — وهو تحريف • — وبكر بن عبد الله المزنى صوفى كثير الاحسان • توفى سنة 108 راجع عنه «الكواكب الدرية» ج 1 ص 90 — ص 91 ؛ « حلية الأوليـاء » ج 2 ص 224 — 232 ؛ ابن الجوزى : «صفة الصفوة» ص 171 — ص 173 (طبع حيدر آباد سنة 1356 هـ) •

(+ ... +) ما بين العلامتين ناقص فى ف •

(2) ف : رضى الله عنه • (3) ف : موسى عليه السلام •

(4) يغتاب رجلا : ناقصة فى ف • (5) نفسك و : ناقصة فى ف •

(6) سفيان الثورى : أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب ابن رافع ، الثورى ، الكوفى • من أئمة علم الحديث والزهد والاجتهاد ولد سنة 95 و 96 أو 97 هـ (715 م) وتوفى بالبصرة سـنة 161 هـ (877 م) • راجع عنه ابن خلكان ج 2 ص 127 — ص 128 ، المناوى : « الكواكب الدرية » ج 1 ص 115 — ص 117 ؛ أبو نعيم « الحلية » ج 6 ص 356 — ص 393 و ج 7 ص 3 — ص 144 ؛ ابن الجـوزى « صفة الصفوة » ج 3 ص 82 — ص 87 •

(7) ص : الله •

وقال(١) هشام بن عبد الملك لبعض نساك الشام : عظنى ! — فقرأ عليه : « ويل للمطففين ؛ » إلى قوله : « يوم يقوم الناس لرب العالمين »(٢) — هذا لمن طفف فى المكيال والميزان ، فما ظنك بمن أخذه كله !

وصف بعض النساك رجلا مسرفاً على نفسه فقال : ما أطول سكر كأس شربها فلان ، ولما أخاف عليه من عاقبة خمارها أشدُّ من سُكْره بها ، حيث لا ترجى له أوبة ولا تقبل منه توبة ؛ وما ذلك منه ببعيد . ها هو !

وقال آخر : لا شيء أمنع جانباً من العلم : وذلك أنه لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك . وأنت إذا أعطيته الكل(٣) < كنت > من إعطائك البعض على خطر .

وقال سفيان(٤) : ما عالجت شيئاً أشد على من نفسى .

وقال إبراهيم(٥) بن أدهم — لما قيل له : لم لا تصحب الناس ؟ — فقال : إن صحبت من هو دونى ، آذانى بجهله ؛ وإن صحبت من هو فوقى ، تكبر علىَّ ؛ وإن صحبت من هو مثلى ، حسدنى ؛ فاشتغلت بمن ليس فى صحبته ملال ، ولا فى وصله انقطاع ، ولا فى الأنس به وحشة .

وقال أُوَيس القرنى : ما سمعت كلمة للحكماء(٦) كانت أنفع لى من قوله : صانع وجهاً واحداً يكفلك(٧) الوجوه كلها — وأويس هذا من سادات الأبرار

---

(١) الواو ناقصة فى ص .

(٢) سورة « المطففين » : آيات : ١ الى ٦ .

(٣) كذا فى النسخ ؛ والسياق يقتضى اضافة ما أضفناه .

(٤) أى سفيان الثورى .

(٥) هو ابراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر (أبو اسحق) التميمى العجلى : زاهد مشهور ، مولده فى بلخ ، ووفاته فى غزوة بحرية فى تاريخ يترجح بين ١٦٠ هـ (٧٧٦ م) و ١٦٦ هـ (٧٨٣ م) . راجع عنه : Handwörterbuch des Islam S. 193-4 و «طبقات الصوفية» للسلمى ، مخطوط المتحف البريطانى ورقة ١٣ ؛ « حلية الأولياء » لأبى نعيم جـ ٧ ص ٣٦٧ — ص ٣٩٥ (طبعة الخانجى) ؛ الهجويرى « كشف المحجوب » ترجمة نكلسون ص ١٠٣ وما يليها . الخ الخ .

(٦) ف : للحكماء كلمة .

(٧) ف ، ص : يكفيك . — وعن أويس راجع : المناوى : «الكواكب الدرية» جـ١ ص ٧٩ (القاهرة سنة ١٩٣٨) ؛ أبو نعيم : « حلية الأولياء » جـ ٢ ص ١٦٢ ؛ الشعرانى : « الطبقات الكبرى » جـ ١ ص ٢٤ .

الزهاد والعلماء الأمجاد . وذكر ابن أبي ليلى الفقيه أنه وجد[1] في قتلى رجّالة علي بن أبي طالب عليه السلام يوم[2] صفين .

وقال ابن السائب[3] : [158 ا] زارني صالح المُرّي فقلت : يا أبا بشر ! من أين أقبلت ؟ — فقال : من منزلي . وما زلت أخوض المواعظ إليك ، ومررت بدار فلان ودار فلان — حتى عدّد كثيراً من الخرابات ثم قال : فكل دار تناديني : ياصالح ! خذ موعظتك مني ! نزلني فلان ثم ارتحل عني — حتى عددت[4] خلقاً ثم قالت : ارتحلوا بأسْرهم ثم ارتحلنا في آثارهم .

وقال بعض الزهاد : الوحدة رأس العبادة .

وقال ذو النون[5] : من أنس بالوحدة كان الحق مؤنسه .

---

(1) ص : له وجد في قتلى رجاله \ لي من قوله : في ف : أنفع من قولهم .

(2) ابن أبي ليلى : هو أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وقيل داوود ، بن بلال بن أحيحة بن الجلاح الأنصاري ، من أكابر تابعي الكوفة ، وأبوه (أبو ليلى) شهد وقعة الجمل وكانت معه راية علي بن أبي طالب . ولد سنة ١٧ هـ (٦٣٨ م) ، وقتل بدجيل ، وقيل غرق في نهر البصرة وقيل فقد بدير الجماجم سنة ٨٣ هـ (٧٠٢ م) ، وقيل سنة ٨١ أو ٨٢ هـ . راجع عنه ابن خلكان جـ ٢ ص ٣٠٩ (القاهرة سنة ١٩٥٠) ، وأبو نعيم « الحلية » جـ ٤ ص ٣٥٠ — ص ٣٥٨ .

(3) ص : أبو السائب وهو — فيما نرجح — عطاء بن السائب بن مالك الثقفي ، الكوفي ، تابعي مشهور ، روى الحديث ، ولكن ساء حفظه بأخرة ، فلا يوثق بما رواه في أخريات عمره . قال أحمد بن حنبل : هو ثقة ، رجل صالح ، كان يختم كل ليلة ، من سمع منه قديما كان صحيحا — قاله في « العبر » . وقال في « المغني » : حسن الحديث . وقال غيره : ليس بالقوي . وقال ابن معين : لا يحتج بحديثه . وتوفي سنة ١٣٦ هـ (= ٧٥٣ م) . — راجع عنه : « شذرات الذهب » لابن العماد جـ ١ ص ١٩٤ — ص ١٩٥ .

(4) ف : حتى عدد خلقا كثيرا . ص : عدد . — صالح المري : هو صالح ابن بشر المري ، بصري ، زاهد ، روى عنه الترمذي . توفي سنة ١٧٢ (سنة ٧٨٩ م) . راجع عنه : المناوي « الكواكب الدرية » جـ ١ ص ١٢٤ — ص ١٢٥ ؛ أبو نعيم « حلية الأولياء » جـ ٦ ص ١٦٥ — ص ١٧٦ ؛ « صفة الصفوة » جـ ٣ ص ٢٦٥ .

(5) ذو النون المصري : أبو الفيض (أو : الفيض) ثوبان بن ابراهيم ، الصوفي المشهور . توفي في سنة ٢٤٥ أو ٢٤٦ أو ٢٤٨ هـ بمصر . راجع عنه : ابن خلكان جـ ١ ص ٢٨٠ — ص ٢٨٣ ؛ « حلية الأولياء » جـ ٩ ص ٣٣١ — ٣٩٥ ، جـ ١٠ ص ٣ — ٤ ؛ « الكواكب الدرية » جـ ١ ص ٢٢٣ — ص ٢٣١ .

وقال آخر : من أنس بالوحدة فقد اعتقد الاخلاص .

شكا رجل إلى الحسن[1] بن صالح حاجة وضراً وبكى . فقال الحسن : والله ما الدنيا كلها عوضاً من بكائك ! هب الجوع نوعاً من أنواع الموت الذى يموت[2] به الإنسان فمُتَّ .

قال الحجاج لأهل مكة : بِمَ[3] سودتم فلاناً ؟ — فقالوا : كان يواسى عائلنا ، ويصدق قائلنا ، ويعود مرضانا ، ويصلى على موتانا ، ويدعونا بكُنانا .

وقال بعض العلماء : النعمة الصافية الهنيئة هى التى ليس عليها ثائر يغتالها ، ولا ذو حسد يحتال لها[4] ، ولا سلطان يتحكم فيها — يعنى العلم .

وقال : أمر لا تدرى متى يفجؤك[5] ! لم لا تستعد له قبل أن يغشاك ؟ !

وقال أعرابى : مابال قوم حطوا ركابهم فى غير منازلهم يظنون أن يتخلفوا عن السفر الذى أمامهم . هيهات ! أنى ذلك !

وقال أعرابى : لا تكلف راجيك[6] خدمة المطالبة .

وقال يونس بن حبيب النحوى : العرب لا تقول : « تزوجت بامرأة » ، إنما تقول « تزوجت امرأةً » فقال[7] الله عز وجل : « وزوجناهم بحور عين[8] » المعنى : قرناهم ، فهناك ازدواج ما واقتران ، وليس كما[٥٨ب] تذهب إليه العامة.

---

(١) الحسن بن صالح : الكوفى الهمدانى من العباد الزهاد . توفى سنة ١٥٤ . راجع عنه : « الكواكب الدرية » للمناوى ج ١ ص ٩٩ ؛ أبو نعيم « الحلية » ج ٧ ص ٣٢٧ — ص ٣٣٥ ؛ ابن الجوزى : « صفة الصفوة » ج ٣ ص ٨٧ — ص ٩١ .

(٢) هنا أول ورقة ٥٣ ا فى ط . الذى : فى ط : التى ... بها ، وكذا فى ف .

(٣) ط ، ص : بما . فقالوا : فى ط : فقال .

(٤) ط : عليها . (٥) ف : يتحول .

(٦) ف : بأخيك — وهو تحريف . (٧) ط : فقول .

(٨) سورة «الدخان» آية : ٥٤ . — ويونس بن حبيب هو أبو عبد الرحمن ، وهو من أهل جَبُّل ومولده سنة تسعين ، ومات سنة ١٨٢ هـ (٧٩٨ م) وقيل ان مولده سنة ٨٠ هـ (٦٩٩ م) ، وله من الكتب : « معانى القرآن » ، « اللغات » ، « الأمثال » ، « النوادر الصغير » . راجع عنه ابن خلكان (٢٤٦/٦ القاهرة سنة ١٩٥٠) .

وقال آخر : دع ما يسبق[١] إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره؛ فما كل من أنكر نكراً تطيق أن توسعه[٢] منك عذراً .

وقال آخر من الصالحين : إنى لأستحيي من الله أن يرانى مشغولا عنه وهو مقبل علىّ .

وقال آخر : والله ما طابت الدنيا والآخرة إلا بالله [٣] . وما أوحش ساعة تغيب فيها عن ذكر الله [٤] ! — وهذا قريب من قول آخر : إن من مَرّت له ساعة فى غير ما خلق له لجدير أن يطول[٥] عليها حزنه .

سمع بعض العارفين مُعاذة[٦] العَدَوية — وهى نظيرة رابعة العدوية — وهى تقول فى صلاة الليل وكانت تحييه عباده : يا نفس ! النوم أمامك ! او[٧] قد مُتِّ لطالت رَقْدتك — فقال العارف : هذا كلام امرأة لاتعرف الحياة ولاالموت ! فاتعظ بكلامها ، وتذكَّر الحياة لتعرف الموت .

وكانت سعيدة بنت زيد — وهى أخت حماد بن زيد[٨] — تقول : من فكّر فى نِعَم[٩] الله ثم فكر فى تقصيره فى الشكر استحيا من السؤال .

---

(١) الى : ساقطة من ف ٠

(٢) منك : ناقصة فى ط ٠

(٣) ف : بالله عز وجل ٠

(٤) ف : الله عز وجل ٠

(٥) ف : أن تطول حسرته عليها ٠

(٦) بالدال المهملة فى ط ٠ — وهى معاذة بنت عبد الله العدوية ، زوجة صلة ابن أشيم ، زاهدة مشهورة ، روت عن على وعائشة وهشام وعامر الأنصارى ٠ وكانت كثيرة السهاد والعبادة ٠ ماتت فى أوائل القرن الثانى للهجرة ٠ راجع عنها : عبد الرحمن بن الجوزى :«صفة الصفوة» جـ٤ ص ١٣ — ١٥ ؛ « الكواكب الدرية » جـ ١ ص ١٧٣ — ص ١٧٤ ٠

(٧) ف : ولو ٠

(٨) حماد بن زيد بن درهم الأزدى ، البصرى ، الضرير ، أبو اسماعيل : كان من أهل الورع والدين ومن أعلم الناس بالسنة ٠ توفى سنة ١٧٩ — راجع « شذرات الذهب » جـ ١ ص ٢٩٢ ٠

(٩) ف : الله عز وجل ٠

وقال عاصم الجحدري : سمعت أم طلق [١] تقول : ما ملكت نفسي ما تشتهي منذ جعل الله لي عليها سلطاناً . ــ وأم طلق هي[٢] التي تقول : النفس ملك إن تبعتها ، ومملوك إن أتعبتها[٣] ، تعني النفس الشهوية .

وقال بعضهم : من اشتاق خدم ، ومن خدم اتصل ، ومن اتصل وصل ، ومن وصل عرف .

وقال أحمد بن حنبل[٤] يوماً لأصحابه : من أحب أن يعرف بُعْده من طريق العارفين فليدخل إلى زَيْدة أخت بشر الحافي ؛ إني دخلت إليها فقالت : يا أحمد ! إنك لا تهتدي إلى الله عز سلطانه[٥] وأنت تُطَرّق إليه .

[٥٩ ا] وقالت أم كلثوم العابدة[٦] لمن قال لها : لو خرجت وتفرجت ! فقالت : إن رؤية القادر تشغلني عن رؤية القدرة .

وقال بعض العارفين : كل الناس أمروا بقول : « لا إلـٰه إلا الله » إلا النبي صلى الله عليه وسلم ، فانه أمر بالعلم ، وذلك قوله عز وجل : « فاعلم أنه لا إلـٰه إلا هو »[٧] ــ لعلوّ حاله وعظم محله .

وقال بعض الملوك لولده : لذة العفو يلحقها حميد العاقبة ؛ ولذة التشفي[٨] يلحقها ألم الذم والندامة .

---

(١) ط : مطلق . ــ أم طلق : قال عنها المناوي (« الكواكب الدرية » جـ ١ ص ٨٩) : « كانت من العابدات الخيرات الزاهدات . وكان وردها كل ليلة أربعمائة ركعة » ثم أورد لها كلامها الوارد هنا ــ راجع « الكواكب الدرية » جـ ١ ص ٨٩ ؛ ابن الجوزي : « صفة الصفوة » جـ ٤ ص ٢٤ ؛ « طبقات » ابن سعد جـ ٨ ص ٣٥٧ ؛ « تهذيب التهذيب » جـ ١٢ ص ٤٧٣ .
أما عاصم الجحدري فهو : عاصم بن العجاج الجحدري البصري ، أبو المحشر ، المقرى ؛ وهو عاصم بن أبي الصباح . توفي سنة ١٢٩ هـ (راجع « لسان الميزان » جـ ٣ ص ٢٢٠) وقيل ١٢٨ (راجع « غاية النهاية » لابن الجزري ص ٣٤٩) ، ابن سعد ٧ : ٢ : ٦ .

(٢) هي التي : ناقصة في ف .

(٣) ص : أتبعتها .

(٤) ف : رحمه الله .

(٥) ط : الله سبحانه .

(٦) ف : العارفة .

(٧) سورة « محمد » آية : ٢١ .

(٨) يقال : تشفى من فلان : اذا أنكى في عدوه نكاية تسره .

وقال : الحقود لا ينال شرفاً ولا يفارق أسفاً .

وقال : كل صانع يصنع إلى نفسه ، فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيته إلى نفسك ، ووقيت به عرضك .

وقال قيس بن عاصم(١) : السؤدد هو بذل الندى وكف الأذى ونصرة المولى وتعجيل القِرى .

تحدث قوم فى مجلس الأوزاعى(٢) ومعهم أعرابى من بنى عُلَيم لا يتكلم فقالوا له : بحقٍ ما سميتم خُرْسَ العرب . فقال : إن الحظ للمرء فى أذنه وحظ غيره فى لسانه . فذكرنا ذلك للأوزاعى فقال : وأبيه لقد حدثكم فأحسن .

وقال طبيب الحجاج تياذوق(٣) : ولدك ريحانتك سبع سنين ، وخادمك سبع سنين ، وعدوك بعد ذلك .

وكان يقول : من سعادة المرء أن يتفق له ولد نجيب ، وطعام هنىء ، وامرأة موافقة ، وخادم بصير بخدمته .

تزوج اعرابى امرأة جميلة — وكان الأعرابى دميما — فقالت له يوماً : إنى أرجو أن أكون أنا وأنت من أهل(٤) الجنة ! قال : ومن أين حكمت لنا بها ؟ —

---

(١) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس ، التميمى ، السعدى ، أبو على ، ويقال : أبو قبيضة ، يقال أبو طلحة المنقرى . وفد على النبى ، وكان عاقلا حكيما سمحا . نزل البصرة ، وبنى بها دارا ، وبها مات سنة ٤٧ هـ — راجع « طبقات » ابن سعد ج ٧ (ق ١) ٢٣ — ص ٢٤ ؛ « تهـذيب التهـذيب » ج ٨ ص ٣٩٩ ؛ « النجوم الزاهرة » ج ١ ص ١٣٢ س ١٢ .

(٢) هو الامام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى أحد كبار أئمة الاسلام فقها وعبادة وحرية فى التسامح الدينى ، توفى بقرب بيروت سنة ١٥٧ هـ — « شذرات الذهب » ١/٢٤١ .

(٣) فى ص تحتها : اسمه (أى اسم طبيب الحجاج) . وفى ط : نياذوق . — و تيـاذوق طبيب كان فى أول دولة بنى أميـة ، وصحب الحجـاج ابن يوسف الثقفى ، « وخدمه بصناعة الطب ، وكان يعتمد عليه ويثق بمداواته » (ابن أبى أصيبعة : ج ١ ص ١٢١) وتوفى بواسط فى نحو سنة تسعين للهجرة . وله من الكتب : كناش كبير ألفه لابنه ؛ « كتاب ابدال الأدوية وكيفية دقها وايقاعها واذابتها » و « شيء من تفسـير أسـماء الأدوية » . — راجع عنـه : ابن أبى أصـيبعة ج ١ ص ١٢١ — ص ١٢٣ — وفى ف : ىادوق .

(٤) ف : أنا وأنت فى الجنة .

فقالت : لأنك أُعطيتَ مثلى فشكرتَ ، وأُعطيتُ مثلك فصبرتُ ، والصابر والشاكر فى الجنة(١) .

وقال بعضهم : من قبل معروفك فقد باعك مروءته [٥٩ب] .

وقال : من قلت مداراته جفاه الحمد ، وأعرضت عنه المحبة ، واستباحت محاسنه المذمة ، وأنهك فضله العَـذْل ، وأقام فى صغار ونَدم .

وقال : كن مشاركاً لأهل زمانك فى مجالس ، مفارقاً لهم فيما يكون الاشتغال به أكثر منفعة لك .

وقال : إن التواضع يرفع ، كما أن الكبر يضع ؛ وهو بعدُ(٢) فى أمان من المعصية ، وحمىً من اللائمة ، وحرز من المقت .

وقال فى آخر كتاب كتبه إلى صديق له يعظه : لو نطق الكتاب لقال : أنا رهن لمن استرشد بدلالتى ، وانقاد لإجابتى بالنجاة(٣) من الحيرة والندامة ، كفيلٌ بالغبطة والسلامة(٤) .

وقال آخر : إن الله تعالى جعل رضاه عنك فى حسن نظرك لنفسك ، وسخطه عليك فى سوء نظرك لها . فانظر كيف يكون قيامك بشكره .

وقيل(٥) لبعض فلاسفة(٦) الاسلاميين : لم لا ترغب فى المال ؟ — قال : ولم أرغب فى شىء يجىء بالاتفاق لا بالاستحقاق ، والجود يأمر باتلافه ، والزهد يأمر بترك التعرض له ، والشره يأمر بجمعه ، والبخل يأمر بحفظه .

وكان عمر بن الخطاب رحمه(٧) الله يقول : إلى الله أشكو بلادة الأمين ويقظة الخائن .

---

(١) والصابر ... فى الجنة : الزيادة فى ص ، ولم ترد فى ف و ط .
(٢) فى : لم ترد فى ص و ف ، ، ووردت فى ط .
(٣) ط : ومن بالنجاة : أول ورقة ٢٤ ا .
(٤) ف : والكرامة — بدل : « والسلامة » .
(٥) الواو ناقصة فى ط ، ف .
(٦) ف : الفلاسفة .
(٧) ط : رضى الله عنه ، وكذا فى ف .

وقال قيس بن عاصم : من خاف إساءتك اعتقد مساءتك ؛ ومن خاف صولتك ناصب[1] دولتك .

وقال آخر : من خلا بالعلم لم توحشه خلوة ، ومن أنس بالكتب لم تفته سلوة .

وقالوا : من فعل ما شاء لقى ما شاء .

وقيل : من أمَرَّت حياته حلَتْ وفاته .

وقال : ليس من شريطة العقل[2] أن يتعجل الانسان غمّ مالم يصبه فيجعل ساعة السرور غماً ، وساعة الراحة تعباً[3] ، فيضاعف بذلك[4] على نفسه الغموم ، أعنى أنه يتعجل ما لم يقع ولعله ألا يقع ، فان وقع [٦٠ ا] اتصل عمر[5] التوقع فصار زمان العمر[6] والغم بذلك متصلا . فان[7] لم يقع أفسد على نفسه حال السرور من غير تحصيل دَرْكٍ فيما اجتلبه[8] إلى نفسه . وإنما فضيلة الرأى فى تقصير مدة الغم لا فى تطويلها ، والذى يشغل نفسه بغم المتوَقع هذه حاله ، لأنه يطوِّل مدة الغم من غير أن تلزمه حاجة إلى ذلك أو يوجد له طائل أو جدوى.

وسئل بعضهم : من الحكيم ؟ — فقال : من عرف معايب الدنيا . وذلك أن من عرف معايبها لم يغتر بها ولم يركن إليها ؛ لأن مثله فى رغبته عنها مثل من تعرض عليه سلعة مغشوشة ؛ فانه إذا عرفها بعيوبها منعه ذلك من الرغبة فيها ، وإنما تروج السلعة المغشوشة على من تخفى عليه عيوبها المطوية المستورة عنه .

وكان الأحنف[9] يقول : أنا للعاقل المدبر أرْجىٰ منى للأحمق المقبل .

وقال : لك من دنياك ما أنفقته على أُخراك .

---

(١) ناصبه الشر والحرب والعداوة ، مناصبة : أظهر له ؛ ويقال : نصب فلان لفلان نصبا اذا قصد له وعاداه وتجرّد له .

(٢) ف : أن لا . (٣) ف : نصباً .

(٤) ف : فيضاعف على نفسه بذلك الغموم .

(٥) ف : غم . (٦) العمر : ناقصة فى ط و ف .

(٧) ط : وان ، وكذا ف . (٨) ف : على .

(٩) ف : الأحنف بن قيس .

لقى عمر بن الخطاب ناساً يشبهون صوفيتنا اليوم فقال : من أنتم ؟ — قالوا : نحن المتوكلون . فقال : بل أنتم المستأكلون . ألا أخبركم بالمتوكلين ؟ — : من ألقى حبة فى بطن الأرض وتوكل على ربه .

وقال عمرو بن العاص : ما استبطأنى أحد قط . — قيل : وكيف ؟ — قال : لأنى لا أعد حتى أُعِدَّ إنجازاً ، ولا أمنع حتى أُعِدَّ عذراً مقبولا .

خطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنى نظرت فى معادكم فوجدت المصدق به أحمق[1] ، ووجدت المكذب به هالكاً — والسلام عليكم ورحمة الله[2] .

أوحى الله[3] إلى نبى : لو لم تطب نفسك أن تكون كالمضغة[4] فى أفواه الآدميين لم أكتبك عندى [٦٠ب] فى الصالحين .

وقال بعضهم — وكان مر بباب دار وأهلها يبكون ميتاً — فقال : عجباً لقوم يبكون مسافراً قد بلغ منزله !

وقيل لزاهد : من الزاهد فى الدنيا ؟ — قال : الذى لا يطلب المفقود حتى يفقد الموجود .

وقال آخر : يا ابن آدم ! لا تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت ، ولا تفرح[5] بموجود لا يتركه عليك الموت .

أوحى الله تعالى إلى داوود عليه السلام : بشر المذنبين وأنذر الصدِّيقين — فكأنه عَجِبَ وقال : أُبَشِّر المذنبين وأُنذِرُ الصديقين ! — فقال : نعم ! بشر المذنبين[6] لأنه لا يتعاظمنى ذنب أغفره ، وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم .

وقال بعضهم : جعل الله تعالى الرحمة عموماً والعذاب خصوصاً ، لأنه قال : عذابى أصيب به من أشاء ، ورحمتى وسعت كل شىء .

---

(١) ص : أحق .
(٢) ف : ورحمة الله وبركاته .
(٣) ف : الله تعالى .
(٤) كالمضغة : ساقطة من ف .
(٥) ف : ولا تفرحن بمولود .
(٦) ف : أى لا ...

وقال+ أبو سليمان الدارانى[1] : اجتماع الصوفية بالليل بدعة ، لأنهم يهربون من العمل+.

وقال آخر : العابد الأحمق والعالم الفاجر فتنة كل مفتون .

وقال آخر : أربعة أشياء لا ينبغى أن يستقل قليلها : الذنب الصغير ، والدين اليسير ، والعدو الحقير ، والحرص القليل .

وقال آخر : الحزن لا يكفى من الهم وهو يفرح العدوَّ ، والجزع لا يرد المصيبة وهو يرزء العقل ، والغيظ لا ينفع فى الدنيا وهو يؤثِّم فى الدين .

ليس الجسم يحمل النفس ، بل النفس تحمل الجسم . اعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء ، ففرغه للمهم ، وأن مالك لا يغنى الناس كلهم ، فاخصص به أهل الحق ، وأن كرامتك لا تطيق[2] العامة فتوخّ به أهل الفضل [١٦١ ا] وأن الليل والنهار لا يستوعبان حاجتك فبادر بأجداهما[3] عليك .

أوحى الله تعالى إلى داوود عليه السلام : طهر ثيابك الباطنة ، فان الظاهرة لا تنفعك عندى. يا داوود ! لو رأيت الجنة وما أعددت فيها لقل نظرك إلى الدنيا ؛ وأفضل من الجنة أن أرفع حجبى عنك وأقول : « أين المشتاقون » ؟ !

وقال بعضهم يعظ : يا قوم ! حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا ، فهو أيسر عليكم وأرفق بكم غداً . وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا[4] ، فهو أثقل لميزانكم .

(+ ... +) ما بين العلامتين ناقص فى ف .

(١) ط : الدورى . — وهو أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى الدرانى . زاهد مشهور ، توفى سنة ٢٥٠ هـ (٨٦٤ م) وقيل سنة ٢١٥ (٨٣٠ م) كما فى ابن خلكان (جـ ٢ ص ٣١٣ ، نشره محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة سنة ١٩٥٠) ، أو ٢٣٥ (٨٤٩) كما فى ياقوت . — راجع عنه : ابن خلكان جـ ٢ ص ٣١٣ (من النشرة السابقة) والشعرانى « الطبقات » جـ ١ ص ٦٨ ؛ المناوى : « الكواكب الدرية » ص ٢٥١ (القاهرة سنة ١٩٣٨) ؛ أبو نعيم : « الحلية » جـ ٩ ص ٢٥٤ — ص ٢٨٠ ؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى : « صفة الصفوة » جـ ٤ ص ١٩٧ — ص ٢٠٨ — وهو منسوب الى داريا قرية من غوطة دمشق ، وينسب اليها أيضا بغير نون ، فيقال : الدارى (راجع : « اللباب فى تهذيب الأنساب » لابن الأثير الجزرى جـ ١ ص ٤٠٣ — طبعة القدسى ، القاهرة سنة ١٣٥٧) .

(٢) ط : تطبق (بالباء الموحدة) .

(٣) ص : بأجداها .

(٤) ص : توزن .

قلة معرفة الانسان بعيوبه أكبر ذنوبه .

خطب أبوبكر رحمه[1] الله فقال : اعلموا عباد الله أنكم تعدون[2] فى أجل قريب قد غيب عنكم علمه. فان استطعتم ألا ينقضى إلا وأنتم فى عمل لله فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله تعالى[3] ، فسابقوا فى مهل ، فان أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فاحذروا أن تكونوا أمثالهم .

وخطب أمير المؤمنين على[4] عليه السلام فقال[5] : أما بعد ! فان الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت[6] وأشرفت باطلاع . ألا وإن المضمار اليوم ، وغداً السباق[7] . ألا وإنكم فى أيام أمل من ورائه أجل ؛ فمن قصّر فى أيام عمله[8] قبل حضور أجله فقد خسر عمله . ألا فاعملوا عباد الله[9] فى الرغبة كما تعملون فى الرهبة . ألا وإنى لم أر كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها . ألا وإن من لم ينفعه الحق ضره الباطل[10] ، ومن لم يستقم به الهدى جار[11] به الضلال . ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل .

خطب الحجاج فقال : من أعياه داؤه[12] فعندى دواؤه ، ومن استعجل أجاله فعلىَّ أن أعجله . إن الحزم والجد قد استلبا منى [٦١ب] سوطى ، وجعلا سوطى سيفى ، فنجاده فى عنقى ، وقائمه بيدى ، وذُبابه قلادة لمن اغتر بى[13] .

---

(١) ف ، ط : رضى الله عنه . (٢) ط : تغدون (بالغين المعجمة) .
(٣) تعالى : ناقصة فى ط ، ف . (٤) على : ناقصة فى ف .
(٥) وردت هذه الخطبة فى « نهج البلاغة » ج ١ ص ٧٠ وما يليها (طبعة الحلبى ، القاهرة من دون تاريخ) .
(٦) أقبلت : ناقصة فى « نهج البلاغة » ج ١ (ص ٧١) .
(٧) فيما يتلو اقتطاف من الخطبة ، فراجعها بأكملها فى « نهج البلاغة » ج ١ ص ٧٠ — ص ٧٣ . (٨) فى « نهج البلاغة » : أمله .
(٩) عباد الله : ناقصة فى « نهج البلاغة » .
(١٠) فى « نهج البلاغة » : من لا ينفعه الحق يضرره الباطل .
(١١) فى « النهج » يجر به الضلال الى الردى .
(١٢) ط : فعلىَّ .
(١٣) سوطى سيفى ... اغتر بى : وردت هذه الكلمات فى «عيون الأخبار» لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٤٥ س ١٣ — س ١٤ . — ونجاد السيف : حمائله ، أو ما وقع على العاتق من حمائله ؛ وقائمه : مقبضه ؛ وذبابه : طرفه الذى يضرب به .

وقال غيره : مَنْ عَذُب لسانه كثر إخوانه . العقل صديق مقطوع ، والهوى عدوٌّ متبوع . مِحَنُ القَدَر تسبق الحذر . البلاء رَديف الرخاء . ذو النُّجح لا يستبعد المسافة . لا تطمع فى كل ما تسمع .

وقال أمير المؤمنين على عليه السلام[1] : من بالغ فى الخصومة ظلم ، ومن قَصَّر فيها ظُلم ، ولا يستطيع أن يتقى الله من يخاصم .

وقال آخر : التواضع مع السخافة[2] والبخل أحمد عند العلماء من الكبر[3] مع السخاء والأدب ؛ فأعْظِمْ بحسنة عَفَّتْ على سيئتين ، وأفْظِعْ بسيئة عَفَّت على حسنتين[4] .

العجز عجزان : التقصير فى طلب[5] الأمر وقد أمكن ، والجد فى طلبه وقد فات .

وعقب أحمد بن أبى خالد[6] على أحمد بن هشام فى شىء ، فاعتذر أحمد بن هشام ، فقال أحمد بن أبى خالد : لا أقبل عذرك حتى أسىء إليك . فقال : والله لئن فعلت لا استعديتُ عليك إلا ظُلْمَك ، ولا أطمعنى فيك إلا بغيك .

قيل لميمون[7] بن مِهران : إن رقية ، امرأة هشام ، أعتقت عند موتها كل مملوك ومملوكة لها . فقال : يعصون الله مرتين : يبخلون بالشىء وهو فى أيديهم ، حتى إذا صار لغيرهم أسرفوا فيه[8] .

---

(١) علىّ عليه السلام : ناقصة فى ط . – وهذا القول ورد فى « نهج البلاغة » (ج ٢ ص ٢٠٨ س ٦ – ٧) برواية أخرى \ علىّ : ناقصة فى ف .

(٢) ص : الشجاعة . (٣) ف : و .

(٤) ط : محت خستين . (٥) ط : طلبه .

(٦) ط : خلد – وأحمد بن أبى خالد الأحول : كان وزير المأمون بعد الفضل بن سهل سنة ٢٠٣ هـ ، توفى فى ذى القعدة سنة ٢١١ هـ – راجع كتاب « بغداد » لابن طيفور ، ج ٦ ص ٢١٥ – ص ٢٣٣ (ليبتسخ سنة ١٩٠٨) .

(٧) ميمون بن مهران ، كاتب عمر بن عبد العزيز . أسند الحديث عن ابن عباس وغيره . توفى سنة ست أو سبع عشرة ومائة عن نحو ثمانين سنة . راجع عنه : « الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٧٢ – ص ١٧٣ ؛ « الحلية » ج ٤ ص ٨٢ – ص ٩٧ .

(٨) فيه : ناقصة فى ط .

وقال[1] ابن شُبْرُمة : ليس الاغراق فى علم واحد من شأن العلماء والحكماء ولا السراة والرؤساء ، بل الأخذ من كل فن . وإنما ينفرد بعلم واحدٍ من يحب المراء والتكسب .

وقال وَهْب بن منبه[2] لرجل : لا تَسُبَّ إبليس فى العلانية وأنت صديقه فى السر .

أخذ رجل على عالم خطأ فقال : يا هذا ! من لايعلم شيئاً لايخطىء فى شىء .

وقال ابن السماك للصوفيين : لئن كان لباسكم هذا وفقاً لسرائركم ، لقد أحببتم [١٦٢ ا] أن يطلع الناس عليها ، وإن كان مخالفاً لقد هلكتم .

قيل لِمِسْعَرَ[3] : أتحب أن تهدى إليك عيوبك ؟ — قال : أما مِنْ محب ناصح فنعم ، وأما من مبغض شامت فلا .

وقال أحمد بن عيسى[4] : كفى بالسعاية عيباً أن أحسن الأشياء ، وهو الصدق ، يقبح فيها .

---

(١) الواو ناقصة فى ط . — وابن شبرمة هو عبد الله بن شبرمة بن طفيل ابن حسان بن المنذر ، الضبى : وكنيته أبو شبرمة ، القاضى ، فقيه أهل الكوفة ، يعد فى التابعين . كان قاضيا لأبى جعفر على سواد الكوفة وضياعها ، وكان عفيفا صارما عاقلا ، يشبه النساك ، ثقة فى الحديث ؛ وكان شاعرا وكان جوادا . توفى سنة ١٤٤ هـ . راجع « تهـذيب الـكمال » للمزى ، ورقة ٣٤٧ ب (مخطوط برقم ٢٢٧ مصطلح طلعت بدار الكتب) ؛ « شذرات الذهب » ج ١ ص ٢١٥ — ص ٢١٦ (القاهرة ، طبعة القدسى) .

(٢) أبو عبد الله وهب بن منبه الصنعانى ، من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن ، عالم واسع الاطلاع على الكتب المقدسه والقصص الدينيـة . توفى بصنعاء سنة ١١٤ هـ — راجع « شذرات الذهب » ١\١٥٠ .

(٣) مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن صعصعة الهلالى العامرى ، أبو سلمة ، الـكوفى . ثقة ثبت فى الحديث . توفى فى سنة ثلاث أو خمس وخمسين ومائة — راجع عنـه « تهـذيب الكمال » للمزى ورقة ١٦٥٩ ا ؛ « شذرات الذهب » ج ١ ص ٢٣٨ — ص ٢٣٩ (فى وفيات سنة ١٥٥ هـ) .

(٤) وجدنا بهـذا الاسم : أحمد بن عيسى بن حسـان المصرى ، أبو عبد الله بن أبى موسى العسكرى ، المعروف بالتسترى ، وكان يتجر الى تستر فعرف بذلك ودخل مصر . توفى سنة ٢٤٣ هـ — راجع « تهذيب الكمال » للمزى ورقة ١١٧ ا ؛ « والكواكب الدرية » ج ١ ص ١٦٨ — ص ١٦٩ .

وقال : من زعم أنه لا يحب المال فهو عندى كاذب حتى أعلم صدقه ، فاذا علمت صدقه فهو عندى أحمق .

وكان الأصمعى يقول : أَحْضَرُ الناس جواباً من لم يغضب من شيء[1] .

قال بعض النُّساك : أسكتتنى كلمة سمعتها من ابن مسعود : من عشرين سنة سمعته يقول : من لم يكن كلامه موافقاً لفعله فانما يوبخ نفسه .

وقال[2] جعفر الصادق عليه السلام : إياك وسقطة الاسترسال ، فانها لا تستقال[3] .

وقال عليه السلام[4] : العافية موجودة [5] مجهولة ، والعاقبة معدومة معروفة . ما تثبت الدنيا إلا على بنى العم المتعاطفين بالبر ، المتعلقين بالأدب ، المجتمعين على التناصر ، الحاضرين بالاتفاق ، الغائبين بلا اغتياب . بمثل هؤلاء تطول أعمار الدول ، وتدعم الممالك . وما ذل قوم بعد العز حتى ضعفوا ، وما ضعفوا حتى تفرقوا ، وما تفرقوا حتى تباغضوا ، وما تباغضوا حتى تحاسدوا ، وما تحاسدوا حتى استأثر بعضهم على بعض .

اجتمعت[6] الحكماء على أن أوضع الناس من عمل على الرهبة ، واجتمعت[7] على أن من عاتب ووبخ فقد استوفى حقه ، واجتمعت[8] على أن خير الناس من نفع الناس ، وأذلّ الناس من تاه على [٦٢ب] الناس ، وأعلم الناس أقلهم تعجباً من أحداث الدهر ، وأكثر الناس غماً من طلب رتبة فوق رتبته ، وأعقل الناس من أطاع العقلاء ، وأضعف الناس من لا يحمل الغنى ، وأقوى الناس من غلب الهوى وقدر على السكون .

قيل لبعضهم : ما أحسن الكلام ؟ — قال : ما لا يحتاج معه إلى الكلام .

وقال آخر : لا يُقَوِّم عز الغضب بذلّ الاعتذار .

---

(١) من شيء : ناقص فى ط ، ف · (٢) الواو ناقصة فى ص ·

(٣) استقاله : أى طلب اليه أن يقيله ، أى ينسى سقطته ويمحوها ، والاقالة فى البيع : الفسخ ·

(٤) أى جعفر الصادق أيضا / ف : وقال أيضا ·

(٥) ف : ومجهولة ··· ومعروفة · (٦) ط : أجمعت ، وكذا فى ف ·

(٧) ط : أجمعت ، وكذا فى ف · (٨) ط : أجمعت ، وكذا فى ف ·

وقال : توصل إلى بقاء عزك بالوحدة .

ومما حفظ عن الحارث[1] بن كَلَدة ، طبيب العرب : دافع بالدواء ما وجدت له مدفعاً ، ولا تشربه إلا من ضرورة ، فانه لا يصلح شيئاً إلا أفسد مثله .

وبلغ المنذر أن شيخاً فى بعض الأحياء أتت عليه مائة وعشرون سنة فى اعتدالٍ من جسمه ونضارة فى لونه، وقوة فى نفسه ، مع نشاط وشهوة . فبعث إليه وأحضره ثم سأله عن سيرته فقال : ما احتملت هماً تبعد علىّ مدافعته ، ولا طاولت قرينة أكرهها ، ولا اجتمع فى جوفى طعامان ، وإذا أردت شرب شرابٍ شربته رقيقاً طيباً لا أثمل منه[2]، وإذا اجتمع فى بدنى خِلْطٌ استفرغته . وخلة واحدة وجدتها من أنفع الخلال فى صحة البدن : ما استدعيت الباه بحركة إلا أن تهيج به الطبيعة ؛ فاذا كان ذلك، أقللت الحركة بقية يومى وأخذت من الغذاء والنوم بحظٍ .

وقيل فى حفظ الصحة : لا ينبغى أن تأكل إلا عن[3] نقاء تام وجوع صادق من طعام[4] موافق، وتكفّ عن الطعام وأنت تشتهيه، ولا تبادر إلى شرب الماء حتى تستوفى غذاءك [١٦٣] وتصبر بعده ساعة وترتاض قبله بحركة معتدلة ، ولا تأكلن فى ظلمة ، ولا تنم تحت شجرة مجهولة ، ولا تطعم[5] ما لا تعرفه ولا من طعام محترق ولا حار جداً ولا دسم جداً . وليكن طعامك خُبْزَ البرّ واللحم الرخص[6] ، وشرابك ماء الكَرْم الرقيق الصافى ، وجماعك للشابة ، وخدمك الولدان ، ورفقاؤك المساعدون من أهل الفضل .

---

(١) الحارث بن كلدة بن عمر بن علاج الثقفى : طبيب العرب فى أواخر الجاهلية وأوائل الاسلام . أصله من ثقيف من أهل الطائف ، وأخذ الطب عن أهل فارس فى جنديسابور وغيرها . راجع عنه : القفطى (ص ١٦١ — ١٦٢ . نشرة ليرت) ، ابن أبى أصيبعة (ج ١ ص ١٠٩ — ١١٢) ؛ Leclerc ج ١ ص ٢٦ — ص ٢٨ . وتوفى سنة ١٣ هـ (٦٣٤ م) .

(٢) ط : معه . (٣) ط : على .

(٤) من طعام : ساقطة فى ف . (٥) ف : طعاما لا تعرفه .

(٦) أى اللين الناعم . — فى ف : « الدحص » ، ودحصت الذبيحة برجليها عند الذبح اذا محضت وارتكضت ، والداحص الذى يحرك رجليه ويديه وهو يذبح أو وهو يجود بنفسه .

كان بختيشوع[1] يأمر بالحقن والقمر[2] متصل بالذنب فيحل القولنج من ساعته، ويأمر بشرب الدواء والقمر على مناظرة الزهرة[3] فيصح العليل من يومه.

وقال الفضل[4] بن يحيى: صاحب الجماعة يدرك أرشه[5] فى الخدشة والشجة. وصاحب الفرقة يذهب حقه فى النفس والحرمة. واجتماع الضعيفين قوة تدفع عنهما، وافتراق القويين مهانة تمكن منهما وغافل الجماعة لا تضره غفلته لكثرة من يحفظه، ومتيقظ[6] الفرقة لا ينفعه تيقظه لكثرة من يطلبه. ولم يجتمع ضعفاء قوم إلا قووا، ولم يفترق أقوياء قوم إلا ضعفوا.

وقال الله[7] تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»[8].

قيل[9] لبعض العلماء: إن الناس قد أظهروا بغضك، وأكثرت العامة من[10] الطعن عليك — فقال: نحن كالشوك فى أعينهم، وكالقرح فى أكبادهم، ولا ذنب لنا إلا ما يرون من أثر نعمة الله علينا التى لا سبيل لهم إليها. فهم الحساد الذين لا شفاء لهم، ولا خلاص منهم.

لا ينتفع بالماء الساكن فى قرار الأرض ما لم يسِحْ، ولا بالذهب فى معدنه ما لم يستخرج، ولا بالعلم مادام مكتوباً ما لم يفض.

من لم يلزم الجادة [٦٣ب] خبط، ومن تناول الفرع قبل إحكام الأصل سقط.

---

(١) بختيشوع بن جورجس. راجع عنه: ابن أبى أصيبعة جـ ١ ص ١٢٥ — ص ١٢٧؛ ابن القفطى ص ٧١؛ وكتابنا: «التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية» ص ٥٦. توفى سنة ١٨٥ هـ \ ٨٠١ م.

(٢) والقمر ... الرواء: ناقص فى ط.

(٣) ط: فيصلح.

(٤) هو أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكى، ولى الوزارة قبل أخيه جعفر، وكان واسع الكرم، غزير العلم، ولد سنة ١٤٧ أو ١٤٨ هـ (٧٦٤ — ٧٦٥ م)، وتوفى فى السجن سنة ١٩٢ أو ١٩٣ هـ (٨٠٧ — ٨٠٨ م). راجع عنه: ابن خلكان جـ ٣ ص ١٩٧ — ص ٢٠٥ (٥) الأرش: الدية.

(٦) ف: مستيقظ ... من يقصده.

(٧) ط: الله عز وجل، وكذا فى ف.

(٨) سورة «آل عمران» آية: ٩٨.

(٩) ف: وقيل لبعض الحكماء. (١٠) ف: فى.

عقول البشر تحتاج إلى مادة من خارج، أعنى الإلهام النبوى والتأييد الإلهى.
والطباع تحتاج إلى قمع + تدبيرى، والشهوات تحتاج إلى + ردع حكمى. جهل الكتاب أثبت من حفظ[1] اللسان، فان القلم أبقى أثراً؛ فان جعلت الكتاب[2] جليسك فاحذر معه آفة الخلوة.

أنفاس المرء خطاه إلى أجله، وأمله خادع[3] له عن عمله.

الوعـــد مرض المعروف.

تركة الميت عِزٌّ[4] لورثته.

إذا ازدحم الرأى خفى الصواب.

دعوا[5] الرأى يُغِبّ.

قال معاوية للأحنف: صف لى الناس! — فقال: رءوسٌ رفعهم الحظ، وأكتاف عَظَّمهم التدبير، وأعجاز شهرهم المال، وأذناب ألحقهم الأدب. ثم الناس بعدهم أشباه البهائم: إن جاعوا ساموا، وإن شبعوا ناموا.

وقال لصَعْصَعة[6] بن صُوحان[7]: صف لى الناس! — فقال: فارسٌ يذبُّ عن البيضة، وزارع يسعى فى العمارة، وعالم يشتغل[8] بالديانة، ورجرجة بين ذلك تكدر الماء وتغلى السعر.

وقال أمير المؤمنين[9] على عليه السلام: عالم ربانى، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع[10].

(+ ... +) ما بين العلامتين ساقط من ف.

(1) ص: جهل. (2) ص: جليسا.

(3) له: ناقصة فى ف. (4) ط: عزاء.

(5) ف: دعوا الرأى تعب — وغب الأمر: صار الى آخره — والمعنى: ترو فى الأمر حتى تصل الى غايته وتستنبط كل نتائجه.

(6) صعصعة بن صوحان العبدى: أسلم على عهد النبى، ولكنه لم يلقه ولم يره. وكان سيدا من سادات قومه عبد القيس، وكان فصيحاً ديّنا فاضلا، وكان من أصحاب على — راجع «المعارف» لابن قتيبة ص ١٧٦ — ص ١٧٧ (القاهرة ١٩٣٥ م).

(7) ص: الصعصعة — وهو تحريف.

(8) ف: يشغل.

(9) على: ناقصة فى ط، ف. (10) ف: رعاع أتباع كل ناعق.

وقال مُطَرِّف[1] بن عبد الله لإنسان يتكلم بما لا ينبغى : يا هذا ! إنما تملى على كاتبيك كتاباً إلى ربك .

قيل لبعضهم : من أبعد الناس سفراً ؟ — فقال : من كان سفره فى طلب أخٍ صالح .

قيل : اعرف أخاك بأخيك قبلك .

وقيل : لو صُوِّر العقل لأظلمت عنده الشمس ، ولو صور الجهل لأضاءت عنده الظلمة .

كانت ليحيى بن خالد [2] صحيفة يدفعها إلى معلم أولاده ويأمره بتعليمهم ما فيها [١٦٤] واخترت منها :

« الحمد[3] مفتاح المواهب . الذم قُفْل المطالب . الصبر ثوب التسلى . الجزع بيت الهم. البر يستعبد الحر . من عزت لديه المعصية[4] هانت عليه الطاعة . من استعان بالدنيا أسلمته إلى النوائب . العجز المفرط ترك التأهب للمعاد . القلب العليل تسرع إليه الأباطيل » .

كان الحسن البصرى[5] يقول : رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها وراحوا خِفافاً !

وقال : قد رأينا من أعطى الدنيا بعمل الآخرة ، وما رأينا من أعطى الآخرة بعمل الدنيا .

سأل إبراهيم بن أدهم راهباً : من أين تأكل ؟— فقال : ليس لهذا جواب عندى[6] ؛ ولكن سَلْ ربى من أين يطعمنى .

---

(١) ص : مطران .

(٢) ط : خلد . — والمقصود به يحيى بن خالد البرمكى وزير هارون الرشيد ، توفى فى سجنه فى الثالث من محرم سنة ١٩٠ هـ (٨٠٥ م) عن سبعين أو أربع وسبعين سنة . راجع عنه ابن خلكان جـ ٥ ص ٢٦٥ — ص ٢٧٣ .

(٣) الحمد ... التسلى : ساقطة من ف .

(٤) ص : بالمعصية \ عليه : فى ط : لديه .

(٥) ص : البصرى رحمه الله يقول : أقواما ...

(٦) عندى : ناقصة فى ص ، ف .

وقال آخر : مسكين ابن آدم ! لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما[1] جميعاً ، ولو رغب فى الجنة كما يرغب[2] فى الغنى لوصل إليهما جميعاً ، ولو خاف الله تعالى[3] فى الباطن كما خاف خلقه فى الظاهر لسَعِد فى الدارين .

وقال شَقيق البلخى[4] : اختار الفقراء ثلاثة أشياء ، واختار الأغنياء ثلاثة : أما الفقراء فاختاروا اليقين وفراغ القلب وخفة الحساب . وأما الأغنياء فاختاروا تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب .

قال يحيى بن مُعاذ الرازى[5] : إن العالم إذا لم يكن زاهداً فهو عقوبة لأهل زمانه . شرار الأمراء أبعدهم من القراء ، وشرار القراء أقربهم من الأمراء .

قيل لابن المبارك : لو أن الله سبحانه وتعالى[6] أوحى إليك أنك ميت العشية : ما كنت صانعاً اليوم ؟ — قال : أقوم [٦٤ب] أطلب فيه العلم .

قال قتادة : عجبت[7] للتاجر كيف يسلم وهو بالنهار يحلف ، وبالليل يحسب !

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أوحى إلىّ[8] أن : أجمع المال من التاجرين ، ولكن أوحى إلىّ أن : سَبِّح بحمد ربك وكن من الساجدين .

وقال بعضهم : لا تنظروا إلى من قال ، ولكن انظروا إلى ما قال .

وقال بِشْر بن الحارث : الحكمة كالعروس تريد البيت خالياً .

وقال : كيف ينصحك من يَغُشُّ نفسه ؟ !

وقال يحيى بن مُعاذ : عجبت ممن[9] يبقى له مال ورب العزة يستقرضه !

---

(١) ص : لنجا منها ولو ... (٢) ط : رغب / ف : الى الجنة .

(٣) ف : الله عز وجل ... كما يخاف ...

(٤) البلخى : ناقصة فى ط ، ف — وهو شقيق بن ابراهيم البلخى ، صوفى مشهور ، صحب ابراهيم بن أدهم . توفى سنة ١٩٤ هـ فى غزوة كوملان . راجع عنه : « فوات الوفيات » جـ ١ ص ١٨٧ — ص ١٨٨ (القاهرة سنة ١٢٩٩) ؛ « الكواكب الدرية » جـ ١ ص ١٢١ ؛ « صفة الصفوة » جـ ٤ ص ١٣٣ ؛ « حلية الأولياء » جـ ٨ ص ٥٨ — ص ٧٣ . (٥) الرازى : ناقصة فى ط .

(٦) وتعالى : ناقصة فى ط ، ف . (٧) ص : عجب .

(٨) ف : الى ربى . (٩) ص : معاذ : من يبقى ...

وقال : من لم يكن مستعداً لموته فموته موت فجاءة وإن كان صاحب فراش سنة . فليكن عملك عمل المقبوض فى كل ساعة.

وقال : ترك الدنيا شديد ، وترك الجنة أشد منه ؛ ومهر الجنة ترك الدنيا.

وقال آخر : طلب الخير شديد ، وترك الشر أشد ، لأنه ليس كل خير يلزمك عمله ، والشر كله يلزمك تركه .

قيل للعباس بن مِرْداس(١) : لم تركت الشراب ؟

قال : أكره أن أصبح سيد قوم وأمسى سفيههم .

وقال التيمى : لا تطلبوا الحوائج إلى ثلاثة : إلى عبد يقول : الأمر لغيرى ، وإلى رجل حديث العهد(٢) بالغنى ، وإلى صيرفى همته أن يسرق أو يسترجح فى كل مائه دينار حبة .

وقال الخليل بن أحمد : العزلة تُوَقِّى العِرض ، وتُبَقِّى الجلالة ، وتستر الفاقة ، وترفع موؤنة المكافآت(٣) فى الحقوق اللازمة .

قال(٤) الحسن : يا ابن آدم ! إنما أنت أيام مجموعة ، فاذا مضى يوم فقد مضى بعضك .

وقال : رحم الله امرءاً لم يغره كثرة الناس : فانه يموت وحده ، ويحاسب وحده .

ومر عيسى عليه السلام [١٦٥ ا] بقوم يبكون ، فقال : ما لهم يبكون ؟ — فقالوا : هؤلاء قوم يبكون لذنوبهم . قال : فليتركوها تغفر لهم .

مر بعض النساك براهب فقال : يا راهب ! لقد تعجلت وحشة الوحدة(٥).

فقال الراهب : يا فتى ! لو ذقت حلاوة الوحدة(٦) لاسترحت إليها من نفسك .

---

(١) العباس بن مرادس بن أبى عامر بن حارثة بن عبد قيس ، من مضر بن نزار ؛ يكنى أبا العباس ، وأمه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد • وكان فارسا شاعرا سيدا فى قومه ، مخضرما أدرك الجاهلية والاسلام ، وفد على النبى وأسلم ، ونقل عنه الحديث • — راجع عنه : « الأغانى » لأبى الفرج الأصبهانى جـ ١٣ ص ٦٤ — ص ٧٢ ، «المعارف» لابن قتيبة ص ١٤٦ •

(٢) ط : حديث عهد •

(٣) ف : المكافأة •

(٤) ف : وقال •

(٥) ف : وحدة الواحدة •

(٦) ف : الواحدة •

قال الشافعي : من كانت همته ما يدخل جوفه[1] كانت قيمته ما يخرج منه.

قال الفُضَيل : لا تطلبوا فى هذا الزمان ثلاثة أشياء ، فانكم لاتجدون : لا تطلبوا عالماً مستعملا لعلم فانكم تبقون بلا علم ، ولا تطلبوا طعاماً من غير شُبْهة فانكم تبقون بلا طعام ، ولا تطلبوا صديقاً [2] بلاعيب فانكم تبقون بلا صديق .

فى الوحى القديم : يا ابن آدم ! إنى خلقتك لتربح علىّ ! ولم أخلقك لأربح عليك ، فاتخذنى بدلا من كل شيء ، فانى ناصرك من كل[3] شيء .

وقال[4] حاتم : إنى لا أشهد بالصدق إلا لمن اعتزل الناس ، فلا تشهدوا بالصدق[5] إلا لهم .

وقال : ليس من احتجب بالخلق كمن احتجب بالله عز وجل[6] عنهم .

وقال : الرجاء لله أقوى من خوفه ، لأنك تخافه لذنبك ، وترجوه لجوده .

وقال حكيم : الدليل على أن ما فى يدك ليس هو لك علمك أنه كان قبلك لغيرك .

وقال : لا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه .

وقال : همة فلان شكر ربه ، فهو يستحيي من طلب الزيادة علماً بأن ليس وراء ذلك[7] شيء .

من[8] ازداد علماً فينبغى أن يحذر من توكيد الحجة عليه ، فلينافس الصالحين ليلحق بهم ، وليحبهم ليشاركهم [٦٥ب] بالمحبة وإن قصر عن مثل عملهم[9] .

---

(١) ف : بطنه ... منها . (٢) ف : بغير .
(٣) فانى ... شيء : ناقصة فى ف .
(٤) ف : حاتم بن عبد الله .
(٥) بالصدق : ناقصة فى ص ، ف — وفى ط : الا بالصدق .
(٦) عز وجل : ناقصة فى ط ، ف .
(٧) علماً ... شيء : ناقصة فى ط ، ف .
(٨) ف : من أراد علماً فليحذر من توكيد ...
(٩) هنا آخر الملزمة المقحمة فى ط من ٢٣ ا الى ٣١ ب .

الجاهل يذم الدنيا ولا يسخو بإخراج شيء منها: يمدح بالجود وهو بخيل؛ يتمنى التوبة بطول الأمل ولا يعجلها خوف حلول الأجل؛ يرجو ثواب عمل لم يعمل به؛ يفر من الناس ليخفى فيطلب، ويطلب ليشتهر؛ ويذم نفسه ليمدح؛ ينهى[١] عن مدحه وهو يحب ألا ينتهى[٢] من الثناء عليه.

أثنى رجل على عالم فقال: الحمد لله الذى سترنى منك.

وقال الحسن: وجد القوم الكلام أهون من العمل، فكثر الواصفون وقل الموصوفون: أبى الله أن لا يقبل القول إلا بالعمل.

وصية قس بن ساعدة لابنه[٣]

اعلم يا بنى أن المِعَى تكفيه البقلة، وترويه[٤] المذقة. ومن عَيَّرك شيئاً ففيه مثله. ومن ظلمك وجد من يظلمه. ومتى عدلت على نفسك وعلى من دونك عدل عليك من فوقك. وإذا نهيت عن شيء فابدأ بنفسك. ولا تجمع ما لا تأكل[٥] ولا تأكل ما لا تحتاج إليه فيتويك[٦]؛ وإذا ادخرت فلا يكونن كنزك إلا العمل الصالح. وكن عَفّ العيلة[٧]، مشترك الغنى تَسُدْ قومك. ولا تشاورن مشغولا وإن كان حازماً لبيباً، ولا خائفاً وإن كان فهماً عليما. ولا تضع فى عنقك طوقاً لا يمكنك نزعه إلا بشقٍّ منك. وإذا خاصمت فاعدل، وإذا قلت فاقصد. ولا تستودعن دمك أحداً وإن قربت قرابته، فانك إذا فعلت ذلك لم تزل[٨] رجلا، وإن[٩] كان المستودع بالخيار[١٠] فى الوفاء [١٦٦] والغدر

---

(١) ف: وينهى. (٢) ف: عن.
(٣) لابنه: ناقصة فى ص.
(٤) المذيق: اللبن الممزوج بالماء، والمذقة: الطائفة منه، والمذقة أيضاً: الشربة من اللبن، وفى حديث كعب وسلمة: «ومذقة كطرة الحنيف» أى شربة من اللبن شبيهة بردىء الكتان لتغير لونها وذهابه بالمزج.
(٥) تأكل ولا تأكل مالا: ناقصة فى ص.
(٦) ص: فيريبك؛ فيوبئك.
(٧) العيلة: الفقر. (٨) ط: وكيلا.
(٩) ان: ناقصة فى ف. (١٠) ص: بالخيا.

وكنت له عبداً ما بقيت . فان جنى عليك كنت أولى بذلك ، وإن وفى كان الممدوح دونك .

وقال آخر : الدنيا[١] دار تجارة ، فالويل لمن تزود منها الخسارة .

دعاء : اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك فصن وجهى عن مسألة غيرك .

الأسد قد يهاب وإن كان مربوطاً ، والكلب قد يهان وإن كان مطوقاً مجلجلا[٢] . خير الثناء ما كان على ألسن الفضلاء والأخيار . لا يرد بأس العدو وسطوة[٣] الملك بمثل الذل والخضوع . ليس صلاح العدو مما يوثق به . العدو إذا صالحته فاحذر منه كما تحترز من الحية إذا حملتها فى كمك .

وقال آخر : ما أعان على المروءات إلا النساء الصوالح .

وقال : ليس لذى ضفف[٤] مثل أرض عشر ، وليس لتاجر مثل صامت .

وقال آخر : نوم أول الليل غنيمة آخره .

وقال[٥] : طوبى لمن إذا كان ضعيفاً عن الخير كان ضعيفاً عن الشر.

ثلاثة لاتنال بثلاثة : العلم بالكسل ، والحظوة عند النساء بالحسب ، والأجر عند الله بالرياء .

عيش فى الأمن مع الفقر أمثل من العيش فى غنى مع الخوف ، وطُلاّب الدنيا يطلبون الغنى كيف كان .

وقال المسيح عليه السلام : ليحذر من يستبطئ الله فى الرزق أن يغضب عليه فيفتح الدنيا عليه .

وقال : أقبح المكافأة مجازاة الإساءة .

---

(١) دار : ناقصة فى ف .

(٢) ص : مجلا . ـ والمجلجل : المعلق عليه الجلجل وهو الجرس الصغير .

(٣) ف : لا يرد بأس الملك بسطوته بمثل ...

(٤) الضفف : شـدة العيش : وكذلك العيال ، والغاشية . وفى ط : ضعف .

(٥) ف : وقال آخر .

قال عكرمة : كنا عند ابن عباس جلوساً فصاح طائر ، فقال رجل من القوم : خير ! خير ! — فقال ابن عباس : لا خير ولا شر ؛ طائر صاح.

وقال : أقرب ما يكون العبد الى الله عز وجل إذا سأله ، وأقرب [٦٦ب] ما يكون الى الناس إذا لم يسألهم .

قال الشّعبي : كان عمر بن الخطاب(١) يشرط على عماله ألا يركبوا البراذين ، ولا يلبسوا السابرىّ(٢) ، ولاينخلوا الدقيق .

فى طب الهند : ألا يجامع الرجل وهو مشدود الوسط ، ولا مربوط عضو ، ولا مهموم(٣) ولا مشغول الفكر بشيء من الأمور ، ولا سكران ولا غضبان .

ويقول : لا تحقر شيئاً يكون منك مثله(٤) . قد يؤيد الله بالملك الغشوم والأهواء المختلفة أركان دولة حتى تتم وتنقضى مدتها .

قال الربيع(٥) : سمعت الشافعي يقول : من أُغضب ولم يَغضب فهو حمار ، ومن غضب فاسترضى ولم يرض فهو جبار .

قال ذو النون : إلهى ! كيف أحب نفسى وقد عصتك(٦) ! وكيف لا أحبها وقد عرفتك ! — ترى ما الذى عنى ذو النون بقوله هذا ، وأى نَفْسَيْه خاطب(٧) ؟

---

(١) ط : رضى الله عنه \ على : ناقصة فى ف .

(٢) السابرى من الثياب : الرقاق ، قال ذو الرمة (ديوانه ص ٤٠٣ بيت ٥٦) :

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عَصَوَيْها سابرىٌ مُشَبْرَق

أى على عرقوبى الدلو كأنه ثوب رقيق متخرق ؛ وعرقوبا الدلو : خشبتا الصليب .

(٣) ناقص فى ص ، ط . (٤) ف ، ط : منه مثلك .

(٥) الربيع هنا هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادى صاحب الشافعي وراوية كتبه ، توفى سنة ٢٧٠ هـ ، وقد ورد هذا القول فى « طبقات الشافعية » للسبكى ج ١ ص ٢٦١ هكذا : « قال الربيع : سمعت الشافعي يقول : من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى فلم يرض فهو لئيم — وفى لفظ : شيطان — ، ومن ذكر فلم ينزجر فهو محروم ، ومن تعرض لما لا يعنيه فهو الملوم » .

(٦) ط : عصيتك . (٧) ط : خاطب أيّهما .

وقال آخر : خسارة يوم وليلة من دعى الى طعام فلم يجب ، وخسارة سنة من زرع ولم يحصد ، وخسارة العمر كله من لم يقرأ ولم يكتب ، وخسارة أبد[١] الآبدين من لم يعمل لآخرته .

يقال : ما عفى عن الذنب من قرّع به . ثلاث من علامات الرقاعة : مداومة عشرة النساء ، والدالة على السلطان ، والقصص على الكراسى .

قال العُنَزِىّ[٢] : مررت مع جماعة[٣] من الصوفية بصومعة فيها راهب كان جَبّ[٤] نفسه ، فقلنا نسأله : لم جب نفسه ؟ فقعدنا بحذاء الصومعة نتحدث ونسأله أن يشرف علينا . فلما أشرف قلنا له : لم جببت نفسك ؟ — قال : كنت أتوهم أن الشهوة فيه ، وإنما كانت الشهوة فى النفس : نظرت نظرة منذ ثلاثين سنة [١٦٧] ، وهى علىّ إلى اليوم .

قال الحسن البصرى يوماً لمطرف بن عبد الله[٥] : عظ أصحابك ! — قال : أخاف أن أقول ما لا أفعل . قال الحسن : وأينا يقول[٦] ما يفعل ! لودّ الشيطان أنه ظفر بهذه منكم فلم يأمر بمعروف ولم ينه عن منكر .

---

(١) ف : الأبد .

(٢) ف : العزى — : فى باقى النسخ : العنزى ، ولم ندر من هو ولعله : العنبرى وهو عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد القيس العنبرى البصرى . قال عنه مالك بن دينار : هو راهب هذه الأمة . وكان شديدا فى الأمر بالمعروف ، مما أدى به الى الانتقال الى الشام اثرو شاية به الى عثمان ، فأمر بنفيه الى الشام ، فأنزله معاوية الخضراء . وقد أدرك النبى ولم يره . مات فى خلافة معاوية ودفن ببيت المقدس .
راجع عنه : « الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٢٨ — ص ١٢٩ ؛ « صفة الصفوة » ج ٣ ص ١٢٦ — ص ١٣٥ .
أما العنزى فلم نجد مما يناسب المقام هنا غير طلق بن حبيب العنزى ، روى عن ابن عباس وجابر بن عبد الله — راجع عنه : « صفة الصفوة » ج ٣ ص ١٨١ .

(٣) ط : بجماعة .

(٤) ف : أحبّ ... أحبَ نفسه ... قلنا له : أحببت نفسك ... \ والمقصود أنه جَب خُصاه : أى أستأصله ، والمجبوب : الخصىُ الذى قد استؤصل ذكره وخصاه ، وقد جُب جَبّاً — وفى حديث زنباع أن النبى جب غلاما له (لسان العرب ، مادة : جب) .

(٥) فى ط ، ف : بن عبد الله بن الشِّخِّير . — وسترد ترجمته من بعد .

(٦) ف : وأينا يفعل ما يقول ! ودّ الشيطان ...

وقال حكيم[1] لأصحابه : حقاً أقول : الصدقة بحرف واحد من الحكمة [2] أنفع من الصدقة بجميع ما فى الدنيا .

وقال : من احتجت أن تستكتمه سرك فلا تُفْشِهِ إليه .

سرور الدنيا أن تقنع بما رزقت ، وغمها الحرص .

من كانت له فكرة ففى كل شىء له عبرة .

يقال : ستساق إلى ما أنت لاقٍ .

يقال : ما اجتمع عشرة إلا كان فيهم مقاتل شجاع ، وقد يجتمع الألف[3] فلا يكون فيهم عاقل .

قال ابن المبارك : طلبنا الأدبَ حيث فاتنا المؤدبون ، فالحقوا البقية قبل أن تفنى .

فى أمثال العامة ، وهم يرونه على ظاهره : أن ابليس جاء إلى موسى وهو يناجى ربه تعالى ، فقال له ملك : ما الذى ترجو منه ، ويحك ، وهو على هذه الحال ؟ — قال : ما رجوت من أبيه وهو فى الجنة .

دعاء : اللهم لا تكثّر لى من الدنيا فأطغى ، ولا تُقَلِّ لى منها فأنسى . اللهم اجعل لى فى الخير حظاً وجَداً ، ولا تجعل معيشتى ضنكاً وكداً . اللهم إنى قد علمت أنى لا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتنى [4] ، ولا أسيغ إلا ما رزقتنى . فارزقنى التقوى لك والعلم بك ما أبقيتنى ، والكرامة منك[5] إذا توفيتنى ، وشكر نعمتك فيما بقى من عمرى .

ينبغى للعاقل أن يفرح بما لم ينطق به من الخطأ مثل فرحه بما لم يسكت عنه من الصواب .

قال حماد عن يونس وحميد [٦٧ب] : قالا : لو أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن[6] لاحتاجوا إليه . — والحسن ولد مملوكاً ، وهو مولى أمية بنت النضر ، عمة أنس بن مالك . وكان اسم أبيه يسار[7] من سبى مَيْسان .

---

(١) ط : وقال : حقاً أقول ...
(٢) ص : الحلم . (٣) ط : ألف .
(٤) ط : وألا . (٥) منك : ناقصة فى ط .
(٦) أى الحسن البصرى / ف : لا يحتاجوا ...
(٧) ف : بشار — وهو تحريف — وميسان صقع بالعراق (راجع ابن خلكان ١/٣٥٤ — ٣٥٦) .

قيل لبعضهم : كيف أنت ؟ — قال : أحمد الله إلى الناس ، وأذم الناس إلى الله[١] .

قال أحمد بن أبي خالد[٢] لطاهر : لا تعدن نفسك شجاعاً حتى تراها جواداً ، فانك إن لم تقوَ على نفسك لم تقو على عدوك .

رأى معاوية ابنه يزيد يضرب غلاماً [٣] ، فقال : يا بني ! كيف لا يسع حلمك من تضربه فلا يمتنع عليك[٤] ؟ !

كان رجلان يختلفان إلى مجلس يونس بن حبيب ؛ فغاب أحدهما ، فسأل الآخر عنه فقال : مات . قال : وما كان سبب موته ؟ — فقال : كونه[٥] .

كان أكثم بن صيفي يقول لبنيه : يابني ! تقاربوا في المودة ، ولا تتكلوا على القرابة . وقال : الصمت منام العقل ، والنطق يقظته .

وقال الحسن : شكر العالم على علمه بذله لمن يستحقه .

قال الحسن : يا ابن آدم ! شيبك يعظك ، ومرضك ينذرك . فاسمع ممن يعظك ، واحذر ممن ينذرك .

قال رجل للأحنف وأراد أن يغضبه : مافيك عيب إلا الدمامة والقصر . فقال : لأن ذاك أمر لم أؤامر[٦] فيه .

قيل لبعض من يطلب الأعمال : ما تصنع[٧] ؟ — قال : أخدم الرجاء إلى أن ينزل القضاء .

---

(١) ف : الله تعالى .

(٢) طاهر : هو طاهر بن الحسين الخزاعي ، الملقب ذا اليمينين وكان قائدا للمأمون ، شجاعاً ، وكان المأمون قد أخدمه غلاماً رباه ؛ وهو الذي ساعده في الظفر بالخلافة فقتل الأمين واستولى على خراسان ، فلما تمكن منها عزم على الخروج على المأمون ، وقطع الخطبة للمأمون ، ولكنه سرعان ما توفي فجأة ، وذلك سنة ٢٠٧ هـ . — راجع « شذرات الذهب » جـ ٢ ص ١٦ — ص ١٧ .

(٣) ط ، ف : غلاماً له . (٤) ط : منك .

(٥) الكون هنا بمعنى الكون في مقابل الفساد ، أي الوجود في مقابل العدم . (٦) أي لم استشر فيه .

(٧) ما تصنع : ناقصة في ف .

دخل مكفوف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حضر من نسائه : قمن ! — فقلن : إنه أعمى. — فقال : أفعمى[(١)] أنتن ؟ !

قالت ابنة عبد الله[(٢)] بن مطيع لزوجها كلمة : ما رأيت ألأم من قومك! قال : ولم ؟ — قالت — إذا أعسرت تركوك ، وإذا أيسرت[١٦٨] جاؤوك . — قال : هذا من كرمهم : يأتوننا فى حال القوة منا عليهم ، ويفارقوننا فى حال الضعف منا عنهم .

قال ابن الاعرابى : قال جارٌ لى[(٣)] : ماتاه علىّ أحد[(٤)] أكثر من مرة واحدة.

قال بعض الصوفية : ما طابت الدنيا إلا بذكرك ، ولا طابت الآخرة إلا بعفوك ، ولا طابت الجنة[(٥)] إلا برؤيتك .

قرىء عند أبى يزيد البسطامى [(٦)] : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة »[(٧)] — فقال : من باع نفسه كيف يكون له نفس !

وقال يحي بن معاذ : من شبع عوقب بثلاث عقوبات[(٨)] : يلقى الغطاء على قلبه ، والنعاس على عينه ، والكسل على بدنه .

قيل لبعض [(٩)] الحكماء : لم لا تأكل طيبات الطعام ؟ — قال : لأنى أحب أن أعيش عيشاً عقلياً ، والناس يحبون أن يعيشوا عيشاً بهيمياً .

وقال : غضب الله[(١٠)] أشد من النار ، ورضاه أكبر من الجنة .

وكان أبو يزيد يحكى[(١١)] أنه لما حج لقيه بالبادية رجل أسود فقال له :

---

(١) ف : فعمى .

(٢) عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوى ، ولى الكوفة لابن الزبير قبل غلبة المختار . توفى سنة ٧٣ هـ — راجع « شذرات الذهب » ج ١ ص ٨٠ : « عيون الأخبار » ج ١ ص ١ س ١٥ .

(٣) ط : قال لى جار . (٤) ط : أحد قط .

(٥) ط : الآخرة . (٦) ف : البسطامى رحمه الله .

(٧) سورة « التوبة » آية : ١١٢ .

(٨) ص : عوقبات . — ويحيى بن معاذ الرازى : صوفى كبير توفى بنيسابور سنة ٢٥٨ هـ — راجع عنه : « الكواكب الدرية » ج ١ ص ٢٧٢ — ص ٢٧٣ ؛ « صفة الصفوة » ج ٤ ص ٧١ — ص ٨٠ .

(٩) ط : قيل لحكيم . (١٠) ف : الله عز وجل .

(١١) ط : وكان يحكى : لما حج ... / ف : وكان أبو يزيد يحكى أنه ...

يا أبا يزيد ! إلى أين ؟ — قلت : إلى مكة . — فقال : يا عجبا ! تركته ببسطام وجئت تطلبه بمكة ! فبهتُّ ثم التفتُّ ، فلم أره[1] .

وكان الشبلي إذا جلس في مجلسه يبدأ بقوله عز وجل : « وإليه يرجع الأمر كله ، فاعبده وتوكل عليه »[2] ؛ وإذا قطع المجلس يقرأ : « وإن إلى ربك المنتهى »[3] .

قال : سمعت معروفاً الكرخي يناجي نفسه ويقول : يانفس ! كم تبكين ! أَخْلصي وتخلَّصي .

شكا أهل مكة إلى الفضيل القحطَ ، فقال : أمدبراً غير الله تريدون ؟ !

قال[4] عبد الله بن مسعود : ما من نفس حية [٦٨ب] إلا الموت خير لها إن كان بَرّاً ، فان الله[5] يقول : « وما عند الله خير للأبرار »[6] ؛ وإن كان فاجراً فالله[7] يقول : « ولا يحسبن الذين كفروا إنما نُمْلِي لهم خير لأنفسهم ، إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً »[8] .

قال رجل لمحمد[9] بن واسع : أوصني ! — قال : أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة . — قال الرجل : وكيف أكون ملكاً ؟ — قال : ازهد في الدنيا .

قال الحسن : العالم لا يعيبه شيء لأنه يَصْمت فيسلم ، ويُخاطَب فيَفْهم[10] .

---

(١) ف : يره .
(٢) سورة « هود » آية : ١٢٣ .
(٣) سورة « النجم » آية : ٤٣ .
(٤) ف : وقال .
(٥) ط : الله عز وجل / : الله تعالى .
(٦) سورة « آل عمران » آية : ١٩٧ .
(٧) ف : فالله تعالى .
(٨) سورة « آل عمران » آية : ١٧٢ .
(٩) محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس بن خارجة بن زياد بن شمس الأزدي ، أبو بكر ، ويقال : أبو عبد الله البصري . توفي في سنة ١٢٣ وقيل ١٢٧ — راجع « تهذيب التهذيب » ج ٩ ص ٤٩٩ — ص ٥٠٠ ؛ « الكواكب الدرية » ج ١٦١ — ص ١٦٢ ؛ « حلية الأولياء » ج ٢ ص ٣٤٥ — ص ٣٤٧ .
(١٠) ويخاطب فيفهم : ساقطة من ف .

وقال عالم لابنه : يا بنى ! إنى أخاف على المحسن وأرجو للمسىء ، فما ظنك[1] بخوفى على المسىء إذا كنت أخاف على المحسن !

قيل ليوسف[2] وكان كثير الصوم : لم تجوع وأنت على خزائن الأرض ؟ — قال : أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .

وقال أعرابى لأمير المؤمنين[3] علىٍّ عليه السلام : أوصنى ! — فقال له : توق ما يعيب .

قال مُطَرِّف[4] بن عبد الله : لو وُزِنَ رجاء المؤمن وخوفه ما رجح أحدهما على الآخر .

لا خير فى ظَفَرٍ يصاب بضرر أو غرر .

من رضى[5] عن نفسه رأى فيه غيره ما لا يرى .

وقال[6] بعضهم : العاقل لا يحزن على شىء من الدنيا تولى عنه ، ولا يدع حظه من السرور بما أقبل منها .

وقال[7] : من رأى الموت بعين أمله وجده بعيداً ، ومن رآه بعين عقله وجده قريباً .

وقال آخر : ما أصنع بدنيا إن بقيتُ لها لم تبق لى ، وإن بقيت لى لم أبق لها .

---

(١) ص : أظنك . ط : فما ظنك برجائى للمحسن اذا كنت أرجو للمسىء / ف : وما ظنك بخوفى على المحسن اذا كنت أرجو للمسىء .

(٢) ف : ليوسف عليه السلام . (٣) على : ناقصة فى ف .

(٤) مطرِّف بن عبد الله بن الشخير ؛ يكنى أبا عبد الله ، صوفى محدِّث توفى فى ولاية الحجاج العراق بعد الطاعون الجارف — وكان الطاعون سنة ٨٧ ، وهو أكبر من الحسن البصرى بعشرين سنة (ولكن ورد فى « الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٦٨ س ٢١ أنه توفى سنة ١٩٥ وقيل غير ذلك) — راجع : «صفة الصفوة» ج ٣ ص ١٤٤ — ص ١٤٩ ؛ « الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٦٧ — ص ١٦٨ ، « شذرات الذهب » ج ١ ص ١١٠ .

(٥) عن : ناقصة فى ص .

(٦) ص : لبعضهم . ط : قال (بغير واو العطف) .

(٧) وقال ... قريبا : ناقصة فى ط .

أربعة أشياء تنقص الحزن : كلام العلماء ، ولقاء الأصدقاء ، وشرب الشراب ، [١٦٩] ومر الأيام .

قال الأحنف : ما عرضت الانصاف على أحد فقبله إلا هبته ، ولا أباه إلا طمعت فيه .

سأل مسلم بن الوليد الفضلَ بن سهل حاجة فقال : أسوِّفك اليوم بالوعد، وأسرُّك غداً بالانجاز ، لتذوق حلاوة الأمل[١] وأتزين بثوب الوفاء !

وقال داوود عليه السلام : لا تدعوا ربكم[٢] والخطايا بين أضلاعكم . ألقوها عنكم ثم ادعوه يستجب لكم .

وقال[٣] بعض العلماء : كفاك خيانة أن تكون أميناً للخونة . — وهذا كلام عالم زاهد فى الدنيا[٤] .

من كلام الحسن البصرى[٥]

لا يستحق أحد حقيقة الايمان حتى لا يعيب الناس بعيب فيه[٦] ، ولا يأمر باصلاح عيوبهم حتى يصلح عيوب[٧] نفسه . فاذا فعل ذلك لم يصلح عيباً إلا وجد فى نفسه عيباً آخر ينبغى أن يصلحه . فاذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره . وإنك ناظر إلى عملك بوزن خيره وشره ، فلا تحقرن شيئاً من الخير وإن صغر ، فانك إذا رأيته سرك مكانه . رحم[٨] الله امرءاً كسب طيباً ، وأنفق قصداً ، وقدم فضلا . ألا +إن هذا الموت قد أضر بالدنيا وفضحها . ولا والله ما وجد ذو لب فيها فرحاً . فاياكم وهذه السبل المتفرقة التى جماعها الضلالة وميعادها +النار. رحم الله امرءاً نظر فتفكر ، وتفكر فاعتبر[٩] ، واعتبر فأبصر ،

---

(١) ص : ولترين شوف ... (٢) الواو ناقصة فى ف .
(٣) ص : بعضهم من العلماء ...
(٤) وهذا ... الدنيا : ناقصة فى ط .
(٥) ف : البصرى رحمه الله .
(٦) ف : هو فيه . (٧) ط : عيب .
(٨) رحم ... فضلا : ورد فى ف بعد قوله : ما فارقوا / ف : رحم الله من كسب ...
(+ .. +) ما بين العلامتين ساقط من ف .
(٩) ف : واعتبر .

وأبصر فصبر : فقد أبصر قوم ثم لم يصبروا فتمكن الجزع من قلوبهم ، فلم يدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا إلى ما فارقوا . يا ابن آدم ! اذكر قول الله تعالى : « وكل إنسان ألزمناه [٦٩ب] طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » (١) عَدَل ، والله ، عليك من جعلك حسيب نفسك . خذوا صفاء الدنيا وذروا كدرها ، فليس الصفو ما عاد كدراً ، ولا الكدر ما عاد صفواً . دعوا(٢) ما يريبكم إلى ما لا يريبكم . ظهر الجفاء(٣) ، وقل العلماء ، وعفت السنة ، وعلت البدعة . إن ابن آدم غفول عن حظه . يا ابن آدم ! اعلم أنه(٤) ليس بلك غنى عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر .

⁂

قال رجل لبشر(٥) : إنك مهموم . — قال : لأنى(٦) مطلوب .

ومر بِشْر بباب الشام على أصحاب الفواكه ، فقال : مقطوعة ممنوعة ، أف لك ! (٧) .

وكان بشر(٨) يقول : ما يكره الموت إلا مريب ، وأنا أكرهه .

وقال إبراهيم بن أدهم : لا تجعل بينك وبين الله تعالى مُنعماً .

وقال(٩) شعيب بن حرب ، سمعت سفيان الثورى يقول : جهدت أن

---

(١) سورة « الاسراء » آية : ١٥ . (٢) ط : ودعوا .

(٣) ص ، ف : الخفاء (بالخاء) . (٤) اعلم أنه : ناقصة فى ف .

(٥) لعله أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله ، المروزى ، المعروف بالحافى : صوفى كبير ، أصله من مرو من قرية من قراها تسمى ماترسام ، وسكن بغداد . ولد سنة ١٥٠ هـ : وتوفى سنة ٢٢٦ أو ٢٢٧ ، فى بغداد أو مرو — راجع عنه ابن خلكان جـ ١ ص ٢٤٨ — ص ٢٥١ ؛ « الكواكب الدرية » جـ ١ ص ٢٠٨ — ص ٢١١ ؛ «صفة الصفوة» جـ ٢ ص ١٨٣ — ص ١٩٠ الخ .

(٦) ط : لأى مطلوب .

(٧) اشارة الى الآية : « لا مقطوعة ولا ممنوعة » (سورة « الواقعة » آية : ٣٢) (٨) ط : وقال بشر : ما ...

(٩) ط : قال . — وشعيب بن حرب المدائنى ، أبو صالح ، البغدادى ، نزيل مكة ، محدث ثقة ، مات سنة ١٩٧ هـ — راجع «تهذيب التهذيب» جـ ٤ ص ٣٥٠ — ص ٣٥١ .

أكون فى السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك فلم أقدر — وكان ابن المبارك يلزم الفُضَيْل بن عياض . فقال الفضيل[1] يوماً : لو كانت عندى دعوة مستجابة لم أجعلها إلا فى الإمام، فانه إذا صلح الإمام صلحت البلاد وأمن العباد. فقام ابن المبارك فقبل رأسه وقال : أحسنت يا معلم الخير !

وقال أبو حازم[2] المدنى : أعظكم وما أرى موضعاً ، ولا أريد بذلك إلا نفسى .

قيل لملك زال ملكه : ما الذى أزال ملكك ؟ — قال : ثقتى بدولتى ، وإعجابى بشدتى ، واستبدادى بمعرفتى ، وتركى تعرف أخبار أهل مملكتى .

قال معمر : أنهاكم عن الطعام الذى يفسد الذهن وينقص العقل .— وكان لا يتعرض للباذنجان [١٧٠] والبصل والباقلاء والعدس والكزبرة . وكان يقول : الباذنجان يفسد فى شهر ما لا يصلحه البلاذر فى عام .

وقال إسماعيل بن غزوان[3] : كل علم لا يكون فى مغرس عقل ، وكل بيان لا يكون فى نصاب علم ، وكل خلق لا يجرى على عرف[4]— فليس بذى ثبات .

وقال : أشد الناس إلى الناس حاجة أكثرهم تقديراً للاستغناء عنهم .

وقال آخر : إذا[5] أردت لباس المحبة فكن عالماً كجاهل .

وقيل : ليس الحكيم الكثير العلم ، ولكن الحكيم المنتفع بما يعلم .

وقالوا : لا تمتع وارثك بكدك .

وقالوا : أعسر العيوب صلاحاً العجب واللجاجة .

---

(١) ط : الفضيل بن عياض .

(٢) أبو حازم المدنى : هو سلمة بن دينار ، الأعرج ، الأفزر ، التمار ، القاص ، مولى الأسود بن سفيان المخزومي ، وقيل : مولى بني شجع من بني ليث : محدث ثقة . توفى سنة ١٤٤ هـ وقيل ١٣٣ ، وقيل ١٣٥ ، وقيل ١٤٠ هـ . — راجع عنه : « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ١٤٤ ؛ « حلية الأولياء » ج ٣ ص ٢٢٩ ص ٢٥٩

(٣) ذكره ابن قتيبة فى « عيون الأخبار » ج ٢ : ١٢٨ ، ج ٤ : ١٠٨ ، والجاحظ فى « الحيوان » ٢ : ٥٨ ، ٣ : ٢٤٨ ، ٤٦٩ ؛ ٥ : ١٠٤ ، ١٠٧ ، ٣١٧ .

(٤) العرف : المعروف . وفى ط : عرق .

(٥) ط : ان .

فيما أوحى الله[1] — عز وجل — إلى داوود : يا داوود ! خذ من الدنيا بقدر ما تطيق حمله ؛ واكتسب[2] من الذنوب ما تحتمل عقوبته ؛ وانظر إذا دعوتك أن تجيبني من حيث أقمتك ؛ ولا تخالف من لا تستغني عنه .

وقال سفيان الثوري : إذا أردت السلامة فلا تَحْجُجَّ عن ميت ، ولا تدخل في وصية ، ولا تداخل السلطان .

لا خفض بغير كفاية .

قيل للحجاج لما أشرف على الموت : ما نراك تجزع من الموت . — فقال : إن كنت مُحْسناً ، فليست بساعة الجزع ؛ وإن كنت مسيئاً ، فليست بساعة الجزع .

وقال آخر : مُستَتَمُّ الصنيعة مَنْ صابرها فعدل زيغها ، وأقام أودها ، صيانة لمعروفه ، ونصرة لرأيه . فان أول المعروف مستخفٌّ ، وآخره مستثقل . تكاد أوائله تكون للهوى دون الرأى ، وأواخره[3] للرأى دون الهوى . ولذلك قيل : ربُّ[4] الصنيعة أشد من ابتدائها [٧٠ب] .

وقال بعض الحكماء : من ازداد في العلم رشداً فلم يزدد في الدنيا زهداً ، ازداد من الله بعداً .

وقال : الحلم حلمان : فأشرفهما حلمك عمن دونك ؛ والصدق صدقان : فأعظمهما صدقك فيما يضرك ؛ والوفاء وفاآن : فأسناها وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه .

وقال : إن استصغارك نعمتك يكبرها عند ذوى العقل ، وسترك لها نشر عندهم . فانشرها بسترها ، وكبرها باستصغارها .

قال الجاحظ : قلت لسهل بن هارون : قال حَبَّاب : أحق الناس بصحبة السلطان من صرفهم عن عيوبهم ، واحتمل ثقل نصائحهم في حظوظهم . فقال : لكني أقول غير ذلك . — قلت : ما هو؟ — قال : أحق الناس بصحبة السلطان من ساعدهم على أهوائهم ، وألهاهم عن ذكر عاقبتهم . — قال : فذكرت قولهم : إذا كان لك أخ فاستدِمْ مودته بترك الخلاف عليه ما لم يكن عليك منقصة ولا غضاضة .

---

(١) ط : الله تبارك وتعالى الى داوود . (٢) ص : فاكتسب .
(٣) ص : وآخره . (٤) أى زيادتها وتنميتها .

قال بعضهم : العاقل خادم الأحمق أبداً — قيل : وكيف[١] ذلك ؟ — قال : إن كان فوقه لم يجد من مداراته بدا ، وإن كان دونه لم يجد من احتماله بداً .

وقالوا : احترس من ذكر العلم عند من لا علم له وعند من لا يرغب فيه ، فان ذلك بالحرى أن يتخذه سلماً إلى عداوتك .

قال الفضيل[٢] : لا يكون الرجل من الأبرار حتى يأمنه عَدُوُّه . ثم قال : هيهات ! ذهب هؤلاء ! كيف يأمنك عدوك ، وصديقك يخافك ؟ !

سئل سفيان[٣] : مَنْ الناس ؟ — فقال : العلماء . — قيل : فمن الملوك ؟ — قال : الزهاد . — قيل : فمن الأشراف ؟ — قال : المتقون . — [١٧١] قيل : فمن الغوغاء ؟ — قال : القُصّاص . — قيل : فمن السفلة[٤] ؟ — قال : الظلمة .

قال زيد بن علي بن الحسين[٥] عليهم السلام : إنك تقدم على ما قدمت ، ولست تقدم على ما تركت . فآثر ما تلقاه غداً على ما لا تراه أبداً .

كان خالد[٦] بن عبد الله القسري لا يحتجب كما يحتجب الأمراء ،

---

(١) ط : فكيف ، قال ...

(٢) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر ، التميمي ، الطالقاني الأصل : صوفي مشهور ، كان في أول أمره شاطرا يقطع الطريق ، ثم تاب وأصلح . ولد في أبيورد ، وقيل في سمرقند ، ونشأ في أبيورد ، وقدم الكوفة ، وسمع الحديث بها ، ثم انتقل الى مكة وجاور بها الى أن مات في المحرم سنة ١٨٧ هـ (٨٠٢ م) . راجع عنه : ابن خلكان جـ ٣ ص ٢١٥ — ص ٢١٧ — ثم « صفة الصفوة » جـ ٢ ص ١٣٤ — ص ١٣٩ ؛ المناوي : « الكواكب الدرية » جـ ١ ص ١٤٨ — ص ١٥٠ .

(٣) أي سفيان الثوري . (٤) ط : السفل .

(٥) ط : زيد بن علي عليهما السلام .

(٦) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله ، البجلي ، ثم القسري . وكان أمير العراقين من قبل هشام بن عبد الملك الأموي ، وولي قبل ذلك مكة سنة تسع وثمانين للهجرة ، وكانت أمه نصرانية . ويعد من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة ، مشهورا بالكرم . وكان متهما في دينه ، يرمى بالزندقة («الفهرست» لابن النديم ص ٤٧٣ س ٢ ، من الطبعة المصرية بغير تاريخ) ، وبنى لأمه كنيسة تتعبد فيها ، وفي هذا هجاه الفرزدق بأبيات أوردها ابن خلكان (جـ ٢ ص ٧) ؛ قتل وصلب في أيام الوليد بن يزيد سنة خمس أو ست وعشرين ومائة بالحيرة . راجع عنه ابن خلكان جـ ٢ ص ٦ — ص ١٠ (القاهرة سنة ١٩٥٠) .

ويقول : لا يحتجب الوالى إلا لثلاث خصال : إما رجل عَيِيّ يكره أن يطلع الناس على عِيه، وإما رجل مشتمل على سَوْأة فهو يكره أن يرى الناس منه ذلك ، وإما رجل بخيل يكره أن يسْأل .

.·.

كتب عمر بن الخطاب إلى ابنه : اتق الله فانه لا عمل لمن لا نية له ، ولا مال لمن لارفق له ، ولا حرمة لمن لا دين له .

وقال(١) : النساء عورات فاستروهن بالبيوت ، وداووا ضعفهن بالسكوت ، وخوفوهن(٢) بالضرب ، وباعدوهن من الرجال ، ولا تسكنوهن الغرف ، ولا تعلموهن الكتابة ، وعودوهن العرى : فانهن إذا عرين لم يخرجن ولزمن بيوتهن ، وأكثروا عليهن من قول : « لا » ، فان « نعم » تغريهن بالمسألة .

وكتب إلى أبي موسى الأشعرى : مُرْ ذوى القرابات(٣) أن يتزاوروا ولا يتجاوروا .

وقال : أبت الدنانير إلا أن تبرز أعناقها .

.·.

كان أبو حنيفة رحمه الله إذا ذاكر بالعلم يقول : أين السلاطين مما نحن فيه ! أما لو فطنوا لنا لقاتلونا عليه بالسيوف .

وقال غيره : الأيادى ثلاثة : يد بيضاء ، وهى الابتداء بالمعروف ؛ ويد خضراء ، وهى طلب المكافأة ؛ ويد سوداء ، وهى المن بالمعروف .

وقال محمد بن واسع لصديق له رآه حريصاً على الدنيا : يا أخى ! أنت طالب مطلوب(٤) : يطلبك من لا تفوته ، وتطلب ما قد كفيته ! فكأنك بما قد غاب عنك قد كشف لك ، وما أنت فيه قد نقلت عنه ، كأنك لم تر حريصاً محروماً ، ولا زاهداً [٧١ب] مرزوقاً .

وقال عمر بن الخطاب : كفى بك غياً أنْ يبدو لك من أخيك ما يخفى عليك من نفسك، أو تؤذى جليسك فيما لا يعنيك، أو تعيب شيئاً وتأتى مثله .

---

(١) أى عمر بن الخطاب .

(٢) ط : أخيفوهن .

(٣) أى : ناقصة فى ط .

(٤) ط : ومطلوب .

وقال : يا معشر القراء ! لا تلقوا كلكم على إخوانكم ، ولا تدعوا آخرتكم لدنياكم ، ولا دنياكم لآخرتكم[1] ، واستعينوا على هذه بهذه .

وقال غيره : أول العلم[2] الصمت والاستماع ، ثم الحفظ ، ثم المذاكرة ، ثم التعليم ، ثم النشر .

من عاش متعلماً مات عالمـــاً .

قال أبو عمرو بن العلاء : كل شيء طلبته فى وقته فقد فات وقته .

وقال : الحاسد مغيظ أبداً ، ويكفيك منه أنه يغتم فى وقت سرورك .

وقال : صاحب الصمت لا يجوز نفعه نفسه ، وصاحب النطق يتكلم فينفع نفسه[3] وغيره .

وقال : نفع الدنيا ظاهر : إذْ[4] كان يفوز فى الآخرة من تزود من هذه .

قال المسيح عليه السلام : ما زهد فى الدنيا من جزع من المصائب فيها .

سمع بعضهم واعية[5] فى دور بعض الملوك فقال : يا ويح المفتونين بالدنيا إلى متى يسمعون صيحة الآخرة فى ديارهم وهم غافلون !

وقال : لم نر داراً أغر من الدنيا ، ولا طالباً أغشم من الموت ، ولا غافلا أعجب من الإنسان !

وقال : احذر القتل ، فان للقاتلين قاتلا[6] لا يموت .

قال المسيح عليه السلام : حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون فى محلة المتحيرين : تصفُّون من البعوض شرابكم ، وتبلعون الجمال بأحمالها ؛ إن الزِّقّ إذا نغل[7] لم يصلح أن يكون وعاءاً للعسل ، وإن قلوبكم قد نغلت فلا تصلح فيها الحكمة . كم مذكر بالله ناس له ! وكم مخوف بالله جرئ عليه ! وكم داع إلى الله هارب منه ! وكم تال للكتاب الله منسلخ من آياته !

---

(١) الواو ناقصة فى ص . (٢) ص : ان العلم ...
(٣) الواو ساقطة فى ص . (٤) ص : اذا .
(٥) الواعية : الصراخ والصوت ، لا الصارخة (كما فى «القاموس المحيط») .
(٦) ط : قاتل .
(٧) ص : نعل . ــ ونغل الأديم (كفرح) فهو نَغِل : فسد .

أمر بعض الملوك أن يستخرج له كلمات من الحكمة ليعمل بها، فاستخرجت له أربعون ألف كلمة ، فاستكثرها ، فاختير منها أربعة آلاف كلمة ، ثم لم يزل [٧٢ ا] ينقص منها حتى رجعت إلى أربع كلمات[١] وهى : لا تثقن بامرأة ! لا تحملن معدتك فوق طاقتها ! احفظ لسانك ! خذ من كل شىء ما كفاك !

ومن حكم العرب فى الجاهلية

ابنك يأكلك صغيراً ويرثك[٢] كبيراً ، وابنتك تأكل من وعائلك وترث فى أعدائك ، وابن عمك عدوك وعدو عدوك .

وكانوا يقولون : إن للدرهم قماصاً[٣] كقماص الفرس ، فليس يضبطه إلا القوى الحازم من الرجال .

.:.

قال رجل لمطيع بن إياس : ما ندمت على صمت قط ولا مللته . فقال مطيع : أما أنت فلو خرست ما آجرك الله على الخَرَس[٤] فانه من شهوتك .

وقال[٥] جعفر الصادق : إنى لأملق[٦] فأتاجر الله بالصدقة فأتسع .

قيل للحسن بن صالح[٧] : لم لا تخضب ؟ — فقال : الخضاب زينة ونحن فى مأتم .

---

(١) وهى : ناقصة فى ص .   (٢) ص : يرترك .

(٣) القماص (مثلثة القاف) : الوثب . وقمص الفرس من بابى نصر وضرب) قمصا وقمصا : استن ، وهو أن يرفع رجليه ويطرحهما معا ويعجن برجليه .   (٤) ف : لأنه .

(٥) جعفر : ناقصة فى ط / ف : جعفر الصادق عليه السلام .

(٦) أى يصيبنى الفقر / ف : الله تعالى .

(٧) الحسن بن صالح بن حى الهمدانى فقيه الكوفة وعابدها : ثقة حافظ متقن ، روى عن أبيه وأبى اسحق وعمرو بن دينار وعاصم الأحول . وكان يتشيع ، وكان ورعا متجردا للعبادة . قال ابن سعد : « كان ناسكا ، عابدا ، فقيها ، حجة ، صحيح الحديث ، كثيره ، وكان متشيعا » — راجع « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٢٨٥ — ص ٢٨٩ ؛ « طبقات » ابن سعد ج ٦ ص ٢٦١ (طبقة سخاو ، ليدن سنة ١٩٠٩) ؛ « شذرات الذهب » ج ١ ص ٢٦٢ — ص ٢٦٣ . وتوفى سنة ١٦٧ هـ .

وقال أبو[1] حازم : الدنيا جيفة ، فان رضيت بها فاصبر على مقارنة الكلاب فيها .

وقال آخر : اتقوا الله عباد الله ! فانه ليس يتمنى المتقدمون قبلكم إلا المهل المبسوط لكم . يا قوم! استغنموا نفس الأجل ، وإمكان العمل ، واقطعوا ذكر المعاذير والعلل؛ فانكم فى أجل محدود ، ونفس معدود ، وعمر غير ممدود[2].

اعتل بعض الزهاد ، فكان الناس يعودونه ، فقال يوماً : اللهم كما أنسيتنى الناس فأنسهم إياى .

وقال الفضيل : إن الله تعالى يقول : إذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى .

ونظر الفضيل إلى رجل يشكو[٧٢ب] إلى صديق له ما هو فيه من الضر وشدة[3] الضائقة فقال : يا هذا ! أتشكو من يرحمك إلى من لايرحمك ؟

قال الجنيد : دخلت على المغربى وهو قاعد يكتب فقلت : إلى متى هذه الكتبة ؟ متى العمل ؟ — فقال : يا أبا القاسم ! أو ليس هذا عملا[4] ؟ — فبقيت دهشاً لا أدرى ما أقول .

وقال آخر : الموت شيء خُوِّف به العالم ، فمن خاف منه فهو محجوب عن الحق .

قال مبارك[5] بن فضالة : سمعت الحجاج يقول فى خطبة : إن الله[6]

---

(١) ص ، ط : حازم — ولعله : أبو حازم سلمة بن دينار التمار المدنى القاص الزاهد الحكيم ، مولى الأسود بن سفيان المخزومى ، عالم المدينة وواعظها ، وكان أشقر فارسياً وأمه رومية . توفى سنة ١٤٠ هـ (راجع « شذرات الذهب » ٢٠٨/١) أو مابين ١٣٣ و ١٤٤ على خلاف فى ذلك . وأورد له صاحب « التهذيب » عدة أقوال فى هذا المعنى (ورقة ٢٦٤ ا بدار الكتب المصرية) .
ناقصة فى ف .

(٢) ط : الضرّ والاضاقة ، وكذا فى ف .

(٣) ط ، ص : عمل .

(٤) مبارك بن فضالة بن أبى أمية ، أبو فضالة ، البصرى مولى زيد بن الخطاب . روى عن الحسن البصرى وبكر بن عبد الله المزنى وغيرهما . توفى سنة ١٦٥ أو ١٦٤ أ أو ١٦٦ . — راجع « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٣٠ ؛ « شذرات الذهب » ج ١ ص ٢٥٩ ؛ « تهذيب الكمال » ١٦٥٠ . (٥) ف : الله تعالى .

عز وجل أمرنا بطلب الآخرة ، وضمن لنا مؤونة الدنيا . فياليته ضمن لنا الآخرة. وأمرنا بطلب الدنيا ! — قال : فذكرت ذلك للحسن فقال : ضالة مؤمن عند فاسق فخذها .

وقال ابن عباس(١) : لولا مخافة الوسواس لرحلت(٢) إلى بلاد لا أنيس(٣) فيها وأقمت فيها إلى أن(٤) ألقى الله تعالى ، فما يفسد الناس إلا الناس .

وقال حذيفة : والله إنى لأود(٥) أن أجد من يقوم بمالى ، ثم أغلق علىّ فلا يرانى أحد حتى ألحق بالله(٦) .

قيل لابن المبارك : إلى كم تكتب ؟ — فقال(٧) : لعل الكلمة التى تنفعنى لم أكتبها بعد .

وفى الأمثال(٨) القديمة : إذا رأيت الفيل على قُلَّة جبل فاطلب عظامه فى الحضيض .

قيل لعالم : هل يتمنى الجاهل أن يكون عالماً ؟ — قال : لا ، إلا أن(٩) يكون عاقلا — قيل : فهل يتمنى العالم أن يكون جاهلا ؟ — قال : لا ، إلا أن يعْدَم عقله .

اتقوا درك الذنوب ، فان المذنب فى كف الطالب .

أعزوا الحق يذلّ لكم الباطل .

أموالكم عوارى(١٠) بينكم فتبادلوها .

خذوا أهبة الرحيل فانكم سَفْرٌ(١١) .

[١٧٣] اتقوا الظلم فان الحاكم عدل .

---

(١) ف : رضى الله عنهما .
(٢) ط : لدخلت . (٣) ف : لا ابليس .
(٤) الى أن : ناقصة فى ص . — فيها : فى ط : بها حتى ألقى الله فما يفسد الناس سوى الناس . / ف : سوى الناس .
(٥) ط : أود . — وحذيفة هو حذيفة بن اليمان ، وستأتى ترجمته بعد ص ١٧٥ تعليق ٩ .
(٦) ف : بالله عز وجل . (٧) ص : قال .
(٨) ف : الأمثال السائرة القديمة .
(٩) الا أن يكون ... لا : ناقصة فى ف .
(١٠) جمع عارية : شيء مستعار . — بينكم : ناقصة فى ص ، ف .
(١١) أى مسافرون .

من أقاده الدهر أقاد منه[1] .
خذوا عن أهل التجارب .
الحور مهانة ، والحود مهابة .
علانية العاقل سر ، وسر الجاهل علانية .
لا تغضب فان القدرة من ورائك .
اشغلوا نساءكم ، فان الدواهى فى الفراغ .
الجزع عند البلاء تمام الآفة .
لا تتكلوا على القرابة ، فان القريب من قرب نفسه .
نعم شغل الحرة الغَزْل . مقتل الرجل بين فكيه . المسئ تكفيه مساوئه[2].
البطـــالة نذالة[3] .

من كلام أكثم بن صيفى

عيى عرفت فذرفت . لم يفت من لم يمت . مع كل حَبرة[4] عبرة . لا تنفع حيلة مع غيلة . أخو الظلماء أعشى . هلكت الأشراف بمخالطة السِّفَل. فى الحريرة تسترك[5] العشيرة . ليس بيسير تقويم العسير . إذا أُنصف مظلوم لم يبق ملوم . غلب عليك من دعا إليك[6] . لم يَجُرْ سالك القصد . الحريص يطلب القليل ويضيع الجليل . التناصر عز والتواكل مذلة .

.:.

لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة[7] ، قال : ليتنى كنت غسالا أعيش بما أكسب يوماً بيوم ! — فبلغ أبا حازم[8] قوله فقال : الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ، ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه .

---

(١) ف : عنه / فى بعض النسخ : أفاده ... أفاد (بالفاء) .
(٢) مقتل ... مساوئه : ناقصة فى ص/ف : اساءته .
(٣) البطالة نذالة : ناقصة فى ط ، ف .
(٤) ط : خبرة ، ف : حيرة .
(٥) ف : تشترك . (٦) ف : عليك .
(٧) توفى عبد الملك بن مروان الخليفة أبو الوليد فى شوال سنة ٨٦ وله ستون سنة .
(٨) لعله أبو حازم المدنى الذى سبقت ترجمته ص ١٧٢ تعليق رقم ١ ؛ ولا يشترط أن يكون بلوغه قول هشـــام فى حينـــه ، بل يجـوز أن يبلغه ذلك بعد زمان يطول ويقصر .

وقيل له لما ثَقُل : كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ — فقال : أجدنى(١) كما قال الله تعالى : « ولقد جئتمونا فُرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم »(٢) .

قال أبو سليمان الدارانى(٣) : إن الرجل لينقطع إلى بعضِ الملوك ، ملوك الدنيا ، فيرى أثرهم عليه . فكيف [٧٣ ب] من(٤) ينقطع إلى الله تعالى ؟ ! (٥)

كتب أبو على الروذبارى إلى صديق له(٦) وكانت بينهما وحشة : « ترك العتاب فرقة ، وطول العتاب وحشة . فان كنت ذممتنى على الإساءة ، فلِمَ ترضى من نفسك بالمكافأة عليها ؟ ! » .

لما احتضر هشام بن عبد الملك نظر إلى أهله يبكون حوله فقال : جاء هشام(٧) لكم بالدنيا ، وجدتم له بالبكاء ؛ وترك لكم ما جمع ، وتركتم له ما حمل ؛ ما أعظم مصيبة هشام إن لم يرحمه(٨) ربه !

ولما احتُضِرَ حذيفة(٩) قال : حبيب جاء على فاقة ؛ لا أفلح من ندم . الحمد لله الذى سبق بى الفتن . أليس بعدى ما أعلم ؟ !

---

(١) ص : أجدنى وراء ظهوركم كما ... وفى ط : قال الله عزوجل ...
(٢) سورة « الانعام » آية : ٩٤ .
(٣) ط : الدارى — وهو صواب أيضا لأن النسبة الى داريا : دارى ودارانى .
(٤) ف : بمن .
(٥) ط : عز وجل .
(٦) الواو ناقصة فى ط ، ف .
(٧) ف ، ط : جاد عليكم هشام بالدنيا ...
(٨) ان لم يرحمه ربه : وردت فى ف ، وساقطة من ص ، ط .
(٩) حذيفة بن اليمان : يكنى أبا عبد الله ، واسم اليمان حسيل بن جابر بن ربيعة بن عمرو : من أكابر الصحابة المشهورين بالزهد ولاه عمرو بن الخطاب على المدائن ، وتوفى بعد قتل عثمان بأشهر . وورد هذا القول فى « صفة الصفوة » (ج ١ ص ٢٥١) هكذا : « عن زياد مولى ابن عياش قال : حدثنى من دخل على حذيفة فى مرضه الذى مات فيه فقال : لولا أن أرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به . اللهم انك تعلم أنى كنت أحب الفقر على الغنى ، وأحب الذلة على العز ، وأحب الموت على الحياة ! جيب جاء على فاقة ! لا أفلح من ندم . — ثم مات رحمه الله » . — راجع عنه : « صفة الصفوة » ج ١ ص ٢٤٩ — ص ٢٥٢ ؛ « حلية الأولياء » ج ١ ص ٢٧٠ — ص ٢٨٣ . وتوفى حذيفة فى سنة ٣٦ هـ (« شذرات الذهب » ج ١ ص ٤٤) .

ولما احتضر[1] أبو الدرداء جعل يقول : من يعمل لمثل مضجعى هذا ، ولمثل ساعتى هذه ! بلغ من خدع الناس أن جعلوا شكر الموتى تجارة عند الأحياء، والثناء على الغائب استمالة لقلب الشاهد .

وقال آخر : بئس الصديق الذى إن أعطيته أفقرك، وإن منعته وجد عليك.

وقال[2] بعضهم : لا يعمل المخلوق شيئاً أشبه بعمل الخالق — عز وجل — من التجاوز عن الذنوب . — وهذا شبيه بما قاله : لو جاز أن يظهر الخالق عز وجل[3] لظهر فى صورة الحلم .

وسئل جعفر الصادق عليه السلام عن معنى الانقطاع إلى الله عز وجل ، فقال[4] : أن تعلم أن ما حكم[5] عليك من شىء فانه فى ذلك محسن إليك ، وهو بك أرأف ، وعليك أشفق .

قال ذو النون : كل مطيع مستأنس ، وكل عاص مستوحش ، وكل خائف هارب ، وكل راجٍ طالب ، وكل محب ذليل[6] .

وقال : من ذكر الله [١٧٤] نسى كل شىء فى جنبه ، ومن نسى فى جنبه[7] كل شىء حفظ الله عليه[8] كل شىء ، وصار له عوضاً من كل شىء .

وقال ابن[9] السماك : سبحان من خلقنا فجعلنا نُبْصِر بشحم ، ونسمع بعظم ، ونتكلم بلحم !

---

(١) راجع هذا الخبر فى « صفة الصفوة » ج ١ ص ٦٤ ، مع خلاف فى الرواية .

(٢) الواو ناقصة فى ط . (٣) عز وجل : ناقصة فى ف .

(٤) ص : قال . (٥) ص : أن حكم ...

(٦) ف : وكل من ذكر الله عز وجل نسى كل شىء ...

(٧) ط : ومن نسى كل شىء فى جنبه حفظ ...

(٨) ف : الله سبحانه وتعالى كل شىء .

(٩) هو أبو العباس محمد بن صبيح ، مولى بنى عجل : زاهد ، صاحب مواعظ . كوفى قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بها مدة ثم رجع الى الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ هـ (٧٩٩ م) — راجع عنه : ابن خلكان ج ٣ ص ٤٢٨ — ص ٤٢٩ ؛ المناوى : « الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٦٢ — ص ١٦٣ ؛ ابن الجوزى : « صفة الصفوة » ج ٣ ص ١٠٥ — ص ١٠٨ ؛ أبو نعيم ؛ « الحلية » ج ٨ ص ٢٠٣ — ٢١٧ — ف : ابن السماك رحمه الله .

وقال : من يهرب منك إن سألته ، فلا تسأله ، ولكن سل من أمرك أن تسأله .

وقال غيره : نحن نسأل أهل زماننا إلحافاً ، وهم يعطوننا كرهاً ، فلا هم مثابون ، ولا نحن يبارك لنا .

وصى رجل ابنه فقال[1] : إياك ومشاورة النساء : فان رأيهن إلى أفْن ، وعزمهن إلى وَهْن ؛ واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن[2] ، فان حجابهن[3] خير من الارتياب ، وليس خروجهن بأشد من دخول من لا تثق به عليهن . فان استطعت ألا يعرفن غيرك ، فافعل . لا تملكن امرأة من الأمر ما جاوز نفسها ، فان ذلك أنعم لبالها ، وأدوم لحالها ؛ وإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة . فلا تَعْدُ بكرامتها نفسها ، ولا تجز لها الشفاعة عندك لغيرك[4] ، ولا تطل الخلوة معهن فانهن يملكنك . وإياك والغيرة فى غير موضعها ، فان ذلك يدعو الصحيحة منهن[5] إلى السقم .

المودة لا تنقطع ما دامت العفة رباطها .

من فاته حَسَبُ نفسه لم ينفعه حسب أبيه .

لا تثقنّ بشكر من تعطيه[6] حتى تمنعه[7] ، فالصابر هو الشاكر ، والجازع هو الكافر .

إذا عظمت القدرة قلت الشهوة .

مع كل سَرَفٍ حق مضيع .

فى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق .

لا تعدن معروفاً نلته ، وإن كان حظاً [٧٤ب] نفيساً ، بعد ابتذال قدرك وإراقة ماء وجهك . فان الذى فقدت من عز الصيانة أكثر من قدر العائدة ، وقيمة ما بذلت أعظم من الذى حُزْتَ من قضاء[8] وطرك .

---

(١) ف : فقال له .
(٢) اياهن : ناقصة فى ص ، ف .
(٣) ط : حجابك .
(٤) ط : لغيرها .
(٥) منهن : ساقطة من ف .
(٦) ف : تعطه .
(٧) وردت هذه العبارة قبل .
(٨) ط : وطر نفسك .

إدراك الحاجة يكون بلين المقال ولطف السؤال وحسن الأناة وقلة الاستكراه.

لا تعدن لكل فارطة[1] عتاباً ؛ وليكن عتابك تأديباً لا تأنيباً ، فان أضر الأدب ما كان تعييراً، وخيره ما كان تبصيراً . لو لا التجارب لعميت المذاهب[2].

خلف المواعيد أشد تهجيناً للمروءة من الرد .

أفضل على من شئت فانك فوقه ، واستغن عمن شئت فانك مثله ، واحتج إلى من شئت فإنك دونه[3] .

حسن البشر اكتساب محمدة ودفع ضغينة بغير مؤونة[4] .

خاصم رجل رجلا[5] آخر فرفعه إلى شريح ، فباهله ، فرفع يده إلى السماء يدعو ربه . فقال شريح : غض طرفك وكف يدك ، فانك لن تراه ولن تناله .

قيل لزاهد : لم تخضب وقد شبت وأنت بعدُ شاب؟ — فقال : إن الثكلى لا تحتاج إلى ماشطة . وقال : إن الثكلى إذا لبست الحداد فقد تسلت .

وقال عمر بن عبد العزيز لرجل قدم عليه من ناحية : كيف رأيت عُمّالنا فيكم ؟ — فقال : يا أمير المؤمنين ! إذا طابت العيون عذبت الأنهار .

قيل لإبراهيم بن أدهم فى عام قحط : ألا نستسقى ؟ — فقال : أقيموا عبوديتكم ، فانه أعلم بربوبيته .

قيل لبعضهم : لم تجمع المال ؟ — فقال : لمصائب الزمان وجور السلطان ومنادمة الاخوان .

وقال : إن هؤلاء العوام مشغولون عن الفضائل بعيشة البهائم ، فهم لا يجدون طعم العز ، ولا سرور الظفر ، ولا رَوْح اليأس ، ولا برد اليقين ، ولا راحة الأمن .

وقالوا : من عامل الإخوان بالمكر كافأوه بالغدر .

وقالوا : ليس[6] من تكلم فأحسن [١٧٥] قدر أن يسكت فيحسن .

---

(١) أى ما يفرط من ذنب ، أى ما يصدر من ذنب هين ..
(٢) لولا ... المذاهب : ناقصة فى ص .
(٣) واحتج ... دونه : ناقصة فى ط .
(٤) ط : مرزية . (٥) رجلا : ناقصة فى ط .
(٦) ط : ليس كل من قدر أن يتكلم فيحسن ، قدر أن يسكت فيحسن ، وليس كل من قدر أن يسكت فيحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

وقالوا : أسد حطوم خير من سلطان ظلوم ، وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم .

كتب أمير المؤمنين على[1]ــ عليه السلام ــ إلى عبد الله بن عباس[2] : أما بعد ! فان المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه ، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على مافات منها ؛ وما نلت من الدنيا فلا تنعم به فرحاً[3] ، وليكن همك لما بعد الموت . والسلام !

قال رجل لآخر : لا أراك الله مكروهاً . فقال آخر كان يسمعه : كأنك دعوت عليه بالموت . قال : ولم ؟ قال : لأن صاحب الدنيا لابد أن يرد عليه مكروهها[4] .

وقال بعض البلغاء لصديق له : إنما أبغى منك بشر وامق لا بشر[5] منافق .

وقال آخر : نحن فى زمانٍ المعروفُ فيه زلل ، والصواب فيه خطل ، والإحسان مثل .

يروي أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : السلطان ظل الله فى أرضه ، يأوى إليه كل مظلوم من عباده ، فان عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر ، وإن جار كان عليه الوِزر وعلى الرعية الصبر .

وقال بعضهم : اهدوا للولاة ، فانهم إن لم يقبلوا أحبوا .

وقال : خير القرناء عند المسكنة : المرأة الصالحة ، وعند الخوف : حسن العقل ، وعند الموت : حسن الثناء .

وقال : ثلاث لا يحاسب العبد عليهن يوم القيامة : ما أنفق فى مرضه ، وفى إفطاره ، وفى قرى ضيفه .

---

(١) علما ... اللام : ناقصة فى ط .

(٢) ورد فى « نهج البلاغة » ج ٢ ص ٢٠ (طبعة الحلبى ، القاهرة بغير تاريخ) ، ثم ورد برواية أخرى فى نفس الكتاب ج ٢ ص ١٢٧ .

(٣) فى « نهج البلاغة » : « وما بلغت من دنياك فلا تكثر فيه فرحا ، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا ، وليكن همك فيما بعد الموت » (ج ٢ ص ٢٠ س ١٠ ــ س ١١) .

(٤) ص : مكروها .

(٥) ص : بشر . وكشر عن أسنانه فى الضحك : أبدى .

قال الحكيم لابنه : أى بنى ! إذا أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه قبل ذلك[٧٥ب] ، فان أنصفك عند غضبه ، وإلا فدعه .

إذا كان فى الرجل ثلاث فلا تشك فى صلاحه : إذا حمده جاره ، ورفيقه فى سفره ، ومعاشروه على طعامه وشرابه .

وقال : لا تجاهد فى الطلب جهاد المغالب ، ولا تَتَّكِلْ على القدر اتكال المستبسلم .

أعن ما وليته فليس يكفيك من لم تكفه[١] .

قال ابن السماك : من جرعته الدنيا حلاوتها بميله[٢] إليها جرعته الأخرى مرارتها بتجافيها عنه .

وقال : إذا طالبتك نفسك برزق غدٍ فقل : هات[٣] كفيلا بأن أبقى إلى غـــد .

وكتب بعضهم وصية لولده : لاتقبل من السلطان عطية ، ولامن الاخوان هدية . كن آنس ما تكون إذا خلوت بربك ، وأوحش[٤] ما تكون إذا قعدت[٥] مع الناس . ما أصغر ما بذلت ، وما أحقر ما تركت ، وما أيسر ما فعلت فى جنب ما أملت ! اسجن نفسك فى بيتك وحدك ، لامحدث ولا جليس ، واصطنع بملحك ، واجعل قرصك كفايتك ، فاذا بك قد لحقت بالصالحين . أذلل نفسك وقوِّمها بالعدل ، وأهنها تكرمها ، وأتعبها ترحها ، فان الرغبة متعبة لأهلها ، والزهادة راحة لأهلها ، والنفس أمارة بالسوء وعدو بين جنبيك لا يفتر .

وقال[٦] المسيح عليه السلام : ليكن الناس منك فى راحة ونفسك منك فى تعب .

وقال : المال داؤه كثير . قيل : يا روح الله ! وإن أدى حقه ؟ ! قال : استصلاحه يشغلك عن ذكر الله .

وقال الحسن : لولا أن الله عز وجل[١٧٦ا] وعز طأطأ من ابن آدم بثلاث ما أطاقه شيء ، وهى : المرض والفقر والموت — وهو مع ذلك وَثَّاب .

---

(١) ص : تكفيه . (٢) ص : اليه .
(٣) ص : هاتى . (٤) ص : فأوحش .
(٥) ط : اذا خلوت بالناس ... ثم صحح فى الهامش كما فى ص وهو ما أثبتناه . (٦) الواو ناقصة فى ط .

اجعل بينك وبين كل محبوب ترقباً لزواله لئلا يَفْجأك فقده . كم يكون عدد ليس له مدد حتى يبيد وينفد ! من أضيع ممن لجأ إلى غير حرز واستظل بكنف التلف ! الرقاد عن هول المعاد مقطعة عن الزاد . لا تأنس بما لا بقاء له . ما كان إلى زوال فالزيادة فيه نقصان حتى يستغرقه الفناء . السبب إلى مغفرة الله عز وجل مباح فاطلبه وتمسك به ، تلحق[1] منازل الأبرار . من علامة المخذولين العمل بالشك، وترك اليقين. من حسن ظنه بالزمان فقد استهدف[2] لنبله وسهامه . الغلبة للعادة فاحذر عادة تلزمك شهوة قبيحة . إخطار الفاقة من خمول الهمة . الغدر من صغر القدر . حاصل المنى الأسف . من أظهر لك عداوته فقد نبهك على مواقع نبله . عذب حسادك بالاحسان إليهم . لو كانت الدنيا لا تنال إلا باللب والدين ، ولا توجد إلا عند ذوى الأحساب وأولى المروءات لكان التقصير فى طلبها وترك الحرص عليها مهانة للنفس وغضاضة للقدر ، لكنها لم تزل توجد عند أهل المنع والبخل والنقص؛ ومن استوحش من اصطناع المكارم فما يوجد أكثرها إلا عند أهل هذه الخصال. من سعى بدليل من التدبير لم يقعد به عن الدرك إلا سابق قضاء لا يملك . لكل ناجم أفول . آخر هذه الدول فجائع ، وغِيَرٌ[3] الآمال متصلة والشكوك مصدقة واليقين مكذب . مجاورة الأحداث تنبه الأحداث . واهاً لأهل العقول كيف أقاموا بمدرج السيول ! استنقذ[4] أيامك من الغفلة قبل الزحيل. احْمِ جفونك الوسن فانك مطلوب. لئن لم تركب المحجة[٧٦ب] لتأخذنك البينات. راقب نعمة ربك قبل أن تذهب عنك العافية. امهد لنفسك ومخارجُ الأنفاس سهلة لم ينازعها قابض الأرواح. بالغفلة دامت متعة الانسان. قامت عليك حجة المعلم. لا تطل أنسك بكرِّ الأيام وعود الساعات ، فان بعض هذه الأوقات مطية الموت إليك ووافد المنية عليك . إن فى الحياة جزءاً من الممات ، وفى البقاء حصة من الفناء ، وفى الشباب دبيباً من الهرم ،

---

(١) ص : اتلحق به .
(٢) ص : استهدت .
(٣) ط : عبر .
(٤) ط : استنفد .

وفى الزيادة كموناً من النقصان، وفى الصحة أجناساً من الأسقام. جواهر الأخلاق تفضحها المعاشرة. والرفق[1] يَفُلُّ حد المخالفة. البشر يطفئ نار العداوة. أبن الغبن كدك لغيرك. قليل الرزق مع سلامة النفس أمتع من كثيره مع الأوجاع. ليس فى طبيعة الزمان بلوغ الكمال. انتقاص الأبدان يزيد فى قوة[2] الآمال. فرائض الله على خلقه دون وسعهم، وطاقة القوى فوق المفروض، ولله مهل يدرك به التفريط. نِعْمَ الأرض نفسك إن بذرت فيها الخيرات. عين الدهر تطرق بالمكاره والخلق بين أجفانه. من عرف فضل الله عليه رفع التأنيب عن أهل النقص. التمتع بحسن الظن فى الغيبة أعظم موقعاً من معاينة الجفاء مع الرؤية. إنما يبقى الشرف الأول لمن بنى عليه. أرجح الناس عقلا وأكملهم فضلا من صحب أيامه بالموادعة، وإخوانه بالمسالمة[3]، وقبل من الزمان عفوه.

عدوك بين جنبيك وجنده الهوى، فان أطعته هلكت، وإن عصيته نجوت. الأجل [١٧٧] كسهم مرسل إليك وعمرك بقدر سفره نحوك، فكلما قاربت أجلا فازدد عملا. مثل[4] الدنيا كمثل النار للإنسان، لأن منافعه كلها منها، وهى مع منفعتها وعظم قدرها مهلكة متلفة، فينبغى للمضطر إليها أن يأخذ منها بقدر المنفعة التى لابد منها لمن يستضىء[5] بها أو يصلح لها طعامه أو يصطلى بها. فاذا قضى حاجته منها كانت أعظم الأشياء ضرراً عليه، فهو جادٌّ[6] يعمل فى إطفائها. فقد علمت أن فقد النار عند الحاجة إليها ضرر عظيم، وهى لا تشترى بثمن ولا تباع مع كثرة ما فيها من المنافع، فأنزل الدنيا منزلتها.

قيل للحسن: إن فلاناً بالنزع — فقال: هو بالنزع منذ يوم ولد.

سئل أنوشروان: من أطول الناس أعماراً؟ — فقال: من كثر علمه فتأدب به من بعده، أو كثر معروفه فشرف به أعقابه.

---

(١) الواو ناقصة فى ط.
(٢) قرة: ناقصة فى ص.
(٣) ص: بالمسألة.
(٤) مثل الدنيا ... الدنيا منزلتها: ناقصة فى ط.
(٥) ص: كمن يسبقنى.
(٦) ص: جسد!

وقال مروان[1] الحمار : إن الدهر لمـــا حلا لنا خلا منا .

وكان الأحنف يقول : إذا أردت إصلاح عيشك فى الدنيا فاستصلح الجار .

وكان يقول : أنقص الناس عقلا من آذى جاره .

كان إبراهيم[2] النخعى يقول : يهلك الناس فى شيئين : فضول الكلام وفضول الأقـــوال .

وقال رجل لأحمد بن أبى دؤاد[3] : الفلك أجدُّ[4] من أن يترك أحداً على حال واحدة ، والدنيا أقل من أن تنى لصاحب .

وقال يحيى بن خالد : إن جلد النمر ما ترك على النمر[5] ، فكيف يترك على صاحب السرج !

رأى [٧٧ ب] حذيفة ابن اليمان صديقاً له يخاصم آخر ، فقال له : تحب أن تغلب شر الناس ؟ – قال : نعم ! – قال : فانك لا تغلبه حتى تصير شراً منه .

ومن قديم كلام العرب : إن الوجوه إذا كثر تقابلها اعتصر بعضها ماء بعض .

---

(١) أى مروان بن محمد ، آخر الخلفاء الأمويين ، وكان يلقب بـ « الحمار » وهو مروان بن محمد الجعدى ، قتل بعد فراره الى مصر فى قرية بوصير سنة ١٣٢ هـ وله تسع وخمسون سنة ، وقيل سـبع وسـتون ، وامارته ٥ سـنوات وتسـعة أشـهر وأيام – راجـع « شذرات الذهب » ج ١ ص ١٨٤

(٢) هو أبو عمران ابراهيم بن يزيد النخعى ، أخذ عن مسروق والأسود وعلقمة ، عده ابن قتيبة فى « المعارف » من الشيعة ، توفى سنة ٩٥ وهو ابن ست وأربعين سنة – راجع « شذرات الذهب » ج ١ ص ١١١ .

(٣) أحمد بن دؤاد : قاضى القضـــاة ، أبو عبـــد الله الايادى : كان فصيحا مفوها شاعرا جوادا ؛ وهو الذى تولى قضية ابن حنبل وأفتى بقتله ؛ وكان معتزليا ، مقبولا عند المأمون والمعتصم . توفى سنة ٢٤٠ هـ وله ثمانون سنة – راجع « شذرات الذهب » ج ٢ ص ٩٣ .

(٤) ط : أحد (بالحاء المهملة) .

(٥) ط : وقال يحيى بن خالد : جلد النمر لم يترك على النمر – ويحيى ابن خـالد هو يحيى بن خالد بن برمك ، المتـوفى فى سـجنه سنة ١٩٠ هـ – راجع « شذرات الذهب » ج ١ ص ٣٢٧ .

كان خالد بن صفوان[1] يقول : من اشتغل بتفقد اللحن وطلب السجع نسي الحجة .

وقال الحسن[2] : من مثلك يا ابن آدم! خلى بينك وبين الماء[3] والمحراب كلما شئت إلى ربك ليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان .

من لم يحكم على نفسه ، حكم الله عليه .

وقال مسلم بن يسار[4] : العجب ممن رجا فلم يعمل ، وممن خاف فلم يَكُفَّ .

وقال عبد الله : الحذر الحذر ! فو الله لقد ستر حتى كأنه غفر .

وقال : إن الأحمق يرجو الآخرة بغير عمل ، ويدع التوبة لطول الأمل .

الإنسان يبالغ فى الرغبة حين يسأل[5] ، ويقصر فى الرهبة حين يعمل .

وقال الحسن : الدنيا مطية المؤمن عليها يحمل[6] ويرتحل إلى ربه ، فأصلحوا مطاياكم تبلغكم إلى ربكم .

وقال : يا ابن آدم ! أترضى من ربك بقليل فانٍ وتقدم عليه غداً ليس لك فى جنته نصيب ؟! ثم تلا : « إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا . . . »[7] الآية .

---

(١) خالد بن صفوان : هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم ، واسمه سنان ، ابن سمى بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن تميم؛وسمي سنان الأهتم لأن قيس بن عاصم المنقرى ضربه بقوسه فهتم فمه . وقد عمر الى أن « حادث أبا العباس . وكان لسنا بيناً خطيبا بخيلا مطلاقا » (« المعارف » لابن قتيبة ، ص ٢٠٦ ، نشرة ڤستندفلد ، جيتنجن سنة ١٨٥٠) - راجع عنه : « المعارف » لابن قتيبة ص ٢٠٦ . - وفى « عيون الأخبار » (ج ١ ص ٢١٧) ما يدل على أنه حضر خلافة أبى العباس السفاح التى كانت بين ١٣٢ هـ و ١٣٦ هـ - وقد ورد ذكره مرارا فى « عيون الأخبار » راجع فهرست الجزء الرابع منه .

(٢) ص : الحسن بن مالك : يا ابن ...

(٣) ص : المحراب .

(٤) مسلم بن يسار البصرى : كان من عباد البصرة وفقهائها ، وكان ثقة فى الحديث ، روى عن أبى عمرو وغيره . وتوفى فى سنة مائة هجرية . - راجع « شذرات الذهب » ج ١ ص ١١٩ .

(٥) فى ط فى الموضعين : حتى .

(٦) ص : عليها حين تحمل ويرتحل ...

(٧) سورة « يونس » : آية : ٧ .

وقال : ما زينوها ولا زخرفوها حتى رضوا بها .

أوصى[1] عبد العزيز بن مروان ابنه عمر[2] فقال : اتق الله وأحسن نيتك فى عملك كله ، فانه لا دين لمن لانية له ، وأحسن تدبير مالك ، فانه لا مال لمن لا تدبير له. وارفق بمن تعامله، فانه لا عيش لمن لارفق له. وتجوز فى شهواتك، فانه لا عقل لمن لا يغلب هواه . دار عدوك [١٧٨] لأمرين : إما لصداقة تؤمنك وإما لفرصة تمكنك — وفى المثل القديم : قبل يد عدوك إذا لم يمكنك قطعها .

وقال[3] أمير المؤمنين على عليه السلام : ليس الايمان بالتخلى ولا بالتمنى، ولكن ماوقر فى القلب وصدقته الأعمال .

عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر . نظفوا أفواهكم فانها طرق إلى ذكر الله تعالى[4] .

وقال آخر : استغنم تنفّس الأمل وإمكان العمل ، واقطع ذكر المعاذير والعلل .

أخى ! من باع دنياه وزخرفها بصدقة كان عندى غير مغبون .

كن كالمداوى جرحه بصبره على الدواء ومخافة طول الداء .

السعيد من نظر إلى الدنيا اعتباراً، لا اغتراراً ؛ وعمل البر بداراً ، لاانتظاراً.

لا تدخر عمل اليوم إلى الغد .

الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما .

قال[5] الشاعر :

اعْمَلْ لنفسك ما استطعـ ... ـتَ فانهـا نارٌ وجَنَّة

التعبد يثقل على النفس ، لثقله فى الميزان ، والكسل يخف على أهله كخفته فى الميزان .

دعاء : يا من ألزمنى عبادة استغنى عنها لا تحرمنى مغفرة[6] أفتقر إليها .

---

(١) ص : وصى .
(٢) عمر : ناقصة فى ط . — عبد العزيز بن مروان : ولى مصر عشرين سنة ، وكان ولى العهد بعد عبد الملك بن مروان ، عقد لهما أبوهما . فلما مات عقد عبد الملك من بعده لولده . وتوفى سنة ٨٥ هـ .
(٣) الواو ناقصة فى ص . — على : ناقصة فى ط .
(٤) تعالى : ناقصة فى ط .
(٥) ط : شعر .
(٦) ط : مغفرة لا أستغنى عنها .

أنصاف أبيات[1]

حياة الفتى سيرٌ إلى الموت قاصـــد
ولا عُنْق إلا وهى فى فِتْرٍ[2] خانق

المصيبة واحدة ، فان جزعت فهما اثنتان .

شهادة الأعمال أزكى من شهادة الرجال .

ليس كل أنس مودة ، ولا كل انقباض وحشة .

إخفاء العلم هلكة ، وإخفاء العمل نجاة .

بترك ما لا يعنيك يتمُّ لك ما يعنيك .

الهوى كمين لا يؤمن فتحفظ منه برقباء تنصبها عليه من عقلك ، لا يغفلون[3] عنه لحظة واحدة .

قوة الغضب الحقد . مادة الحاجة الحرص . ثمرة الحقد الكفر .

قال الجاحظ : اعلم أن المرء بقدر ما ينسب إليه يعرف [٧٨ب] ، وبالمستفيض من فعاله يوصف ؛ وإن كان بين ذلك كثير من أفعاله بخلافه ألغاه الناس ، وحكموا بالغالب من أمره . فاجهد أن يكون الغالب عليك كل ما يحمده جمهور الناس ، فان ذلك يُعَفِّى على خلل فى حالك[4] ، إن كان . فبادر ألسنة الناس واشغلها بمحاسنك ، فانهم سراع إلى كل شيء يجدونه ، واستظهر على من دونك بالفضل ، وعلى نظرائك بالانصاف ، وعلى من فوقك بالإجلال — تأخذ بوثائق الأمور وأزمة التدبير . واعلم أن كثرة العتاب سبب القطيعة ، واطراحه كله دليل على قلة الاكتراث لأمر الصديق . فكن بين أمرين : عاتبه على ما يشتركان فى نفعه وضره ، وذلك فى الهينات ، وتجاف[5] عن غفلاته تسلم لك ناحيته . وبحسب ذلك فكن فى زيارته ، فان الإقام فى زيارته يذهب بالبهاء ويورث الملال[6] ؛ والهجران يعقب الجفاء ويحل عقدة الإخاء ، وهو مدرجة القطيعة .

---

(١) ناقصة فى ط .
(٢) ص : فير ! — والفتر (بكسر فسكون) : ما بين طرف الابهام وطرف المشيرة .
(٣) ص : يغفلن .
(٤) فى حالك : ناقصة فى ط . (٥) ص : تخاف . (٦) ط : الملالة .

قيل لملك زال ملكه عنه: بم زال ملكك؟—قال: بمنعٍ أضغن، وبذلٍ أبطر.

— ذم[1] الرعية لراعيها لايكون إلا لإحدى ثلاث خصال: كريم قصر به عن قدره فاحتمل ذلك ضغناً، ولئيم بلغ به ما لايستحقه[2] فأورثه ذلك بطراً، ورجل منع حظه من الانصاف فأحدث له ذلك كمداً.

فى ذم الهـــدية

كان بعض الملوك يكره الهدية شديداً. فسئل عن كراهته ما لم يكن يكرهه غيره من الملوك. فقال: إن الهدية لاتخلو أن تكون من مبتدئ يقلد بها يداً، أو من رجل قلدته نعمة فأخذ عليها ثواباً. وإنما تحسن [١٧٩] الهدايا بين[3] الأكفاء ليتحابوا؛ فأما الملوك فلا حاجة بهم إلى ذلك.

.:.

كان بعض قدماء الملوك إذا أراد محاربة ملك وجه من يبحث عن أخباره وأخبار رعيته قبل أن يظهر محاربته؛ ويأمر بالبحث عن ثلاث خصال من أمره وهو: أن يبحث عما يرد عليه من أمر[4] رعيته هل هى على حقائقها أو تختدعه أصحاب الأخبار عنها وتكذبه[5] فيها. ويبحث عن الغنى فى أى صنف من حاشيته هو: فى أهل الشرف، أم فى الأنذال. ويبحث عن المشاورة وهل يستعملها فى أموره، أم يمضى الأمور على هواه. فان قالوا: إن الأمور والأخبار ترد عليه على حقائقها، وإن الغنى فى أصل الشرف والتكرم، وإنه يستعمل المشاورة — كفَّ عن محاربته وعن الطمع فى مملكته.

ثلاثة أخلاق لا توجد إلا فى لبيب: التقدم فى الحزم، فان بذه[6] فالاجتهاد فى الاحتيال، فان قصر فحسن العزاء.

ما أنعم عيش ذى فاقة عرف من نفسه نزاهة الطُّعْمة! وما أسوأ عيش ذى جِدةٍ عرف من نفسه فحش الطعمة والرغبة[7]!

---

(١) ص: وزم.
(٢) ط: يستحق.
(٣) ص: من.
(٤) ط: أخبار.
(٥) ص: وتكربه فيها.
(٦) ط: بده.
(٧) ص: الطعمة فالرعيَّة.

سئل عن الحزم فقال : ألا تأمن وأنت تجد للحذر موضعاً .

وقال : اصمت ما لم تضطرك إلى القول حاجة ؛ وتكلم إذا كان الصمت راجعاً عليك بالحجة .

وقال : الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والانصاف راحة ، والشح مسبة ، والسخاء فخر ، والتوانى إضاعة ، والصحة بضاعة ، والجهل حيرة ، والحلم عز ، والحكمة كنز ، والوفاء نيل ، والعجب هلاك ، والصبر نجدة ، والعقل قرة العين فى جميع هذه وغيرها .

[٧٩ب] يحكى[١] عن بعض الأنبياء أنه قال لقومه : ليعلم كل إنسان أن كل يوم يمر به وليلة يحفظ فيهما عمله من حسن أو قبيح ، ثم يمضى عنه يومه وليلته فلا يعودان إليه واكتسابه غير منسى . فمن قدر أن يحط له الحسنات فليفعل ، فانه يبهج بذلك وبمعاينته وذكره ولو بعد حين ؛ وإن لم تفعلوا[٢] ذلك غُبِنْتُم حظ أيامكم التى هى نصيبكم من الدنيا ، فان الأيام صحائف فخلدوا فيها الجميل من سعيكم ، فقد تبين لكم حفظها لما استودعت من المحامد فى قديم الدهر ، لا يدرس ذلك مع ذهاب القرون ، فلا ينسى فى غابر الأزمنة . وما يؤثر من الذنوب والعيوب ثابت على عامله ، لا يمحوه عنه شىء ، ولا يذهبه آخر عن أول ، وإنما يبقى الشرف القديم لمن وصله بالحديث .

من سأل فوق قدره استحق الحرمان والمنع .

سوء حمل الغنى أن يكون الفرح مرحاً ، وسوء حمل الفاقة أن يكون الطلب شرهاً ، وعار الفقر أهون من عار الغنى .

الحاجة مع المحبة خير من الغنى مع البغضة .

الدنيا دُوَل ، فما كان لك منها أتاك على ضعفك ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك .

إذا جعل الكلام مثلا مضروباً كان أبين فى المعنى ، وآنق للسمع ، وأوضح عند التأمل ، وأوسع لشعوب الحديث .

---

(١) ص : فحكى .
(٢) ص : يفعل .

القسم الذى قسم للناس وبه يمتعون : منه حارس ، ومنه محروس : فالحارس العقل ، والمحروس المال . والعقل هو الذى يحرز الحظ ، ويؤنس الغربة ، وينفى الفاقة ، ويعرف النكرة ، ويثمِّر المكسب ، ويطيب الثمرة ، ويوجه السوقة عند السلطان ، ويستنزل السلطان لمحبة السوقة ، ويكسب الصديق ، ويكفى العدو.

مقارفة[1] المأثم ، وإن كان محتقراً ، مصيبة عظيمة .

لقاء الإخوان ، وإن كان يسيراً ، غنم كبير .

الناس — إلا من عصم الله — [١٨٠] مدخولون[2] فى أمورهم : فقائلهم باغ ، وسامعهم عياب ، وسائلهم متعنت[3] ، ومجيبهم متكلف ، وواعظهم غير محقق قوله بفعله ، وموعوظهم غير سليم من الاستخفاف بما يوعظ به ، والأمين غير متورع ولا متحفظ من إيمان الخائن ، والصدوق غير محترس من إيمان[4] الكذاب ، وذو الدين غير متورع عن تقريظ الفاجر ، والفاجر غير مترقب[5] للدوائر : يتقارضون[6] الثناء ، ويتراقبون الدول ، ويتعاتبون بالهجر. مولعون فى الرخاء بالتحاسد ، وفى الشدة بالتخاذل . كم انتزعت الدنيا ممن استمكن منها فأعصفت له ، فأصبحت الأعمال أعمال غيرهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وأخذ الدنيا من لم يحمدهم ، وخرجوا إلى من لا يعذرهم ، وأصبحنا خلفاً بعدهم نتوقع الذى نزل بهم . فنحن إذا استدبرنا أمورهم أحِقّاء أن ننظر ما نغبطهم به فنتبعه ، وما نخاف عليه فنتجنبه .

إذا كنت لا تعمل من الخير إلا ما اشتهيت ، ولا تترك من الشر إلا ما كرهت ، فقد أطلعت الشيطان على عورتك[7] وأمكنته من رُمَّتك ، وأوشك به أن يقتحم عليك فيما تحب من الخير فيكرهه إليك ، وفيما تكره من الشر فيحبّبه إليك . ولكن ينبغى لك حب ما تحب من الخير ، والتحامل على ما تستثقل منه ، وينبغى لك كراهة ما يكره[8] من الشر ، والتحبب لما تحب منه .

---

(١) ص : مفارقة .
(٢) ص : يدخلون .
(٣) ط : مُتَعَنِّتٌ .
(٤) ط : حديث .
(٥) ط : متوق .
(٦) ط : فيتقارضون .
(٧) ص : عورته .
(٨) ط : كراهة ما يكون لك من الشر .

قد بلغ فضل(١) الله على الناس من السعة وبلغت نعمته عليهم من السبوغ ما لو أن أخسهم حظاً وأقلهم نصيباً منه وأضعفهم علماً وأعجزهم عملاً [٨٠ب] وأعياهم لساناً بلغ من الشكر له والثناء عليه بما خلص إليه من فضله، ووصل إليه من نعمته ما بلغ(٢) منه له أعظمهم حظاً وأوفرهم نصيباً وأفضلهم علماً وأبسطهم لساناً – لكان عما استوجب الله عليه مقصراً، وعن بلوغ غاية الشكر بعيداً.

بلغ من فضل الدين والحكمة أن مُدِحا على ألسنة الجهال، على جهالتهم بها وعماهم عنها.

أحق الناس بالتدبير العلماء، وأحقهم بالفضل أعودهم على الناس بفضله، وأحقهم بالعمل أحسنهم تأدباً، وأقربهم إلى الله(٣) تعالى أنفذهم في الحق، وأكملهم(٤) له عملا، وأحكمهم أبعدهم من الشك في الله، وأصوبهم رجاء أوثقهم بالله، وأشدهم انتفاعاً بعمله أبعدهم من الأذى، وأرضاهم عند الناس أفشاهم معروفاً، وأقواهم أحسنهم معونة، وأشجعهم أشدهم سلطاناً على نفسه، وأفلحهم أغلبهم للشهوة والحرص، وآخذهم بالرأي أتركهم للهوى، وأطولهم راحة أحسنهم للأمور احتمالا، وأقلهم دهشاً أرحبهم ذرعاً، وأوسعهم غنى أقنعهم بما أوتي، وأخفضهم عيشاً أبعدهم من الإفراط، وآمنهم في الناس أكلّهم ناباً ومخلباً، وأوسعهم شهادة عليهم أنطقهم عنهم، وأعدلهم فيهم أدومهم مسالمة لهم، وأخصهم بالنعم أشكرهم لما أوتي منها.

سبب الإيمان بالغيب أن لكل ظاهر من الدنيا – صغيراً كان أو كبيراً – غيباً يصرفه. فمن كان معتبراً بالجليل فلينظر إلى السماء فسيعلم أن لها رباً يجري أفلاكها ويدبر أمرها. ومن اعتبر [١٨١] بالصغير فلينظر إلى حبة خردل فسيعلم أن لها ربًّا ينبتها ويزكيها ويقدر لها قوتها من الأرض والماء، ويوقت لها زمان نباتها وتهشيمها. وأمر النبوة والآثار والأحلام وما يحدث في أنفس الناس مما لا يعلمون ومن حيث لا يعلمون، ثم ما يظهر منهم بالقول والفعل، ثم إجماع العلماء

(١) ص: من فضل.
(٢) ص: ما بلغ منزلة وأعظمهم ...
(٣) ط: من الله أنفذهم ... (٤) ط: وأحكمهم.

والجهال والمهتدين والضالين على ذكر الله وتعظيمه ومعرفتهم أنهم لم يحدثوا أنفسهم — فكلٌّ [1] يهدى إلى الله ويدل على الغيب الذى كان ويحب منه هذه الأمور مع ما يزيد من ذلك عند المؤمنين وثيقة عند العلماء بأن الله حق وما سواه باطل .

للسلطان العادل حق ، لا يصلح لخاصة ولا عامة أمْرٌ إلا بأدائه . فالعاقل حقيق بأن يخلص لهم النية والنصيحة ، ويبذل لهم الطاعة والمحبة ، ويكتم سرهم ، ويزين سيرتهم ، ويذب بلسانه ويده عنهم ، ويتوخى مرضاتهم . وليكن من همته المواتاة لهم ، والإيثار لأهوائهم ورأيهم على هواه ورأيه ، ويقدر الأمور على موافقتهم وإن كان ذلك له[2] مخالفاً ، وأن يكون منه الحد فى مخالفة من جانبهم وجهل حقهم ، ولا يواصل من الناس من تباعد عن [3] مواصلتهم ، ولا يحمله أحد بعداوته على الاضطغان[4] عليهم ، ولا مواتاة أحد على الاستخفاف بشىء من أمورهم وحقوقهم ، ولا يكتمهم شيئاً من نصيحتهم ، ولا يتثاقل عن شىء من طاعتهم ، ولا يبطر إذا أكرموه ، ولا يجترئ عليهم إذا قربوه ، ولا يطغى إذا سلطوه ، ولا [٨١ب] يلحف إذا سألهم ، ولا يلزمهم مؤونة تثقل عليهم ، ولا يستثقل ما حمَّلوه ، ولا يغتر بهم إذا رضوا عنه ، ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه ، وأن يحمدهم ويشكرهم على ما أصاب من خيرهم .

مما يدل[5] على العالم وفضله معرفته بما يدرك من الأمور وإمساكه عما لا يدرك ، وتزيينه نفسه بالمكارم ، وظهور علمه بالناس من غير أن يظهر منه فخر أو عجب ، ومعرفته بزمانه الذى هو فيه ، وبصره بالناس ، وإرشاده كل مسترشد ، وحسن مخاطبته لخلطائه ، وتسويته بين لسانه وقلبه ، وتحريه للعدل[6] فى كل أمر ، ورُحْب ذَرْعه فيما ينوبه ، وحسن تبصيره من أراد أن يبصَّر شيئاً من علم الآخرة الذى به يعرف ذلك . السعيد يرغبه الله فى الآخرة حتى يقول : لا شىء غيرها ؛ فاذا هضم الدنيا[7] وزهد فيها لآخرته لم يحرمه الله تعالى بذلك نصيبه من الدنيا ، ولم ينقصه سروره فيها ؛ والشقى يرغبه الشيطان فى الدنيا حتى يقول : ليس غيرها ، فيجعل الله له التنقص فى الدنيا التى آثرها مع الخزى الذى يلقى بعدها .

(١) أنفسهم : ناقصة فى ص .
(٢) له : ناقصة فى ص .
(٣) ط : من .
(٤) ط : الاضغان .
(٥) ص : ما .
(٦) ط : العدل .
(٧) ط : دنياه .

خصال يسرُّ بها الجاهل ، كلها وبال عليه : منها أن يُمْدَح من العلم والفضل بما ليس فيه ؛ ومنها أن يرى بالأخيار والأفاضل من الاستهانة والجفوة[1] ما يشتبه بهم ؛ ومنها أن يجادل عالماً منصفاً وديعاً فى القول ، فيشتد صوت الجاهل ، ثم ينصره نظراؤه من الجهال حوله[2] بعلو الصوت والجلبة وكثرة الضحك ؛ ومنها أن تفرط منه الكلمة [١٨٢] المعجبة للقوم فيذكرونها ؛ ومنها أن يكون مجلسه فى المحفل وعند السلطان فوق مجالس أهل الفضل .

من الدليل على سخافة المتكلم أن يكون ما يرى من ضحكه ليس بحسب ما عنده من القول ، أو يكلم صاحبه فيجاذبه الكلام ليكون هو المتكلم ، أو يتمنى أن يكون صاحبه قد فرغ فأنصت له ؛ فاذا أنصت لم يحسن أن يتكلم .

لا يؤمننك شر الجاهل قرابة ولا جوار ولا إلف ، فان أخوف ما يكون حريق النار أقرب ما يكون منها . وكذلك الجاهل ، إن جاورك أنصبك ، وإن ناسبك جنى عليك ، وإن ألفك حمل عليك ما لا تطيق ، وإن عاشرك آذاك وأخافك ، مع أنه عند الجوع سبع ضار ، وعند الشبع ملك فظ ، وعند الموافقة فى الدين قائد إلى النار . فأنت بالهرب منه أحق منك بالهرب من سم الأساور والحريق المضطرم والدَّين الفادح والداء العياء .

قال بعض الصالحين : لا يكون المرء زاهداً حتى يزهد فى عمره ، وإلا فهو متزهد .

قال الله عز وجل[3] من قائل : « فتمنوا الموت إن كنتم صادقين »[4] .

وقال عيسى عليه السلام : أتريدون الدنيا للبر ؟ — فترك الدنيا أبر لكم .

الموت فزع الأغنياء وشهوة الفقراء .

لا يكون الحكيم حكيما[5] حتى يعلم أن الحياة تسترقه ، والموت يعتقه .

لا تستغنوا عن الناس فيستغنوا عنكم ، وصانعوا الناس وآخوهم على قدر ما فيهم من الخير ؛ ولا تطلبوا الكمال فانه عزيز ، ولكن لابسوهم بقدر ما فيهم[6] [٨٢ب] من الخير والفضل ؛ ولو لم يكن إلا لكفِّ[7] شرهم ، فآخوهم لذلك .

(١) والجفوة : ناقصة فى ط .
(٢) ص : حلوه .
(٣) ط : وقال الله جل من قائل .
(٤) سورة « البقرة » : آية ٨٨ .
(٥) ص : حليما .
(٦) ص : فيه .
(٧) ص : الا الكف من شرهم .

كلام لبعض المتصوفة

أليس من أصيب بالحقِ أكثر ممن أصاب منه ، ومن مَوَّه عنه أكثر ممن حقق به ؟ — على أن الإشارة إلى غيره إلحاد فيه ، والعبارة عن معناه اجتراء عليه. هذا لأن الخلق إن أصحروا[1] فى الطلب تاهوا ، وإن أبحروا غرقوا ، وإن أجبلوا كلوا ، وإن أسهلوا ضَلوا .

حسب العارف فقر هو غناه ، وحسب الجاهل غنى هو فقره .

لعل قائلا يقول : ما أروح اليأس عمن لايوجد ! — فيقال له : ما أمتع النيل ممن لا يفقد !

لو زعم زاعم أنه أشار لكان مقصراً ، ولو قال[2] إنه أصاب لكان كاذباً .

وقال أبو على الروذبارى[3] — وقد سئل عن التوحيد — : هو استقامة القلب على رفض التعطيل ، وإنكار التشبيه باثبات التنزيه ، فاياك والغوص فى التنزيه فغايته التشبيه . والتوحيد كله فى كلمة واحدة : كل ما خيله الوهم وصوره الفهم وحدده القول واستقر عليه الرأى — فالحق بخلافه ، ومباين له ، غير داخل تحته ولا مستعير نعته .

وقال الجنيد — وقد سئل عن الشفقة — : هى أن تعطى من نفسك ما يطلبون ، ولا تحملهم ما لا يطيقون ، ولا تخاطبهم بما لايعلمون .

سئل الشبلى عن الزاهدين فقال : كلكم زاهدون فى الله عز وجل .

---

(١) أصحر : برز فى الصحراء . (٢) انه : ناقصة فى ص .

(٣) اسمه أحمد بن محمد بن القاسم ، كما ذكر السلمى وصححه ، وقال الخطيب البغدادى ان اسمه محمد بن أحمد وصحح ذلك . أصله من بغداد ، لكنه أقام بمصر . وكان عارفا بالحديث وأستاذه فيه ابرهيم الحربى ، وأستاذه فى الفقه : أبو العباس بن سريج ، وفى النحو : ثعلب ، وفى التصوف : الجنيد . وتوفى بمصر سنة ٣٢٢ وقيل سنة ٣٢٣ هـ (سنة ٩٣٣ م — سنة ٩٣٤ م) — راجع عنه : « صفة الصفوة » جـ ٢ ص ٢٥٦ — ص ٢٥٧ ؛ « الطبقات الكبرى » للشعرانى جـ١ ص ٩١ (القاهرة ، مطبعة صبيح ، من دون تاريخ) ؛ « الرسالة القشيرية » ص ٢٦ (مطبعة التقدم العلمية ، القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ) ؛ « شذرات الذهب » ٢/٢٩٦ .

وسئل عن الأنس فقال : وحشتك من نفسك .

سمع معروف الكرخى امرأة تدعو لابنها وهو يخرج إلى الغزو وتقول :
[١٨٣] حفظك الله ! — فقال : إن حفظه الله لم يخرج إلى الغزو والقتال .

قال ابن عطاء[١] : يُزَيِّـن الله — عز وجل[٢] — قوماً بأنوار عصمته وهم عنده فى حقائق لعنته ، ويزين[٣] قوماً بأنوار نعمته وهم عنده فى حقائق نقمته[٣] ، ويزين قوماً[٤] بأنوار ولايته وهم عنده فى استدراج مهلته . وأعظم المصائب مصيبة الاستدراج ، لأن كل مصيبة فانّ صاحبها يراها ، والمستدرج محجوب عن مصيبته .

وقال أبو يزيد[٥] : إنى لما نظرت إلى الدنيا اختّرت عليها الآخرة ، ولما نظرت إلى الآخرة اختّرت عليها الرب تعالى ، ولما نظرت إليه اختّرت الفرار ؛ ثم نظرت إلى[٦] الفرار ، فاذا هو ينتهى بى إليه ؛ فَعُدْتُ مستحيياً ، وبقيت مستخذياً .

قدم عارف ليصلى بقوم ، فلم يقف متمكناً حتى عاد إلى الصف ، فقيل له : مالك ؟ — قال : أردت أن أقول لكم : « استووا ! » — فقيل لى : « لم لا تستوى أنت ؟ » — فتأخرت[٧] .

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمى : من كبار مشـــايخ الصـــوفية ومن أقران الجنيد توفى سنة ٣٠٩ هـ (= سنة ٩٢١ م) وهى السنة التى توفى فيها الحلاج مصلوبا — راجع عنه : « الرســالة القشيرية » ص ٢٣ — ص ٢٤ ؛ « شــذرات الذهب » ٢\٢٥٧ — ٢٥٨ .

(٢) عز وجل : ناقصة فى ط .

(٣) ويزين أقواما بأنوار نعمته ... نقمته : ناقصة فى ط .

(٤) ط : أقواما .

(٥) أبو يزيد البسطامى — راجع عنه كتابنا : « شطحات الصوفية » ، القاهرة سنة ١٩٤٩ .

(٦) ثم نظرت ... الفرار : ناقصة فى ص .

(٧) تحريف ونقص فى ط هكذا : « فقيل لى : أنت ! لم لا تستوى ؟ — وصلاته على نبى الرحمة محمد وآله وسلامته » .

النعم[1] نوار ، فاربطها عن النفار بكرم الحوار. تَرْكَ الفريضة وطلب الفضيلة ! القلوب تخطر بالهوى ، والعقل يزجر وينهى . لا تطلب مجازاة أخيك ولو حثا التراب بفيك . من أمن الزمان خانه ، ومن تعظم عليه أهانه . من اقتصد فى الغنى والفقر فقد استعد لنوائب الدهر . الرأى غرر[2] غير مضمون . السخى شجاع القلب ، والبخيل شجاع الوجه . تروح إلى بقاء عزك بالمؤانسة ، ولا تتشوف إلى ما[3] تخلق عنده بالمؤانسة . آخر الصبر أول الفرج . من التوقى ترك الإفراط فى التوقى . عاود [٨٣] القلب عند نبوات القلوب ، واشحذه بالمذاكرة ، ولا تيأس من إصابة الحكمة . إذا امتحنت ببعض الاستغلاق ، فان مَنْ أدْمَنَ قَرْعَ الباب وصل . البر ثلاثة : المنطق ، والنظر ، والصمت — فمن كان منطقه فى غير ذكر فقد لغا ، ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته فى غير فكر فقد لها .

وقال[4] حكيم من العرب لابنه : يا بنى ! إنى موءد إليك حق الله فى التأديب فأد إلىَّ حق الله فى حسن الاستماع . كف الأذى ، واقضِ الندى ، واستعن على الكلام بطول الفكر[5] فى المواطن التى تدعوك نفسك إلى القول فيها ، فان للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب . احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً ، كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشاً ، فيوشك أن تورطك المشورة المحرفة فيسبق إليك مكر العاقل وغرة الجاهل . لابد للجواد من كبوة ، وللسيف من نبوة ، وللحليم من هفوة . من لم يصبر على كلمة سمع كلمات . عليك باصلاح المال فانه ينوِّه[6] بالكريم ، ويستغنى به عن اللئيم .

كل شرف دونه لوءم فاللوءم أولى به ، وكل لوءم دونه شرف فالشرف أولى به .

---

(١) ص : نفار . — والنوار : النفور ، فالبقرة النوار : التى تنفر من الفحل ؛ والمرأة النوار : النفور من الريبة .

(٢) ص : عزر !

(٣) ط : من .

(٤) الواو فى ص .

(٥) ط : الفكرة .

(٦) ص : بنوة !

يجب على كل ذى مقالة أن يبتدئ بالحمد قبل استفتاحها ، كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها .

الانتقام عدل ، والتجاوز فضل .

كظم الغيظ صبر ، والتشفى طرف من الجزع .

ليس الرأى بالارتجال ، ولا الحزم بالاقتضاب .

خَميرُ الرأى خير من فطيره .

التمس[١٨٤] العافية ممن هو دونك تعطها ممن فوقك .

ليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك .

شدة الاستكانة تزيد فى الفاقة .

العقل لا يمكنه من التجاهل عند وضوح الحجة ما يمكن اللسان من الجحد عند ظهور الدليل .

فلان يكيد الرأى ، ويعترض على الحزم ، ويتقحم على الغرور ، ويجبن عن الفرص .

الحاجة تفتق الحيلة ، والغنى يكسب البلادة[١] .

احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، وهى أخوفهما عليك لما تورث من البطر والأشر والانخداع ، فلا يجوز فيها إلا شدة التحفظ .

ليت شعرى متى أشفى غيظى : أحين أقدر فيقال : لو غفرت ؟ أو حين أقدم فيقال : لو صبرت ؟

خير المزح لا ينال ، وشره لا يقال .

من طلب الحق بما له أو عليه أدركه .

زيادة الشكر على النعمة ملق أو كذب ، والتقصير عنها عِىٌّ أو كفر .

لا تجعل لما أبرمته من كيدٍ عقد عليه قلبك مخرجاً من لسانك ، فتحتال فيه بنقض أو احتراس .

العاجز يسمى الاستسلام توكلا ، وقصر الهمة قناعة .

من ضعف عن عدوه فليقو على نفسه بالأخلاق الرضية .

---

(١) ط ، ص : البلدة .

الأسد[1] يثب بجميع قوته على الأرنب كما يثب على الثور .

الطاووس[2] مع حسنه وزينة ظاهره وحلاوة صورته ، يأكل الحيات ويغتذى بالسموم .

القرد ، وإن سمن ، لم يذهب قبحه .

النسر على عظمة وجودة سلاحه لا يأكل إلا الميتة .

طالما ذبح السمين وترك [٨٤ب] الهزيل[3] !

بادر العمل ، وكذب الأمل ، ولاحظ الأجل !

الشغل للنفس ليس الشغل للبدن[4] .

الأسد لا يأكل إلا من فريسته .

أنصاف أبيات[5]

وهل يفرس الليثُ الطلا وهو رابض[6] !

والصــــقر ليس بصــــائد فى وكره

كلب[7] عَسَّ خير من أسد اندس . لا تخف ممن تحذر ، ولكن احذر ممن تأمن . هل ضمن لك الزمان أن ينصف فلا يحيف ، أو يؤمن فلا يخيف ، أو يبرم فلا ينقض ، أو يعافى فلا يُمْرِض ، أو يصفو فلا يكدر ، أو يفى فلا يغدر؟ ! من لم يسكن إلى الغنى لم يستكن للفاقة . تأنَّ من تجفو فقلَّ من يصفو. التلطف فى الحيلة خير من الوسيلة . من ثقل على صديقه خَفَّ على عدوه .

---

(١) ص : فى الحزم الأسد ...

(٢) ص : فى الرياء الطاووس ...

(٣) ط : المهزول .

(٤) ص : للأبدان – وهو شطر بيت .

(٥) ناقص فى ط .

(٦) فرس الأسد فريسته (من باب ضرب) فرسا : دق عنقها . والطلا : ولد الظبى ساعة يولد ، – الصغير من كل شىء . والجمع أطلاء وطلاء وطليان .

(٧) عس (من باب نصر) عسا وعسسا : طاف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الريبة ، وفى « مجمع الأمثال » للميدانى (ج ٢ ص ٩٠ . القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ) ورد هكذا : « كلب عس خير من كلب ربض . ويروى : خير من أسد ربض ، ويروى : خير من أسد ندس ، أى خفى ؛ وعس معناه طلب » .

من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه . مع كل شرف حق مضيع . الاعتبار يجلو عن البصر ظلمة الاغترار . ما أحسن الدنيا ، لولا أنها ميراث ! من سل سيف البغى قتل . الغنى ترك المنى . من استغنى بعقل نفسه اختل ، ومن أعجب برأيه ضل ، ومن صارع الحق ذل ، ومن أكثر المزح مل ، ومن ترك الكبر جل . نعم التجارة الشكر ! لا عذر مع إصرار ، ولا ظفر مع بغى ، ولا صحة مع نهم ، ولا صداقة مع خب[1] ، ولا راحة مع حرص ، ولا عز مع كبر ، ولا رئاسة مع حقد .

ما لك إلا ما قبلت عفــوه
لن تصلح النــاس وأنت فاسد
إن كنتَ أخطأت فما أخطا القدر[2] !
ما لك [١٨٥] إلا ما عليك مثله
تعمى القلوب والعيــون ناظره
باعدنى منه حرصى عليه
فى كل شىء يرتجى مخافه
ما عيش من آفته بقاؤه[3] !
رب ساع لقــاعد[4]
وجه المحرش أقبــح
اعور عينك والحجر
صدرك أوسع لسرك
رب أخ لك لم تلده أمك[5]
رب أب لك لم يلدك

---

(١) الخب (بفتح الخاء المعجمة) الخــداع . وخب الرجل (من باب علــم) خباً وخبــا (بفتح الخــاء وكسرها) : كان خــداعا خبيثا غشاشا .
(٢) شطر بيت شعر لأبى العتاهية (راجع ديوانه ص ٣٤٦) وتمامه :
هى المقــادير فلمنى أو فــذر ان كنت أخطأت فما أخطأ القدر
(٣) لأبى العتاهية أيضا فى أرجوزته (ديوانه ، طبع شيخو سنة ١٨٨٦ ص ٣٤٨ س ٤) .
(٤) فى « الميدانى » ١ / ٢٦٣ .
(٥) ورد فى « أمثال الميدانى » (طبع بولاق ١/٢٥٦) منسوبا الى لقمان .

من لك بأخيك كله ! أنا لك[1] عُـذَله وأخي خُـذَله . أنا تئِـق[2] وأنت مَئِـق ، فكيف نتفق ؟ !

زاحم بِعَـوْدٍ[3] أو دع

كل مُجْرٍ[4] في الخلاء يسرُّ

أن ترد المـاء بماء أكيس[5]

يركب الحرام من لا حلال له

إن البغاث بأرضنا يستنسر[6]

يا عاقد اذكر حلا[7] ! لا ترفع عصاك عن أهلك[8] . الشجاع موقى

---

(١) في « مجمع الأمثال » للميداني (٢٥/١) : « أنا عذلة وأخي خذلة ، وكلانا ليس بابن أمه · ـ يضرب لمن يخذلك وتعذله » ·

(٢) في « أمثال الميداني » (٣٩/١) هكذا : « أنت تئق ، وأنا مئق ، فمتى نتفق ؟! » ـ والتئق : السريع الى الشر ، والمئق : السريع الى البكاء ·

(٣) العود (بفتح العين) : المسن من الابل ، وجمعه عودة وعيدة (كفيلة فيهما) · وقد شرحه الميداني في « مجمع الأمثال » (جـ ١ ص ٣٣٣) هكذا : « أي لا تستعن الا بأهل السن والتجربة في الأمور » ·

(٤) في «مجمع الأمثال» للميداني (جـ ٢ ص ٨١ · القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ) : « ويروى : كل مجر بخلاء مجيد · وأصله أن رجلا كان له فرس يقال له الأبيلق ، وكان يجريه فردا ليس معه أحد ، وجعل كلما مر به طائر أجراه تحته أو رأى اعصارا أجراه تحته · فأعجبه ما رأى من سرعته » ولكن لما أجراه في الحلبة سبقه غيره ، فقال صاحبه هذا القول · « ويقال أيضا : كل مجر بخلاء سابق » ·

(٥) في الميداني ٣٥/١ : أي ورودك الماء مع ماء كياسة وحزم ·

(٦) البغاث ضرب من الطير دون الرخمة ؛ واستنسر : صار كالنسر في القوة عند الصيد ـ : يضرب للضعيف يصير قويا ، وللعزيز يعز بعد الذل ـ راجع « أمثال الميداني ١٢/١ ـ طبع سنة ١٣٥٢ هـ) ·

(٧) ويروى (أمثال الميداني ٣٧٥/٢ ـ طبع سنة ١٣٥٢ هـ) : يا حامل ـ بمعنى : يا راحل ـ اذكر مكانا للحلول والاقامة ! يضرب مثلا للنظر في العواقب ·

(٨) في « أمثال » الميداني (١٨١/٢) أنه للنبي ، ولم يرد به ضرب الأهل بالعصا ، « انما هو الأدب · أراد : لا ترفع أدبك عنهم ، وقيل : أراد : لا تغب ولا تبعد عنهم ـ من قولهم : انشقت عصاهم اذا تباعدوا وتفرقوا » ·

والجبان[١] ملقى . إنما أخشى سـيل[٢] تلعّى . احتفظ من كالثك . ثمرة العجب[٣] البغضة ؛ ثمرة اللجاجة الحيرة ؛ ثمرة التوانى الذلة ؛ ثمرة العجلة الندامة .

أنصاف أبيات فى الأمثال[٤]

بقدر ما تعلو يكون المَـهْـوى
إنك[٥] إن ترض بما قلّ كثر
أدنى الأعاجيب إلىّ نفسى
الرفق أدنى سبب للرزق
يملك قلبى كل شىء أملكه
يا رب خير جاء من مكروه
أنصح غيرى وأغُشّ نفسى
أخدع شىء لك ما فيه طمع
يا حبذا الوحدة من أنيس !
إذا خشيتَ آفة الجليس
لو أنصف الناس استراح القـــاضى
كم غـــامز للناس فيه المغتمــــز
[٨٥ب] تعز عمـــا لم تنل بالصـــبر
الشك ليل واليقين صبح
أنت بخير ما صنعت خيرا
لم أخل من موئسة مرجوة

---

(١) فى « أمثال » الميـــدانى ١/٣٧٨ ـ وذلك أنه قلما يرغب فى مبارزة الشجاع خوفا على ما يصيب النفس ؛ بينما الجبـان معرض للاعتــداء عليه ـ وهذا كما يقال : احرص على الموت توهب لك الحياة .
(٢) فى « أمثال » الميدانى ١/٣٥ : التلعة سيل الماء من السند الى بطن الوادى ، ومعنى المثل : انى أخاف شر أقاربى وبنى عمى ـ يضرب فى شكوى الأقرباء .
(٣) ورد فى أمثال الميدانى (١/١٦٢) هكذا : « ثمرة العجب المقت » .
(٤) العنوان فى ص . (٥) ص : ان تك .

كم أنفسٍ صغرهن الكبر

ما لك لا تترك ما تعيب ؟ !

حرمت نفسى الخير ، ليس سائلى

عن نفسه يبخل كل باخل

الفقر خير من غنى يطغيكا

آكل لحمى ولا أدعه لآكل

يا بعضى دع بعضا [1]

قبل البكاء كان وجهك عابسا

منك أنفك وإن كان أجدعا

لا تغز إلا بغلام قد غزا

ليس عبد بأخ لك . قبل النفاس كنت مصفرَّه . رب حام أنفه وهو جادعه . ليس لعين مارَأتْ ، ولا لكف ما أخذت . أعييتنى بأشُرٍ [2] ، فكيف بدُرْدُر ؟ ! — إنك لا تسعى برجل من أبى . إن كنت به تشد أزرك فأرخه . إن يدم إطْلُك [3] فقد نقب خفى . من سره بنوه ساءته نفسه. رَأىُ الشيخ خير من مشهد الغلام. هان على الأملس ما لاقى [4] الدبر. ليس لها راع ولكن حلَبه. دمث لجنبك قبل النوم مضطجعاً . برد غداة غر عبداً من ظمأ . كطالب القرن

---

(١) فى « أمثال » الميدانى (٢/٣٧٥ — طبع القاهرة سنة ١٣٥٢) أن ابن الكلبى قال ان أول من قاله زرارة بن عرس التميمى — « يضرب فى تعاطف ذوى الأرحام ؛ وأراد بقوله : يا بعضى : أنهم أجزاء ابنته ، وابنته جزء منه ، وأراد بقوله : بعضا : نفسه ، أى دعوا بعضا مما أشرف على الهلاك — يعنى أنه معرض لمثل حالهم » .

(٢) الأشر (مضمتين وبضم ففتح) : حدة فى أطراف الأسنان ؛ وأشر المنجل : أسنانه . والدردر : مغارز أسنان الصبى . وهذا المثل معناه : لم تقبل النصح شابا فكيف وقد بدت درادرك كبرا ! — يضرب لمن كرهته سليما ، فكيف وقد صار معيبا !

(٣) الاطل : الخاصرة ، والجمع : آطال .

(٤) الدبر (ككتف) المعقور — يضرب هذا المثل فى اهتمام الرجل بشأن صاحبه أو فى استخفاف السليم بشدة المصاب ؛ والأملس خلاف الأجرب ، وقيل : السليم الظهر من الابل .

صُلِمتْ أذنه . إن رمت المحاجزة فاقبل المناجزة . كل الحذاء يحتذى الحافى الوقِع[1] . كل أداة الخبز عندى غيره[2] . فى كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعَفار[3] . الدرهم[4] يرغم كل عاتب .

إذا عنّ[5] ماء لم يجز لى التيمم
فقد عرفَتْ ريحَ الليوث [١٨٦] البهائم
بجبهة العير يفدى حافر الفرس[6]
وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

لا تنقش الشوكة بالشوكة ، فان ضلعها معها

من يرد البحر يصادف رِيًّا
والفضل[7] ما شهدت به الأعداء
الدر يقطعه جفاء الحالب
الرأى يهلك بين العجز والضجر

من أخطأ وجوه المطالب خذلته[8] . هذا أمر لا يبقى له قدرى . هذا أمر لاتبرك عليه إبلى . إن سرك الأهون فابدأ بالأرشد . عقل المرء مخبوء تحت لسانه .

الصدق ينبى عنك ، لا الوعيد
إن الوعيد سلاح العاجز الحمِقِ
المرء يصلحه الجليس الصالح

---

(١) وقع (من باب علم) يوقع وقعا : حفى و ــ اشتكى لحم قدمه من غلظ الأرض والحجارة ، فهو وقع .

(٢) « أمثال » الميدانى ٢/٩٦ : يضرب مثلا عند اعواز الشىء .

(٣) استمجد : استفضل ؛ والمرخ : شجر سريع الورى ؛ والعفار : شجر يتخذ منه الزناد ؛ وكلاهما يسرع فى الورى لهذا يضرب هذا المثل فى تفضيل بعض الشىء على بعض .

(٤) ط : الدهر . (٥) ط : اذا عن بحر ...

(٦) نصف بيت للمتنبى ، وتمامه :

يفدى بنيك عبيد الله حاسدهم ... بجبهة العير يفدى حافر الفرس

والعير (بفتح العين) : الحمار ، ومعناه : بأشرف ما فى الحقير يفدى أحقر ما فى الخطير . راجع ديوان المتنبى بشرح العكبرى ج ٢ ص ١٨٨ س ٣ ، نشرة السقا والابيارى وشلبى ، القاهرة سنة ١٩٣٦ .

(٧) الواو ناقصة فى ط . (٨) ص : خذله .

رب زارع لغيره(١) حاصد لنفسه . أصلح علم المرء ما حاضر به . من ير يوماً يُرَ به ، والدهر لا يغتر به(٢) . خير المال ما أطعمك ولم تطعمه . إذا نصر الهوى بطل الرأى. اللسان يتقاضى صاحبه ما عوده . أشد الجهاد جهاد الهوى(٣). المصطلى بالنار أعلم بحرها . الكتب أصداف(٤) الحكم .

أوردها سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلْ   ما هكذا تورد يا سَعْدُ الإبِلْ !

الصقر يجفو عن طراد الدُّخَّل(٥)

لقد حُكت(٦) الكلام لغير واع

عى الصمت خير من عى الكلام .

مضرة(٧) الصدق أفضت بى إلى الكذب

الصدق أحياناً مَعْجزة. على كاذبٍ من قوله ضوءُ صادق(٣). الفَرْىُ للسيف والتقدير(٣) للقلم . أشكره ولم ينلنى مطره . ليس من العدل سرعة العذل .

بعض العتاب على الاخلاص متهم

من جعل النمام عيناً هلك . عثيثة [٨٦ب] تقرِم(٨) جلداً أملس . العين أنمُّ من اللسان . من حفر لأخيه مغواة وقع فيها . الموت خير من حياة على رغم .

لا أطعم الخسف إن السم مشروب

تلدغ العقرب وتصيء(٩). إذا كنت فى قوم فاحلب فى إنائهم . رب إصرار خير من اعتذار . ما أصيب من أثيب .

---

(١) ص : لغير . (٢) شعر .

(٣) شطر بيت . (٤) ص : اصداق !

(٥) يجفو : يترفع . والدخل : طائر صغير ـ ومعناه أن العظيم يترفع عن الصغائر .

(٦) ص : حكة . (٧) ط : نصرة .

(٨) عثيثة : تصغير عثة ، الحشرة المعروفة . وقرمه : قشره ، أكله ـ والمقصود أكله ، والفعل من باب ضرب . ـ وفى « أمثال » الميدانى أنه « يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر فى الشىء فلا يقدر عليه ... ويضرب عند احتقار الرجل واحتقار كلامه » (٤٨٩/١) .

(٩) صأى (من باب ضرب وقطع) يصىء ويصأى صأيا (مثلثة الصاد) : صاح ـ ويضرب هذا المثل لمن يظلم ويشكو .

كريم غَبيُّ الـطَّرْف[1] عن عثراتى
ويبقى بعـد حلم القـوم حلمى

أنْظِرْ به غَـدَك .

جحـود الذنب ذنبـان

الغـنى ربٌّ غفـور

والليث لا يحسن الـعُتْبى[2] إذا وثبا
حفظ الذنوب إذا قَـدُمْـن ذنوب

من مال معك إلى الحيف ، فلا تبخل عليه بالسيف

المال أصلحه ، فليس لمُـقْـتَرٍ[3] فى الناس حرمه

النـاس خلانك[4] ما لم تفتقـر

الحر عبد إذا طمع والعبد حر إذا قنع . اشتد شرهه فكثر سفهه . وَحْمى[5] ولا حَـبَـل ! أرسل طرفه فاقتنص حتفه[6]. تمتع لعلك أن تنفقا[7] . من لبِـس الحرص لم تسدد مفاقره[8] . لا يلعب بك الأمل الكذوب . شمر ذيلا ، وادرع ليلا . يأكل فارهاً[9] ويعمل كارهاً .

يحدو وليس له[10] بعير

الغيث فى غمدى وأنتجع

الاغتراب يفيد الجِـدَة ، ويعيد الجِـدَّة .

حملت من الالحاح سمحاً على بُخْـل

رب كبير هاجـه صـغير

---

(١) ط : اللحظ . (٢) العتبى : الرضى .
(٣) المقتر : من أقتر الرجل : قل ماله وافتقر .
(٤) ص : اذا .
(٥) الوحمى : من حبلت واشتدت شهوتها للأكل .
(٦) ص : طرفه . (٧) شطر بيت .
(٨) يقال : سـد الله مفاقره : أى أغناه وسد وجوه فقره ــ لا واحد لها ، وقيل هى جمع فقر على غير قياس ، كحسن ومحاسن .
(٩) الفاره : الشديد الأكل . (١٠) ط : معه .

دعْ داغية اللبن .

وقد يسيل رذاذُ الديمة الوادى

النبع ينبت قضباناً فيكتهل

كم مطر بدوْه(1) مُـطِـرْ . أودى به الوادىوليس بمغنم . من أوقد حرباً كان لها حطباً . موقد النار بها يصطلى . من أجج ضرامها صارطعامها . وبالضد قيل :

وليس يصلى [١٨٧] بنار الحرب جانيها (٢)

إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً (٣)

يدوفون (٤) لى سماً وأسقيهم الحيا !

العين لا تملك طىَّ الخـــــــبر

أمت داءه تحت جنبه .

وإنى للباس الرجال على البُـغْـض

من كثر غمره لم يطـبْ عمره .

أنى بمــا أنا باك منه محســـود (٥)

ربَّ غمّ يدبُّ تحت السرور

من طلبه القـــدر لم ينجه الحذر .

إن الأســـــود حليمها غضبان

أضيق ما كان الخناق ينقطع

---

(١) ص : بدره .

(٢) تمامه : ــ الشيء يبدؤه فى الأصل أصــغره

وليس يصلى بناء الحرب جانيهــا

يبدؤه : أى يبدأ منه ، وفى رواية أخرى : وليس يصـــلى بجل (أو : بكل) الحرب جانيها ــ أورده أبو تمام فى الحماسة ولم ينسبه الى أحد (راجع شرح الحماسة للمرزوقى ١/٤٠٧ ــ ٤٠٨ ، القاهرة سنة ١٩٥١) .

(٣) يضرب مثلا للمدل بنفسه اذا صلى بمن هو أدهى منه وأشد (« أمثال » الميدانى ج ١ ص ٣٥ ، القاهرة بولاق سنة ١٣٨٤ هـ) .

(٤) داف الدواء وغـيره (من باب نصر) يدوفه دوفا : خلطه ، ــ الدواء والزعفران ونحوه فى الماء : أذابه وضربه فيه ليخثر .

(٥) البيت للمتنبى فى قصيدته المشهورة التى مطلعها .

عيد ! بأية حال عدت يا عيد؟ بما مضى؟ أم لأمر فيك تجديد؟

راجعه فى ديوانه جـ٢ ص٤١ بشرح العكبرى. القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ / سنة ١٩٣٦ م . وتمامه :

ماذا لقيت من الدنيا ! وأعجبها أنى بما أنا باك منه محسود

يقول : انى أشكو عجائب الدنيــا ، وأعجب ما فيها أنى محسود بما أشكوه وأبكيه .

ومن (١) سامَحَ الأيام طابت حياته

ومن (٢) ناقش الإخوان قل صديقه

من حرم التواضع منع أكرم الطبائع . كثرة النصيحة تهجم بك على سوء الظنة . ذوو الأعدام يقرعون كل باب . ستساق إلى ما أنت لاق . رب(٣) حيلة أنفع من غيلة . رَوِّ تحزم ، فاذا استوضحت فاعزم .

وإن (٤) فساد الرأى أن تترددا .

انتهز فرصة قبل أن تعود غصة

أحكم ما تخشاه والأمر ممكن

أقسم أمريك ، وشاور نفسيك ، و(٥) ميل رأييك ، واختر أمثل رأييك ، واطع أرشد نفسيك .

و(٥) لاتجعل الشورى عليك غضاضة(٦)

من بدأ بالاستشارة وثنى بالاستخارة فحقيق ألا يفيل(٧) رأيه . نعم المؤازرة المشاورة ، وبئس الاستعداد الاستبداد ! ليستعن مشغول بفارغ . اجعل مع حزمك نصيباً من التوكل ، ومع توكلك نصيباً من التحرز(٨) حتى تقبل أدب الله — تعالى جده(٩) — فى الحذر ، وتطيع أمره فى التوكل . دولة الجاهل عبرة العاقل . نظر العاقل بعقله وخاطره ، ونظر الجاهل بعينه وناظره [٨٧ب] . دولة الجاهل كالغريب يحن إلى وطنه بالانتقال ، ودولة العاقل كالنسيب يحن إلى المقام

---

(١) الواو ناقصة فى ط . (٢) الواو ناقصة فى ط .

(٣) ط : ذو حيلة أنفع من عيله .

(٤) الواو ناقصة فى ط — وتمام البيت :

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فان فساد الرأى أن تترددا

(٥) الواو ناقصة فى ط .

(٦) شطر بيت وتمامه :

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ✻ فان الخوافى رافدات القوادم

وقد أورده ابن قتيبة فى « عيون الأخبار » جـ ١ ص ٣٢ ضمن قصيدة من ستة أبيات ولم ينسبه الى أحد ، وورد فيه « تحسب » مكان « تجعل » ؛ ونسبه ابن خلكان جـ ١ ص ٢٤٦ (القاهرة ١٩٥١) الى بشار بن برد .

(٧) فال رأيه (من باب ضرب) يفيل فيالة وفيلولة وفيولة : أخطأ وضعف . وفيله (بتشديد الياء) : قبحه وخطأه .

(٨) ص : التخير . (٩) جده : ناقصة فى ط .

بالاتصال . خير الأموال ما أنفق منه ، وخير الأعمال ما وفق فيه . من ذكر المنية أنسى الأمنية . البخيل حارس نعمته ، وخازن ورثته . لكل امرئ من دنياه ما ينفقه على عمارة أخراه . من اكتفى بالكفاف اكتسى بالعفاف . لا تخدعنك الدنيا بخدائعها ، ولا تفتننك بودائعها ! رب حجة تأتى على مهجة ! رب فرصة تؤدى إلى غصة ! كم من دم سفكه فم ! كم إنسان أهلكه لسان ! رب حرف أدى إلى حتف ! من أطال عداوته أزال سلطانه . من غلبة الحمق مغالبة الحق . زوال الدول باصطناع السفل . من اغتر بحاله قصر فى احتياله . من ترك مايعنيه دفع إلى ما يُعَنّيه . تجرع فى عدوك الغصة إلى أن تجد الفرصة ، فاذا وجدتها فانتهزها قبل أن يفوتك الدرك أو يعينه الفلك ، فان الدنيا دول تبنيها الأقدار ، ويهدمها الليل والنهار . من زرع الإحن حصد المحن . رب عطب تحت طلب . ما أهون المصيبة بالأرباح إذا عادت بسلامة الأرواح ! الدين مأسور حتى يفكه العقل ، والعقل نائم حتى يوقظه الدين . الدنيا أمد ، والآخرة أبد . عَرِّض للكريم وصرح للئيم . إذا سليت عاقلا فلا تشك هماً . لددته بالنصح(١) فمجه .

العجز أن تجعل الموتور منتصحاً

<و> لا خير فيمن لم تَعِظه التجارب

يبين على جنبيَّ وَسْمُ التجارب

الخرقاء بِجَدّها والصناع بجِدّها[١٨٨]

إذا لم تجد بالمال جاد به الدهر

لاتطاب المفقود أو تفقد الموجود

كل مصادى نعمة متضائل (٢)

وهل(٣) تجد النفس الشحيحة ماتعطى ؟!

الموت مستعجل يأتى على مهل

ارفض الناس فكلٌّ مشغله

---

(١) لددته ... فمجه : ناقص فى ص .

(٢) كل ... متضائل : ناقص فى ص .

(٣) الواو ناقصة فى ط .

دع الناس وأنت من الناس . مطالع البلاء خفية الأشخاص . الحق أرفع من السماء وأوسع من الأرض ، وغنى النفس أغزر من البحر ، والدَّيْن أثقل من الجبال .

أعظم ما أنعم الله – علا وتقدس[١] – على خلقه بعد ابتدائهم بالخلق نعمتان : الرسول الهادى الذى لا يصاب الدين إلا من قبله ، والثانى : الوالى العادل الذى لا تصلح الدنيا إلا عليه . فأما ابتداء الخلق وما وصله بالنعمة التى لا بقاء له إلا بها فانه وصل الأبصار بالضياء ، والأنفاسَ بالجو ، والأجساد بالقوت ، والعامة بالولاة ، والعقول بالحكمة . وإذا فقدت الأبصار الضياء والأنفاس الجو والأجسادُ القوتَ والعامـةُ الولاةَ[٢] – هلكت هلاك الدنيا ، وإن فقد العقل الحكمة هلك هلاك الأبد .

البشر وُصْلة ، والشكر مكسبة ، والوفاء تجارة .

من بالغ فى الخصومة ظَلـمَ ، ومن قَـصَّرَ فيها ظُلِـمَ .

لا يطمعن ذو الكبر فى الثناء الجميل ، ولا الخب فى كثرة الصديق ، ولا سيء الأدب فى الشرف ، ولا الحريص فى قلة الذنوب .

الأحمق من يأكل ما يجد ، ثم يسأل ما لا يجد .

< و > جراح الزمان بالصبر توسى[٣] .

إذا غلبك عدوك على صديقك فخل له عنه .

تم فصل كلام العرب ، ولله الحمد[٤]

---

(١) ط : عز وجل .

(٢) والعقول ... الولاة : ناقصة فى ص . (٣) شطر بيت شعر .

(٤) تم ... الحمد : ناقص فى ط . – وفى س : والله أعلم .

ومن حكم الروم

قال سقراط فيما حفظ من وصاياه وأثبت من ألفاظه(١) :

سوأةً(٢)[٨٨ب] لمن أعطى الحكمة فجزع لفقد الذهب والفضة ، ولمن أعطى السلامة فجزع لفقد التعب والألم! فان ثمار الحكمة السلامة والدعة ، وثمار الذهب والفضة الألم والنصب .

وقال(٣) : الملك الأعظم هو أن يغلب الإنسان شهواته .

وقال : الطبيعة أَمَةٌ للعقل ، والعقل عبد للمبدع الأول .

وسئل : أى شيء أنفع من جميع المقتنيات؟ — فقال : الصديق المخلص(٤).

وعابه رجل من المترفين الأغنياء فقال : لو أردت أن أعيش كعيشك قدرت عليه ، ولو أردت أن تعيش كعيشى لم تقدر عليه .

وعابه (٥) بعض الأغنياء بالفقر فقال : لو عرفتَ الفقر لشغلك التوجع لنفسك عن التوجع لسقراط .

وكان (٦) يتعلم الموسيقى على الكبر ، فقال له إنسان : أما تستحيي أن تتعلم على الكبر ؟ — فقال : حيائى من أن أكون جاهلا على الكبر أكثر(٧) .

---

(١) ط ، س : فيما أثبت من ألفاظه وحفظ من وصاياه .

(٢) فى « الكلم الروحانية والحكم اليونانيــة » لأبى الفرج بن هنـــدو المتوفى سنة ٤٢٠ هـ (نشرة مصطفى القبانى ، القاهرة سنة ١٩٠٠) ورد هذا النص هكذا : « من أعطى الحكم فجزع لفقد الذهب والفضة كان كمن أعطى الســلامة فجزع لفقــد الوصب ، لأن ثمرة الحكمة السلامة والسعادة ، وثمرة الذهب والفضــة الألم والشـــقاوة » (ص ٨٠ س ٩ — س ١٢) .

(٣) ورد فى « الكلم الروحانية » ص ٨٣ س ١١ حيث يرد بدل : «يغلب» قوله : « عليك » . (٤) ص : المخلص منه .

(٥) ورد برواية أخرى فى « الـكلم الروحانية » ص ٧٨ س ٢ — س ١ من أسفل .

(٦) ورد فى « الكلم الروحانية» ص ٨٣ س ٣ من أسفل — ص ٨٤ س ١ .

(٧) أكثر : ناقصة فى ص .

وقال[1] له رجل : حرمت نفسك يا سقراط نعيم الدنيا . قال : وما نعيم الدنيا ؟ — قال : أكل[2] اللحمان الطيبة وشرب الخمور اللذيذة ولبس الثياب الفاخرة ، وإتيان المناكح الحسنة . — قال سقراط : وهبت ذلك لمن رضى لنفسه أن يشبه الخنازير والقرود وأن يشبه السباع فى أن تكون بطنه مقبرة للحيوان ، وآثر عمارة بدنه الفاسد على عمارة الروح الباقى .

وقال[3] : إن اللذة خناق من عسل .

ونظر[4] إلى امرأة قد تزينت لتذهب إلى المدينة فنظر إليها[5] وقال : إنى أظن أن ذهابك ليس للنظر إلى المدينة ، ولكن لتنظر [١٨٩] المدينة إليك !

وقال : القنية مخدومة ، ومن خدم غير ذاته فليس بحُرٍّ[6] .

وكان يقول لتلاميذه : القنية ينبوع الأحزان[7] ، فلا تقتنوا !

ويقول[8] أيضاً : لا تحرصوا على اكتساب القنيات فيشتد فقركم ، واستهينوا بالموت كيلا تموتوا ، وأميتوا الشهوات تخلدوا ، والزموا العدل تلزمكم النجاة .

وقال : من كانت ضلالته بعد التصديق بالحق زاغ عنه وكذب به ، فهو بعيد من المغفرة يموت ميتة سوء ، ومن كانت ضلالته قبل التصديق بالحق ومعرفته[9] ثم عرفه ودان به نالته المغفرة .

---

(١) راجع هـذه الفقرة برواية أخرى فى « الكلم الروحانية » ص ٨٣ س ٣ — س ٩ .

(٢) ص : الحملان . واللحمان : جمع لحم ، ومثله : لحام ولحوم والحم .

(٣) ورد فى « الكلم الروحانية » ص ٨٧ س ٥ — س ٦ .

(٤) فى « الكلم الروحانية » لابن هندو ورد هكذا : « تزينت امرأة وبرزت للنظارة ، فقال سقراط لها : برزت لتنظر المدينة اليك ، لا لتنظرى اليها » (ص ٨١ س ٩ — س ١١) .

(٥) ص : المدينة فقال . ط : فنظر اليها فقال ... وما أثبتناه عن س .

(٦) ص : محر . — وورد هذا القول فى « الكلم الروحانية » لابن هندو ص ٨١ س ١٢ — س١٣ .

(٧) القنية ينبوع الأحزان : وردت فى « الكلم الروحانية » ص ٨١ س ٣ من أسفل .

(٨) س : وقال أيضا . ط : وكان يقول أيضا .

(٩) س : قبل أن يعرف الحق ويدين به ثم عرفه — وكذلك فى ط .

وقال الحسن : الحق هو العدل ، لأنه علة كل حسن ، وكذلك الجور هو[1] القُبْح الحق لأنه علة كل قبح ، لأن القبح هو ما خرج عن الاعتدال .

وكان[2] جالساً عند رجل فعطش الرجل ، فقال لغلامه : اذهب إلى الخَمَّار فقل له أقرضنا جرة خمر وارفق بنا فى ثمنه . — فقال سقراط : أحسن من هذا أن تسأل نفسك أن تقنع[3] بالمـــاء .

ورأى[4] فتى كان ورث مالا من أبيه فبذره وحصل على أكل زعرور الجبل — فقال : يا فتى ! لو كنت اقتصرت على أن يكون مثل هذا طعامك ما كان هذا طعامك .

وسئل[5] : ما بالك تعاشر الأحداث دائماً ؟ — فقال : أفعل ذلك كما تفعل الراضة ، فانهم يرومون رياضة الأفلاء[6] من الخيل ، لا العتاق .

وقال : لا تكن عنايتك بما تكسب وكيف[7] تكسبه كعنايتك بحسن استعماله وكيف [٨٩ب] تنفقه[8] .

وقال : داوِ[9] الغضب بالصمت ، وداو[9] الشهوة بالغضب : فان من غضب على نفسه من تناول المساوىء شغل عنها[10] .

وقال : بالعدل ركب كل العالم ، فجزئياته[11] لا تقوم بالجور[12] .

وقال[13] : يا أسراء الموت ! حلوا أسركم بالحكمة !

وقال : لا تخافوا الموت فان مرارته فى خوفه .

---

(١) ص : الجور وهو . — ط : الجور هو القبح لأنه ...

(٢) ورد في « الكلم الروحانية » ص ٨٧ س ٨ — س ١١ ، مع اختلاف فى الرواية . (٣) ص : تقتنع .

(٤) وردت برواية مختلفة فى « الكلم الروحانية » ص ٨٧ س ٦ — س ٨ .

(٥) ورد فى « الكلم الروحانية » ص ٨٤ س ١٢ — س ١٤ .

(٦) الفلو (بكسر الفاء) : الجحش والمهر ، فطما أو بلغا السنة ، والجمع أفلاء . (٧) الراء ناقصة فى ص و ط و س .

(٨) وردت برواية أخرى فى « الكلم الروحانية » لابن هنـدو ص ٨٧ س ١١ — س ١٢ . (٩) س ، ط : داووا .

(١٠) راجع معنى هــذا القول فى « الكلم الروحانيــة » ص ٧٩ س ٣ من أسفل . (١١) ص : فجر ينابه .

(١٢) وقال : بالعدل ... بالجور : ناقص فى ط .

(١٣) ورد فى « الكلم الروحانية » ص ٨١ س ٤ من أسفل .

< هرمس >

ما يحكى عن هرمس[١]

قال : المرء حقيق أن يطلب الحكمة ويبثها[٢] فى نفسه ، أولا : بأن لا يجزع[٣] من المصائب التى تعم الأخيار ، ولا يأخذه[٤] الكبر فيما يبلغه من الشرف ، ولا يعير أحداً بما هو فيه ، ولا يغيره الغنى والسلطان ، وأن يعدل بين نيته وقوله حتى لا يتفاوت ذلك[٥] منه ألبتة ، وتكون سُنّته ما لا عيب فيه ، ودينه ما لا يختلف فيه ، وحجته ما لا ينتقض .

وقال : أنفع الأمور للناس وأقرها لعيونهم[٦] القناعة والرّضا ، وأضرها وأشنعها عليهم[٧] الشره والسخط . وذلك أن أفضل ما فى الدنيا[٨] السرور الذى هو ثمرة كل خير يصيبهم ، وأشد ما يصيب الناس[٩] الحزن الذى هو ثمرة كل شر[١٠] يصل إليهم . وإنما يكون جل السرور بالقناعة والرضا ، ويكون جل الحزن[١١] بالشره والسخط ، ولن تجتمع القناعة والسخط ، ولا السرور[١٢] والحزن .

وحكى فيما سطره[١٣] أن أصل الضلال والهلكة لأهله أن لا يعتد ما فى العالم من الخير من عطية الله ومواهبه ، ولا يعد ما فيه من الشر من عمل الشيطان ومكائده . [١٩٠]

---

(١) نقل هذا الفصل الشهرستانى فى « الملل والنحل » ج ٢ ص ١١٤ مع بعض اختلاف (بهامش « الفصل » لابن حزم ، القاهرة سنة ١٣٤٧) .

(٢) فى « الملل » : ويثبتها .

(٣) فى « الملل » : لئلا يخرج .

(٤) ص : يأخذه من الكبر ...

(٥) ذلك منه ألبتة : ساقطة فى « الملل » .

(٦) وأقرها لعيونهم : ساقطة فى « الملل » .

(٧) وأشنعها عليهم : ساقطة فى « الملل » .

(٨) فى « الملل » : وانما يكون كل السرور ...

(٩) ص : الناس من الحزن .

(١٠) ص : شيء .

(١١) ص : الحسرات .

(١٢) وردت هذه الفقرة مقتضبة محرفة فى « الملل » فراجعها .

(١٣) ص : حكى ما سطره . ــ ط : ويحكى فيما سطره . وما أثبتناه عن س . ــ وفى « الملل » : ويحكى عنه فيما كتبه ... » ، وفيه بعض النقص .

وقال : من افترى على أخيه فرية لم يخلص من تبعتها حتى يجزى[1] بها فكيف يخلص من بلغ من عظم الفرية على الله أن جعله سبباً للشرور ، وهو معدن الخير !

إن[2] الجاهل الخاطىء الذى هلكت نفسه وقهره عدوه كلما استكثر مِنَ الذى به مِنْ هلاك نفسه وقهر[3] عدوه له ازداد بذلك فرحاً ، وبحاله اغتباطاً ، وانفسه تزكية ؛ وإن العالم الصالح الذى صحت نفسه وقهر عدوه ودفع شره ورد كيده لا يستكثر ما يلاقيه[4] بعد قهر عدوه ولا يزداد إلا تواضعاً ولعدوه إلا اتقاءاً وحذراً .

وقال[5] : كل ما ينطق به الإنسان فهو مجازى به فى الدنيا أو فى الآخرة صالحاً كان أو طالحاً ، خيراً كان أو شراً ، سراً كان أو علانية — فان الله لا يخفى عليه شىء .

الإخاء[6] الدائم الذى[7] لا يقطعه شىء اثنان : أحدهما فى محبة المرء نفسه فى أمر معاده وتهذيبه إياها فى العلم الصحيح والعمل الصالح ، والآخر مودته لأخيه فى دين الحق — فان ذلك مصاحِبٌ أخاه فى الدنيا بجسده ، وفى الآخرة بروحه .

الغضب شيطان[8] الفظاظة ، والحرص شيطان[8] الفاقة ، وهما منشآ كل سيئة ، ومفسدا الجسد ، ومهلكا الروح[9] .

وقال : إنما تجرى الأمور بمشيئة الله — عز وجل — إذا كان الفيلسوف ملكاً ، أو كان الملك فيلسوفاً[10] .

---

(١) فى « الملل » : يجازى به . — وباقى الفقرة ورد محرفا فى « الملل » .
(٢) لم ترد هذه الفقرة كلها فى « الملل » .
(٣) كلما استكثر ... عدوه : ناقصة فى ص .
(٤) ط ، س : ما يقاسيه .
(٥) لم ترد هذه الفقرة كلها فى « الملل » .
(٦) وردت هذه الفقرة بنفس الألفاظ فى « الملل والنحل » .
(٧) لا : ناقصة فى ط ، ووردت فى س وص وفى « الملل والنحل » .
(٨) فى « الملل والنحل » : سلطان — وهو تحريف ظاهر .
(٩) فى « الملل » : كل روح — والى ها هنا آخر ما ورد فى «الملل والنحل» .
(١٠) ط ، س : متفلسفا .

وقال : ثمرة الشهوة الهلاك ، وثمرة الهوى الندامة ، وثمرة الفخر المقت ، وثمرة الحرص الفاقة .

وقال : أنا أشبّه النفس بضارب العود : فانها فى إشاراتها وتدبيرها كالعارف بنقر الأوتار وتقليب الأصابع عليها وقوته على ما يريد إظهاره من اللحون حتى يفهم عنه .

ما حفظ عن ديوجانس

[٩٠ب] كان (١) ديوجانس حكيما فاضلا ، ولكنه إذا جاع أكل الخبز أين وجده ، ليلا كان أو نهاراً ، عند ملك كان أو عند سوقة ، لا يحتشم أحداً . وكان يحبه كل أحد ، ويتودد إليه جميع الناس ، لأنه كان صاحب حق ، وكان يصدق عن نفسه ، ويقنع باليسير من القوت واللباس .

وكان الاسكندر يقربه ويأنس بكلامه . وقال يوماً للاسكندر : أيها الملك ! قد أمنت الفقر ، فليكن غناك(٢) اقتناء الحمد وابتناء المجد .

ويحكى(٣) أن أهل آثينية بعثوا إلى الاسكندر فى رسالة فقصها عليه ، فقال له : قد قضيت حوائجهم وهم يعادوننى أبداً ، فما الذى يرضيهم عنى ؟ — قال : لا أحسب شيئاً يرضيهم عنك إلا موتك .

وديوجانس هذا صاحب الشيخ (٤) اليونانى ومعلمه . والشيخ اليونانى هو صاحب الحكمة التى ظهرت منه فى كتبه المعروفة به ، وليس هذا موضع ذكرها . فمن أحب أن يطالعها فليقرأها من تلك الكتب فانها موجودة .

---

(١) ما ورد هنا لم يرد فى « الكلم الروحانية » (ص ١٠٥ — ص ١١٣) ولا فى « الملل والنحل » للشهرستانى (جـ ٣ ص ١٤٤ — ص ١٤٧ — بهامش « الفصل » ، القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ) .

(٢) ط : غناؤك .

(٣) ص : ويحكى عن أهل أثينية أنهم بعثوه الى ... — وما أثبتناه عن ط و س .

(٤) راجع عن الشيخ اليونانى : « الملل والنحل » للشهرستانى جـ ٣ ص ١٤٧ (بهامش « الفصل » ، القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ) — ويقال انه أفلوطين ، ولكن هذا القول لا يزال بمعزل عن كل دليل ، خصوصا اذا كان صاحب ديوجانس كما ورد هنا .

< بطلميوس >

و[١]قال رجل لبطلميوس[٢] : ما أحسن بالانسان أن يصبر عما يشتهى ! — قال : أحسن منه ألا يشتهى إلا ما ينبغى[٣] .

وقال[٤] : الحكيم هو الذى إذا صدق صبر ، لا الذى إذا قُذِف كَظَمَ.

وصية أفلاطون لتلميذه أرسطوطاليس[٥]

اعرف ربك وحقه ، وأدم عنايتك بالعلم والتعليم . أكثر عنايتك بغذائك يوماً بيوم — أى[٦] لا تدخره . لا تمتحن الأديب بكثرة العلم ، بل بأن يوجد الأديب مُعَرًّى من الشر. لا [١٩١] تسأل الله تعالى ما لا يدوم لك نفعه ، فان المواهب كلها منه ، فلذلك يجب أن تسأله النعمة الباقية معك أبداً . كن متيقظاً أبداً ، فان علل الشرور[٧] كثيرة . ما لا ينبغى أن تفعله فلا تَهْوه . إن الله تعالى لا ينتقم من العبد بالسخط عليه ، بل لتقويمه . لا ينبغى أن تهوى حياة صالحة فقط[٨] ، بل وموتاً صالحاً ، ولا تعتد[٩] الموت والحياة صالحين إلا أن تكتسب[١٠] بهما البر . لا تنم حتى تحاسب نفسك على ثلاث : هل أخطأت فى يومك ؟ وما اكتسبت فيه ؟ وما كان ينبغى أن تعمله من البر فقصرت فيه ؟— تذكر ما كنت ، وأين مصيرك ، ولا تؤذ أحداً فان أمور عالمنا متغيرة زائلة . الشقى من لم يتذكر دائماً[١١] عاقبته فيرجع عن زلاته . لا تجعل قنيتك من الخارجات عنك . لاتنتظر لتفعل الخير إلى مستحقه أن يسألك ، بل ابدأه به . ليس الحكيم التام من فرح بشىء من لذات العالم أو جزع من مصائبه واغتم به . أدم ذكر

---

(١) الواو ناقصة فى ط .

(٢) لم يرد شىء منه فى « الكلم الروحانية » (ص ١٢٤ — ص ١٢٥) . وانما ورد فى « الملل والنحل » للشهرستانى ج ٣ ص ٩٧ .

(٣) ورد برواية أخرى فى « الملل » للشهرستانى ج ٣ ص ٩٧ .

(٤) ورد بنصه فى « الملل والنحل » للشهرستانى ج ٣ ص ٩٧ — ص ٩٨ .

(٥) ط : أرسطاليس . س : أرسطاطاليس .

(٦) أى لا تدخره : ناقصة فى ط .

(٧) كثيرة : ناقصة فى ص . (٨) فقط : ناقصة فى ط .

(٩) ط : تعيد . (١٠) ط : تكسب .

(١١) فيرجع عن زلاته : ناقصة فى ص .

الموت والاعتبار بالميت . تعرف خساسة المرء بكثرة كلامه فيما لا ينفعه ، وفى إخباره بما لا يسأل عنه[1] ولا يراد منه . من فكر فى الشر لغيره فقد قبل الشر فى نفسه . لا تسأل شريراً حاجة ، فانه يحسب شريته فى نفسه ومذهبه ، وكذلك شريته فى عطيته . فكر مراراً ثم تكلم ثم افعل ، فان الأشياء متغيرة . كن محباً للناس ، ولا تَدْعُ [2] الغضب فيتسلط عليك بالعادة . لا تؤخر إنالة المحتاج إلى غد ، فانك لا تدرى ما يعترض دون غد . أعن المبتلى إن لم يكن سوء عمله ابتلاه . لا تحكم قبل السماع من الخصمين . لا تكن حكيما بالقول [٩١ب] فقط ، بل وبالعمل ، فان الحكمة بالقول ها هنا تبقى ، والحكمة بالعمل فى العالم الآخر تبقى . إن تعبت فى البر فان التعب يزول والبر يبقى ، وإن التذذت بالاثم فان اللذة تزول ويبقى الاثم لازماً لك . اذكر اليوم الذى يهتف بك فلا تكون لك آلات الحس ، فهناك لا تسمع ولا تنطق ، ويبطل فكرك ؛ واذكر أنك ذاهب إلى المكان الذى لا تعرف فيه صديقاً ولا عدواً ، فلا تَتَنَقَّصْ ها هنا أحداً ؛ واعرف المكان الذى يستوى فيه المولى والعبد ، فلا تكن ها هنا مختالا . أعدد زاداً فى كل وقت ، فانك لا تدرى متى الرحلة . اعلم أنه ليس فى عطاء الله — تقدس اسمه [3] — شىء من الحكمة هو أخْيَر . الحكيم هو الذى يظهر فكره وقوله وفعله متساوية متشابهة . كافىء بالخير ، واصفح عن الشر . تذكر وتحفظ وافهم فى كل وقت أمرك واعقله ، ولا تكلَّ عن شىء من أمور هذا العالم الجليلة ، ولا تتوان فى وقت ، ولا تضاد شيئاً من الخيرات ، ولا تقن واحدة من السيئات لأجل القنية الحسية . لا ينبغى أن تترك ما هو أفضل من أجل السرور الزائل وبترك السرور الدائم . أحْبِبْ الحكمة وأنصت للحكماء واطرح سلطان الدنيا عنك ، ولا تمنعن فى وقت من الأوقات من الأدب الحسن . لا تفعلن شيئاً فى غير وقته ، وإذا فعلته فافعله بفهم . لا ينبغى أن تختال عند الغنى ، ولا تستخذين عند المصائب . لتكن سيرتك مع الصديق سيرة لا تحتاج

(١) ولا يراد منه : ناقص فى ص .
(٢) ط : تسرع .
(٣) اسمه : ناقص فى ط .

معها إلى حكم ، ومع الأعداء سيرة تفلج[1] بها فى الحكم . لا تسفه على أحد ، ولتكن سيرتك مع الناس كلهم بالتواضع ، ولا تستحقر أحداً [١٩٢] لتواضعه . ما عذرت نفسك فيه فلا تلم أخاك عليه . لاتفرح بالبطالة ، ولاتتكل على البخت ، ولا تندم على ما فعلت من خير . لا تُمارِ . الزم العدل فى كل أمرك ؛ وعليك بالاستقامة ولزوم الخير .

وصية[2] أرسطوطاليس[3] للاسكندر

لما اشتدت علة أبيه فيلفس[4] ، وتقرر الأمر للاسكندر ابنه

قال :

ليس الآمر بالخير أسعد[5] من المطيع له ، وليس المعلم أقل انتفاعاً بالعلم من المتعلم ، ولا الناصح أولى بالمديح من المنصوح[6] له ، متى قيل[7] . وإن الله — تعالى ذكره — لم يرض لنفسه من الناس إلا بمثل ما رضى لهم به منه ، فانه أمرهم بالترحم ورحمهم ، وأمرهم بالتصادق وصدقهم ، وأمرهم بالجود وجاد عليهم ، وأمرهم بالعفو وعفا عنهم ؛ فليس قابلا منهم إلا مثل ما أعطاهم ، ولا آذناً لهم فى خلاف ما أتى عليهم . فأعط[8] من وليت أمره [9] من رأفتك ورحمتك وعفوك ما ترغب فى مثله[10] ، موقناً بأنك إن أعطيت ذلك من نفسك أعطيته موفراً . واعلم أنه لا شىء لك إلا ما نلته[11] من جميل الذكر ورضوان الخالق ، وأنك إن وثقت به وقاك شر من دونه ، وإن وثقت بغيره لم تدفع عن

---

(١) فلج (من بابى ضرب ونصر) فلجا وفلوجا : ظفر بما طلب وفاز به و — على خصمه : استظهر عليه ، ومنه المثل : « من يأت الحكم وحده يفلج » .

(٢) نشرها لويس شيخو فى مجلة « المشرق » ثم ضمنها كتاب « مقالات فلسفية قديمة » ص ٣٥ — ص ٤٠ .

(٣) ط ، س : ارسطاطاليس ، وكذا فى ف .

(٤) ف : فيلفوس .

(٥) س : بأسعد منه من المطيع له ولا / ط ، ف أسعد به من المطيع له ، ولا المعلم ... (٦) ص : الفصوح .

(٧) ط : من قبل / ف : أولى به من المنصوح له بالمديح متى قيل .

(٨) ف : فأعظ . (٩) ص : ومن .

(١٠) ص : مثله فيه / ف : موفيا . (١١) ط : نلت ، وكذا فى ف .

نفسك ولم يدفع عنك دافع . واعلم أنك غير مستصلح رعيتك وأنت فاسد ، ولا مرشدهم وأنت غاو ، ولا هاديهم وأنت ضال . وكيف[1] يقدر الأعمى على أن يهدى ، والفقير على أن يغنى ، والذليل على أن يعز ! واعلم أنه مااستصلح المستصلح غيره إلا بصلاح نفسه ، ولا أفسد المفسد سواه إلا بفساد نفسه. فان رغبت [٩٢ب] فى إصلاح من وليت فابدأ باصلاح نفسك ، وإن أردت رفع العيوب عن غيرك فطهر نفسك منها . ولا يزينك رأيك إذا أحسنت القول دون الفعل ، فقد أبلغت إلى السامعين منك دون أن يصدق قولك فعلك[2] ، وتحقق سريرتك علانيتك . واعلم[3] أنك مطبوع على أخلاق مختلفة : منها حسنات ، ومنها سيئات . فأعدى عدوك سيئات أخلاقك ، وأولى الأشياء بك حسنات أخلاقك . قابل بعض أخلاقك ببعض : [4] قابل غضبك بحلمك ، وجهلك بعلمك [5] ، ونسيانك وغفلتك بفكرتك ونظرتك [6] . واعلم أنه ليس أحد أصلح للناس من أولى الأمر إذا صلحوا ، ولا أفسد[7] لهم منهم إذا فسدوا ، وإن الوالى من الرعية مكان الروح من الجسد الذى لا حيـــاة له إلا به[8] ، وبموضع الرأس من سائر الأعضاء فانه لا بقاء لها إلا معه : فالوالى مع فضل منزلته من الحاجة إلى إصلاح الرعية مثل ما بالرعية من الحاجة إلى إصلاح [9] الوالى ، وقوة بعضهم زيادة فى قوة بعض ، ووهن بعضهم سريع فى وهن بعض . وبُعد الوالى من القدرة على إصلاح نفسه مع استفساد رعيته كبعد الرأس من البقاء مع هلاك سائر البدن . غير أنه أجدر باصلاح الرعية الفاسدة وإفساد الرعية الصالحة من الرعية باصلاح الوالى الفاسد وإفساد الوالى الصالح ، لفضل قوته عليها ووهن قوتها عن قوته . وقد قال أوميرس[10] الشاعر : « إن الأئمة يصلحون المؤتمين بفضل قوتهم ، فأما الأئمة فلا يصلحها مؤتم » . وأحذرك الحرص : فأما ما هو

---

(١) ف : فكيف . (٢) ف : وفعلك .
(٣) ط : فاعلم . (٤) قابل : ناقصة فى ص و ف .
(٥) وجهلك بعلمك : ناقصة فى ط .
(٦) ط : ونظرك / ف : بذكرك ونظرك .
(٧) لهم : ناقصة فى ص و ط ، ووردت فى ف .
(٨) ف : بها . (٩) اصلاح : ناقصة فى ط .
(١٠) = Homerus / ط : أميروس .

مصلحتك ومصالح على يدك فالزهد . واعلم(١) أن الزهد يتم [١٩٣] باليقين ، واليقين يحصل بالفكر . فاذا فكرت فى الدنيا لم تجدها أهلا لأن تكرمها بهوان الآخرة ، لأن الدنيا دار بلاء ومنزل قُلْعة(٢) . وقد قال أوميرس(٣) الشاعر : « كل ضد مخالف ضده ، ولا خير فى شىء يزول ويذهب » . اتهم أخلاقك السيئة ، فانها إذا اتصلت بها حاجاتها من الدنيا كانت كالحطب للنار ، وكالماء للسمك ؛ وإذا عزلتها عنها(٤) وحلت بينها وبين ما تهوى انطفأت كانطفاء النار عند فقدان الحطب ، وهلكت(٥) كهلاك السمك عند فقدان الماء .

إذا أردت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فان من لم تكن له قناعة فليس المال مغنيه(٦) وإن كثر ؛ وقد قال أوميرس(٧) الشاعر : « لا مال عند من ترك القناعة ، ولا خير فى المرء لم إذا لم يكن قنوعاً(٨) » . واعلم أن من علامة تنقل الدنيا وكدر عيشها أنه لا يصلح منها جانب إلا بفساد آخر ، فلا سبيل بصاحبها إلى عز إلا بتذلل ، ولا إلى استغناء إلا بافتقار . واعلم أن الدنيا ربما أصيبت بغير حزم فى الرأى ولا فضل فى الدين ؛ فان أصبت حاجتك منها وأنت مخطىء ، أدبرت(٩) عنك وأنت مصيب ، فلا يستخفنك ذلك إلى معاودتها ومجانبة الصواب. لا تضنن على الناس بما ترغب فيه ، ولا تأت إليهم بما تكره أن يؤتى إليك . قاتل هواك ، وأقصر رغبتك ، واكفف شهوتك ، واحلل الحقد من قلبك ، وطهر من الحسد نفسك ؛ واقبض إليك أملك ، فان الأمل إذا بسطته أقسى قلبك وشغلك عن معادك ؛ وليكن(١٠) مما تستعين به على إطفاء الغضب علمك بأن الزلل لا يخلو منه [٩٣ب] أحد ، وبه وقع صاحبك ، ولعل عدواً لك حمله على ذلك . فان أطعت هواك فى أخيك الذى أتى على يديه الذنب إليك فقد أشمتّ

---

(١) واعلم أن الزهد : ساقطة من ف .
(٢) القلعة (بضم القاف وسكون اللام) : من المال : ما لا يدوم ، وفى حديث على بن أبى طالب : أحذركم الدنيا فانها منزل قلعة : أى تحول وارتحال .
(٣) ط : أميرس . (٤) ف : عنك .
(٥) ص ، ف : فهلكت . (٦) ف : معينه .
(٧) ط : أميروس . الشاعر : ناقصة فى ط .
(٨) ط : قنعا . (٩) ص : وأدبرت .
(١٠) ص : ما .

عدوك به وظاهرته على أخيك ومكنته من بِغْيته . فما أحقك ، يا اسكندر ، أن تعتاض من طاعتك له هلكة ، ومعصيتك له سلامتك — وهو هواك ؛ ولعلك يا اسكندر ترى أن عقوبتك تنكيل به عن الذنب ، أو زيادة فى الأدب . فان هممت بذلك فاصدق نفسك ، وفتش عن ضميرك وسريرتك دون ظاهرك وعلانيتك . وانظر : أجميل الذكر تريد ، أم شفاء الغيظ ؟ — فان كنت تريد الانتقام للغضب ، فان الغضب مر ، والمر لا يجتنى ثمره حلواً ؛ وإن كنت تريد بعقوبتك إياه إصلاحه لك ولنفسه وجميل الذكر وأن تنزع عن ذلك الذنب ، فانك بالغ بالحرمان والوعيد والجفاء بعض ما يغنيك عن شـــدة الصولة وعظيم العقوبة . ولا ينبغى أن تستعمل سيفك فيمن تكتفى منه بالحبس ، ولا تسرع بالحبس إلى من تكتفى منه با لجفاء والوعيد ، فانه بحسب أخلاق المذنبين وتفاوتها يجب أن تكون العقوبة وإن استوت الذنوب . واعلم أنك[1] متى نلت مظلمة أو فرطت منك عقوبة ، فان الذى أتيت إلى نفسك من ذلك أشد من الذى أتيت إلى المعاقب إذا لم تكن عاقبته بحق ، ولا الصلاح وحده قصدت بها . فتأنَّ فى أمرك ، واجهد ألا يبلى بسيفك وسوطك من كان بريئاً ؛ ولا يسلم منك من كان لا يصلح إلا عليهما[2] . احذر الشهوات ! وليكن ما تستعين به على كفها عنك علمك بأنها مذهلة لعقلك ، مهجِّنة لرأيك ، شائنة[3] [١٩٤] لعرضك ، شاغلة لك عن عظيم أمرك لأنها لعب ، وإذا حضر اللعب غاب الجد ؛ ولا تقوم الدنيا[4] والدين إلا بالجد ، فان نازعتك نفسك إلى الشهوات واللذات واللهو ، فانها قد نزعت بك إلى[5] شر منزلة وأدناها وأخسها وأسقطها وأرادت منك خلاف السنة ، فغالبها أشد المغالبة ، وامتنع منها أشد الامتناع ، وليكن مرجعه[6] منك إلى الحق ، فانك متى تترك الحق فلست تتركه إلا إلى باطل ، ومهما تترك الصواب فانما تتركه إلى الخطأ . فلا تداهن نفسك

---

(١) ط : أنه . (٢) ص : عليها .
(٣) ط : سانه (كذا بدون نقط) .
(٤) ط : الدين والدنيا .
(٥) الشهوات ... الى ناقصة فى ص .
(٦) ص : مرجعها .

فى الهوى اليسير فتطمع منك فى الكثير . ولا يرحبن ذرعك بمقارفة صغير من الخطأ ، فان لكل عمل ضراوة . ومتى تعود نفسك القليل تعدل به إلى الكثير . لا تبطل عمراً لك فى غير حق ، ولا تضع لك مالا فى غير واجب ، ولا تصرف لك قوة فى غير غناء ، ولا تعدل رأياً لك فى غير رشد . وعليك بالحفظ (١) لما أتيت من ذلك بالحد فيه ، وخاصة العمر الذى كل شىء مستفاد سواه . فان كان(٢) لابد لك أن تشغل نفسك بلذة فلتكن فى محادثة العلماء وكتب الفلسفة والحكمة(٣) فانه أيسر سرورك بالشهوات. ولست بالغاً مبلغاً إلا وإكبابُك على ذلك ونظرك فيه بالغ منك ؛ غير أن ذلك يجمع لك < آجل > السرور وتمام السعادة ، وخلافه يجمع لك عاجل العز ووخامة العاقبة ؛ وإن أسعد الناس بهواه أدركهم للرشد منه . وإياك والفخر لعلمك بالذى منه كنت ، ومعرفتك بالذى إليه تصير . ولا سبيل — إن كنت ذا نظر مع حملك فى البطن وكونك مما كنت منه وتركبك من الأشياء التى شأن كل مركب منها الانحلال والانتقال [٩٤ب] من حال إلى حال والمثوى الذى تصير إليه ، حتى تكون بعد الوجود مفقوداً ، وبعد النمو منحلا — إلى العتو والفخر إذا كانا عنك زائلين . وإياك والكذب ، فان الكذب لا يكون إلا من مهانة النفس وسخافة الرأى وجهالة بعواقب مضرة الكذب على صاحبه . واعلم أن أقل منزلة الكذاب وما يحل به أن يقول(٤) فلا يصدق ، ثم يصير فى البعد من بغيته والانحياز عن قصده بمنزلة من أراد الشرق فتوجه إلى الغرب . وقد قال أوميرس(٥) : « ليس شىء أدنى منزلة من الكذب ! ولا خير فى المرء الكذاب » . واعلم أن سرعة ائتلاف قلوب الأبرار حين يلتقون كسرعة اختلاط ماء المطر بالبحار . وبعد(٦) الفجرة من الائتلاف — وإن طالت معاشرتهم — كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلاقها . واعلم أن بصلاح الأعوان والوزير يكون صلاح المال . فكن بصلاح المال معتمداً على صلاح الأعوان والوزراء ، وكن ذا عناية بهم ، واكتف بقليل منهم عن كثير ممن لا صلاح عنده ، فان الجوهرة خفيفة المحمل ثقيلة الثمن ، والحجارة فادحة

(١) ص : أوتيت .
(٢) ص : كاد .
(٣) ط : الحكمة والفلسفة .
(٤) ص : يقول ان فلانا يصدق .
(٥) ط : أميرس .
(٦) ناقص فى ص .

بحاملها مع قلة غنائها ونزارة ثمنها . ثم اجتهد فى ابتغاء صالح العمال ، فان العامل من الملك بمنزلة السلاح من المقاتل . فاذا قعد بالوالى عمال الصدق ، فقد نزل به ما ينزل بالمقاتل إذا بقى بلا سلاح . وليكن رأس ما تعمل به أن تعلم الناس أن معروفك لا يوصل إليه إلا بمعونتك على الحق ؛ وتوطن أهل الباطل ومن يفسد فى الأرض أنفسهم منك على العقوبة الفادحة ، فان بذلك تقوّم ملكاً وتعد حكما .

وبعد ! فانى لست آمن عليك[١٩٥] الزلل فى الأمور بعد الاجتهاد ، وليس يثبت العذر إلا بعد الاجتهاد فى درك الصواب . فاذا(١) اشتبكتْ بك الأمور وعميت عليك ، فليكن مفزعك فيها إلى العلماء ، فان أدنى غايات الفضل(٢) الذى يصلح عليه أمر الوالى أن يكون عنده من الرأى ما يعلم به فضل العالم على الجاهل ، وفضل خطر المرزية إذا وردت عليه . وقد قال أفلاطن : « من ميز عقول العقلاء استبانت له الأمور مثل ما يستبان من المصابيح فى ظلمة الليل » . ولعل رأيك أن يؤديك إلى أن بعض الناس يزدريك لاقتباسك منهم ؛ أو يستخف بأمرك عندهم . فان عرض هذا بقلبك فاطّرِحه أشد الاطراح ، فان الذى تسعد به من الأمور بالعلم وتفوز به من مخالفة أهل الجهل أفضل لك نفعاً وأعظم خطراً من أن يعادله شىء سواه ، مع أن الناس فيك رجلان : عالم يزيدك عنده طلب العلم فضلا ، وجاهل لا يرغب فى موافقته . واعلم أنه ليس من أحد يخلو من عيب وفضيلة ، فلا يمنعنَّك عيب رجل من الاستعانة به فيما عنده <من> منفعة وفضيلة . ولا تحملنك فضيلة رجل على الاستعانة فيما لا معونة عنده عليه . واعلم أن وجود أعوان السوء أضر عليك من فقدان أعوان الصدق . واعلم أن العدل ميزان الله فى أرضه : به يؤخذ للضعيف من القوى ، وللمحق من المبطل . فمن أزال ميزان الله ــ عز وجل(٣) ــ عما وضع(٤) له بين عباده جهل أعظم الجهالة ، وأعور أشد الاعوار(٥) ، واغتر بالله أشد الاغترار . واستعن على أمورك بخلتين : إحداهما

---

(١) ط : واذا .
(٢) ط : الفعل .
(٣) عز وجل : ناقصة فى ط .
(٤) ط : عما وضعه بين ...
(٥) الاعوار : الريبة ؛ ورجل معور : قبيح السريرة ؛ ومكان معور : مخوف ؛ والأعور : الردىء من كل شىء .

[٩٥ب] تألف الأهواء ، والأخرى التثبت فى الأمور . وإياك والتأخير لأمورك والتوانى عنها أو فيما يحدث منها ؛ فانك إن فعلت ذلك كثرت عليك ثم لا تجد زماناً لمباشرتها أبداً ، وتفدحك إن وكلتها إلى غيرك وتضيع . وإنما الأمور كلها أمران : صغير لا ينبغى أن تباشره ، وكبير لا ينبغى أن تكله إلى غيرك . ومتى باشرت صغار الأمور شغلتك عن كبارها ؛ وإن وكلت كبارها إلى غيرك أضعت أكثر مما حفظت ، وأفسدت أكثر مما أصلحت .

وأسأل الله — الذى اختار العدل لنفسه وأمر بالقيام عليه واستعماله فى خلقه — أن يلهمك إياه ، وأن يجعلك من أهله والقوّام به فى عباده وبلاده .

وصية(*) فيثاغورس

المعروفة بالذهبية(١)

وهى التى يقول جالينوس إنه يقرأها كل يوم غدوة(٢) وعشية

قال فيثاغورس :

أول ما أوصيك به — بعد تقوى الله (٣) — تبجيل الذين لا يحل بهم(٤) الموت : من الله وأوليائه وإكرامهم بما توجبه الشريعة ، وتوقى اليمين . ثم أوصيك بامتثال ذلك فى خدمة الباصرين فى مذاهبهم .

وأوصيك أيضاً بتبجيل عُمَّار الأرض بفعل ما توجبه الشريعة فى إكرامهم.

وأوصيك باكرام سلفك وأقربائك .

وأوصيك أن تتخذ من سائر الناس أفضلهم صديقاً ليكون صديقاً فى الفضيلة ، وأن تُلين له جانبك فى الفعال ما أداه ذلك إلى المنفعة ، ولا تستفسد صديقاً لهفوة تكون منه ما أمكنك ، على أن الامكان قريب من الضرورة .

(*) راجعناها كذلك على المخطوط رقم ٣٤٥ حكمة بدار الكتب المصرية ، ويشمل على وصايا فيثاغورس ورسائل أخرى .

(١) قال ابن النديم فى الفهرست (طبع مصر ص ٣٤٣ س ١ — س ٢) : « وله (أى فيثاغورس) رسائل تعرف بـ « الذهبيات » . وانما سميت بهذا الاسم لأن جالينوس كان يكتبها بالذهب اعظاما لها واجلالا » ؛ وقال ابن أبى أصيبعة (١/٤٣) ما قاله ابن النديم .

(٢) ف : وغدوة .

(٣) ف ، ط : الله عز وجل . س : الله جل وعز .

(٤) ص : لا يبعدهم .

فهذا أول ما ينبغى أن تعمله . — ثم ينبغى أن تتعود ضبط نفسك[1] عن هذه[١٩٦] الأشياء التى أنا ذاكرها[2] : أولها أمر بطنك وفرجك، والغضب والنوم.

واحذر أن ترتكب قبيحاً فى وقت[3] من الأوقات : لا على خلوة ولامع غيرك، وليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من كل أحد .

ثم ينبغى لك أن تلزم نفسك الإنصاف فى كلامك وفعالك .

ولا تحملن[4] نفسك على ارتكاب أمر من الأمور بلا تميز ، بل اعلم أن الموت حالٌّ بجميع الناس لا محالة .

وأما المال فليكن قصدك فيه اكتسابه فى حال وإتلافه فى حال .

وما قد ينال الناس[5] من الأسباب المودية بالأسباب السمائية فاصبر على ما ينوبك منها من غير أن تتذمر[6] ، بل تروم مداراتها بقدر طاقتك .

وينبغى لك أن تعلم أن ما ينوب الأخيار من الناس من هذه الأشياء[7] ليس بالكثير[8] .

وإذا سمعت من كلام الناس الكثير[9] : جيده ورديئه ، فلا تمتعضن منه ، ولا تحملن نفسك[10] على الامتناع من استماعه وإن سمعت كذباً فهوّن على نفسك الصبر عليه .

وما أنا قائله فأجْرِ أمرك عليه فى كل ما تستعمله : لا يحملنك أحد بكلام ولا بفعل على أن تفعل ما ليس بجميل ، ولا أن تتفوه به . وروِّ قبل الفعل كيما لا تعاب فى فعالك .

واحذر أن تقول أو تفعل ما يستجهل منك ، بل إنما ينبغى أن تقتصر فيما تفعله على ما لم يعد بالضرر عليك . ولا تفعلن فعلا وأنت جاهل به ، بل تعرف

---

(١) ف : على .　　(٢) ف : ذاكرها لك .
(٣) فى وقت : ناقصة فى ف .　　(٤) الواو : ناقصة فى ف .
(٥) ف : وما قد ينال من الأشياء المؤدية بالأسباب ...
(٦) كذا فى ط و س . وفى ص : غير تندم . وفى ف : من غير أن تندم .
(٧) ف : من الناس فى هذه الأمور ليس بالكثير . فاذا سمعت ...
(٨) وص : بالكبير . وما أثبتناه عن س .
(٩) الكثير : ناقصة فى ف .
(١٠) ص : على ارتكاب أمر من الأمور بلا تمييز ، بل اعلم أن الموت الامتناع من استماعه . — وواضح أن هنا زيادة لا محل لها ، فآثرنا قراءتى س و ط / ف : ولا تحملنك نفسك على الامتناع من استماعه ...

فى كل حال وفى كل واحد من الأفعال ما يجب أن تفعله ، فانك حينئذ تسر بمعاشك .

ولا ينبغى أن تهمل أمر صحة بدنك ، لكن تعنى [٩٦ ب] بأمر(١) الطعام والشراب والقصد فيهما وبأصناف الرياضة. وإنما أعنى بالقصد : مالا يضر(٢).

وعود نفسك أن يكون تدبيرك +تدبيراً نقياً غير+ مضطرب .

واحذر أن تفعل ما يجلب عليك الحسد .

ولا تكن متلافاً بمنزلة من لا خبرة له بما فى يديه ؛ ولا تكن أيضاً شحيحاً فتخرج عن الحرية ، بل الأفضل فى الأمور كلها هو القصد فيها .

وليكن ما تفعله(٣) ما لا يعود بالضرر عليك : فاستعمل الفكر قبل العمل.

ولا تساعد عينك على النوم قبل أن تتصفح كل واحد من الأفعال التى فعلتها فى نهارك أجمع ، فتقف قبل نومك فى المواضع التى تجاوزت فيها ما ينبغى إن كنت فعلت ذلك ، وعلى ما فعلته(٤) ، وعلى ما كان يجب أن تفعله فلم تفعله . وابدأ فى ذلك من أول ما فعلته واجْرِ فى تفقدك كذلك إلى آخر ما فعلته . فمتى كنت قد أتيت(٥) مكروهاً فليذعرنك ، ومتى كنت قد أتيت رضياً فليبهجنك . فعلى هذا فليكن حرصك وفيها(٦) دؤوبك ، وإليها فاصرف همتك فانها توطىء لك ما يرقيك إلى الفضيلة الإلهية .

إى والذى وهب لأنفسنا الينبوع ذا الأربع من الطبيعة التى لا تفتر ! متى التمست فعلا من الأفعال فابدأ بالابتهال إلى ربك بالنجح فيه ؛ فانك إذا لزمت ذلك ولم تخالف هذه الوصايا ، وقفت على كُنْه ما يجرى عليه الأمر فى تدبير(٧) الله عز اسمه وأوليائه ، وفينا معشر الناس : مامنه زائل فى الواحد بعد

---

(١) ط : تعنى بالطعام ، وكذا فى ف .
(٢) ط : ما لم يضر ، وكذا فى ف .
(+ ... +) ما بين العلامتين ناقص فى ف .
(٣) ط : وليكن ما لا تفعله ما لا يعود ... وهو تحريف ، والتصحيح عن س و ص .
(٤) ط : فعلته مما كان يجب ألا تفعله ـ وكذا فى س / ف : ينبغى أن تفعله فلم تفعله .
(٥) ف : فعلت . (٦) ص : منها .
(٧) ف : تدبير الله عز وجل أولياءه / ص : تدبير الله عز اسمه أولياءه .

الواحد ، وما منه ثابت ؛ و علمت ما قدر من مجرى الطبيعة فى كل شىء على مثال واحد كيما لا ترجو ما لا يرجى ؛ وعلمت أن الناس بشقاء جدهم الذى اختاروه لأنفسهم بارادتهم فى حد من يرثى لهم [١٩٧] إذ كانوا(١) مشرفين على الخيرات وهم لا يقفون عليها ولا يتفقدون أنفسهم فيما بلوا(٢) به ، فان الشاذ من الناس يتهيأ له استنقاذ نفسه من الشرور ، وإن ما بلوا به من ذلك هو الذى يقدح فى قلوبهم وأذهانهم ، فهم يتقلبون فى الشر بمنزلة ماء تدحرج (٣) فى الأوقات المختلفة إلى آفات مختلفة وإلى أحوال مختلفة ، فيقعون فى شرور لا إحصاء لها ، وذلك أن الأمر اللازم للغريزة(٤) بخبثه ينكأ وهو لا يشعر . وقد ينبغى ألا يساعد ، بل يهرب منه باظهار الاستخذاء له .

أيها الأب الواهب للحياة ! حقاً(٥) أقول إنك بقادر على أن تدفع عنهم بلايا كثيرة إن أظهرت لهم السكينة التى جعلتها فيهم(٦) . لكنك أنت ، أيها الإنسان ، ينبغى أن تتشجع ، إذ (٧) كان فى الإنسان جنس(٨) إلهى ؛ والطبيعة الإلهية تقوده إلى الوقوف على كل واحد من الأشياء التى إن (٩) نلت منها حظاً من الحظوظ ولزمت ما أشير به عليك وشفيت نفسك من هذه الأوصاب والأضغاث نجوت سالماً ، لكن اشبع(١٠) من الأطعمة التى ذكرناها ، واجعل امتحانك لها تزكية(١١) النفس وتخلية أسرها من جسدها ، وخير الناس بما تقف عليه فى واحد من ذلك ، واجعل القيم المشرف(١٢) على ذلك التميز الصحيح ، فانك عند ذلك إذا فارقت هذا البدن حتى تصير مخلى ، تكون عند ذلك سائحاً غير عائد إلى الأنوسة ولا قابل للموت .

تمت وصايا الحكيم فيثاغورس(١٣)
التى ذكر جالينوس أنه يقرأوها فى طرفى كل نهار

---

(١) ص ، ف : اذا . (٢) ف : فيها بلوبه ــ وهو تحريف ظاهر .
(٣) ف : بمنزلة ماء قد خرج فى الأزقات المختلفة الى آفات مختلفة ، فيقعون ... (٤) ف : للطبيعة .
(٥) ط : وحقا (٦) فيهم : ناقصة فى ط .
(٧) ف : اذا . (٨) ط : حس ــ وما أثبتناه فى ص و س .
(٩) ان : ناقصة فى ف . (١٠) ف : من هذه الأطعمة .
(١١) ط : تذكية .
(١٢) ص : واجعل ذلك القيم المشرف على التمييز ... / ف . واجعل القسم المشرف على ذلك التمييز ...
(١٣) ف : فيثاغورس والحمد لله حق حمده .

ذكر[1] قابس الأفلاطونى[2]

أمر لوح وجده موضوعاً [٩٧ب] فى هيكل كان منسوباً إلى زحل فيه لغز يدل على الهدى[3]

(١) فى نشرة اليشمن وسوميز العنوان التالى : « لغز قابس صاحب أفلاطن ، وهو أشبه شىء بأمر العالم ، وما فيه ، وما يجب أن يعمل فيه العاقل حتى يسعد السعادة التامة ، وينجو من الشرور التى فيه » . ويرى باسيه أنه من المحتمل أن يكون هذا العنوان من وضع الناشرين اليشمن أو سوميز . وهو رأى فاسد ، لأن هذا العنوان موجود فى نسخة ط ورقة ١٠٠ ب ، وس ورقة ١٤١ ا ، وف ورقة ١٣٨ ب .

(٢) بعدها فى نشرة اليشمن : « ذكر قابس الأفلاطونى المنسوب الى سقراط أمر لوح ... » وكذا فى ط وفى س ، ف .

(٣) هذا المدخل لا يوجد فى النص اليونانى . وقد رمزنا الى نشرة باسيه بالرمز ب .

قال قابس :

١ ـ [1] بينا نحن نمشى فى هيكل زحل ونتأمل ما فيه من أصناف الهدى ، إذ بصرنا فى مقدم [2] الهيكل بلوح موضوع ، فيه رسم صورة ملغوزة لغزاً خفياً لم تصل [3] أفهامنا إلى المذهب فيها : ما هو ، لأنا لم نحسبها تدل على أنها صورة مدينة ، ولا صورة [4] هيكل ، ولا صورة عسكر [5] . وهذه صفتها :

كان رُسِمَ فى اللوح حظيرة ، فى داخلها حظيرتان أخريان إحداهما أكبر من الأخرى ، ورأينا الحظيرة الكبرى لها باب كان عليه [6] جمع كثير من الرجال ، ومن داخل تلك الحظيرة جمع كثير من النساء . وعلى هذا [7] الباب رجل شيخ واقف كأنه يومئ إلى جمع الرجال بشيء لا يدرى [8] ما هو .

٢ ـ فمكثنا حيناً من الدهر متحيرين ، يسأل بعضنا بعضاً عما يخطر بباله ومايسنح له من ذلك المثال . فلما [9] سمع ذلك بعض ذوى الفهم ممن كانت له عناية بالمسترشدين أقبل علينا فقال :

لا يغلظن [10] عليكم ، معشر الغرباء ، ما تداخلكم [11] من الحيرة فى أمر هذه الصورة ؛ فان كثيراً من أهل هذا [12] البلد لا يعرفون ما يدل عليه

---

(١) وضعنا هذه الأرقام كما فى نشرات النص اليونانى .

(٢) ف : بصرنا بلوح موضوع فى مقدم الهيكل ، وفيه رسم صورة ...

(٣) ب : نصل بأفهامنا . وكذا فى ط و س ، ف .

(٤) ف : أو صورة .

(٥) يقترح باسيه أن تقرأ : « معسكر » لأنها فى نظره أقرب الى الأصل اليونانى στρατόπεδον ولكن لا داعى فى نظرنا لهذا الاقتراح أولا لأن الكلمة اليونانية من معانيها أيضا العسكر ، أى الجند المعسكرون أو الجيش فى المعسكر ، كما ورد فى هيرودوت ١ : ٧٦ ؛ ٥ : ١١٣ ؛ ٩ : ٥١ وما الى هذا ؛ وفى سوفوكليس : فيلوكتيت ١٠ وغيرها . وثانيا كلمة عسكر فى العربية تدل على : مجتمع الجيش (« لسان العرب » ج ٦ ص ٢٤٣ السطر الأخير ، بولاق القاهرة سنة ١٣٠٠ هـ) ، كما تدل على الجيش .

(٦) س : عليها جميعا كثيرا / ف : عليه جميعا كثيرا .

(٧) ف : هذه . (٨) ف : لا ندرى .

(٩) ب : ولما .

(١٠) بالظاء المعجمة ، كما يتفق مع اليونانى : δεινὸν πα'σχετε

(١١) ب : دخلكم . (١٢) ف : هذه .

هذا اللغز ، وذلك أن هذا الهدى ليس أهل هذا البلد قربوه ، بل رجل طرقنا منذ زمن (١) طويل من أرض غربة من بلاد لاقاذامونيا (٢) كان مبرزاً (٣) فى الحكمة ، فأهدى هذه الصورة قرباناً لزحل .

قال(٤) قابس : فقلت له : هل رأيت هذا الرجل الذى ذكرته ؟

قال ايرقليس(٥) : أى لعمرى لقد رأيته ولزمته وشاهدت منه رجلا عظيم الشأن ، وسمعته يذكر أشياء جليلة ، وكثر عجبى منه لحداثة سنه . فمنه سمعت ما يدل عليه(٦) هذا اللغز .

٣ — [١٩٨] قال قابس : فقلت له : سألتك بالله ، معطى الحياة(٧) ، إن لم يكن لك شغل يقطعك فاقصص علينا ما سمعت منه فى تفسير هذا اللغز ، فان أنفسنا شديدة التطلع إليه .

قال ايرقليس (٨) : ما أبخــل بذلك ، أيها الغرباء ! غير أنه ينبغى أولا (٩) أن تسمعوا منى ما فى تفسير هذا اللغز من ركوب الخطر .

قال قابس : كأنك تقول ماذا ؟

قال ايرقليس : إذا سمعتم ما أقوله ، فان أنتم فهمتموه ووعيتموه كنتم عقلاء سعداء ، وإلا صرتم جهلة أشقياء لا علم لكم بتصرف المعاش . فان تفسير

---

(١) ف : زمان

(٢) = Lacédémone = Λακεδαίμων احدى بلاد البلوبونيز — وفى ط بالدال المهملة .

(٣) فى ب : ميسورا . — والتصحيح عن ط .

(٤) س : وقال قابس : قلت له ...

(٥) لا يوجد هذا الاسم فى النص اليونانى ؛ وقد خلط المترجم العربى ، كما لاحظ باسيه بحق ، بين لفظ Ὦ Ἡράκλεις ، أى : بحق هرقل ! وهو قسم وتعجب ، وبين اسم شخص ، فظن أنه اسم شخص ؛ اذ سيرد فى النص هذا القسم بعد فى أول بند ٤ .

(٦) ف : على .

(٧) فى النص اليونانى : Πρὸς Διὸς أى بحق زيوس . وكما لاحظ باسيه ، لابد أن يكون المترجم العربى قد التمس اشتقاق كلمة Ζεύς فى الجذر ζάω (يحيا) ، ومن هنا ترجمه : معطى الحياة .

(٨) فى ط يرد دائما بالباء الموحدة هكذا : ابرقليس .

(٩) أولا : ناقصة فى ف .

هذا اللغز يجرى مجرى لغز سفينيكس (١) التى كانت تلقيه على الناس ، فمن فطن له نجا (٢) ، ومن لم يفطن له قتلته . فعلى هذا النحو يجرى الأمر فى هذا التفسير . وذاك أن سفينيكس (٣) كانت تلقى على الناس لغزاً غير مفهوم وهو هذا :

ما الخير وما الشر ؟ وما الذى (٤) هو لا خير ولا شر ؟

وتقول(٥) : هذا من لم يعرفه أتلفه (٦) جهله به عن قرب ولا استراح(٧) من التلف ، إلا أن تلفه يكون شيئاً بعد شيء فى مدة عمره كما يصيب الذين يتلفون بالعذاب . ومن عرف ذلك تلف جهله ونجا هو فصار سعيداً مغبوطاً عمره كله(٨) .

وأنتم الآن : فتفهموا قولى ، ولا يفتكم الانصاتُ له .

٤ — قال قابس : فقلت له(٩) : يا ايرقليس ! لقد ألقيت فى أنفسنا (١٠) توقاً شديداً إلى سماع ما تقول ، إن كان الأمر(١١) على ما وصفت .

قال ايرقليس : فاعلموا أن الأمر فيه على ما وصفت(١٢) .

---

(١) = sphinx = ἡσφίγξ (مؤنثة فى اليونانية) • وفى ب ، ف : سفيتنكس •

(٢) ط : تخلص • (٣) ف : سفيتنكس •

(٤) ب : وما الذى لاخير هو ولا شر • — وما أثبتناه فى ط أيضا •

(٥) ب : ثم تقول ••• (٦) ف : قتله •

(٧) لا : ناقصة فى ص و ط و س ، •

(٨) أورد ذكر هذا اللغز : أبولودور : المكتبة ، الكتاب الثالث ، بند ٥ : ديودور الصقلى : المكتبة التاريخية ، الكتاب الرابع ؛ زينوبيوس Zénobios : الأمثال ، راجع جيسفورد Gaisford : Paraemiographi graeci, Oxford, 1863, p. 270 ؛ وشارح رواية « الفينيقيات » ليوربيدس (البيت رقم ١٧٦٠) ؛ وتزتزس Tzetzès : Scholies de Lycophron, p.3 وأوزون Ausone ; Idylles, XI, 39 • ونحن نجد صدى لا سطورة الاسفينكس فى « درة الغواص » للحريرى (نشرة ثوربيكه Thorbecke ليبتسج سنة ١٨٧١ ص ٩١ — ص ٩٢) • — راجع فى هذا ترجمة باسيه ، تعليق ص ٢٥ — ص ٢٧ •

(٩) فقلت له : ناقصة فى ف •

(١٠) ب : قلوبنا ••• توقانا • — ط : أنفسنا توقانا •

(١١) ب : الأمر فيه •

(١٢) قال ••• وصفت : ناقص فى ط / ف : وصفناه •

قال قابس : فخذ الآن فى شأنك ولا تبخل علينا ، واقصص علينا (١) القصة على وجهها إذ كان ذلك مرادنا وبغيتنا [٩٨ب] .

قال : فأخذ بيده قضيباً وأشار به إلى الصورة وقال لنا (٢) : أترون هذه الحظيرة ؟

فقلنا (٣) له : هو ذا نراها .

قال إيرقليس : هذه الحظيرة تدل على مقام الناس فى الدنيا مدة أعمارهم . وهذه الأمم الذين ترونهم وقوفاً على بابها هم الناس الذى يصيرون إلى هذه الدنيا فيعيشون فيها متصرفين عمرهم كله . وهذا الشيخ الذى ترونه واقفاً وبيده قرطاس وبيده الأخرى قلم (٤) كأنه يكتب هو الملك (٥) الذى يعلم من يرد هذا العالم (٦) ما يجب أن يعمل به فى تصرفه فيه ، ويريه الطريق الذى إن سلكه سلم فيه .

٥ — قال قابس : فقلت له(٧) : فأى طريق يأمره(٨) أن يسلك ؟ وكيف يعمل ؟

قال ايرقليس : هو ذا (٩) ترى عند الباب كرسياً منصوباً (١٠) بحيث يدخل الناس ، وعليه امرأة جالسة متزينة بأصناف الزينة ، عليها(١١) قبول .

قال قابس(١٢) : نعم ! هو ذا نرى . ولكن من هذه ؟

قال ايرقليس : هذه يقال لها الغفلة(١٣) ، وهى التى تغرى(١٤) الناس كثيراً ، فهى تشرب الناس الذين يدخلون الدنيا من غفلتها(١٥) وقوتها وتسقيهم منها .

---

(١) علينا : ناقصة فى ف . (٢) ف : وقال أما ترون .
(٣) س : فقلت له ، وكذا فى ف . (٤) ب : قلم وهو كأنه .
(٥) الملك = Δαίμων — وفى س : كأنه الملك .
(٦) ب : على ما يجب . (٧) فقلت له : ناقصة فى ب .
(٨) ف : يأمر بأن تسلك . (٩) هو ذا : ناقصة فى ب .
(١٠) فى هامش ف تصحيح هو : مرصعا .
(١١) ف : وعليها . (١٢) قابس : ناقصة فى ب .
(١٣) فى النص اليونانى : Ἀπάτη ومعناها : الخداع ، الغش ، الخيانة ؛ ويظهر أن المترجم خلط بينها وبين الكلمة ἀπάθεια أى الغفلة وعدم الاكتراث .
(١٤) فى ليشمن : تعترى ؛ ويرى باسيه تصحيحها هكذا : تغر لأنها أقرب الى اليونانى πλανῶσα . وفى ط : تعترى ، وكذلك فى س ، ف .
(١٥) ف : وقوتها هذه .

قال قابس : فقلت له : وما هذا الشراب ؟

قال ايرقليس : هذا شراب الغفلة والسهو وغروب العلم ؛ < فقال قابس : ثم ماذا ؟ فأجاب> : [١] فاذا شربوا منه دخلوا < الحياة >[١].

قال قابس[٢] : أفكل يتشرب الغفلة ، أم ليس كلهم[٣] ؟

٦ — ومن شرب منه أيضاً هل يشرب بعضهم أقل ، وبعضهم أكثر ؟

قال : أو ليس ترى من داخل الباب نساءاً صورهن[٤] مختلفة متفننة ؟

قال[١٩٩] قابس : أحسبنى قد رأيتهن .

قال ايرقليس : هؤلاء النساء [٥] هن المفاخرات[٦] واللذات والشهوات . فاذا دخل الناس إلى داخل وثبن وتعلقن بواحد واحد منهم[٧] وسقن بعضاً إلى[٨] ما يسلم به ، وبعضاً إلى ما يعطب به للغفلة .

قال قابس : فقلت : ياهذا ! ما أصعب ما تصف به أمر هذا الشراب !

قال ايرقليس : إلا أنهن كلهن [٩] يوهمن من تعلقن به أنهن إنما يقدنه إلى الفضيلة وطيب العيش وسعته ونفعه ؛ والناس ، لما عراهم من السهو وغروب الفهم لشربهم كأس الغفلة ، لا يقدرون أن يميزوا الطريق الصواب الذى يجب أن يسلكوه فى معاشهم وتصرفهم فى الدنيا ، لكنهم يمرون على وجوههم كما ترى إلى حيث مر من تقدمهم فدخل وهو غِرٌّ غافل[١٠] .

---

(١) هاتان الزيادتان ترجمناهما عن النص اليونانى .

(٢) ب : قابس : فقلت له : أفكل .. وكذا ط .

(٣) فى اليونانى زيادة وخلط هما : « فأجاب (ايرقلس) : كلهم يشرب منه ، بعضهم أكثر ، وبعضهم أقل . قال : أو ليس ... » / ف : كلهم يشرب .

(٤) ص : صورتهن ، وكذا فى ب . وما أثبتناه عن ط / ف : صورهن مختلفات

(٥) ص : هم .

(٦) المفاخرات : فى اليونان δόξαι ولها معنيان : مفاخرات ، وآراء . والمترجم العربى آثر الأول ، مع أن الثانى هو الأصح هنا . / ف : المفاخارات .

(٧) ط : وثبن فتعلقن بواحد واحد .

(٨) س : الى أن يسلم به : وبعضا الى أن يعطب .

(٩) كلهن : ناقصة فى ف .

(١٠) ب : غار . وكذا فى ط و س و ف .

٧ – قال قابس[١]: هو ذا أرى ! ولكن ، ما معنى تلك المرأة التى توهم أنها عمياء معتوهة وهى واقفة على حجر مدور ؟

قال ايرقليسن : هذه هى البخت. وليست فقط[٢] عمياء ، بل صماء أيضاً .

قال قابس[٣] : هذه ، أى شىء تعمل ؟

قال ايرقليس : هذه تطوف فى كل مكان ، فتأخذ من هذا وتعطى هذا ، ثم لا تلبث أن تعطف على من أعطته فتأخذ[٤] ما حبته به وتعطيه آخر ، إلا أنها تفعل ما تفعله من ذلك[٥] عن غير سببٍ ما يوجبه ، ومن غير أن يوثق منها بما تأتيه . فهى تفرح هذا بما تمنحه ، وتغم هذا بما تسلبه ؛ ولذلك صارت هى تبين عن نفسها مذهبها الذى تجرى[٦] عليه[٧] [٩٩ب] .

قال قابس : قلت[٨]: أهى الواقفة على الحجر المدور ؟

قال ايرقليس : نعم !

قال قابس : فقلت له[٩] : ليت شعرى على ماذا[١٠] يدل من أمرها ؟

قال ايرقليس : يدل[١١] ذلك على أن ما تسمح به غير موثوق ببقائه ، ولا معوَّل[١٢] على ثباته. وذلك أن المرء إذا اعتمد على أنه قد حصل منها شيئاً يعمل عليه[١٣] خاست به أوثق ما يكون بها وأوقعته فى حسرة شديدة .

---

(١) ب : قابس : فقلت له : هو ...

(٢) ب : وليست هى عمياء فقط ، بل ... وفى اليونانى : عمياء مجنونة : τυφλὴ καὶ μαινομένη

(٣) س : قال قابس قال هذه ... / ف : هذه ايش تعمل ؟ .

(٤) ب : فتأخذ منه ، وكذا فى ف .

(٥) ص و ب : من . (٦) ب : التى . (٧) س : عليها .

(٨) ب : فقلت له . وهنا خلط فى الترجمة العربية ، صوابه هو : « فقال قابس : وكيف هذا ؟ – فأجاب (ايرقليس) : لأنها واقفة على حجر مدور . » . وفى ط : فقلت أهى ...

(٩) له : ناقصة فى ف . (١٠) ب : على ما تدل .

(١١) ف : تدل فى ذلك .... غير ما يوثق ببقائه .

(١٢) ص : معزل / ب : معمول / ط : معمول .

(١٣) خاس عهده وبعهده : نقضه وخانه .

٨ — قال قابس : فقلت : هذا الجمع الكثير الذى حولها ، مايلتمسون منها ؟ وبأى شىء يُعْرَفون ؟

قال ايرقليس : يعرفون بالهمج الذين[١] لاروية لهم ؛ والذى يلتمسونه هو الفوائد والصلات والهبات .

قال قابس : فقلت[٢] : فما بالنا لا نرى صورهم واحدة ، بل نرى بعضهم كأنهم مسرورون ضاحكون ، وبعضهم كأنهم مكروبون باسطو أيديهم[٣]؟

قال ايرقليس : أما الذين ترونهم كأنهم فرحون مسرورون[٤] فهم الذين قد حبتهم[٥] بشىء ، وهؤلاء يسمون[٦] أيضاً سعداء البخت . والذين يبكون هم الذين قد سلبتهم[٧] ما كانت أعطتهم ، ويسمى[٨] هؤلاء أشقياء البخت .

قال قابس : فما هذا[٩] الذى تمنح هؤلاء فيسرون ، والذى[١٠] تسلبه هؤلاء فيبكون عليه[١١] ؟

قال ايرقليس : هؤلاء يظنون أن الذى تعطيهم هو الخيرات ، وهم جمهور الناس[١٢] .

قال قابس : وما ذلك ؟

قال ايرقليس : اليسار والجاه والعافية والولد والسلطان وسائر ما يجرى هذا المجرى وما أشبهه .

---

(١) ص : الذى .
(٢) فقلت : ناقصة فى ب/ف : ما بالنا .
(٣) اليشمن : مكروب باسط يديه . ط : وبعضهم كأنه مكروب باسط يديه .
(٤) ط : مسرورون فرحون . (٥) ط : جئتهم .
(٦) أيضا : ناقصة فى ب و ط و ف .
(٧) ص : سلبت .
(٨) ب : وهؤلاء يسمون . (٩) ب : فما هو .
(١٠) ف : وما الذى تسلب هؤلاء ...
(١١) عليه : ناقصة فى ص و ط و ف .
(١٢) اليشمن : وهم جمهور الناس [يظنون] أنه الخيرات .

[١٠٠ا] قال قابس : فقلت [١] : أو ليس هذه خيرات ؟

قال ايرقليس : هذا شيء ينبغى أن يؤخر الكلام فيه فى هذا الوقت . ولنعُدْ بكلامنا[٢] إلى ما كنا فيه من تفسير اللغز .

قال قابس : صواب !

٩ ــ قال ايرقليس : أفما ترون ــ إذا تجاوزتم هذه[٣] ــ أن فوقها حظيرة أخرى ، خارجها نساء وقوف متزينات كأنهن زوانٍ ؟

قال قابس : بلى !

قال[٤] : هؤلاء هن الشره والشبق والملق والخداع والبذخ[٥] وما يجرى هذا المجرى .

قال قابس : فما وقوفهن[٦] هناك ؟

قال ايرقليس : ينتظرن[٧] ما يكون من البخت . فاذا أعطى إنساناً شيئاً وتخلص من أعطاه بما أعطاه ، تضرعن له وخدعنه ثم لطفن له فى المقام قِبَلهن ، وأوهمنه أن العيشة عندهن عيشة لذيذة رضية يقلُّ الهمّ فيها والشقاء . فمن أطاعهن دخل فى اللذات وأقام عندهن [٨] فهو الى مدة من الزمان ما دام [٩] يغرّونه ، يظهر له أن تلك[١٠] السيرة[١١] رضية . ثم بأخرة[١٢] إذا تأمل أمره فشعر بما لم يكن يشعر به فيما مضى ولا عرفه تغيرت الصورة عنده بعد أن أتلف ما كان استفاده من البخت[١٣] ، فيضطره الأمر إلى خدمتهن ويصبر على كل بلاء ويجهد نفسه ويشقيها بكل قبيح يحملنه عليه وعلى ما يضره .

---

(١) ب : فقلت له : أفليس ... / ف : فقلت : وليس ...
(٢) ف ، ط ، ص : ولنعد الى كلا منا فى تفسير اللغز .
(٣) ب : أفما ترى اذا تجاوزت هذا (الباب ــ اقتراح اليشمن) أن فوق هذه الحظيرة حظيرة أخرى خارجها ..
(٤) ب : قال ايرقليس . (٥) والبذخ ناقصة فى ط .
(٦) ف : فوقهن .
(٧) س ، ص ، ب : ينتظرون ــ وما أثبتناه عن ط .
(٨) ط ، ص : فهن ، وكذا فى س (٩) ف : ما داموا .
(١٠) ب ، ص : له . (١١) ص : الرضية .
(١٢) ص : تأخرة ــ بأخرة : بتأخير ونسيئة .
(١٣) ط : البحث .

قال قابس : كأنك تقول ماذا ؟

قال ايرقليس : مثل النهب والسرق[١] وسلب الحُرَم واليمين الكاذبة والسعاية والنميمة وما أشبه ذلك [١٠٠ب] وجرى مجراه .

قال قابس : فكيف يكون حال هؤلاء إذا افتقروا ؟

قال ايرقليس[٢] : يسلمهم[٣] للعذاب .

قال قابس : فأرني التي تعذبهم أيما هي[٤] ؟

قال ايرقليس : أما ترى بويباً صغيراً في موضع ضيق[٥] مظلم ؟

قال قابس : فقلت : هو ذا أراه .

قال ايرقليس : وترى هناك نساءً قباحاً أوساخاً عليهن كُداد[٦] ؟

قال قابس : فقلت : هو ذا أرى[٧] .

قال ايرقليس : فتلك المرأة منهن وهي[٨] التي في يدها السوط ، تدل على العقوبة وعلى سوط العذاب . والتي قد دلت رأسها بين ركبتيها[٩] تدل على الغم والحسرة . والتي هي دائبة تنتف شعرها تدل على الألم والحسرة وشدة الوجع .

فقال[١٠] قابس : فالمرأتان الواقفتان بالقرب من هؤلاء المنتنتان[١١] المتسلبتان الفقيرتان ، على ماذا[١٢] تدلان ؟

---

(١) السرق : ناقصة في ب — وضبطها بالتحريك ، أو بفتح السين المهملة وكسر الراء .

(٢) ط : قابس — وهو تحريف ظاهر .

(٣) ف : يسلمنهن الى العذاب .

(٤) في النص اليوناني ποία δέ ἐστιν αὕτη أي : وما هذه ؟

(٥) ط : خنيق .

(٦) أي خرق بالية ، كما في اليونانية Ῥακη ، ولم نجد هذا اللفظ في « لسان العرب » (٣٨٢/٤) بهذا المعنى ، وانما وجدنا : والكدادة : ما يلتزق بأسفل القدر بعد الغرف منها ، وثقل السمن .

(٧) ف : أراهن .

(٨) وهي : ناقصة في ص ، ط ، ف .

(٩) ب ، ص : ركبتها . (١٠) ف ، ط : قال .

(١١) ب : هؤلاء اللتان هما مهينتان قبيحتان متسلبتان فقيرتان ... ط : المهينتان / ف : المنتنان القبيحتان المتسلبتان ...

(١٢) ذا : ناقصة في ف .

قال ايرقليس : إحداهما(١) تدل على الحزن والويل والعويل ، والأخرى المؤاخية لها تدل على الحزن الطويل . فان العقوبة والعذاب(٢) يؤديانهم الى ذلك ، فيكون عيشهم كله فى ضنك وعذاب . ثم يقعون إلى البيت الآخر(٣) الذى يعرف بشقاء البخت ، فيكونون سائر عمرهم فى الشقاء ، إلا أن يلحق الإنسان الندم فيتنبه على أمره ويفيق من جهله ، ويتلافى ما فرط منه .

١١ — قال قابس : قلت(٤) له : فاذا كان ذلك ، فأى شىء يكون حاله؟

قال ايرقليس : يشرف هو(٥) حينئذ على أمر نفسه ويلتمس لها الثناء الجميل ويشتاق إلى الأدب الصحيح ، فينقى بذلك نفسه ويلتمس لها النجاة ، ويخلصها مما اعتورها وغلب [١٠١ا] عليها ؛ ويصير بذلك حراً سعيداً مغبوطاً لا خوف عليه فيما يأتى من عمره إلا أن(٦) يعود فى الغفلة فيقع فى الأسر .

١٢ — قال قابس : يا صاح(٧) ! ما أعظم هذا الخطر الذى ابتلى به الناس ! لكنك ذكرت فى كلامك الأدب الصحيح . فاذا(٨) كان ها هنا أدب زور ، فعرفنا ما هو ؟

قال ايرقليس : أما ترى تلك الحظيرة الأخرى؟— قال قابس : إنى لأراها حقاً.

قال(٩) ايرقليس : أو ترى المرأة الواقفة عليها سيماء الجلالة والهيئة الجميلة ؟

قال قابس : هو ذا أرى ، وهى كذاك .

---

(١) الحزن : ناقصة فى ب و ص ، و ف ٠

(٢) ب : فان العقوبة تؤديهم الى ذلك/ف ، ط : يؤديانهم ٠

(٣) ط : الأخرى ٠

(٤) ب : فقلت ٠ وكذا فى ط ، ف ٠

(٥) هو : ناقصة فى ف ٠

(٦) اليشمن : الى أن ، ب : الا أن ، ص : أن ٠ وتصحيح باسيه يتفق مع اليونانى εἰ δὲ μή وفى ط : من عمره أن يعود ــ وكذا فى ف٠

(٧) ترجمة للقسم الذى ورد من قبل فى أول بند ٤ وهو Ὦ Ἡράκλεις

(٨) ب : فان ، وكذا فى ف ــ ها هنا = il y a

(٩) فى ف ، زيادة هنا هى : « قال ايرقليس : ماترى تلك الحظيرة الأخرى ؟ــ قال قابس : انى لأراها حقا» وبعدها : «قال ايرقليس : أولا ترى ٠٠٠» وفى اليونانى توجد الزيادة هكذا Οὐχ ὁρᾶς τὸν ἕτερον περιβολον ἐκεῖνον ولهذا يجب اضافتها ٠ وهذا النقص فى ط أيضا/ف : أما ترى ٠

قال ايرقليس : هذه عند الجمهور يقال لها الأدب ، وليست[1] أدباً حقاً ، بل أدباً زوراً . فالناس إذا أرادوا [2] الأدب[3] حقاً غلطوا فوقعوا أولا فى هذا .

قال قابس : أتدرى ما تقول ؟ أوليس لهم طريق آخر[4] يؤديهم إلى الأدب الصحيح ؟

قال ايرقليس : لا ؛ ما لهم طريق غيره[5] .

١٣ — قال قابس : فهؤلاء الرجال الذين هم[6] داخل الحظيرة وقد نكسوا رؤسهم ، على ماذا يدلون ؟

قال[7] ايرقليس : هؤلاء هم المحبون لهذا الأدب ؛ قد غلطوا فظنوا أنهم مخالطون للأدب الصحيح . قال قابس : فبماذا يعرف هؤلاء ؟

قال ايرقليس : هؤلاء بعضهم يعرفون بالشعراء ، وبعضهم بالجدليين ، وبعضهم يسمون الخطباء ، وبعضهم يسمون الملحنين ، وبعضهم يسمون أصحاب تأليف الغناء ، وبعض يسمى المشائين[8] ، وبعض يسمى الملهين واللعّابين ضروب[9] اللعب وسائر من أشبه هؤلاء .

---

(١) ب: وهى ليست ... — والغريب أن باسيه يزعم أن هذه الزيادة : « وهى » مأخوذة عن مخطوط باريس ، مع أنها لا توجد فيه ! وقد وقع له هذا الأمر مرارا !!

(٢) ص : رأوا — وكذلك فى المطبوع وفى ف و ط و س . وقد اقترح باسيه « أرادوا » وفقا لليونانى βούλωνται ، وهو الأصوب .

(٣) ب : الأدب الحق . (٤) آخر : ناقصة فى ف .

(٥) ب : طريق آخر يؤديهم اليه .

(٦) هم : ناقصة فى ص / الذين هم : ناقصة فى ف .

(٧) من قوله : « قال ايرقليس ، ... » الى قوله : « يعرف هؤلاء » ناقص فى ص و ط و ف .

(٨) وبعض يسمى المشائين : ناقص فى ط / ف : وبعضهم يسمون المشائين وبعضهم يسمون الملهين ...

(٩) واللعابين ضروب اللعب : ناقص فى ليشمن و ب . وكلمة الملهين ترجمة غير دقيقة للكلمة ἡδονικοί أى أصحاب مذهب اللذة ، أى الأبيقوريين. وينقص فى الترجمة قوله فى اليونانى : « والرياضيين والمهندسين والمنجمين » .

١٤ — قال قابس : فالنساء المتشاكلات التى كأنهن يعاين التى قلت إن الشره[١] تقدمهن وسائر من معها من النساء، على ماذا يدللن؟ هل يأتين هذا الموضع؟

قال ايرقليس : إى والله ! إلى ها هنا مصيرهن [٢] . إلا أن ذلك إنما يقع فى الفرط[٣] ، لا كما يكون فى الحظيرة الأخرى .

قال قابس : فأى شيء مذهب هؤلاء ؟

قال ايرقليس : قد حصل لهؤلاء أيضاً ذلك الشراب [١٠١ب] الذى تناولوه من الغفلة .

قال قابس : فقد حصل هؤلاء إذن على الجهل ؟

قال ايرقليس : نعم والله معطى الحياة ! إنهم لكذلك ولا ينفكون من ذلك ولا من سائر الشرور دون أن يصيروا الى الأدب الصحيح ويتشربوا تلك[٤] القوة المنقية من ذلك . فاذا تنقّوا [٥] وتحسر عنهم الجهل[٦] وما هم فيه من الغى والطغيان وسائر ما عراهم من الشر حينئذ تخلصوا سالمين[٧] . فان المتشاغل بهذا الأدب المزور الشرور كلها مصورة[٨] لهم بالعلوم التى تجرى مجرى الغلط .

١٥ — قال قابس : فأى طريق تؤديه إلى الأدب الصحيح ؟

قال[٩] له ايرقليس : هو ذا أصف لك . أما ترى فوق موضعاً ليس فيه أحد ، بل كأنه بَرٌّ قفر ؟

قال قابس : فقلت له : هو ذا أراه .

---

(١) ص : السرة . والمترجم العربى نسى مابعده وهو : « ومن هن هؤلاء ؟ — (فقال الشيخ) : انهن فعلا » .

(٢) ص مصيرهم .

(٣) فى الفرط : أى الحين . والفرط : الحين ، يقال انما آتيه الفرط وفى الفرط ؛ ويقال : الفرط : أن تأتيه فى الأيام ، ولا تكون أقل من ثلاثة ولا أكثر من خمس عشرة ليلة ؛ ولقيته فى الفرط بعد الفرط : أى الحين بعد الحين .

(٤) تلك : وردت مكررة فى ف .

(٥) ف : فاذا تنقوا انحسر عنهم الجهل ...

(٦) ب : عنهم ما هم فيه من الغى والطغيان وسائر ما قد عراهم ...

(٧) ص : سائلون ف : فان المتشاغبين بهذا ...

(٨) ب : مصورة له بالعلوم ... / لهم : ناقصة فى ص .

(٩) له : ناقصة فى ب ، و ط .

قال ايرقليس : وترى باباً ضيقاً وطريقاً (١) يؤدى إليه بالحادة ، ومن يسلكه نفر يسير ، وكأنه نشز (٢) خشن وعر ؟

قال قابس : هو ذا أراه لعمرى (٣) !

قال : وترى وراءه تلا شاهقاً ، والمرتقى إليه ضيق حاد (٤) ، وجرف وراءه (٥) عميق عن جانبيه ؟

قال قابس : نعم (٦) لعمرى !

قال ايرقليس : فهذا (٧) هو الطريق المؤدى الى الأدب الصحيح (٨) . وقد يصعب سلوكه . وكذلك (٩) ترى فوق ذلك التل صخرة عظيمة مرتفعة ، تبين كأنها مستديرة مسندة (١٠) إلى شيء (١١) .

قال قابس : فقلت له : هو ذا أراها .

١٦ — قال ايرقليس : وترى امرأتين واقفتين على الصخرة كأنهما أختان متواجهتان باسطتان (١٢) أيديهما ؟

قال قابس : إنى لأراهما ، فعلى ماذا يدلان ؟

قال ايرقليس : [١١٠٢] يدلان على الصبر والاحتمال .

قال قابس : فعلى ماذا يدل بسط أيديهما (١٣) ؟

قال ايرقليس : تومئان بذلك إلى تقوية قلوب من يقصدهما ، وكأنهما تشيران إليه بأن يصبر ولا يدخله رعب ، فانه عما قليل يصل إلى الطريق ، وهو جدد (١٤) سهل .

---

(١) فى اليونانى : وأمام الباب طريقا يؤدى اليه بسبيل غير مأهولة .
(٢) النشز (بالتحريك وبتسكين الشين المعجمة بعد نون مفتوحة) : المتن المرتفع من الأرض ؛ والجمع : أنشاز ونشوز .
(٣) ف : هو ذا أرى . قال ... (٤) .ص : جاد .
(٥) ط ، ب : واه . ص : جرن . (٦) ب : هو ذا أراه لعمرى .
(٧) ف : هذا . (٨) ف : مستندة .
(٩) فى النص اليونانى هذه الجملة قيلت على لسان قابس .
(١٠) ب : وكذلك هو ذا ترى ... ط : ولذلك هو ذا ترى ...
(١١) فى اليونانى : ἀπύκρημνον أى : رأسيا à pic
(١٢) ب : باسطتا .
(١٣) فى اليونانى زيادة وهى : بلهفة/ف : بسط اليد .
(١٤) الجدد (بفتحتين) : ما استوى من الأرض ، كما هو المعنى هنا .

قال قابس : فاذا وصلوا إلى تلك الصخرة ، فكيف(١) يصعدون إليها ؟ فانى لست أرى طريقاً للصعود .

قال ايرقليس : يسبقن فينزلن(٢) ويتعلقن بمن ثوى (٣) فى الموضع ويصعدنه ، وبعد ذلك يمنحنه قوة ويشجعنه على الوصول إلى الأدب الصحيح ، ويرشدنه على الطريق السهل الجدد(٤) الذى يؤدى إليه كما ترى .

قال قابس : لعمرى إنه لسهل مسلوك .

١٧ — قال ايرقليس : وهو(٥) ذا ترى أمام ذلك المرج موضعاً يشبه أن يكون حسناً شبه الميناء(٦) ، وحظيرة أخرى لها باب آخر(٧) .

قال قابس : هو ذا أرى ؛ فعلى ماذا يدل ؟

قال ايرقليس : ذلك الموضع يقال(٨) له مسكن السعداء ، وفيه مسكن كل سعيد ، وهو محلهم ، والسعادة فيه مستقرها .

قال قابس : إن ذلك — أى : (٩) هو كذا — فما أحسن الموضع الذى وضعته !

١٨ — قال ايرقليس : أو(١٠) ما ترى عند المدخل امرأة جميلة معتدلة

---

(١) ط : كيف .

(٢) فى اليونانى προσκαταβαίνου 15 : أى ويأمرنه بالتوقف .

(٣) فى المطبوع : « بمن يوافى الموضع » ، ويرى ياسيه أن نص ص هو الأصح لأنه يتفق مع اليونانى أكثر : εἶτα κελεύουσιν αὐτοὺς διαπαύσασθαι

(٤) فى اليونانى زيادة هى : « الخـــالى من كل الشرور » . وفى ط : ويرشدنه الى الطريق ..

(٥) الواو ناقصة فى ب .

(٦) أخطأ المترجم العربى فى فهم الكلمة λειμωνοειδής فرأى فيهـــا الجذر λιμήν = ميناء بدلا من λειμών = مرج

(٧) هنا نقص عن اليونانى وهو : « (باب آخر) ويضيؤه نور عظيم . — قابس : أجل . — الشيخ : ألا تلاحظ فى وسط المرج حظيرة أخرى لها باب آخر ؟ » .

(٨) ب : الذى يقـــال له مسكن الســـعداء ، وفيـــه محل السعداء كلهم ، والسعادة ...

(٩) أى هو كذا : ناقصة فى ط .

(١٠) ص : و . ط : قابس .

القامة [١] واقفة على حجر مربع متزينة بلباس ليس بالكبير [٢] ، ومعها امرأتان أخريان كأنهما بنتاها [٣] يشبهانها .

قال قابس : إني لأرى ما قلت لعمرى !

قال ايرقليس : [١٠٢ب] أما الوسطى منهن فانها تعرف بالأدب ، وأما الأخرى فتعرف بالقبول والتصديق بالحق . وأما [٤] الواقفة على الحجر المربع فهى التى تعطى من قبلها ما يوثق به ويعتمد عليه ولا يشذ عنها [٥] ما تفيده إياه ولا يتغير طول عمره وتكسبه الشجاعة والعفاف والفهم [٦] .

١٩ ــ قال [٧] قابس : فقلت له : ما أعظم هذا الحباء [٨] ! لكن لم وقفت هذا الموقف ؟

قال ايرقليس : لتتقبل من يصل إليها وتسقيه من الدواء الذى فيه قوة منقية ، حتى إذا نقى رفعته حينئذ فأوصلته إلى محل الفضيلة .

قال قابس : أبن لى ما قلت ، فانى لم أفهمه [٩] .

قال ايرقليس : إن صرفت عنك محبة الصلف [١٠] و التكبر فهمت ! ألا تعلم أن المريض إذا قصد الطبيب ، فبعد وصوله عالجه [١١] ؛ فاذا نقى نقاءاً جيداً [١٢] من علته وخرج من مرضه الذى كان به حينئذ يفارقه الطبيب ويخليه

---

(١) فى اليونانى : ἡ λιχία ومن معانيها القامة ، ولكن معناها هنا : العمر .

(٢) ص : لبس بالكثير .

(٣) ب : بنتاها . ط ، ص : بناتها .

(٤) خلط المترجم العربى هنا بين أسئلة وأجوبة الشيخ وقابس .

(٥) ب : عنه ، وكذا فى ط و ف .

(٦) بحسب اليونانى تصويب الموضع هكذا : « قابس : ولماذا تقف على حجر مربع ؟ ــ هذا دليل على أن الطريق المؤدى اليها ثابت أمين للواصلين وأن هذه المنح مؤكدة لمن يقتنونها . ــ قابس : وما هذه المنح ؟ ــ الجرأة والشجاعة . ــ وما هما ؟ ــ هما معرفة أنه لا شىء فى هذه الحياة بقادر على ايلامهم » .

(٧) ط : فقال .

(٨) ط : الحياء .

(٩) ف : لم أفهم .

(١٠) ب : التكبر والصلف .

(١١) ف : يعالجه .

(١٢) ف : جيدا وأمن عليه وخرج من داء مرضه ...

صحيحاً سليما[١] ؛ وإن لم يطمع الطبيب فيما يأمره به توانى فى علاجه فأداه ذلك إلى التلف ؟[٢]

قال قابس : فقلت له : أما هذا فانى أعلمه[٣] .

قال ايرقليس : فالذى ينقى منه هو الجهل والسهو[٤] الذى اعتراه من الغفلة ومحبة الكبر والتكبر بالباطل[٥] والشهوات واللذات الموبقة والسرف وحب المال وسائر ما كان فيه بالأمس فى الحظيرة الأولى .

٢٠ ـ قال قابس : نعم ! فاذا نقى ، إلى أين ينفذه ؟

قال ايرقليس : يدخله إلى داخل حتى يوصله إلى المعرفة نفسها[٦] وإلى الفهم وسائر الفضائل .

قال قابس : وما هذه ؟

قال ايرقليس : أما ترى داخل الباب جماعة من النساء فى غاية الجمال وحسن النظام [١٠٣ا] وهيأتهن وبزتن[٧] ساذجة لا تشبه بزة ذوات التنعم وكأنهن باشّات مستبشرات لا يشبهن شيئاً مما فى غيرهن من الزينة الدَّغِلة ؟

قال قابس : أحسبنى ، ولكن[٨] ما صنيع هؤلاء ؟

قال ايرقليس : أما التى تقدمهن فانها تدعى معرفة العقل ؛ وأما الباقيات المؤاخيات لهذه فواحدة يقال لها النجدة[٩] ، وواحدة يقال لها العدل ، وواحدة

(١) بها من ف : صوابه : سالما . ط : فان لم يطع ...
(٢) هذا الجواب غير منطبق على النص اليونانى لسوء فهم المترجم ، وصوابه : « اذا أصاب المرء علة شديدة تفقد الطبيب ، وخلصه من مبادىء العلة بالمنقيات أولا ، ثم يدخله الطبيب فى حال النقاهة والشفاء ؛ فان لم يطع أوامره ،طرده الطبيب وأداه ذلك الى العطب » .
(٣) هنا نقص ، وأصله : « قال ايرقليس : كذلك اذا بلغ المرء العلم ، فانه يعنى به ويقيه دواءه القوى حتى ينقى أولا ويطرح كل الرذائل التى أتى بها ـ فقال قابس : و ما هى ؟ » .
(٤) ط : والشهوة .
(٥) ب : ومحبة التكبر بالباطل . ط : والتكثر بالباطل .
(٦) ص : بنفسها .
(٧) ص : زيهن .
(٨) هنا اضطراب فى تجليد ط ، فهاهنا تبدأ ورقة ١١٧ ا بعد نهاية ١٠٧ ب .
(٩) النجدة ... هذا الموضع مرتب على شكل آخر فى ب .

يقال لها الكرم[1] ، وواحدة يقال لها الطهارة وحسن الخلق ، وواحدة يقال لها التواضع ، وواحدة يقال لها السخاء ، وواحدة يقال لها الهدى[2] .

قال قابس : ما أعظم رجاءنا بك أيها الفاضل !

قال ايرقليس : إن أنتم عرفتم جميع ما سمعتموه منى واجتهدتم فى تحصيله !

قال قابس : فقلت له[3] : إنى أرجو[4] أن نحصل ذلك أجمع .

قال ايرقليس : إذاً يكون لكم بذلك السلامة والنجاة[5] .

٢١ ـ ثم قال : وأولئك إذا أخذنه أدينه إلى أمهن[6] .

قال قابس : فقلت[7] : ومن أمهن ؟

قال ايرقليس : أمهن[8] السعادة .

فقلت له : وما هذه ؟

فقال[9] : أما ترون إلى ذلك الطريق الذى يوصل إلى ذلك النشز ؟

قال قابس : فقلت له[10] : هو ذا أراه .

قال ايرقليس : هناك قلة مدينة[11] تلك الحظيرة . وقال[12] : أو ما ترى أمام الباب امرأة بهيئة جميلة جالسة على كرسى[13] مرتفع متوجة بتاج يلمع فاخر[14] ، عليها بهاء وبهجة وأبهة ؟

---

(١) ص : المكرم .
(٢) فى النص اليونانى زيادة وهى : والفطنة .
(٣) له : ناقصة فى ف . (٤) ف : لأرجو .
(٥) ب : النجاة والسلامة .
(٦) خلط المترجم العربى بين سؤال قابس ورد ايرقليس ، ففى اليونانى : « قال قابس فاذا أخذوه فالى أين يقتادونه ؟ ـ الى أمهن » .
(٧) فقلت : ساقطة فى ف .
(٨) أمهن : ناقصة فى ط . (٩) ب : قال .
(١٠) له : ناقصة فى ص . ـ وجواب قابس هذا لا يوجد فى النص اليونانى .
(١١) قلة مدينة = ἀκρόπολις = الأكروبول . ـ والمترجم ترجمها حرفيا .
(١٢) هنا ناقص جواب قابس وهو : « نعم أراه » . ـ وفى ط : قال (بغير واو العطف) .
(١٣) فى النص اليونانى : مرتفع مزين تزيينا بسيطا وبلا صناعة .
(١٤) ط : عليه بهاء وأبهة / ف : عليه بهاء أبهة .

قال قابس : فقلت له : بلى ، إنى لأراها ؛ فمن هى ؟
قال ايرقليس : هذه [١٠٣ب] هى السعادة .

٢٢ — قال قابس : فاذا وصل الواصل إلى هذه المنزلة ، فأى شىء تعمل به ؟

قال ايرقليس : إن السعادة تتوجه بقوتها وبتاج[١] سائر الفضائل كلها ، كما يتوج من غلب فى الجهاد بتاج الظفر .

قال قابس : وفى[٢] أى جهاد غلب ؟

قال ايرقليس : فى أعظم جهاد ، وذلك مقاومته وغلبته تلك الحيوانات العظيمة السبعية التى كانت من قبل تقهره وتعذبه وتستعبده حتى صار الآن يستذلها ويستخدمها كما كانت هى تفعل[٣] به فيما تقدم .

٢٣ — قال قابس : إنى لأحب أن أعرف هذه الحيوانات الخبيثة[٤] التى تصف ، أى حيوان هى ؟

قال ايرقليس[٥] : أولها الجهل والغفلة والسهو . أفلا تعلم أن هذه سباع ضارية[٦] ؟

قال قابس : فقلت : إى لعمرى إنها لشر وعَرُّ[٧] .

قال ايرقليس : ثم من بعد هذه الحزن والعشق[٨] وحب المال والسرف وسائر أصناف الشر كلها ؛ — فيستولى[٩] عليها ولا تقهره كما كانت من قبل[١٠]

---

(١) سائر : فى ط ، وناقصة فى بقية النسخ .
(٢) الواو ناقصة فى ف .
(٣) ف : كانت تفعل به هى فيما تقدم .
(٤) ف : الخفية .
(٥) ايرقليس : ناقصة فى ط .
(٦) ب : خسارة .
(٧) العر (بفتح العين) : العيب والشر .
(٨) فى اليونانى زيادة : والشكوى .
(٩) ط ، ص : ويستولى ، وكذا فى ف .
(١٠) ف : كما كانت قبل تقهره .

قال قابس : ما أحسن هذا الصنيع ! وما أجل هذا الظفر[١] ! لكنى أسألك مع ذلك أن تخبرنى : ما قوة التاج الذى ذكرت أن السعادة تتوج به فيصير[٢] متوجاً سعيداً مغبوطاً حسن الجد ، قد حاز الفضائل كلها واشتمل عليها ؟

٢٤ — < قال قابس >[٣] : وإذا توج ، ماذا يصنع ؟ وإلى أين يكون مصيره ؟

قال ايرقليس : إن هذه الفضائل التى اجتمعت[٤] له يقدنه الى أن يصير إلى ذلك الموضع الذى جاء[٥] منه إلى ها هنا ، ويرينه حال من يتصرف هناك ، وما هو فيه من الشقاء [١٠٤] ونكد الحياة وضنك المعيشة فى هذا العالم. وما يبتلون به من الأعداء الذين يحاربونهم ويغزونهم فينقادون لهم . فبعض ينقاد[٦] للشره والبذخ ، وبعض لجمع المال ؛ وبعض ينقاد لأقرب باطل ، وبعض لمحبة[٧] التكثر[٨] بالباطل ؛ وبعض ينقاد لغير ذلك من آلام النفس[٩] الكثيرة الفنون ، فلا يمكنهم بهذا السبب أن[١٠] يفكوا أنفسهم من الارتباط بهذه الأمور حتى يتخلصوا ويسلموا منها فيصيروا إلى السعادة ، بل يمكثون[١١] عمرهم كله فى التياث وتخليط ما عاشوا ؛ وإنما يلحقهم ذلك لأنهم لا يهتدون[١٢] إلى الطريق الذى يؤديهم إلى السعادة كما ينبغى[١٣] .

---

(١) هذه الجملة منقولة عن موضعها ويجب أن توضع فى أول بند ٢٤ ، كما يدل النص اليونانى .

(٢) ب : فيصير من توج سعيدا ... — وهذا وما بعده جواب ايرقليس ، كما فى اليونانى / ف : فيصير من توج به سعيدا .

(٣) وضعنا الزيادة بحسب ما فى اليونانى .

(٤) له ناقصة فى ط .

(٥) ط : منه جاء الى ما هاهنا ، وكذا فى ف .

(٦) ط ، ب : ينقاد للبذخ والشره . — وبعض ... المال : ناقصة فى ط .

(٧) ص : المحبة . ب : اقراب باطل ... التكثر . — وبعض لمحبة ... بالباطل : ناقصة فى ط . (٨) ف : التكبر .

(٩) ص ; الأمر النفس الكثيرة ... (١٠) أن : ناقصة فى ص .

(١١) ب ، ص : يمكثوا . ب : الالتياث وتخليط . — يلحقهم : فى ط : يلحقوا . (١٢) الى : ناقصة فى ب ، ط .

(١٣) يضيف اليونانى : ولقد نسوا ما يأمر به الملك .

٢٥ ــ قال قابس : نعم ! فمن أى جهة قلت إن هذا السعيد الذى أحمدت أمره تقوده الفضائل إلى الموضع القديم الذى جاء منه كأنه لم يعرف الموضع جيداً ؟

قال ايرقليس : ما بئس[١] ما قلت لكم إنه لم يكن يعرف شيئاً مما هناك معرفة صحيحة ! وإنما كان يظنها ظناً ! فكان يظن بما ليس بخير أنه خير ، وما ليس بشر أنه شر؛ ولذلك كانت حاله حالا رديئة[٢] كحال من لا يبصر ما هناك . فلما حصلت له المعرفة واليقين والعقل واستضاء بذلك فهمه زال عماه[٣] فصار إذا رأى ما ها هنا تبين له شقاؤهم .

٢٦ ــ قال قابس : فقلت له : فماذا يصنع إذا شاهد هذه الأمور كلها ؟

قال ايرقليس : يتصرف كيف شاء ، ويذهب حيث شاء . وذلك أن الثقة والأمن يطيفان به+ وهو محروس من جميع جوانبه ، بمنزلة الحلزون[٤] الذى يطيف به+ الصدف الذى يجنه . وحيثما أحب [١٠٤ب] أن يعيش فان عيشه يكون أجمل عيش ، وكل من عاشره يقبله ويتمسك به ويرتاح له كما يرتاح المريض إلى الطبيب .

قال قابس : فأولئك النساء اللواتى وصفتهن[٥] لا يخاف أيضاً أن يناله منهن ما يكره[٦] ؟

قال ايرقليس : ما عسى أن يخاف منهن وقد غلبهن جميعاً فصار بحيث لا يغلب عليه أصلا فيؤذيه لا الغم ولا الظن ولا خوف الفقر ولا حب[٧] الثروة

---

(١) ب : ليسما قلت لكم انه ... ط : ما يتبين ما قلت ... / ف : مايتبين ما قلت .

(٢) ط : ردئة . (٣) ص : عمى .

(+ ... +) ما بين العلامتين ناقص فى ف .

(٤) أخطأ المترجم العربى فى فهم الاسم τό Κωρύκιον وهو اسم علم، ففهم أنه κώρυκος محار ، حقيبة من الجلد ، كرة اللعب الخ ؛ والصواب هو : « كما فى كهف كوريكوس » . وكوريكوس اسم لعدة مواضع ، منها موضع فى قليقية لكهف فيه ألقى زيوس تيفون بعد هزيمته ؛ ومنه جبل قرب تيوس Téos ؛ والموضع المقصود هنا مغارة فى جبل پرناسوس اليها أوى كل من ديوكاليون وپيرها Pyrrha بعد الطوفان حيث عبدا فيها حور كوريكوس وآلهة الجبل .

(٥) يضيف اليونانى : « كأنهن الوحوش » .

(٦) أول ١٢٤ ا بعد آخر ١١٥ ب فى ط .

(٧) ف : مكروه .

ولا شيء أصلا من سائر الشرور ، لأنه قد صار سيداً مستعلياً عليها كلها ، كما أن الحواثين[1] يمسكون بأيديهم الأفاعى فلا تضرهم ، لما معهم مما يقاوم سمها ويضاد فعله .

٢٧ — قال قابس : فقلت له : ما أخلق ما تقول وأشبهه[2] عندى ! ولكن أعلمنى من هؤلاء الذين تراهم كأنهم ينحدرون من ذلك التل ، وبعضهم متوج ويتبين كأنهم مسرورون ، وبعضهم غير متوج وكأنهم مهمومون مضطربون ، حتى إن رءوسهم[3] تلحق أرجلهم فتلقاهم[4] وكأنهم مكتئبون[5] بسبب من الأسباب وقد اعتراهم منه غم .

قال ايرقليس : أما المتوجون فهم الذين[6] قد وصلوا إلى الأدب ، فهم بهذا السبب مسرورون فرحون مغتبطون[7] بما أفادوه من الانتفاع به[8] لا يلحقهم غم ولا قنوط ، وأمورهم جارية فى تدبيرهم على السداد . وأما غير المتوجين فلأنهم لم يعرفوا الأدب فرءوسهم منكسة وحالهم سيئة ؛ وهم فى شقاء لأنهم جبنوا فلم يرتقوا إلى الأدب وظلف[9] النفس ، ولذلك صاروا تائهين بلا عقل .

قال قابس : فهؤلاء النساء اللواتى معهم ، من هن ؟

قال ايرقليس : الغموم والهموم والآلام وضيق الصدر والظنون والجهل .

٢٨ — [١١٠٥] قال قابس : أتقول إن هذه الشرور[10] كلها تلحق هؤلاء ؟

قال ايرقليس : إى والله انها لتلحقهم[11] ! فاذا وصلوا الى الحظيرة الأولى التى بها البذخ والإباحة[12] أخذوا فى ذم الأدب وأهله وذكر مساوئهم

---

(١) أى مروضو الأفاعى ἐχιοδεῖκται (٢) ف : وأشبه .
(٣) ط : أرؤسهم . (٤) ط ، ص : فتلقاها .
(٥) ص ، ف : كئيبون . (٦) قد : ناقصة فى ف .
(٧) ط : مغبطون . (٨) ص : ولا .
(٩) ظلف النفس : عزة النفس — من ظلف نفسه عن الشىء يظلفها (من باب ضرب) : منعها من أن تفعله .
(١٠) كلها : ناقصة فى ص و ب و ف ، ووردت فى ط .
(١١) ط : لتلحقهن .
(١٢) يضيف اليونانى : « ولا يتهمون أنفسهم » .

لأنهم يزعمون أنهم أشقياء مذبذبون ، فهم يقارفون مثل هذا العيش الرغد(١) الذى نحن فيه ، ويعيشون عيش سوء ، طلباً للخيرات وهم لاينالونها (٢) .

قال قابس : وماذا(٣) يعنون بالخيرات ؟

قال ايرقليس : مثل البذخ وإباحة النفس الشهوات : فان هاتين مقدمتان على الباقية ، وأكثر الناس يسميها خيرات(٤) .

٢٩ ـ قال قابس : فالنساء الأخر اللواتى يأتين من هناك كأنهن مستبشرات ضاحكات ، من هن ؟ وبماذا يعرفن ؟

قال ايرقليس : هن الظنون المؤدية إلى الأدب ، وقد طأطأن رؤوسهن(٥) استدعاء لمن يأتيهن وهن مستبشرات(٦) ، لأن من أتين بهم قد حصلت لهم السعادة .

قال قابس : فقلت له : أفهؤلاء النساء لا يدخلن حتى يصلن إلى الفضائل أنفسها ؟

قال ايرقليس : استغفر ربك(٧) ، فانه لا يجوز أن يكون الظن والحسبان يصل إلى معرفة اليقين ، لكن هن بموضعهن : فكلما أتين بقوم عدن فطأطأن رؤوسهن ليختلبن غيرهم كالسفن (٨) التى إذا فرغت من حملها عادت لتحمل غيره .

---

(١) ص : المرفد ، ف : الرغيد .

(٢) ف : لا ينالوها . (٣) ذا : ناقصة فى ف .

(٤) فى اليونانى : « لأنهم يرون أعظم اللذة أن يستمتعوا كما تفعل البهائم » /ف : تسميها خيرات وتظنها خيرات .

(٥) أخطأ المترجم العربى فى فهم اللفظ ἀνακάμπτουςιν فانه فى حالة الفعل اللازم بمعنى : « يعود » ، وقد أضاف المترجم ما يفسر تأويله . وفى اليونانى : « فبعد أن يقتدن الى العلم من دخلوا الأدب يعدن للبحث عن غيره » .

(٦) فى اليونانى : « ويعلن » ، والمترجم خلط بين ἀναγγέλλουσιν وبين εὐαγγελοῦσιν

(٧) أول ورقة ١٢٠ ا فى ط بعد آخر ١٢٤ ب .

(٨) ب : مثل السفن . ـ ط : غيرهن .

٣٠ ـ قال قابس : ما أحسن ما قلت فى هذا ! وهو[١] هكذا ظنى .
ولكن عرفنا ، مع ما وصفته ، ماذا يأمر ذلك الملك ـ الذى كنت ذكرته ـ من يدخل هذا العالم ؟

قال ايرقليس[٢] : يأمرهم أن يفرخوا من روعهم ولا ينكلوا ، كما آمركم أنا : فانى أقتص لكم الأمر كله وأشرحه ولا أدع شيئاً منه .

قال قابس : فقلت له[٣] : لقد أحسنت .

ثم مد يده [١٠٥ب] ايرقليس وأشار لنا إلى امرأة وقال : أما ترى تلك المرأة التى تُظَن أنها عمياء[٤] ، وهى التى كنت من قبل أيضاً قد أريتكم إياها وقلت لكم إنها تسمى البخت ؟

قال قابس : لعمرى !

٣١ ـ قال ايرقليس : فالملك يأمر أن لا نثق بما تعطينا هذه ، ولا نعمل على أن ما يؤخذ منها مما يوثق به ويعتمد عليه وعلى بقائه ، وذلك أنها لا تلبث أن تعود فتنزعه ممن أعطته وتعطيه لغيره فان هذه سجيتها وعادتها ، وكذلك يأمر أن نطلب سبباً نكون به مستحقين لقبول الحباء .

قال قابس : كأنك تقول ماذا ؟

قال ايرقليس : إنه يقول : لا ينبغى أن نسر إذا أعطانا البخت ، ولا أن نغتم إذا عاد فسلبنا[٥] ، ولا نذمه ولا نحمده ، إذ[٦] كان ليس شىء مما يفعله بقصد وتعمد ، بل كل ما يأتيه فانما يأتيه جزفاً[٧] من غير تمييز ولا تحصيل ، كما قلت من قبل . ويأمر ذلك الملك ألا نعجب[٨] بما يفيدناه ، فنكون بمنزلة

---

(١) واو العطف ناقصة فى ب ، ط ، ف .
(٢) ايرقليس : ناقصة فى ط .
(٣) له : ناقصة فى ب و ص .
(٤) يضيف اليونانى : « وتقف على حجر مدور » .
(٥) ط : يسلبنا . ف : سلبنا .
(٦) ف : اذا .
(٧) من : ناقصة فى ص . جزفا = جزافا . وفى ط حرفا (بالحاء المهملة) ، وكذا فى ف .
(٨) ب : نفحج !

من دعى إلى وليمة (١) فأتحف فيها بتحفة نفيسة مثل شمامة أو غيرها ، فلظنه أنها حباء له يسرّ بها ، حتى إذا ارتجعت منه ورفعت تلك الآلات ، تسخط كأنه قد أخذ منه ما كان له من غير أن يفكر فيعلم أن ما دفع إليه من ذلك إنما جرى مجرى ما يؤخذ ويستردّ ليتحف به غيره . ولذلك يأمر الملك ألا يعتمدوا على بقاء ما يفيدهم البخت ويذكرهم بأن هذا مذهبه ، أعنى ارتجاع ما يعطى(٢) بسرعة . وربما أعطى من الرأس أضعاف ما كان أعطى ، وربما أخذ ما أعطى ولم يعط بعده شيئاً آخر أبدا . ويأمر إذا أعطانا شيئاً أن نبادر(٣) إلى أخذه ؛ فاذا أخذناه اشتغلنا بانفاقه ووضعه مواضعه .

٣٢ — < فقال قابس : وما هو؟ — (فأجاب ايرقليس) : ما نأخذه من العلم ، حتى نظفر بالنجاة . — (فقال قابس) : وما هو؟ — (فأجاب ايرقليس) : العلم الحقيقى بالأحداث ، لأننا نوقن أنه > إذا أعطانا الأدب شيئاً سارعنا إلى قبوله وأخذناه مسرورين بعائدته ، لأنا [١٠٦ا] واثقون ببقائه لا يلحق عليه ندم . وعلى ذلك ينبغى أن نعول . — ويأمرهم إذا صاروا إلى أولئك النساء اللواتى ذكرناهن من قبل ، أعنى التمتع(٤) باللذات ، أن يبادروا إلى الانصراف عنهن وترك الثقة بواحدة منهن أصلا . وإذا صاروا إلى الأدب الذى ليس بحق أقاموا عليه مدة من الزمان وتناولوا منه ما يحبون ، لأنه بمنزلة طريق شاذ ، ثم ينتقلون بسرعة إلى الأدب الحقيقى .

فهذا ما يأمر به ذلك الملك . ومن تجاوز ذلك ولم يقبله هلك شر هلاك .

٣٣ — فهذا ، أيها الغريب ، تفسير لغزنا(٥) . فان كنتم تحبون أن تسمعوا ما فى شىء من ذلك فلسنا نبخل به ؛ وأنا أشرحه لكم .

---

(١) أخطأ المترجم فى فهم كلمة τραπεζίταις (صرافون) ، اذ ربطها بالكلمة τράπεζα (= منضدة) ، ولهذا أفسد ترجمة ما يتلو ليوفق بينه وبين فهمه الفاسد • والمقصود فى اليونانى هو أن الشخص الذى يعتقد أن منح البخت هى له نهائيا مثله مثل الصرافين الأشرار الذين يحسبون أن الودائع التى تودع لديهم هى هدايا أصبحت ملكا نهائيا لهم ، ويغضبون حينما يطالبون بردها •

(٢) ط ، ب : يعطيه • (٣) شيئا : ناقصة فى ص و ب •

(٤) يضيف اليونانى : الفجور • (٥) ط ، ب : وان •

قال قابس : ما أحسن ما قلت ! لكن ماذا [١] يأمر الملك أن نأخذ من الأدب الكاذب ؟

قال ايرقليس : الأمور التى نظن أنها خيرات .

قال قابس : وما تلك الأمور ؟

قال ايرقليس : النحو[٢] والمساحة والحساب والهندسة والموسيقى وسائر العلوم المتداولة التى سماها الأوائل [٣] : التعاليم ؛ فانها للصبيان فى قوتها تجرى مجرى اللجم الكاظمة ، ولذلك[٤] يحتاجون إليها ضرورةً . وأما تلك الأمور الباقية فليس فيها كبير نفع . فينبغى لمن أراد الوصول الى الأدب الصحيح أن يقتنى هذه العلوم قبل كل شىء ، وليس مما يحتاج إليها بأنفسها ضرورةً ، لكنها نافعة فى الوصول إلى ذلك الأدب بسرعة . فأما فى لزوم الفضائل والعمل بها فليست مما يعيننا على ذلك[٥] ، فان الانسان إن ابتدأ من التعاليم ثم قصد من بعدها نحو الفضائل فانه دون أن يحصل له ذلك الأدب الصحيح لا ينتفع به . وكثيراً [٦] ما نلخص هذا المعنى ونشرحه [١٠٦ب] فضل شرح فتكون فيه منفعة . ولا بأس أن تعرفوا [٧] أنتم أيضاً هذا المعنى ، فانكم إذا وقفتم عليه انتفعتم به ، فعساكم من دون هذه التعاليم كلها تبصرون رشدكم ولا يمنع من ذلك مانع .

---

(١) ط : لكن ما يأمر ...

(٢) خلط المترجم بين γϱα΄μματα وبين γϱαμματική ، والأول معناه : « الآداب » والثانى معناه « النحو » ، والنص يتضمن الأول . وما سرده من علوم بعد هذا لا يرد فى النص اليونانى . ويلاحظ أن كلمة « العلوم » يترجمها المترجم عادة بكلمة « الأدب » .

(٣) فى اليونانى : « العلوم التى قال عنها أفلاطون ان لها قوة اللجم الكاظمة ... » .

(٤) هنا نقص فيه : « فقال قابس : هل ثم ضرورة فى تلقيها ، اذا كان لابد من بلوغ العلم الصحيح ، أو لا ؟ » .

(٥) هنا نقص هو فى اليونانى : « فقال قابس : ألا تقول انها ضرورية للناس ليصبحوا فضلاء ؟ — يمكن أن يصير المرء فاضلا من دونها ، لكنها لا تخلو من الفائدة . كذلك نحن نفهم ما يقال بواسطة الترجمان ، لكن لا يخلو من الفائدة أن نعرف نحن اللغة » . والمترجم العربى قد خلط فى فهمه ونقص كثيرا . (٦) ب : وكثيرا مما يلخص ...

(٧) خلط المترجم هنا بين ὑμας, ἡμᾶς فوضع فى صيغة المخاطب ما هو فى اليونانى فى صيغة المتكلم .

٣٤ ـ قال قابس : قبل كل شيء ليس ينتفع بشيء من التعاليم فى أن يصير أولئك الآخرون ذوى فضيلة(١) .

قال ايرقليس : هى تنفع إذا وجدوا ، أعنى أنه يوجد كثيراً بهذه الصفة(٢).

قال قابس : فكيف حال هؤلاء(٣)؟

٣٥ ـ قال ايرقليس : ليس يعلم من هذا القول إلا أنهم صاروا إلى الحظيرة الأخرى فتصرفوا فيها كأنهم يصيرون إلى الأدب الحقيقى .والأجود (٤) ـ متى أرادوا أن يكونوا أكثر نظراً ـ أن يكونوا إذا جاءوا من الحظيرة الأولى دخلوا إلى هؤلاء فامتثلوا فضلهم(٥) ، إلا أن يعترى هؤلاء أيضاً توان ويطيعون من لا أدب له ، بل معه مغالطة(٦) . فانهم إذا صاروا فى هذا الحد لم يتخاصوا أصلا .

فأنتم أيضاً ، أيها الغرباء ، الزموا هذه السبيل ، وروضوا أنفسكم بما وصفناه رياضة كثيرة حتى يصير فيكم كالسجية لا تحول . فانه ليس يمكن من سماع ذلك مرة أو مرتين أو ثلاثاً ، أن يحصل لكم ، بل ينبغى أن تفحصوه مراراً

---

(١) هنا تحريف ونقص وسوء فهم ، ففى اليونانى : « فماذا هؤلاء الذين حصلوا هذه المعارف لا فضل لهم على بقية الناس ليكونوا فضلاء ؟ ـ (فأجاب ايرقليس) : كيف يكون فضل ، ونحن نراهم يخطئون فى تمييز الخيرات من الشرور شأنهم شأن الناس أجمعين ، وهم كذلك معرضون لكل أنواع الشرور ، ولا يجديهم نفعا أن يعرفوا الآداب ويحصلوا العلوم كلها ، ثم يكونوا فى الوقت نفسه سكارى فساقا جشعين ظالمين خائنين غير عاقلين » .

(٢) هذه الجملة فى اليونانى قيلت على لسان قابس .

(٣) مكان هذه العبارة فى اليونانى : « وبم يفضلون غيرهم ليكونوا أفاضل بسبب هذه العلوم ؟ » .

(٤) ما يتلو من كلام ايرقليس . (٥) ط ، ب : فضيلتهم .

(٦) الجملة السابقة لا توجد فى اليونانى . وها هنا نقص يتضمن جواب قابس وبداية رد ايرقليس هكذا : « قابس : كيف ذلك ؟ ـ ذلك أن أولئك الذين فى الحظيرة الأولى ... (نقص) ... وأولئك الذين فى الحظيرة الثانية لا يعرفون شيئا الا ادعاء العلم . وطالما كانوا على هذا الرأى ، فسيظلون بالضرورة عاجزين عن التوجه نحو العلم الحقيقى : أولا ترى أن الآراء تنفذ أيضا من الحظيرة الأولى اليهم ، على نحو لا يجعلهم خيرا من أولئك ، اللهم الا اذا أصابهم الندم وأيقنوا أنهم لم يقتنوا العلم الحق ، بل العلم الزائف الذى أضلهم » .

كثيرة لأنفسكم ثم ترتاضوا به ؛ وأن تعتقدوا أن ما سواه فضول ، وإلا لم تنتفعوا بما سمعتم فى هذا الوقت .

٣٦ — قال قابس : نحن نفعل ما أمرت به . لكن اشرح لنا كيف صار ما يأخذه الناس من البختليس بخير، وما يأخذونه من الملك فهو خير بالصحة[١] مثل اليسار وحسن الأحدوثة وكثرة البنين والقدرة والسلطان والجمال والظفر وما أشبه ذلك ، عرّفنا من أى وجه هذه رديئة [٢] ، فان هذا من الأمور التى لا نصدق بها أصلا ، بل هو رأى كأنه خارج [١١٠٧] عن الحق .

قال ايرقليس : فأجبنى[٣] الآن عما عندك فيما أسألك عنه .

قال قابس : فقلت له : أنا أفعل ذلك .

قال ايرقليس : إن كان إنسان من الناس طول حياته فى شقاء ومكروه[٤]، فحياته[٥] عندك خير له .

قال قابس : لا ، بل أحسبها [٦] شراً له . فانه [٧] لا سبيل إلى أن يقال إنها خير له وهو فى مكروه . والحياة ، فيما أحسب ، إنما تكون رديئة لمن كان فى حياته فى مكروه . فأما من كان فى خير فحياته خير له . وكما أن من كان نافعاً غير ضار فهو محمود مؤثر ، فكذلك [٨] من كان فى مكروه فان الحياة له فى مثل هذه الحالة رديئة[٩] .

---

(١) يرى باسيه أن النص اليونانى يقتضى هنا أن نصحح النص هكذا : «مثال الصحة » . ففى اليونانى : « مثل الحياة والصحة واليسار ... »

(٢) ط : ردئة . (٣) ب : الا .

(٤) ترجم المترجم حرفيا النص κακῶσ τις ζῇ فترجمه وكأن المقصود هو الحياة المادية ، لا المعنوية .

(٥) ب : عندكم . (٦) غير واضحة فى ص .

(٧) ما يتلو ورد فى اليونانى على لسان ايرقليس .

(٨) ص : وكذلك .

(٩) خلط المترجم هنا بين الاسئلة والاجابات وبدل فى معنى هذا الموضع وأصله : « — لماذا لا تكون الحياة خيرا اذا كانت الحياة رديئة ؟
— لأنه يبدو لى أنها شر لمن يحيون حياة رديئة ، وخير لمن يحيون حياة طيبة . — اذن الحياة فى رأيك يمكن أن تكون خيرا وشرا معا ؟
— نعم ! »

٣٧ ـ ٣٨ : قال ايرقليس : أو ليس قد قلت إن الحياة ليست شراً ، لأنه إن كانت الحياة لمن كان فى خير ورفاهة من العيش أيضاً رديئة (١) ، لم يكن هناك خير ولا شر. فكما أن المرض ردىء للمرضى ، لا الصحة ، كذلك الحياة(٢).

قال قابس : الأمر على ما قلت .

قال ايرقليس : فانظر الآن إذا كان الإنسان فى حياته فى مكروه : هل يجب أن يموت على حال جميلة منسوبة إلى النجدة ؟

قال قابس : أما أنا فهكذا أختار .

قال ايرقليس : فعلى حسب هذا القول إذاً ليس الموت بشرٍّ ، بل الموت على حال قبيحة منسوبٌ إلى الشر . وذلك أنك تقول : إن الموت على حال جميلة غير الموت على حال قبيحة .

قال قابس : الأمر كذلك .

قال ايرقليس : أو ليس (٣) يجرى الأمر هذا المجرى من حال الحياة

---

(١) يرد هذا اللفظ دائما فى ط هكذا : ردئة ٠

(٢) الفصلان ٣٧ و ٣٨ مختلطان محرفان فى الترجمة العربية ٠ وغرض اير قليس (أو الشيخ كما فى اليونانى) أن يبرهن على أن ما يظنه الناس خيرات أو شرورا ليست كذلك فى أنفسها : وانما طريقة استعمالنا لها ٠ ولما لم تكن خيرات ، فيجب ألا نفكر فى تحصيلها ٠ يقول الشيخ : « ٣٧ ـ لا تقل هجرا : فلا يمكن الشىء الواحد أن يكون خيرا وشرا معا ، والا لقلنا أن النافع والضار ، وما يجب أن نسعى اليه وما يجب أن نتجنبه هما شىء واحد ٠ ـ فقال قابس : ليس هذا باطلا ٠ فالعيش فى المكروه كيف لا يكون شرا لصاحبه ؟ فاذن اذا أصابنى شر ، فالعيش شر ؟ ـ ولكن العيش والعيش فى مكروه ليسا شيئا واحدا ٠ أولا ترى ذلك ؟ ـ بكل تأكيد : ليسا شيئا واحدا فيما يبدو لى ٠ ـ ان العيش فى مكروه شر ، ولكن العيش ليس شرا ٠ ولو كان شرا ، لكان كذلك أيضا بالنسبة الى من يعيشون فى خير ، لأنهم يعيشون ، واذن فهذا شر ٠ ـ يلوح أنك على صواب/٣٨ ـ : وما دام الذين يعيشون فى خير والذين يعيشون فى مكروه يشتركون فى العيش ، فان العيش لا يمكن أن يكون لا خيرا ولا شرا ٠ وكذلك الحال فى المرضى ، ليس البتر أو الكى هو الضار أو النافع ، وانما طريقة البتر ، فالأمر مثله فى الحياة : فليست الحياة شرا ، وانما الحياة فى مكروه هى الشر » ٠

(٣) ف : وليس ٠

فى الصحة والمرض ؟ فان كثيراً ما يعرض أن يكون الإنسان صحيحاً وهو فى شدة إذا كان مزاج الهواء رديئاً ، ويكون مريضاً وهو (١) فى رخاء(٢) .

قال قابس : حقاً قلت .

٣٩ — قال ايرقليس : فلتبحث الآن عن اليسار . ولتنظر(٣) [١٠٧ب] فيه على هذا الوجه : ألا ترى كثيراً ممن هو موسر إلا أنه فى شقاء من عيشه ومكروه ؟

قال قابس : بالله يميناً إنى لا أزال أرى كثيراً بهذه الصفة !

قال ايرقليس : فلم ينفع هؤلاء يسارهم فى أن تكون عيشتهم محمودة ؟

قال قابس : ما نراه نفعهم(٤) .

قال ايرقليس : أن يكونوا إذاً ذوى فضل ليس بما يعتدونه من اليسار ، بل من الأدب .

قال قابس : ذلك واجب عن هذا القول .

قال ايرقليس : فليس اليسار إذاً خيراً ما لم ينفع(٥) من كان له فى أن يصير أبداً فاضلا وتكون عيشته محمودة .

قال قابس : إنا لنرى ذلك .

قال ايرقليس : فبعض الناس ليس ينتفعون لا باليسار ولا بالصحة متى لم يكونوا يعلمون الصواب فى استعمال الصحة واليسار .

قال قابس : هو(٦) ذا تبين .

قال ايرقليس : فكيف يسمى الانسان خيراً ما ليس بنافع لكل أحد ؟

قال قابس : ما ينبغى أن يسمى خيراً أصلا .

---

(١) ف : رجاء .

(٢) فى اليونانى : « كثيرا ما يكون من غير المفيد أن يكون المرء فى صحة جيدة ، بل بالعكس ، حينما تقتضى الظروف ذلك » .

(٣) ط : وانظر ، وكذا فى ف .

(٤) يضيف اليونانى : « اذا كانوا أشرارا » .

(٥) ط : ينتفع .

(٦) ب : هذا يتبين . ط : هكذا يتبين ، وكذا فى ف .

قال ايرقليس : لكن إن استعمل الانسان الصحة واليسار على ما ينبغى ويجب ويستحق ، كان محموداً وكانت عيشته راضية(١) ؛ وإن استعملها على خلاف ذلك ، كانت عيشته رديئة .

قال : ما أصح قولك !

٤٠ ــ قال ايرقليس : وبالجملة أيضاً(٢) تفضيل هذه الأمور كلها على أنها خيرات أو رفضها على أنها شرور غير صواب ، لأنها قد تنفع الناس وقد تضرهم . وذلك أن الإنسان إذا اعتقد أنها فاضلة وأن الناس بها يصيرون سعداء صبروا فى جنبها على فعل كل شىء ، فتجاوزوا إلى كل ما لا يحل ، وإلى ارتكاب الأمور القبيحة ، ويستصغر فى جنبها ما يناله من المكروه ، ويستعظم ما يفيد منها ، فيتخطى بذلك إلى الجور والظلم . فاذا اعتقد أن ما يلحق من هذه الأمور [١١٠٨] عظيم ، وما يناله فيه من الخير يسير حقير ــ أحجم عن التسرع إلى الظلم . وإنما يلحق أولئك ما يلحقهم من ذلك لجهلهم وقلّة معرفتهم(٣) بأن الشر لا ينتج خيراً ، والخير لا ينتج شراً ؛ فان المال قد يستفاد كثيراً من أفعال رديئة قبيحة مثل الكذب والختل(٤) والسرقة وسلب المساجد والسقايات وكثير(٥) من أمثال ذلك التى هى فى أنفسها(٦) رديئة .

٤١ ــ فان كان الخير لا يكون من الشر أصلا ، فليس ينبغى أن نقول فى الثروة التى تكون من الشر إنها خير .

قال قابس : هذا لازم واجب من هذا القول .

قال ايرقليس : لكن العدل والفهم ليس يحصلان لنا من أمور رديئة ، ولا نصير أشراراً ظالمة من أمور محمودة . وليس من شأن(٧) تلك أن تكون

(١) ب : مرضية • ط : رضية • (٢) أيضا : ناقصة فى ط و ف •
(٣) الى هنا كان ينتهى النص اليونانى القديم الذى كان معروفا الى حين اكتشف جرونوفيوس Gronovius بقية النص التى أنكرها سوميز Saumaise زاعما أنها من وضع المترجم العربى •
(٤) ط : والحيل •
(٥) ص : وكثيرا • وهنا أول ١١٩ أ بعد ٢٣ ب فى ط •
(٦) هنا ينقص رد قابس وهو : « هو كما تقول » •
(٧) ص : ثبات •

عن هذه الأمور ولا عن تلك[١] ، فان اليسار وبُعد الصوت والظفر وسائر ما يجرى هذا المجرى ليس مانع يمنع[٢] من أن يكون لقوم أشرار ظلمة . فيجب من ذلك أن تكون هذه وأشباهها لا خيراً ولا شراً . فأما الفهم والعقل فهما خير فقط ، والجهل شر فقط .

قال قابس : قد أتيت ، فيما أحسب ، على هذا المعنى[٣] ، واكتُفِى به ، وزال عنا الشك فى أن هذه الأمور[٤] قد تكون من أفعال رديئة .

٤٢ — قال ايرقليس : إن ذلك ليكون كثيراً . ولذلك قلنا إنها ليست خيراً ولا شراً ؛ وذلك أنها لو كانت إنما تحصل من الأفعال الرديئة وحدها لكانت شراً فقط ، لكنها تحدث من الصنفين جميعاً ، ولذلك قلنا إنها لا خير ولا شر ؛ كما أن النوم واليقظة لا خير ولا شر . وكذلك ظنى المشى والجلوس وسائر ما يعرض من الأمور لكل واحد ممن هو عاقل وجاهل[٥] . فأما ما يخص واحداً واحداً منهما فأحدهما [١٠٨ب] خير ، والآخر شر مثل الجور والعدل ، وهما أمران يعرضان لواحد واحد ، وذلك أن العدل لازم لذوى العقل والجور لاحق بالجهال ، لأنه لا يمكن ، كما قلنا قبل ، أن يعرض ، لواحد بعينه فى حال واحدة بعينها ، أمران يجريان هذا المجرى ، مثل أن يكون الإنسان الواحد بعينه فى حال واحدة نائماً يقظان ، وأن يكون عاقلا جاهلا معاً ، أو غير ذلك مما هو فى قياسه .

قال قابس : أظنك[٦] قد أصبت فى كل ما قلته .

٤٣ — قال ايرقليس : فهذه كلها أنا أقول إنها تأتى من ذلك المبدأ الإلهى .

قال قابس : فقلت له : كأنك تعنى ماذا ؟

---

(١) ب : وليس من شأن تلك أن تكون عن هذه ، ولا هذه أن تكون عن تلك ، فان اليسار ...

(٢) من : ناقصة فى ص و ف .

(٣) الى ها هنا انتهى ما حفظ لنا ، حتى الآن ، من النص اليونانى . وما يتلو هذا حتى النهاية لا يوجد الا فى الترجمة العربية .

(٤) قد : ناقصة فى ب .

(٥) ب : فما .　　(٦) ط : لظنك .

قال ايرقليس : الحياة والموت والصحة والسقم والغنى والفقر وسائر ما قلت إنه خير وشر ، يعرض لكثير(١) من الناس من غير شر .

قال قابس : ليس يظهر لنا إلا أن هذا(٢) واجب من القول ، وأن هذه ليست خيراً ولا شراً ؛ على أنى غير واثق برأيى فى ذلك .

قال ايرقليس : هذا لأنه(٣) لم تصر لك بَعْدُ ملكةٌ(٤) تتصور بها هذا المعنى . فافعلوا ما أشرت به(٥) عليكم قبيلُ من الارتياض فى هذه الأمور عمركم كله، ليتمكن ما قلناه فى أنفسكم وتصير لكم به سجية ؛ وإن شككتم فى شىء منه عدتم إلىَّ لأشرح لكم من أمره ما يزول به الشك عنكم(٦) .

تم تفسير ايرقليس السقراطى لقابس الأفلاطونى اللغزَ
الذى تضمنته الصورة الموجودة على باب الهيكل المنسوب
إلى زحل . — والحمد(٧) لله دائماً

---

(١) ب : للكثير . — ص : ويعرض ...

(٢) ط : الواجب .

(٣) ص : من الارتياض هذا لأنه ... — وهذه الزيادة مقحمة لا نظنها من الأصل . (٤) ط : سجية .

(٥) به : ناقصة فى ص . قبيل : ناقصة فى ص و ب . وفى ف : قبل .

(٦) عنكم : ناقصة فى ص و ط و ف .

(٧) ب : ولله الحمد كثيرا : ط : ولله الحمد كثيرا دائما كما هو أهـــله ومستحقه ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما / ف : والحمد لله وحده .

< تتمة حكم الروم >

فتح[1] الاسكندر مدينة فاجتمع إليه أهلها ، فسألهم عن أولاد الملوك بها ، فقالوا : بقى[2] منهم رجل يسكن المقابر . فدعا به ، فأتاه . فقال له : ما دعاك إلى لزوم هذه المقابر ؟ [١١٠٩] قال : أحببت أن أميز[3] عظام ملوكهم من عظام عبيدهم فوجدتها سواء .

فقال له الاسكندر : هل لك أن تتبعنى[4] فأحيي شرفك وشرف آبائك إن كانت لك همة ؟

فقال : همتى عظيمة .

قال : وما هى ؟

قال : حياة لا موت معها ، وشباب لا هرم معه ، وغنى لا فقر فيه ، وسرور لا مكروه فيه .

قال : ليس عندى هذا .

قال : فدعنى ألتمسه ممن هو عنده .

حكايات عن سقراط

توقَّ كل التوقى ، ولا حارس من الأجل ؛ وتوكل كل التوكل ، ولا عذر فى التوانى ؛ واطلب كل الطلب ، ولا تتسخط ما جلب القدر .

لا راحة لمن تعجل الراحة بكسله ، ولا عز لمن طلب العز بتأوه[5] .

العاقل الخير لا عدو له ، إلا الجاهل الشرير ، فانه أولا يعادى نفسه ثم يعادى الأشرار ثم يعادى الأخيار .

الفائز بالربح الجميل أسعد من المقتصر على رأس المال ، والغنيمة الحميدة أشرف من الرضا بالسلامة ، وحيث السرور الدائم فهناك نعيم الأبد ، ومن عرف نفسه فقد أمن الهلاك[6] .

---

(١) ف : قيل أن الاسكندر فتح مدينة فاجتمع ...
(٢) ف : وقد بقى .
(٣) ص : بين عظام .
(٤) ف : أن تبتغى .
(٥) ف : بباوه . (٦) ف : من الهلاك .

من صح فكره أتاه الالهام ، ومن[1] دام اجتهاده أتاه التوفيق .

قال أفلاطون[2]: بُعْد الجاهل أن يلتحم به الأدب كبعد النار أن تشتعل بالماء[3] . فاذا رأيت المستمع غير قابل أثر الحكمة ، فلا تطمع فى صلاحه .

وقال آخر : ينظم العقل من أنواع الكلام ما ينظم المصور الحاذق من أنواع الصور الحسنة .

قال سقراط : من بصر عن جهل حتى يرى ما ليس بمحسوس وجب عليه أن يفرح من ذلك بما يفرح بهمن كان فى ظلمة فوجد نوراً [١٠٩ب] ،[4] أو فى مرض فأصاب برءاً . فمن لم يتبين ذلك من نفسه، فليعدها من الهالكين .

وقال : لا شىء أنفس من الحياة ، ولا غبن أعظم من إنفاذها فى غير حياة الأبد .

وقال : الحزن مدهشة للعقل ، مقطعة للحيلة . فاذا ورد عليك محزن فاقمع الحزن بالحزم ، وفرغ العقل بالاحتيال[5] فيما تحمد عاقبته[6] .

آداب محكية عن الحكيم[7] أرسطوطاليس

كتبها فى صحيفة وكان يعلمها[8] الملك الاسكندر

لكل إنسان حاجة ، وإلى كل حاجة سبيل[9] من أصابه أنجح[10] ، ومن أخطأه خاب . وحاجة الانسان خير الدنيا والآخرة . والسبيل الى إدراكها العقل . والعقل نوعان : غريزى، ومستفاد . فالغريزى[11] خلقة انفرد بها الخالق

(١) الواو ناقصة فى ط .

(٢) ص : أفلاطونى . ط : أفلاطن ، وكذا فى ف .

(٣) ص : بالمال . (٤) ط : وفى .

(٥) ص : الاحتيال . / ف : للاحتيال .

(٦) فيما تحمد عاقبته : ناقص فى ط و س ، و ف .

(٧) ف ، ط : عن أرسطاطاليس .

(٨) ف : يعلمها للاسكندر . (٩) ط : فمن .

(١٠) أنجح : أى أصاب النجاح ؛ يقال : أنجح الرجل (بضم اللام) : صار ذا نجح ، فهو منجح من قوم مناجح ومناجيح .

(١١) ص : والغريزى .

عز وجل . والمستفاد فائدة المتعلم . ولا سبيل إلى فائدة المتعلم إلا بصحة العقل الغريزى . ومن صح منه العقل الغريزى(١) استفاد به العقل المتعلم . وإذا اجتمع العقل الغريزى إلى العقل المتعلم قواه تقوية الشمس نور البصر . ولا عائق للعقل إلا الهوى ، والهوى نوعان : أحدهما بغية الهوى الباطنة ، والأخرى بغية الهوى الظاهرة . فمنزلة ما ظهر من بغية (٢) الهوى كمنزلة النار الموقدة من النار الكامنة . فاذا اتصل بالهوى بغيته أشعله إشعال الحطب ، وإن انقطع(٣) سكن كامناً . وليس بساكن إلا ريثما يقدر عليها . فان قدر عليها أذكى ناره [١١٠ا] بقضاء لذته ، إلا أن يمنع ؛ ولن يمنعه (٤) إلا العقل الوافر الصحيح إذا قدر . وقد يبلغ صحة العقل أن يتعرف حقائق الأمور ، ولا يبلغ من قوته أن يمنع الهوى من شهوته . فاذا كان العقل بتلك المنزلة ألفى صاحبه بصيراً بالرشد غير قادر عليه ، وعارفاً بالغى غير ممتنع(٥) عليه . وقد يكون من العقل ما يجمع مع المعرفة بالأمور الامتناع من الهوى . وعلة ذلك أمران : أحدهما قوة العقل ، والآخر ضعف(٦) الهوى . فان غلب طبيعة العقل فى القوة طبيعة الهوى ، لم يقدر الهوى على غلبة العقل إلا بما يتصل به من الشهوات ، ولا العقل على أن يغلب الهوى إلا بما يتصل به من فائدة العقل المتعلم . ولما كنا على حال لا تكمل فيها عقولنا كمالاً تستغنى به ولم تضعف أهواؤنا ضعفاً نزهد معه فى الشهوات ، لم يكن لنا إلا المواظبة على التعلم(٧) لنزيد فى العقل المعين على الهوى .

وقد ترجمت لك فى هذا الكتاب فصولا من فوائد العقل المؤيد للإنسان . والله الموفق ، ولا قوة إلا به .

---

(١) ومن ... الغريزى : ناقصة فى ف .

(٢) ط : من بغية الهوى من طبيعة الهوى .

(٣) ط : انقطع عنه سكن ...

(٤) ص : العاقل .

(٥) ط : منه . وكذا فى س .

(٦) ص : ضعف العقل .

(٧) ص : المتعلم .

ومن(١) الآداب أيضاً :

إذا تم العقل التحم به الأدب كالتحام الطعام بالجسد الصحيح : فهو يغذوه ويربيه ، وإذا نقص العقل نبا عنه ما يسمع من الأدب كما نبا عن المصفور(٢) ما أكل من الطعام . وإن آثر الجاهل أن يحفظ شيئاً من الأدب تحول ذلك الأدب فيه جهلا كما يتحول ما خالط جوف المريض [١١٠ب] من طيب الطعام داءً . فاذا كان الأمر على هذا فأحمد العقلاء من كان عقله عن صحة طبيعة ، وكان رأيه عن سبب معرفة ، وعلمه من قبل حجة ، وزين منطقه من صدق مقال ، وحسن عمله من حسن نية ، وحسن أدبه من فضل رغبة ، وكثرة عطائه عن سماح نحيزة(٣) ، وأداء أمانته عن صدق عفاف ، واجتهاد سعيه فى قصد سبيل ؛ ثم وصل الطبيعة بحسن العادة ، وذكاء العقل بشدة الفحص ، ونفاذ الرأى بدرك المنافع ، وصدق المنطق بحسن الأدب ، وحسن الأدب بكثرة التعهد(٤) ، وكثرة العطاء بصواب الموضع ، واجتهاد السعى بشدة الورع . فاذا غلب الهوى العقل صرف محاسن جماله الى المساوىء فجعل الحلم حقداً ، والعلم رياءاً ، والعقل مكراً ، والأدب فخراً ، والبيان هذراً ، والجود سرفاً ، والقصد بخلا ، والعفو جبناً . فاذا بلغ من صاحبه ذلك ، تركه لا يرى الصحة إلا صحة الجسد ، ولا العلم إلا ما استطال به ، ولا الغنى إلا فى مكسبة المال ، ولا الثقة إلا فى اتخاذ الكنوز ، ولا الأمن إلا فى قهر الناس . وكل ذلك مخالف للقصد ، مباعد من البغية ، مقرب من الهلكة . وإذا غلب العقل الهوى صرف المساوىء إلى المحاسن ، فجعل البلادة حلماً ، والحدة ذكاءاً ، والمكر عقلا ، والهذر بلاغة ، والعى صمتاً ، والعقوبة أدباً ، والجرأة عزماً ، والجبن حذراً ، والاسراف جوداً . فالسعيد(٥) من الناس العاقل : مَنْ العقل أوفر طباعه ، والعلم أفضل ذخائره ،

---

(١) ومن الآداب أيضا : فى ص ، وناقص فى س و ط و ف .

(٢) صفر الرجل صفرا (بالبناء للمجهول) : اجتمع فى بطنه الصفار ، فهو مصفور . والصفار حية فى البطن تلتصق بالضلوع فتعضها عند الجوع ، وقيل حيوان آخر يعض الضلوع والشراسيف ، وقيل دود فى البطن .

(٣) النحيزة : الطبيعة .

(٤) ط و س : التعاهد .

(٥) ط : والسعيد .

ومن لا يغنيه[١١١١] إلا القناعة ، ولا يؤمنه إلا البراءة ، ولا يوجب الزيادة(١) له إلا الشكر ، ولا يدفع عنه المكاره إلا الدعاء . ومن عدم العقل فلن يزيده السلطان عزاً ، ومن عدم القناعة فلن يزيده المال غنى ، ومن عدم الايمان فلن تزيده الرواية فقهاً .

ليس أحد من الناس إلا وله شبه : إما من ذاته ، وإما من غيره . فمنهم الغشوم كالأسد ، والخاطف كالذئب ، والخاتل كالثعلب ، والأبله كالحمار ، والحسن المنظر دون المخبر كالدفلى (٢) ، والمحمود الظاهر المذموم الباطن كالتمر ، والرديء الظاهر الجيد الباطن كاللوز ، ومنهم الجامع لكل ما يحمد كالأُتْرجة(٣) الجامعة مع حسن المنظر طيبَ الرائحة والطعم .

لا يعدُّ الملك الكذوب ملكاً ، ولا الناسك الخادع ناسكاً ، ولا الأخ الخاذل أخاً ، ولا مصطنع الكفور منعماً .

إذا كان العالم(٤) غير مُعَلِّم قل غناء علمه ، كما يقل غناء الكثير المال البخيل .

لا ينبغي للعاقل أن يحزن لأمرين : إما أن يكون ما أتاه من المكروه له مدفع ، فيحتال له بقلب غير مشغول بحزن ؛ وإن لم يَرَ لما أتاه وجهاً ولا مدفعاً ، ألزم قلبه الحيلة للصبر .

ليس المحسن من توخى المحسن بالاحسان دون المسيء ، ولكن من عمهما جميعاً بالاحسان : ألا ترى الصدوق يصدق من كذبه ، والأمين يؤدي الأمانة إلى من خانه ، وأن العاقل يعول على من جارعليه ؟ — فكذلك(٥) المحسن : يحسن إلى من أساء إليه ، ويعفو عمن ظلمه ، ويجود على من بخل عليه .

---

(١) ط : له الزيادة .

(٢) الدفلى (بالدال المشددة بعدها فاء ساكنة ولام مفتوحة) : نبت مر زهره كالورد الأحمر ، وحمله كالخروب .

(٣) الأترجة : ثمر شجر من جنس الليمون ناعم الورق والحطب ، ويقال الأترج والترنج .

(٤) ص : غيره . (٥) ص : وكذلك .

من أولى إليه[١] من المعروف ما يكل منطقه عن ذكره وتعجز قوته [١١١ ب] عن المكافأة ، فلا يعجزن عن مودة من أسدى إليه ذلك وصدق النية بالحب له .

لا يوجد العاقل يجزع من جفاء الولاة وتقريبهم الجهلة دونه ، لعلمه بأن الأقسام لم توضع على قدر الأخطار .

العاقل موفق للرشد فى كل أمره ، فلا تلقاه إلا ناصحاً للولاة ، موقِّراً للرؤساء ، متحرزاً من الأعداء ، غير حاسد للأصحاب ، ولا مخادع[٢] للأخيار ، ولا متحرش بالأشرار ، ولا مشاغب للمُدارِس ، ولا مُلاحٍ للسلطان ، ولا مُرَجٍّ[٣] فى الولاية .

وصية لأفلاطن[٤] فى تأديب الأحداث

نقلها اسحق بن حنين[٥]

قال :

لست أخاطب الطبقة العالية فى الفلسفة والبلاغة ، ولا الطبقة الدون منها ؛ لكنى أتوخى الطبقة الوسطى بين الطبقتين فأقول ما أقوله :

إنه يجب أن أذكر نفسى وأحضها على الأدب ، دون أن أحوج غيرى إلى تقويمى وتأديبى[٦] ؛ فان من[٧] شرط العقل أن أقيم نفسى مقام الممتحن لها وعليها . فاذا فعلت ذلك كانت لى حصة مع الذين قَوَّمهم الأدب . أترانى لا أعرف نفسى[٨] وأنى لست بالحكيم ولا المستقل بالتعليم لأنى إلى هذه الغاية متعلم وطالب الحكمة ؟! فليت شعرى من الكاتب البليغ الذى يأتى بعدى ، ومن الواضح للنواميس[٩] المتحير الطبع ، المتخير[١٠] للآباء ، المقسِّم لمعانى كلامه والذى

---

(١) من : ناقصة فى ط .

(٢) ط : ولا مخادعا ... متحرشا ... مشاغبا ... ملاحا (!) .. مرجا .

(٣) س ، ط : مرج . (٤) ف : أفلاطن .

(٥) نقلها اسحق بن حنين : ناقص فى ط ، وموجود فى ص و س و ف .

(٦) ط : تأديبى وتقويمى ، وكذا فى ف .

(٧) من : ناقصة فى ف .. (٨) ف : فانى كنت .

(٩) س : للناموس / ف : ومن المواضع .

(١٠) ف : المتخير الطبع المتحير للآباء .

يحسن أن يكون واسطة بين الأستاذين والمتعلمين وأن يقنع الفريقين معاً ، فيرضى الطبقة العالية ويؤدب الطبقة التي دونها من الأسافل ، من غير أن يتعسف أولئك ولا يبكت هؤلاء ، ولا يكرم هؤلاء على الماجس [١١١٢] ولا يبعد هؤلاء بالتخويف والارهاب ، ولا يقوم أولئك باختلاط ، ولا يستعمل مع هؤلاء التساهل والاهمال ، لكنه يسوى بين الصنفين : أعني الرياسة المؤدبة، والروية[١] المؤدبة بحسب ما تعلمه مني حتى يعلمهم ما أمرته[٢] به .

يا أيها المقرون بهذا التأديب ! لتكونوا معلمين ومؤدبين ، افهموا عني ما أوصيكم به وأرسمه لكم : لتكن سيرتكم مع تلامذتكم[٣] سيرة مستقيمة بلا زيادة ولانقصان . وبالله — المنشيء لكل أدب وعلم — أستحلفكم وأقسم[٤] عليكم : لا تتجاوزوا الحدود ، واعرفوا[٥] عاداتكم ، واحفظوا درج مراتبكم ، وتشبهوا بالضياء النفساني . وكونوا لهؤلاء التلاميذ مرآة مضيئة ، وكونوا[٦] دليلا لحريتهم ليتأدبوا بالحرية ، وأبعدوهم من كل لائمة قبيحة ، ومن كل[٧] شهوة تولد المؤلمات والموت . وامتنعوا من الشهوات المذمومة ، ومن أفعال الخطايا ، ولاتضلوا بحسن مناظرتهم . وليكن بينكم وبين الآلام النفسانية مناسبة، فان[٨] الحمية والأنفة من أجل ذلك . ولا تقربوا شيئاً يلحقكم منه عذل ، ولا تكونوا سبباً لعادة مذمومة يجترىء عليكم بها تلاميذكم ، ولا تبسطوهم للأكل معكم ، ولا تتكلموا بشيء يكره بين أيديهم ، ولا يكونَنّ لكم معهم سر ولا خلوة[٩] . فاذا أدبتموهم فلا[١٠] تكلموهم بكلام يكون مستوراً عن جماعة من بحضرتكم . ولا تهربوهم بالخدع ، ولا تتقربوا إليهم بالهبات والصلات ، ولا تضحكوا في وجوههم ، وعاملوهم بحسب استحقاقهم ، وعلموهم ألا ينحطوا عن مراتبهم من العلم فتنحطوا أنتم عن مراتبكم في التعليم ، ولا تخملوا[١١] بروئ [١١٢ب]

---

(١) ص : المروبة / ف المروية المؤدية .

(٢) ط : ما آمر به .

(٣) ف : تلاميذكم .

(٤) ف : وأقيم عليكم .

(٥) بغير واو في ف .

(٦) ف : فكونوا .

(٧) كل : ناقصة في ف .

(٨) ف : لأن .

(٩) ف : سلوة .

(١٠) ط : آذيتموهم .

(١١) ف : ولا تجعلوا .

الليل وبالظل الزائل ، ولا باللذة التى [١] لا دوام لها فتفسدوا خلاص أنفسكم ورياسة تعليمكم ، واستحيوا [٢] منهم وتصونوا وتوقروا وتحفظوا أنتم وتلاميذكم أيضاً بالوصايا المرتفعة عن كل طعن وقدح . وعودوهم أن يخدموكم ويخدموا كل واحد [٣] وما يشاكلكم من الاكرام ، فلا تمنعوهم إياه . ولا تؤدبوهم بالأدب إلا فى موضعه وعلى حقيقته ومن حيث لا يلحقكم فيه شك ولا ارتياب بأنكم ظلمتوهم وتعديتم عليهم . وإن تباهوا [٤] فغضوا منهم ، وإن ترفعوا فحطوهم [٥] ، ولا ترقُّوا للمتجاسرين منهم برقة الآباء ، ولا تحبوهم كمحبة ذوى الأنساب منكم . بل أدبوهم كالغرباء منكم ، ومن أول ابتدائكم بهم خذوا [٦] فى رياضتهم . وإن أحد من أهلهم وأقاربهم منعوكم من تأديبهم أيضاً [٧] وسألكم أن ترحموهم وترقّوا لهم فأخرجوهم من عندكم . ولا يكن تتويمكم لهم وضربكم إياهم على غضب واختلاط ، ولا تتركوهم إهمالا [٨] لهم وقلة عناية بهم ، ولا تسيروا بلا ترتيب ، ولا تتركوهم من غير حد يعرفونه لأنفسهم . وإياكم أن تتأملوا أبدانهم وتخاطيط صورهم . وكلما أحببتموهم وازددتم عناية فأقيموهم مقام الأعداء . ولا تنسوا التعليم الروحانى من قبل الكرامة العالمية . وداووهم ، إذا احتاجوا إلى الأدوية ، بالأدوية [٩] الملطفة حتى تصفوا أذهانهم ، ليكون لهم بما يفيدونه [١٠] من علومكم شرف وافتخار . وعودوهم الاحتماء من الأطعمة المولدة للنسيان كالباقلاء ، واللوبياء ، والثوم ، والسم القاتل الذى هو الكزبرة [١١] ، ومن سائر الأطعمة التى تشبه هذه . [١١٣ا] وعودوهم ألا يأكلوا إلا فى أوقات معلومة محدودة [١٢] ، ومن أطعمة لطيفة . وحذروهم

---

(١) لا : ناقصة فى ص ·
(٢) ص : منه ·
(٣) ط : أحد ، وكذا فى ف ·
(٤) ط : تتايهوا · ــ وتتايه : تباهى وادعى الصلف / ف : فان تباهوا ·
(٥) ف : فحطوا منهم ·
(٦) ف : فخذوا فى رياضتكم ·
(٧) أيضا : ناقصة فى ف ·
(٨) ف : اهمالا وقلة عنايتكم بهم ·
(٩) بالأدوية : ناقصة فى ف ·
(١٠) ص : يفيدونهم ، وكذا فى ف ·
(١١) ف : الكسفرة ــ والكزبرة لغة فى الكسبرة ؛ وقال أبو حنيفة : الكزبرة (بفتح الباء) عربية معروفة ؛ وقال الجوهرى : الكزبرة (بضم الباء) من الأبازير وأظنه معربا ؛ وهى نبات الجلجلان ·
(١٢) الواو ناقصة فى ط ·

الشره والسكر والخروج عن الاعتدال. وحُضّوهم على الاستعداد لكل ما يصلح ويشاكل حاله عليهم (1) . وامنعوهم (2) من النظر الشهواني المردى المؤدى إلى الفسق . ولا تطلقوا لهم المشى السريع السخيف . وأقيموا عليهم رئيساً منهم يشرف عليهم ، وليكن متقدماً : غنياً كان أو فقيراً ، جميلا كان أو قبيحاً . ولا تنظروا إلى حسن الوجه مع قبح السيرة ، بل انظروا إلى حسن الفعل . وليكن المدبر لهؤلاء الأحداث من يوثق به، عالماً(3) ذكياً مهيباً غير معروف بسوء اللقاء وقبح المعاملة وفساد السيرة . ولا تصحبوا المعروفين بالأفعال القبيحة ، وتباعدوا منهم . فاذا أصبتم مثل هذا الرئيس الموصوف بالصفات الحسنة فلا ضير أن تجعلوا في يده أموالهم وأملاكهم ليدبرها لهم . وقابلوا كل من تؤدبونه(4) بما يشاكله من التأديب. ولا يكن تأديبكم (5) لهم بغير تمييز وترتيب . حَمِّلوهم ما يقوون عليه من التأديب ، ولا تميتوا قلوبهم بالالحاح عليهم وتجشيمهم(6) ما لا يفون به(7) . وأقيموا عليهم منهم رؤساء ألوف ورؤساء مئين ورؤساء خمسين ورؤساء عشرة ، وكل واحد منهم(8) يأمر تلاميذه وينهاهم . ومتى زال رئيس منهم عما تأدب به وأدبهم ولم يستعمل ما يجب عليه مما يوصيهم به ، فلينحّ ذلك الرئيس(9) عن مرتبته،ويقام فيها غيره ، فليس من الحزم أن يوثق بخائن ولا كاذب ؛ ولا يقبل منه اعتذار(10) من يقتل النفس عامداً . فان أخطأ حَدَثٌ ممن يسمع التأديب[113ب] أو زل ، غفرت زلته واحتمل دفعتين أو ثلاثة . فان عاد بعد الثلاثة نحى عن جملة المتأدبين وهجر لئلا يفسد سائر من يروم التأديب .

أيها الاخوة المحبون للعلم ! اسمعوا واحفظوا وصاتى ، فإنى كأحدكم :

---

(1) ص : حلاله .

(2) ص : أمنعهم . ط : أمتعوهم (بالتاء المثناة) .

(3) ف : ذكيا عالما .

(4) ط : تؤدبونهم ، فى ف : تؤدبوهم .

(5) لهم : ناقصة فى ص .

(6) ص : تجشمهم .

(7) ف : مالا يقوون به .

(8) منهم : ناقصة فى ط .

(9) ف : منهم عن .

(10) ص : ومن .

كنت ، لما أحببت العلم ، فانى كاتب لكم مقالة سهلة ، أبين لكم المدخل إلى العلم (١) بكل صناعة نُطْقية(٢) ينعم بها ويلذها كل محب يتعلم . فأول ذلك أن تكونوا طاهرين لا عيب فيكم قبل أن تشرعوا فى هذا العلم ، فانه لا يجب أن تقرب الأشياء الطاهرة إلى الأشياء الدنسة ، ولا الأشياء الدنسة إلى الأشياء الطاهرة . ولا تعلموا الذين ليسوا طاهرين ، بل الذين هم أطهار أبرار طهارة حسنة . ولا يقرب ذو العيب الدنس إلى المبرأ (٣) من العيب والدنس . وليعلم أنه لا يصاب مكيال من ماء عذب صاف نظيف(٤) يقاوم حُبّ حَمْأة(٥) منتنة ، ولا تقوى الأعين الرمدة على حرق شعاع الشمس — كذلك لا يكون أدب النفس فى بدن قد استجن فيه الجهل والشره .

لا قبح أقبح بالعاقل من أن توسم نفسه عند الناس بالعقل ويأمرهم بذلك (٦) وهو خلو منه ، صفر من الأدب ، مرتكب للمآثم . إن الحكمة والتشبه(٧) بالله — عز وجل — هو المعلم للحكمة والمرشد إلى الأفعال الجميلة الفاضلة الموفق لها . إياكم والحسد ، فانه المفرق والمشتت ، وليتواضع بعضكم لبعض . تساووا فى المحبة الكاملة . أسلموا أنفسكم لله وللعقلاء الكاملين الذين يستحقون الرئاسة بأفعالهم واقتصارهم (٨) وقناعتهم ولا تتكلوا على المفتخرين بالآباء الذين ولدوهم(٩) ولم يؤدبوهم بأدب النفس ولزوم ما وجب عليهم ، وادعوا إرثَ الآباء عند التلاميذ من غير [١١٤ا] استحقاق له قِبَلهم — أولئك حزب الظلمة وأعداء الحكمة ومصيدة الشياطين ، والهرب(١٠) منهم والتباعد عنهم أولى .

(١) ص : فى .
(٢) ص : نظيفة التى — وكذا فى ف ؛ والتصحيح عن ط/ف : يتنعم لها كل محب متعلم .
(٣) ص : البراء / ف : من المبرأ من الدنس .
(٤) ف : لطيف .
(٥) الحب (بضم الحاء المهملة) : الجرة الضخمة والخابية . والحمأة والحمأ : الطين الأسود المنتن .
(٦) ف : به .
(٧) ط : جل وعز هو المعلم .
(٨) ف ، ص : اقتصادهم .
(٩) ط : أولدوهم .
(١٠) ف : فالهرب .

وليجعل كل واحد منكم صاحبه كنفسه وموضع سره . وليحفظ كل واحد منكم صاحبه حتى يكون بعضكم حافظاً لسر[1] بعض . كونوا سامعين مطيعين كاملين حريصين على طلب الحق والحكمة ، مجتهدين ، مناضلين عن الحق ، محبين للصدق ، مجادلين عن العلم ، عارفين بالأزمنة واختلافها ، مبغضين للمارين ، معتمدين لتمكين الصلاح والسكون والهدوء والسلامة ، متكلمين عن أهل الخير ، ناظرين بأعينهم وقلوبهم نظر المتواضعين لا المتكبرين ، آنفين أنفة الآلهة ، دارسين — دراسة دائمة — الموتَ الاختبارى ، متفكرين فى الروحانيات ، محبين للكلام الذى يؤديكم إلى الحياة [2] الدائمة ، محبين للفضائل ، متمسكين بكل المحاسن .

لا تتحملوا ثقل التكبر ، ولا تتعدوا أقداركم ، ولا ترفعوا بالصلف ، ولا تتعظموا بالافتخار ، ولا تأخذوا بأخلاق الجبابرة ، وابعدوا [3] من أنكم لا تدرون[4] ، وكونوا علماء بما تعملون . لا تتجاسروا[5] على تعدى حدودكم ، ولا[6] تماروا فيما لا حقيقة له ، ولا[6] تجادلوا بالكذب ، ولا تتكلموا بالهذر[7] ، واحذروا الشهوات القبيحة ولا تُعَوّدوا أنفسكم الميل إليها ؛ والزموا قراءة الكتب الأدبية ولا تملوا ، وأحسنوا [8] الانصات[9] للحكماء ؛ وارهبوا آباءكم ، وأكرموا أمهاتكم ولا تحبوا [١١٤ب] النوم والكسل ، وميزوا بين الخير والشر ، واعرفوا الربح من الخسران ، وإذا لم تسألوا فلا تجيبوا ، وتنكبوا الخصومات ، واستعملوا الأغذية الملطفة ، وتباعدوا عن الشره للأطعمة ، ولا تكثروا من شرب الخمر ، وليكن لغذائكم وقت معلوم ، وصيروا[10] العسل أُدْماً لكم إن قدرتم عليه ، وأكثروا

---

(١) ص : سر .
(٢) راجع رسالة التوحيدى بعنوان : « فى التشويق الى الحياة الدائمة » ، وقد نشرناها بالقاهرة سنة ١٩٥٢ .
(٣) ص : وابعدوا من ألا تدروا .
(٤) ف : وابعدوا من أنكم لا تدروا أنكم لا تدرون .
(٥) ف : ولا .
(٦) ف : لا .
(٧) ط : بالغدر .
(٨) الواو ناقصة فى ط .
(٩) ط : الانصاف .
(١٠) ص : صيرا .

ذكر[1] آلاء الله وإحسانه فرادى ومجتمعين ، ولا ترفعوا أصواتكم عند من هو أسنُّ منكم ، ولا ترادوهم الكلام ، ولا تطلقوا ألسنتكم بحضرتهم بكلام جافٍّ ، ولا تؤثروا لذة المآكل على لذة العلوم ، ولا تحرصوا على شرب الخمر[2] الذى يجعلكم بمنزلة المجانين ، ولا تشتغلوا بذكر مساوئ غيركم ، ولا تظنوا بأنفسكم أنكم حكماء ، بل إنما يجب أن يشهد لكم بالحكمة غيركم . وإذا صح كلامكم وظهرت حجتكم فلا تعجبوا بأنفسكم ، ولا تفتخروا بما ظهر منكم من غلبة خصومكم ، وآثروا الوحدة والدعة والسكون ؛ ولا تطلبوا الرئاسة ، فانْ أكرمكم إنسانٌ فتواضعوا أنتم فى أنفسكم ، وإن سلطوكم[3] على أمر من الأمور فأحسنوا[4] فيه ؛ واكظموا الغيظ ولا تسرعوا[5] إلى الغضب ؛ وأكرموا أنفسكم فانكم تربحون بذلك كرامة كبيرة[6] ، ولا تمضوا[7] شيئاً فى وقت الضجر ؛ وامتحنوا الأصدقاء قبل أن تصادقوهم ، ولا تصادقوهم قبل الامتحان ؛ ولا تقوموا فى الأسواق ، وإن[8] تهيأ لكم ألا تمشوا فيها فافعلوا ، فان الأسواق مزابل المدن وليس يجد الإنسان على المزابل شيئاً نظيفاً ولاطيباً ولا طاهراً[9]. ولا تصغوا إلى أقاويل العامة ، وخاصة أهل الأسواق[10] ، فانهم همج رعاع ولا تحصيل لهم[11] [١١١٥] ولا رأى عندهم ولا معونة[12] حقيقية . ولا تطلعوا أحداً على أسراركم . وكلموا الرؤساء بتواضع ولطف ، وتطأطأوا لكل أحد . وأقللوا من[13] التعرف إلى الناس ، فانكم قلما تتأذون إلا بمن يعرفكم ، وليس يكاد يؤذيكم من +لا يعرفكم ؛ ولا تطمعوا[14] فيما لا تنالونه+. ولا يعظمنَّ فى

---

(١) ص : ذكر الله واحسانه — ف : ذكر الله عز وجل واحسانه .

(٢) الذى ... المجانين : ساقطة من ف .

(٣) ط : سلطكم مسلط ، وكذا فى ف .

(٤) ص : وأحسنوا .

(٥) الى : ناقصة فى ط . (٦) ط : كثيرة ، وكذا فى ف .

(٧) الواو ناقصة فى ط . (٨) ط : فان .

(٩) ولا : وردت فى ط ، وناقصة فى ص ، ف .

(١٠) ف : السوق . (١١) ف : عندهم .

(١٢) ف : معرفة . (١٣) من : ناقصة فى ط .

(١٤) ص : تطعموا . — ولا ... تنالوه : ناقصة فى ط .

(+ .. +) ما بين العلامتين ساقطة من ف .

عينكم[1] ما يعظم فى عين كثير من الناس من أعراض هذه الدنيا . وإذا أنكرتم على إنسان يهمكم أمره شيئاً فعاتبوه عليه من وقته . ولا تكونوا ذوى وجهين ولسانين . ولا تكن مردتكم مستحيلة مختلفة كاختلاف[2] ضوء القمر . وكونوا كالشمس التى نورها فيها دائم لا يزيد ولا ينقص . ولا تتبعوا شهوات الناس فى الأحكام ، لكن كونوا حكماء بلا محاباة لأحد منهم . ولا تغتابوا من غاب عنكم . ولا تحلفوا يميناً على جهة إرضاء النـــاس . ولا تكونوا فى سلطان إن كانوا لكم عاصين[3] ظالمين . واحذروا من الملاهى الشائنة لكم ، ومن اللعب المضل لأذهانكم ، ولا تواصلوا الضحك ، ولا تموا إلى الخدع الآخذة بالعين المحدثة بالباطل التى تحدث فى أنفسكم اضطراباً . ولا تجالسوا من يزين لكم الشهوات القبيحة [4] والذين يغالطونكم بالحيل ويدسون فيها الشهوات الرديئة والآراء الفاسدة التى تهون عليكم التعرض للأفاعى والحيات والسموم والعقاقير والأدوية القتالة ، ومن الذين يظهرون الأشياء العجيبة التى لا دوام لها . وتجنبوا الشعبذة وطلب السحر والرقى والكلام المضحك [5] . واحذر العدو الذى يريك الصداقة ، ومن أخ لا صدق لكلامه ولا صحة لضمانه ولا صواب فى منطقه .

والذى ينبغى للأحداث أن يأخذوا طرفاً منه [6] [١١٥ب] الأسبابُ التى يحتاج إليها فى تدبير الحروب وترتيب الصفوف وتعلم [7] المثاقفة والرمى والمصارعة والطلب والهرب من غير استهانة به [8] ولا انهماك فيه . وليتعودوا ركوب الخيل وجريها [9] والعمل بالسلاح . وينبغى أن ينظروا فى الموسيقى ، فانه من التعاليم الأربعة[10] ، حتى يقفوا على المناسبات وتأليف اللحون وأصناف ما ينسب

---

(١) ف : صدوركم .
(٢) ط : ضوء ، وكذا فى ف / ص : صور .
(٣) ف : غاصبين واحذروا ...
(٤) ط : الردئة . ـ والذين ... ـ الردئة : ناقصة فى ط .
(٥) ف : احذروا العدو الذى يريكم الصداقة .
(٦) ف : من .
(٧) المثاقفة : الملاعبـــة بالســـلاح ، وهى محـــاولة اصــــابة الغرة فى المسايفة ونحوها .
(٨) به : ناقصة في ف . (٩) ط : وحربها .
(١٠) التعاليم الأربعة = quadrivium ، وهى الحســـاب والهندســـة والفلك والموسيقى .

إليها من العود والمعزفة[١] وسائر آلات الموسيقى ، وأفضلها الأرغن التى عليها ثمانون وتراً مهيأة على الطبائع الأربع .

واعلموا أنكم إذا اتصفتم[٢] بهذه الحكمة وتمسكتم بها وأرشدتم إليها كنتم كالنور المشرق على الخلائق . فاجعلوا شكركم لله المدبر للكلّ الأزلى القائم بالحق والقسط . ومن خالف هذه الوصايا ، فالواجب على المتقلّد للاشراف على المتأدبين تقويمه وتأديبه ، فان لكل خطأ عقوبة : إما عاجلا ، وإما آجلا . فيجب أن تقدم عقوبة العاجل لئلا يفسد الناس ويقتل بعضهم بعضاً بالقهر والغلبة وضروب[٣] الشر . فمن[٤] لم يمتنع ولم ينته عما ينهى عنه اطرح ولم يقبل فى جملة المتأدبين ولا يسقى ماء الحياة . فأما المتقلد التدبير[٥] فى الأحداث فيجب عليه أن يكون كالمرآة المضيئة ، لأنه القائم بالرئاسة .

فمن قصّر فى هذه الوصايا فليكن مبعداً منحى عن هذا التعليم الشريف[٦] .

تمت وصايا أفلاطن فى تأديب الأحداث . ولله الحمد[٧] .

.·.

قدم[٨] رسول أرسطوطاليس[٩] على الاسكندر ، فمكث طويلا لا يتكلم . فقال له الاسكندر : إما أن تقول فأسمع ، وإما[١٠] أن أقول فتنصت . فقال الرسول : أيها [١١٦ ا] الملك ! التخير إليك ، لا إلىّ ؛ والطاعة علىّ لا عليك. فقال الاسكندر : ما فعل الحكيم ؟

---

(١) ف : والمعرفة سائر آلات ...

(٢) ف : تصفيتم . (٣) ص : وضروب الشىء .

(٤) ف : ممن — وهو تحريف واضح .

(٥) ط ، ف : لتدبير الأحداث .

(٦) الشريف : وردت فى ص ، ولم ترد فى ط و س و ف .

(٧) س : والحمد لله وحده . ط : والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلواته على سيدنا محمد النبى وآله الطاهرين وسلامه / تمت ... الحمد : ساقطة فى ف .

(٨) فى ف عنوان : كلام رسـول حكيم ورد فى رسالة لارسطاطاليس الى الاسكندر .

(٩) ف : أرسطو . (١٠) ف : أو أقول فتنصت .

قال : أيها الملك ! جَدَّ فى الجهاد ولقد كان[١] حذراً مستعداً .

قال : ما بلغ جِده ؟

قال : عينه لا تسكن ولا تطرف ؛ ولسانه لا يفتر ؛ الدنيا عنده كالقيح[٢] والدم .

قال : كيف عمل فى الرعية بعدى ؟

قال : أنار القلوب المظلمة فى الصدور الخربة ، وكنز فيها الحكمة ، وأمات فيها الجهالة .

قال : فما لباسه الظاهر ؟

قال : الزهد فى الدنيا والامتناع من شهواتها .

قال : فما لباسه الباطن ؟

قال : الفكر الطويل والتعجب الدائم .

قال : وممن[٣] ذاك ؟

قال : من أهل الدنيا كيف اغتروا بها ، ومن أهل التجربة كيف وثقوا بها.

قال : فمن أيهما[٤] كان أشد تعجباً ؟

قال : من مصروعها كيف عاودها ، ومن مسلوبها كيف راجعها ، وممن مات أبوه كيف رجا البقاء ، ومن غنيها كيف فرح بما ليس له ، ومن فقيرها كيف حزن على فوت ما يشقى به الغنى .

قال : فمن أيهما كان أشد تعجباً ؟

قال : من جميعهما [٥] سواء ؛ وذلك أن هذا فرح بما ليس له ، وهذا حزن على فوت ما يشقى به الغنى كيف لم ينله ، فأحب أن يَثْقل ظهره وهو خفيف الظهر ، وأحب أن يكثر همه وهو قليل الهم والغم ، وأراد أن يكون فى تعب ونصب وهو مستريح ؛ وإنما يكفيه من الدنيا ما يسد جوعته [٦] ويذهب ظمأه ويستر جسمه .

---

(١) لقد : ناقصة فى ص .
(٢) ف : كالقبيح .
(٣) ط : ومم .
(٤) ط : أيهم .
(٥) ط : جميعها .
(٦) ط : جوعه .

قال : أهو فى دوام الملك أظهر سروراً ، أم فى زواله ؟

قال : بل فى دوامه للملك .

قال : ولم ذاك ، وليست الدنيا من شأنه ؟

قال : للقدرة على إظهار الحكمة فى سلطانه [١١٦ب] والاستمكان من إفاضة العلم وإشاعته وتقريب الحكماء والعلماء وأخذ الرعية بالأدب العائد بالخير ، ودرك الأجر فى تبصير أهل الجهالة وحمل الناس على حسن الهدى والسيرة الفاضلة والقوة على رفض الدنيا ونبذ الشهوات وترك اللذات عند القدرة عليها والتمكن منها والامتناع عليها عند تكاثرها وتواترها ؛ فان الدنيا لم تغلبه على نفسه ولم تورطه فى فخاخها ولم تمده بحلاوتها وأنواع خُدعها وزخارفها المموهة وأسباب غرورها التى يسرع إليها أهل الجهالة ، ويسعى إلى النشوب فى تلفها أهل الغرة الذين لا يفكرون فى عواقب الأمور ، فمرح بأن غلبها ولم تغلبه ، وقهرها ولم تقهره ، وضبطها ولم تضبطه ولم تضطهده إذا نصبت حبائلها ؛ ولكنها كلما لمعت له ازداد منها بعداً ، وكلما تزينت له ازداد منها استيحاشاً ، وكلما تقربت إليه ازداد منها نفوراً .

قال : كيف كانت هيبته للموت وخوفه من الوقوف على حسيب النفوس وديانها ؟

قال : كان إلى الموت مشتاقاً ، ولما بعده مرتجياً .

قال : ولم ذاك ؟

قال : لأنه افتدى نفسه بالدنيا ، وفك رهنه بالبر ، وباع نفسه بالآخرة ؛ فسعى الحكيم لآخرته ، واشترى[1] النعيم الباقى بالنعيم المنقضى ، وصار الموت عنده نجاة من الحبس ، لا يسلبه الموت شيئاً مما تقدم من الخير وتزود من الحسنات .

قال : فما أغلب طباعه عليه ؟

قال : الرحمة لكل أحد ، والكف عن أذى كل أحد ، والاحسان إلى كل أحد ، وتوقير[2] أهل العلم والحكمة ، وبذل فوائد الخير للمستفيدين ، وشكرهم

(١) ط : فاشترى .   (٢) ط : والتوفير لأهل ...

على تعلم الحكمة [١١١٧] والاستفادة والسؤال والطلب ، وكان يقول : ضنُّ الرجال(١) بالعلم والحكمة المُقَرِّبين إلى السعادة من أشد القسوة وأعظم الإثم .

قال : فكيف تركت أهل البلاد ؟

قال : استل الجهل سيفه ، وأفلت من إساره ، وعز بعد ذله ، وفغر الحرص فاه متوقداً متضرماً مستولياً غالباً ، فتغلب خُشارة(٢) الناس ودهماؤهم على الحكماء والعلماء الصالحين فأذلوهم وهجروهم ؛ وانقطعت(٣) مواد العقول ، وضمرت النفوس ، ودخل الحزن علينا ، فنحن متبددون من أيدى الجهال ، منتشرون فى عيش كدر .

فبكى عند ذلك الإسكندر ، وقال : صابرنا وجهدنا فى طلب هذه الدنيا الغرارة ، وصابر العلماء وجهدوا فى رفضها : أبَوا أن يقبلوها ، وأبينا أن نرفضها فرغبنا فيما زهدوا فيه ، وزهدوا فيما رغبنا فيه ، فأعقبهم فعلهم سروراً دائماً ، وأعقبنا فعلنا حزناً طويلا ، فأصبحنا نرثى لأنفسنا ونغبطهم ، ونبكى لأنفسنا(٤) ونفرح لهم . فالويل والثبور لمن سلبت منه الدنيا(٥) وجميع ماجمع فيها ونَصِبَ فى ادخاره منها ولم يدرك الآخرة .

* *

قال سقراط : الرجال أربعة : جواد ، وبخيل ، ومسرف ، ومقتصد . فالجواد من أعطى نصيب دنياه لنصيبه من آخرته ؛ والبخيل هو الذى لا يعطى واحداً منهما نصيبه(٦) ؛ والمسرف الذى يجمعهما لدنياه ؛ والمقتصد(٧) هو الذى يعطى كل واحد منهما نصيبه .

وقال أيضاً(٨) : إذا كان العقل صحيحاً والفهم قوياً ، كان يسير التجربة له كثيراً . وأما قوة الأبدان فانما جعلت قسما لمن لاحظ له من العقل ، بمنزلة البهائم.

---

(١) ط : الرجل .
(٢) الخشارة من الناس : سفلتهم ودونهم .
(٣) ص : فانقطعت .
(٤) ونغبطهم ، ونبكى لأنفسنا : ناقصة فى ط .
(٥) الدنيا : ناقصة فى ص .   (٦) ط : نصيبهما .
(٧) ط : والمقتصد الذى يجمعهما يعطى كل واحد ...
(٨) أيضا : ناقصة فى ط .

وقال أيضاً [١] : الجاهل إن نطق أخطأ ، وإن [١١٧ب] سكت أخطأ ، وإن رأى عجز ؛ وإن سلك ضل جداً [٢] .

وقال أيضاً [٣] : الرخاء يبطر ، والبلاء يؤدب .

∴

قد أتينا على كثير من حكم الفرس والهند والعرب والروم . ولسنا نطمع فى استيعاب الجزئيات من الحكم . فلنقتصر [٤] على ما ذكرناه ، ليطرد متسقاً على أسماع الأحداث والمبتدئين المتصفحين لهذه الحكم [٥] الإلهية .

---

(١) أيضا : ناقصة فى ط . (٢) جدا : ناقصة فى ط .

(٣) أيضا : ناقصة فى ط . (٤) ص : فلنقصر .

(٥) لهذه الحكم الالهية : ناقصة فى ط و س .

< حكم الاسلاميين >

وهذه حكم للمحدثين من الفلاسفة والعلماء والملججين [١] فى طلب [٢] العلم من الاسلاميين : برزوا فى الحكمة ، وجمعوا حكمة المتقدمين إلى حكمة المتأخرين ، ووصوا بوصايا فاضلة على كثير مما تقدم . فأفردت [٣] لها هذا الباب لأختم به الكتاب ، إن شاء الله[٤] تعالى .

فمن ذلك وصية[٥] :

يا طالب الحكمة ! طهر لها قلبك ، وفرغ لها لبك ، واجمع إلى النظر فيها همتك . فان الحكمة أعظم المواهب التى وهبها الله لعباده ، وأفضل الكرامة التى أكرم الله بها أولياءه ؛ وهى[٦] المال الذى من أحرزه استغنى به ، ومن عدمه لم يغنه شىء سواه ، والصاحب الذى من صحبه[٧] فى عمره لم يستوحش معه ، ومن فارقه لم يسكن إلى أحد بعده . هى[٨] للقلوب كالقطر للنبات ، ومن العقول بمنزلة الضياء من الأبصار . بطنت[٩] الحكمة لكل شىء ، وظهرت عليه ، وعلت فوقه[١٠] ، وأحاطت به : فلها بكل شىء خبر[١١] ، وعندها على كل خبر[١٢] شهادة . ومن أعظم شأنها أنها[١٣] ليس أحد إلا وهو منتحل اسمها ومتزين بها ؛ ولا حاجة بها إلى انتحال[١٤] شىء غيرها ، ولا التزين بغير زينتها . فان كنت من حملتها ففرغ لها قلبك ، وارفع إلى النظر فيها همتك[١٥] ، فانها أطهر من

---

(١) الملججين : أى الملحين .

(٢) طلب : ناقصة فى ط .

(٣) ط : فأفرزت .

(٤) ط : ان شاء الله ، وهو حسبى ، س : ان شاء الله تعالى وحده العزيز ، ولا حول ولا قوة الا به .

(٥) وردت هذه الوصية فى ترجمة مسكويه فى « منتخب صوان الحكمة للسجستانى » منسوبة الى مسكويه نفسه (مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٦٦٤٣ ح ، لوحة ١٦٤ – ١٦٨) .

(٦) فى « المنتخب » : هى .

(٧) فى « المنتخب » : من صحبها لم ...

(٨) ص : وهى . – فى « المنتخب » : كالقطرة .

(٩) ص : وطيب .

(١٠) وظهرت عليه : ناقصة فى ص .

(١١) ص : خير .

(١٢) فى « المنتخب » : على كل شىء شهادة .

(١٣) « المنتخب » : أنه .

(١٤) ص : الانتحال .

(١٥) « المنتخب » : فهمك .

أن تجامع دنساً ، وأنزه من أن تخالط قذراً . فقد[1] رأينا من أراد الغرس فى أرضه [١١٨ا] [2] يبدأ فيقلع ما فيها من غرائب النبت ، ثم يأتى بكرائم الغرس فينصبه فيها . وكذلك من طلب الحكمة ورغب فى اقتنائها ، فهو حقيق بأن يبدأ بما فى قلبه من أضواءها فيمحقها ويطهره منها مثل الهوى والشهوات المردية [3] ، ومثل الحقد والحسد ومحبة الكرامة والتسرع إلى الغضب ، وأشباه هذه الأشياء. فاذا تطهر منها استقبل الحكمة فأخذ منها [4] ما استطاع . فاذا أظفرك الله بالحكمة وزرع فيك [5] بذرها فلا يكونن زارع أولى بالقيام على زرعه منك ، ولا يمنعنك بُعْد غورها [6] وكثرة أشباهها منها ، فانها من المعونة على نفسها مثل الذى بالشمس للإبصار على استثباتها والاستبانة لها . فمن صح بصر نفسه ثم وصل بما صح منه إلى ما يرد عليه من الحكمة ، أورابه شىءٌ من الأمور لم يمنعه ما فاته منها أن يسمى حكيما ، ويلحقه ما ظفر به بالحكماء ، كما لا يمنع البصر ما فاته من المبصرات من أن يدعى بصيراً ويلحقه بالبصراء . فاذا صح لك من عقلك[7] ما تعرف به وجوه الحكمة وترغب به فى الخير وتميز بينه وبين الشر ، فليس بشهادة الناس ولا بما [8] يسمونه حكمة تكون حكيما ، ولا بعقولهم تعدُّ من العقلاء ، ولا بسائر ما يثنون[9] عليه من ودهم ونصائحهم تكون فاضلا . وإنما الناس رجلان : رجل لا خير فيه جاهل بحقيقة الحكمة فليس ملتفتاً إليه ، ورجل من أهل الحكمة لا يمنعك[10] مما سهل الله[11] لك به سبيل الخير ، بل يبذله لك ، لأنه ليس يباع بثمن ولا يمنع من طالب ، ولا يكتتم كاكتتام الذنوب .

واعلم أن العقل متوجه أينما وجه[12] له ؛ وله غناء أينما صرف ، وبعض مصارفه [١١٨ب] أنفع من بعض : فاذا صرف إلى الدين أحكمه وتفقه فيه ، وإذا[13]

---

(١) ط : وقد . ــ وكذلك فى « المنتخب » .
(٢) ط : فيبدأ .
(٣) المردية : ناقصة فى ط .
(٤) ما : ناقصة فى ط .
(٥) ط : قبل .
(٦) ط : عودها .
(٧) ص : عقلك .
(٨) ص : ولا .
(٩) ص : عليهم .
(١٠) ص ، « المنتخب » : ما .
(١١) ص « المنتخب » : له به .
(١٢) له : ناقصة فى « المنتخب » .
(١٣) ص : فاذا .

صرف إلى الدنيا أغنى بها واحتال فيها . فليس مستودعاً شيئاً إلا حفظه ، ولا مصبوغاً بصبغ إلا قبله ، ولا محملا رشداً ولا غياً إلا تحمله(١). فإياك أن تعدله (٢) عن رشد ، أو تصرفه إلى غي عامداً أو مخطئاً ، فإنك لست محكماً به شيئاً من أمر دنياك إلا أضعت به أكثر منه من أمر دينك (٣)، ولا حافظاً به شيئاً من الأدب غير النافع(٤) إلا أضعت به أكثر منه من نافع الأدب . غير أنك تجمع(٥) إلى ضياع العناية بما لا ينفع استيجاب التبعة فيما أضعت . وليس شيء من أمر الدنيا صرفت إليه عقلك فأحكمته إلا سيعود محكمه عن وشيك ضائعاً وصالحه فاسداً ، لا يصحبك منه شيء في آخرتك ، ولا يوثق ببقائه لك في دنياك . وإنما وهن أمر صاحب الدنيا (٦) وبطل سعيه لأنه بنى في غير داره وغرس في غير أرضه ، فلم(٧) يكن له حين جاء من يشخصه إلا أن ينقضه ويدعه لغيره . ومن أخطأه العقل ظهر به الحمق والبله . ومن صرف عقله إلى غير الحق ظهر به الدهى(٨) ، وبعض الدهى أبلغ في الشر من كثير من الحمق . وإنما القصد في ذلك أن يصاب الحق ، ثم لا يصرف به عن جهته .

اعلم أنه من غابت الحكمة عن عقله عجز عن إنفاذ الأمور كما تعجز العين الصحيحة عن رؤية الأشياء عند فقد الضياء . ولا يسلم له حق ، وإن حسنت ولايته ؛ وذلك أنه كان جواداً ، أفسد جوده التبذير وسوء موضع الصنيعة . وذلك (٩) أنه يصرف العطية إلى من لا حق له مع منع ذوى الحق ؛ وإن كان بليغاً أفرط في القول وأخطأ(١٠) البغية ؛ وإن كان عالماً أفسد علمه العجب(١١) ؛ وإن كان[١١١٩] حليما أفسد حلمه الذل والمهانة ؛ وإن كان صموتاً أضر بصمته

---

(١) تحمله : ناقصة في ط . (٢) « المنتخب » : تعدل .
(٣) دنياك ... أمر : ناقصة في ص .
(٤) « المنتخب » : نافع . (٥) « المنتخب » : جمع .
(٦) « المنتخب » : الدنيا . (٧) « المنتخب » : ولم .
(٨) الدهى : الدهاء .
(٩) وذلك أنه : ساقطة في « المنتخب » .
(١٠) ط : بليغا أخطأ البغية وأفرط في القول .
(١١) العجب ... حلمه : ناقصة في « المنتخب » .

العى ؛ وإن كان ليناً بلغ لينه الضعف . فمن فقد الحكمة من أهل الخصال الحسنة ضاعت خصاله ، ومن فقدها من غيرهم هلك كل الهلاك .

فأما [١] أنت ! فلا تحمدن نفسك[٢] على صدق فى غير دين ، ولا تكن غاية الصدق فى نفسك أن تقول بما رأيت وسمعت : فان أكثر ما ترى غير نافع ، وجل ما تسمع كذب . ولا تكتفين مع ذلك من القول بالحق فى الدين دون صدق النية وصواب الموضع[٣] ، وأعنى بصواب الموضع أن ترغب فى الأجر ، وتحرص على الحظوة فتنطق فى غير موضع النطق ، أو تعطى من ينبغى أن تحرمه ، فان إعطاء الفاجر تقوية له على الفجور ، والنطق عند الجاهل إغراء له بجهله وحمل له على عداوتك — وكذلك جميع الفضائل إذا لم تستعمل فى مواضعها ضرت .

لا يرضينك من نفسك براءتك من ذنوب تركتها عجزاً عنها أو حياءاً منها أو رغبة عن أسبابها . ولا تعدن مع ذلك تركك لها على تلك الوجوه تركاً ، ولا براءك منها [٤] براءة ، فانه ليس بينك وبين مقارنة [٥] ما تركت إلا أن تمكنك أو يخفى لك . واعلم أنه لاحمد لك فى تركها إلا بعد القدرة عليها والاستمكان منها . فانه من كان شأنه[٦] ترك الذنوب مع القدرة عليها حمد على البراءة منها ومن لم يقدر عليها أو تركها لبعض ما ذكرناه من الحياء أو لنزاهة وكان من نيته ركوبها إذا زالت تلك الأعراض ، لم يبرأ من مذمته . وإن استطعت ، مع ذلك ، أن تكون ، فيما امتنع [١١٩ب] منك من عمل الخيرات ، على حال يعلم الله أنك إن قدرت عليه أمضيت العمل به فافعل ، فانك إذا كنت كذلك ثبت لك العذر بما تركت وحق لك الأجر بما نويت [٧] . وإن عجزت عن إصلاح نفسك بجميع[٨] الوصايا الحكمية فلا تدع أن تأمر به غيرك ؛ فانك [٩] إذا أطعت شاركت فى الأجر من أطاعك ؛ وإن عصيت لم يخطئك ثواب ما نويت .

---

(١) « المنتخب » : وأما . (٢) على صدق : ساقطة فى ص و ط .
(٣) « المنتخب » : الموضع — كليهما . (٤) « المنتخب » : منه .
(٥) « المنتخب » ، ص : مفارقة . (٦) « المنتخب » : من .
(٧) الواو ناقصة فى ط و « المنتخب » .
(٨) ص : فجميع .
(٩) ط : ان . — « المنتخب » : فان أطعت شرك .

واعلم أن نفس الانسان قد وضعت بحيث[1] تكثر آفاته بين أعدائه ؛ فان هاج به الحرص أهلكه الطمع ، < وإن هاج به الغضب أهلكه الغيظ >[2] ، وإن عرض له الخوف شغله الحذر ، وإن أصابه نعيم دخلته العزة[3] ، وإن كفى بالغنى أطغاه المال ، وإن عضته الفاقة شغلته المهانة ، وإن رزق الكفاية عرض له الكسل ، وإن أجهده الجوع قعد به الضعف ، وإن أفرط فى الشبع كظلته البطنة . فكل إفراط له مفسد ، وكل تقصير به مضر . فخير أحواله أن يقصر به عن الغنى ، ويدفع عنه الفاقة ، ويصرف عنه الطمع ، ويبذل له الكفاف ، ويمنع من الكظة ، ويقتصر به على القوت ؛ ولا يزال من أمره على قصد بين الغلو والنقصان .

إن كنت عرفت الهوى وعداوته للعقل ، فقد علمت أنه بعد درك العلم والتعب بالأدب الصالح ، يأبى ألا ركوب ما يشتهى ، والتثاقل عما لا يشتهى . فاذا رأيت منازعته إلى مضارّك ، وتثاقله عن منافعك ، فقابله بالورع ، فان الورع من قبل النية الثابتة والتمسك بالدين القيم . ومن عرف نفسه بالنية السيئة فليس يأمن الانقياد للهوى ، والانقياد للهوى استسلام ، والاستسلام هلكة . [١١٢٠] ولكن الرأى له إصلاح النية بالورع والدين ، وأن يجاهد بأحسن أخلاقه أسوأها جهاداً شديداً حتى يظفره الله — عز وجل[4] — بها وينتاشه منها ، إن شاء الله[5] عز وجل .

من يَخْـلُ[6] قلبه من مخافة خالقه لا يزال من أكثر خلائقه مرعوباً .

من كان ميله إلى غير رضا الله عز وجل كان ذلك الشيء هو الذى يهلكه .

ينبغى للعاقل أن يحفظ ما يحكم عليه عقله ويتقيه حتى لا يتسلط عليه

(١) « المنتخب » عبث لكثر آفاته (!) .
(٢) الزيادة فى « المنتخب » .
(٣) « المنتخب » : العزته (!) .
(٤) عز وجل : ناقصة فى ط .
(٥) الله : ناقصة فى ط و « المنتخب » .
(٦) « المنتخب » : نحل ... مرغوبا .

النسيان ، بأن يديم تعهده . وقد سمى قوم من أهل[1] الحكمة إدامة نظر العقول[2] إلى ما حصلت ذهناً .

وقال : إن الذهن لا ينام ولا يغفل ولا يسكن ولا يغيب عنه عقله ولا يحتاج إلى تذكير ؛ وهى هذه الدرجة العليا التى بها [3] يشبه من كانت فيه الملائكة والأرواح ، لأن العقل للبشر والذهن للملائكة ، فلذلك لا يعقل الانسان الشيء إلا بعد التفكر والتطلب والتميز[4] . وأما الملائكة فانها تنظر بالذهن كما ننظر نحن[5] بالعين ، بلا حاجة إلى تفكر وتميز وتطلب .

فصـــل

فى الذكر جلاء صدأ القلوب ، وتنبيه عن وَسَن النفوس ، وشحذ لما كلّ من الأفهام ؛ ولا سيما إذا استمع له السامعون باقبال من القلوب على تفهمه وصدق إرادة لهدايته ، وعزم على الانتفاع به ، وتلقٍّ له بقبوله ، والدوام عليه .

وللذكر ، على كثرة مناقبه وحسن ممادحه ، معارضات تحاول سلبه وتهجينه عند أهله ، يكثر عددها . فأحدها الإياس من إدامته ، والتزهيد فى القليل منه ، إذا لم يكن سبيل إلى إدامته — يحاول بذلك الشيطانُ قطع الذكر [١٢٠ب] وإبعادَه عن المسترشدين . ولكن الله — تعالى وتقدس — قد وهب لكل ذى عقل قوة يستعين بها على دفع هذه المكائد من الشيطان ، فانه قل مكتتَم[6] من العلوم إلا له ما يوضحه ، وقل[7] مشتبه إلا فيه بصائر يعطاه مستحقه وطالب الحق منه ، وقل مستغلق إلا له مفتاح يعطاه أهله حجةً من الله تعالى ليكون بعضه وصلة إلى بعض فيفهم المكتوم بالمكشوف ، والبواطن بالظواهر . فعارضوا هذه

---

(١) من أهل الحكمة : ناقصة فى « المنتخب » .

(٢) ط : نظر العقل الى ما حصله .

(٣) بها : ناقصة فى ط .

(٤) هذه التفرقة هنا بين العقل والذهن تسترعى النظر . فالعقل هنا يناظر intelligence أو Vernunft, intellect ؛ والذهن يناظر intuition .

(٥) نحن : زيادة فى « المنتخب » .

(٦) ص ، ط : مهما اكتتم . (٧) ص : قل ما اشتبه .

المكيدة بأن تعلموا وتقولوا لأنفسكم : أن رب موهوب له نفع الذكر ، ومنهى بثمرته من غير استدامة له ؛ وتزود القليل المرجو نفعه أقرب إلى الدرك من تعطيل الذكر كله . واعلموا أن مخالب هذه الغوائل وأنياب هذه المكائد ، وإن كثر تعاونها ، يكللها أدنى جنة تتلقى بها ويفلها أيسر مترس بالعلم؛ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً . ومن أكبر معارضات الذكر مكيدةً وأشدها على أهلها مؤونة وأحجبها لهم عن المعاودة أن يتصل بالذكر تكبير لمعصية كنتم تنطوون على الرخصة فيها ، أو فطام النفس عن عادة فى محرم كنتم تدعون تهوينه ، أو تغليظ فى إصرار كنتم لا تخافونه ، أو الإخافة من ذنب كنتم استشعرتم الأمن من عقابه، سيما إن أعان على طمع النفوس تأولُ آية على غير تأويلها، أو رجاء فى موضع يأس[1] من دركها ، أو استهانة فى موضع عزيمة فى مثلها — هنالك تجادل النفس عن أهوائها بتلك الشبهات ، وتذب عن شهواتها بتلك الأغاليط ؛ ويحملها ذلك على إنكار حقٍّ [١٢١] تسمعه ، وقبول باطل تميل إليه لتقيم على محرم ألفته وأمنيةٍ تركن إليها . وليس يتحرز من هذه المكيدة و نظائرها إلا بمعاقل العلم وبصائر البرهان؛ ولا تُرْتقى تلك المعاقل إلا باستشعار التواضع ومهاجرة الأهواء وتجريد العزيمة وإيثار المصدوق .

فأما الفكر فهو مفتاح كل علم ، ومستنبط كل حكمة ، وكاشف كل مستور ، واقتباس من نور الله ، وتزود من كل فائدة ، وشحذ للعقول المستبهمة ، وتدارك للحظوة الغائية[2] ، وبحث عن الكنوز المذخورة . فأحيوا بالفكر موات الهمم ، واجتهروا[3] بها دفائن الحكم ، واكشفوا ضباب الغفلة ، وحادثوا صقال النفوس .

أعاذنا الله وإياكم من مواقف الشبهات ومسالك الشهوات ، إنه كريم جواد لطيف بالعباد .

---

(١) يأس ... موضع : ناقص فى ط .

(٢) ص : الفانية .

(٣) اجتهر البئر : نقاها أو نزحها ؛ أى : استخرجوا .

فصـــــل

إن النفوس ، وإن غمضت مواضعها ، وخفيت أوعيتها ، ولطفت مسالكها — فهى أوعية حكمة لا تعدو معادن خيرات لا تنزح ، وخزائن عجائب لا تحصى . ثم هى مدبرة الأبدان وجوارحها ، والقائمة على سياستها ، والمسلطة على استخدامها وهى المعطاة خزائم الأجساد المطيعة لها ، وهى المملكة تصريف أعنتها . إليها تتناهى الجوارح بأعمالها ، وإليها تؤدى مكاسبها وتنتظر فضلها فيما توصل إليها من المعارف بالحواس ، وعنها تصدر الأقضية ، وإليها يأوى المحصول متصلة بالالهام والتأييد وقبول التوفيق . ولذلك قصدت إليها مكايد الشيطان ، وحشدت عليها غوائل المغتالين ؛ فليس يضرها نقص المشاعر مع تمامها ، ولا وهن الجوارح على قوتها ، ولا تخاذلها مع انتصارها [١٢١ب] ، ولا غفلتها مع تحفظها . فلا تغيبوا عن معارك النفوس فيستولى عليها [١] عدوكم ، ولا تعطلوا أفهامكم عن مشارفة سرائركم فتفسد علانيتكم ، ولا تخلوا منها مقام عقولكم فتستباح حرائمكم ، فان حرائم النفوس أضر استباحة ، والغلبة عليها أنكأ جراحة ، وسباؤها أعظم ترة ، وأسرها أعسر فكاكاً ، وأودها أبطأ استقامة ، وغصبها أكبر [٢] مرزية .

رب حيرة أدخلها على القلوب تقصيرها فى العلم ، وإدهانها [٣] فى الرخص ، وتمينها [٤] فى العبادة ، واحتجابها عن استماع الحجة ، وتصاممها [٥] عن منادى الحقيقة ، وتعاشيها دون برهان البصيرة . وليس كل عطية من الله استجابة ، ولا كل هبة مرضاة . وهذه ثلمة يدخل منها الشيطان ، ولم يخلها الله تعالى [٦] من إقامة حجة بازائها ، وتحصين لإعوارها ، وإنهاض لصرعاها . والسلام [٧] !

---

(١) عليها : ناقصة فى ط .

(٢) ص : وعصيها أكرم ربة .

(٣) الادهان : المصانعة والنفاق والموارة .

(٤) التمين : الكذب والتمويه والتضليل .

(٥) ط : تصامها .

(٦) تعالى : ناقصة فى ط .

(٧) والسلام : وردت فى س و ص ، ولم ترد فى ط .

آداب ابن المقفع ووصاياه

واسمه داذبه بن داذ حشنس[١] ويسمى بعبد الله

قال[٢] :

يا طالب الآداب[٣] ! اعرف الأصول والفروع ، فان كثيراً من الناس يطلبون الفروع مع إضاعة[٤] الأصول فلا يكون دركهم دركا[٥] . ومن أحرز الأصول اكتفى بهـا[٦] . فان أصاب الفرع[٧] بعد إحراز الأصل فهو أفضل .

فأصل[٨] الأمر فى الدين أن تعتقد[٩] على الايمان ، وتجتنب الكبائر وتؤدى الفرائض[١٠] . فالزم ذلك لزوم من لا غناء به عنه طرفة عين ومن

---

(١) ص : داذ حسنش ، وما أثبتناه عن س و ط .

(٢) هذا الفصل مأخوذ من الكتاب المسمى « الأدب الكبير » ، وقد نشره أحمد مفتاح فى « مفتاح الأفكار » (سنة ١٣١٤ هـ) ، وأحمد زكى باشا (سنة ١٩١٢ م) ، ومحمد حسن المرصفى (سنة ١٩١٣ م) والأمير شكيب أرسلان . ونشره كرد على فى « رسـائل البلغـاء » (ط ١ سنة ١٩٠٨ ، ط ٢ سنة ١٩١٢ ، ط ٣ سنة ١٩٤٤) عن نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ١٩٦٦ أدب ، وأخرى بدار الكتب المصرية برقم ٥٧ أدب . وسنشير هنا الى اختلافات القراءة بين هاتين المخطوطتين وبين مخطوطات كتابنا ، وسيتبين أن هذه الأخيرة أفضل كثيرا مما فى مخطوطات « الأدب الصغير » على أنه يلاحظ أن ثمت خلافا فى ترتيب الفقرات بين ما ورد هنـا وما ورد فى « الأدب الـكبير » برقم ١٩٦٦ وسنشير اليه بالحرف د ، ثم ما ورد فى « رسائل البلغاء » . وابتداء الكلام هنا وارد فى « رسائل البلغاء » (ط ٣ سنة ١٩٤٤) فى ص ٤٢ س ٣ ـ ص ٤٣ س ١١ .

(٣) كذا فى ص و س ؛ وفى ط : العلم . وفى د : يا طالب الأدب ! اعرف الأصول ثم اطلب الفصول .

(٤) ط : اضافة . وفى د : يطلبون الفصول مع اضاعة الأصول .

(٥) دركا : ناقصة فى « رسائل البلغاء » ، مع أنها وردت فى د .

(٦) د : بها عن الفصول .

(٧) فى « رسائل البلغاء » : الفصل ، وكذا فى د .

(٨) فأصل : ناقصة فى ص .

(٩) د : تعقد .

(١٠) د : الفريضة .

يعلم أنه (١) من حرمه هلك . ثم إن قدرت أن تجاوز ذلك إلى الفقه والعبادة فهو أفضل . +وأصل الأمر فى إصلاح الجسد ألا تحمل عليه فى المآكل والمشارب والباه إلا حقاً . ثم إن قدرت أن تعلم [١٢٢ ا] جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع به(٢) فهو أفضل+ . وأصل الأمر فى البأس ألا تحدث نفسك بالإدبار وأصحابك مقبلون على عدوهم . ثم إن قدرت أن تكون أول حامل وآخر منصرف ، فى غير تضييع للحذر(٣) ، فافعل ، فهو أفضل . وأصل الأمر فى الجود ألا تضن بالحقوق عن أهلها ؛ ثم إن قدرت على أن تزيد ذا الحق على حقه وتتفضل(٤) على من لا حق له فهو أفضل . وأصل الأمر فى الكلام أن تسلم من السقط بالتحفظ ؛ ثم إن قدرت على بلوغ(٥) الصواب فهو أفضل . وأصل الأمر فى المعيشة ألا تنى(٦) فى طلب الحلال ، وأن تحسن التقدير لما تنفق(٧) ، ولا تغرنك من ذلك سعة تكون فيها — فان أعظم الناس فى الدنيا خطراً أحوجهم(٨) إلى التقدير والملوك(٩) أحوج إليه من السوقة ، لأن(١٠) السوقة قد تعيش بغير مال ، والملوك(١١) لا قوام لهم إلا بالمال ؛ ثم إن قدرت على الرفق واللطف فى الطلب والعلم بالمطالب فهو أفضل .

وإن(١٢) ابتليت(١٣) بالسلطان فتعوذ بالعلماء ، واعلم أن من العجب أن الرجل يبتلى بالسلطان فيريد (١٤) أن ينقص من ساعات نصبه وعمله فيزيدها فى ساعات دعته ولهوه(١٥) وشهواته . وإنما الرأى له والحق عليه أن يأخذ لعمله(١٦)

---

(١) ص : أنه ، وكذا فى د .
(+ ... +) ما بين العلامتين ساقط فى د .
(٢) ط : بذلك .
(٣) د : للحزم فهو أفضل .
(٤) د : وتطول .
(٥) ص : بارع .
(٦) د : عن .
(٧) د : لما تغير وتنفق .
(٨) الى : ناقصة فى ص .
(٩) ص : فالملوك .
(١٠) د : فان .
(١١) د : وان الملوك ... لها ...
(١٢) الواو ناقصة فى ط .
(١٣) فى « رسائل البلغاء » ص ٤٤ س ٥ — ص ٤٥ س ٥ .
(١٤) ص : فزيد أن .
(١٥) د : وشهوته .
(١٦) د : بعمله .

من جميع شغله حتى يأخذ [1] له من طعامه وشرابه ونومه وحديثه ولهوه ونسائه . فان تقلدت شيئاً من أمور[2] السلطان ، فكن فيه أحد رجلين : إما رجلا مغتبطاً به فحافظ عليه مخافة أن يزول [3] عنك ، وإما رجلاً كارهاً له [4] : فالكاره عامل فى سخرة : إما للملوك إن كانوا هم سلطوه ، وإما لله إذ ليس فوقه شيء[5] . وقد علمت أن [6] من فرط فى سخرة الملوك [١٢٢ب] أهلكوه ؛ فلا تجعل للهلاك على نفسك سبيلا .

وإياك [7] إن كنت والياً أن يكون من شأنك حب المدح والتزكية ، وأن يعرف الناس منك ذلك [8] فيكون ثُلمة من الثلم يتقحمون عليك منها ، وباباً يفتتحونك[9] منه ، وغيبة يغتابونك بها ويضحكون منها .

واعلم أن قابل المدح كمادح نفسه ، والمرء يجب[10] أن يكون حبه للمدح هو الذى يحمله على رده ، فان الرادّ له ممدوح ، والقابل له[11] معيب .

لتكن [12] حاجتك فى الولاية [13] ثلاث خصال : رضا ربك ، ورضا سلطان إن كان فوقك ، ورضا صالحى من تلى عليه . ولا عليك أن تلهو عن المال والذكر ، فسيأتيك منهما ما يكفى ويطيب . واجعل الخصال الثلاث بمكان [14] ما لابد لك منه ، والمال والذكر بمكان [15] ما أنت منه واجد بداً .

لا يقذفن[16] فى روعك أنك إن استشرت الرجال ظهرت منك الحاجة إلى رأى غيرك ؛ فانك لست تريد الرأى للفخر به ، ولكنك [17] تريده

---

(١) د : فيأخذ . (٢) د : أمر .
(٣) د : تزول عنه . (٤) له : أثبتناه عن د .
(٥) د : اذ كان ليس فوقه غيره . (٦) د : أنه .
(٧) د : اذا . (٨) د : ذلك منك .
(٩) د : يستفتحونك . (١٠) د : جدير أن ... حبه المدح .
(١١) د : به .
(١٢) فى « رسائل البلغاء » ص ٤٥ س ٦ — س ٩ ، وفى د ورقة ٥ ب س ١١ — ورقة ١٦ س ٥ .
(١٣) ثلاثة : فى ص . (١٤) ما : ساقطة من د .
(١٥) ما : ساقطة من د . وفى د : بمكان أنت واجد منه بدا .
(١٦) فى « رسائل البلغاء » ص ٤٦ س ٢ — س ٥ . وقد وردت فى د (ورقة ١٦) بعنوان : « فى المشورة » .
(١٧) د : ولكنما .

للانتفاع به . ولو أنك مع ذلك أردت الذكر ، كان أحسن الذكرين وأفضلهما عند أهل [١] الفضل أن يقال : لا ينفرد برأيه دون استشارة غيره [٢] من ذوى الرأى .

اعرف [٣] أهل الدين وأهل الفضل والمروءة ، فيكونوا إخوانك وأعوانك وبطانتك وثقاتك .

اعلم [٤] أنك إن تلتمس رضا جميع الناس تلتمس ما لا يدرك . وكيف يتفق لك رضا المختلفين ؟ وما حاجتك إلى رضا من رضاه الجور ، وإلى موافقة من موافقته الضلالة والجهالة ! فعليك [٥] بالتماس رضا الأخيار وذوى العقل ، فانك متى تُصِبْ ذلك تضع عنك مؤونة ما سواه .

لتعرف [٦] رعيتك أبوابك التى لاينال ما عندك [١٢٣] من الخير إلا بها ، والأبواب التى لا يخافك خائف إلا من قبلها .

احرص [٧] كل الحرص على معرفة أخبار عمالك، فان المسىء يَفْرَق من خبرتك قبل أن تصيبه عقوبتك، وإن المحسن يستبشر بعلمك قبل أن يأتيه معروفك.

عود [٨] نفسك الصبر على من خالفك من ذوى النصيحة ، والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم ؛ ولا تسهل [٩] سبيل ذلك إلا لذوى العقل والسن ، لئلا ينتشر من ذلك ما يجترئ به عليك [١٠] سفيه ، أو يستخفُّ له شانئ [١١] .

---

(١) ط : أهل الذكر الفضل أن ...
(٢) غيره من : ناقصة فى ط و د .
(٣) فى « رسائل البلغاء » ص ٤٥ س ١٠ — س ١١ ، وفى د ورقة ٦ س ٦ — س٨ هكذا : أعرف أهل الدين والمروءة فى كل كورة وقرية وقبيلة ، فليكونوا ...
(٤) فى « رسائل البلغاء » ص ٤٦ س ٧ — س ١٠ ؛ وفى د ورقة ٦ ب بعنوان : « فى التماس رضا الناس » .
(٥) ص : وعليك .
(٦) فى « رسائل البلغاء » ص ٤٦ س ١٣ — ص ٤٧ س ٢ ، وفى د ورقة ٧ س ٢ الخ .
(٧) فى د : احرص كل الحرص أن تكون خبيرا بأمور عمالك .
(٨) فى « رسائل البلغاء » (ط ٣ ، القاهرة سنة ١٩٤٤) ص ٤٧ س ٦ — ص ٤٨ س ٧ ؛ وفى د ورقة ٧ ب س ١ الخ .
(٩) د : تسهلن ... لأهل العقل والسن والمروءة ، لكيلا ينتشر ...
(١٠) عليك : لم ترد فى د . (١١) د : ويستخف له بشأن .

لا تتركن مباشرة جسيم أمرك ، فيعود شأنك صغيراً ، ولا تلزم نفسك(١) مباشرة الصغير فيضيع الكبير(٢) .

اعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه للمهم ، وأن مالك لا يسع(٣) الناس كلهم فاخصص به أهل الحق ، وأن كرامتك لا تطبق(٤) العامة فتوخَّ بها أهل الفضل ، وأن ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجتك وإن أدابت(٥) فيها نفسك ، وأنه ليس لك إلى الإدآب فيهما سبيل مع حاجة جسدك إلى نصيبه منهما ؛ فأحسن قسمتهما(٦) بين عملك ودعتك .

واعلم أن ما شغلت من رأيك فى غير المهم أزرى بالمهم ، وما صرفت من مالك فى الباطل فقدته حين تريده للحق ، وما عدلت به عن كرامتك إلى أهل النقص أضر بك فى العجز عن أهل الفضل ، وما شغلت من ليلك ونهارك فى غير الحاجة أزرى بك فى الحاجة .

اعلم(٧) أن من الناس خلقاً(٨) كثيراً يبلغ من أحدهم الغضب(٩) ، إذا غضب ، أن يحمله ذلك(١٠) على الكلوح والقطوب فى وجه غير من أغضبه ، وسوء اللفظ لمن لا ذنب له ، والعقوبة لمن لم يكن يَهُمُّ بعقوبته ، وسوء المعاقبة باليد واللسان(١١) لمن لا ذنب له. ثم يبلغ منه [١٢٣ب] الرضا أن يتبرع بالأمر ذى الخطر لمن ليس بمنزلة ذلك عنده ، ويعطى من لم يكن يريد إعطاءه ، ويكرم من لا حق له ولا مودة .

---

(١) نفسك : ناقصة فى ط .

(٢) د : فيصير الكبير ضائعا . (٣) د : لا يغنى .

(٤) د : تطيق (بالياء المثناة التحتية) .

(٥) أدأبت : أتعبت . أدأب الرجل الدابة : أتعبها . ـ وفى د : ادابت منهما ، وأنه ليس لك الى ادآبهما سبيل ...

(٦) د : قسمهما .

(٧) فى « رسائل البلغاء » ص ٤٨ س ٨ ـ ص ٤٩ س ٤ (حتى قوله : جائزا فى صفته) ، وفى د ص ٨ س ٢ من أسفل .

(٨) د : ناسا . (٩) د : يبلغ أحدهم من الغضب .

(١٠) ذلك : ناقصة فى د .

(١١) د : لمن لم تكن تريد به الا دون ذلك . ثم يبلغ ...

فاحذر هذا الباب الحذر كله ، لأنه [١] ليس أحد أسوأ حالا فيه من ذوى [٢] السلطان الذين يفرطون لمكان القدرة [٣] فى غضبهم ورضاهم ، وأنه وصف [٤] بهذه الصفة من يلتبس بعقله أو من يتخبطه المس أن يعاقب فى غضبه غير من أغضبه ، ويحبو عند رضاه غير من أرضاه ــ كان ذلك جائزاً فى صفته .

اعلم [٥] أن الملوك ثلاثة : مَلِكُ دين ، وملك حزم ، وملك هوى . فأما ملك الدين فانه إذا أقام لأهله دينهم ــ وكان [٦] دينهم هو الذى يعطيهم مالهم ويلحق بهم الذى عليهم ــ أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم منزلة الراضى فى الاقرار والتسليم . وأما ملك الحزم [٧] فانه يقوم بالأمر [٨] ، ولكن لا يسلم من الطعن والتسخط ، ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوى . وأما ملك الهوى فلعب [٩] ساعة ودمار دهر .

إذا [١٠] كان سلطانك عند جدة دولة فرأيت أمراً [١١] قد استقام بغير رأى وأعواناً أجزأوا [١٢] بغير فضيلة ، وعملا أنجح بغير حزم ــ فلا تغتر [١٣] بذلك ولا تستنم إليه . فان الأمر الجديد مما يكون له مهابة فى نفس قوم [١٤] وحلاوة فى قلوب آخرين فيعين قوم بأنفسهم [١٥] ويبقى قوم بما قبلهم ، ويستتب ذلك

---

(١) د : فانه .   (٢) د : أهل .
(٣) د : يفرطون باقتدارهم فى غضبهم .
(٤) ص : لو أنصف ووصف بهذه ... د : فانه لو ...
(٥) فى « رسائل البلغاء » ص ٤٩ س ٦ ــ س ١٢ ؛ وفى د ورقة ١٩ بعنوان : « فى أصناف الملوك » .
(٦) د : وكان ... يعطيهم الذى لهم ؛ ص : فكان .
(٧) ط : حزم .
(٨) د : به الأمر ، ولا يسلم ... والسخط .
(٩) د : فلهو .
(١٠) فى « رسائل البلغاء ؛ ص ٥٠ س ٢ ــ س ٧ ؛ وفى د ورقة ٩ ب بعنوان : « فى التحذير عند جدة دولة بغير حزم » .
(١١) قد : ناقصة فى د .
(١٢) ص : أجراو . ــ وأجزأوا : أغنوا وكفوا . / وفى د : وأعوانا بغير نيل .   (١٣) د : يغرنك ذلك .
(١٤) د : أنفس أقوام .   (١٥) د : على أنفسهم .

الأمر غير طويل ، ثم تصير الشؤون إلى حقائقها وأصولها . فما كان من الأمور بني على غير أركان وثيقة ولا عماد مملكة (١) ــ أوشك أن يتداعى ويتصدع .

ليتفقد (٢) الوالي ــ فيما يتفقد من أمور رعيته ــ فاقة الأحرار : فليعمل في سدها ، وطغيان السفلة منهم : [١٢٤ ا] فليقمعه ؛ وليستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان ، فانما يصول الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع .

لا يحسدن (٣) الوالي من دونه ، فانه في ذلك (٤) أقل عذراً من السوقة الذين يحسدون من (٥) فوقهم ــ وكلٌّ لا عذر له .

ليعلم (٦) الوالي أن الناس على دينه (٧) إلا من لا بال به منهم (٨) : فليكن للبر والمروءة عنده نَفاق (٩) ، فانه سيكسد بذلك (١٠) الفجور والدناءة في مملكته .

إن (١١) ابتليت بصحبة السلطان فعليك بطول المرابطة (١٢) من غير طول معاتبة ، ولا يحدثن لك الاستئناس غفلة ولا تهاوناً .

إذا رأيت السلطان يجعلك أخاً (١٣) فاجعله سيداً (١٤) ، وإن زادك فزده .

---

(١) بني : ناقصة في ص و ط ، ووردت في د / د : محكم .

(٢) في « رسائل البلغاء » ص ٥٢ س ١٣ ــ س ١ ؛ وفي د ورقة ١١ ب السطر الأخير ــ ورقة ١٢ ا س ٦ .

(٣) في « رسائل البلغاء » ص ٥٣ س ٢ ــ س ٣ ؛ وفي د ورقة ١٢ س ٦ الخ .

(٤) د : أقل في ذلك .

(٥) ص ، ط : السوقة الذي يحسد من فوقه .

(٦) في « رسائل البلغاء » ص ٥٤ س ١ ــ س ٢ : وفي د ورقة ١٣ ا س ٢ الخ .

(٧) د : زيه ، الا القليل منهم .

(٨) منهم : ناقصة في ص .

(٩) أي رواج . / د : نفاق ، فستكسد ...

(١٠) ص : بذلك عنده . / د : الدناءة والفجور في آفاق الأرض .

(١١) في « رسائل البلغاء » ص ٥٤ س ٨ ــ س ١٠ (حتى قوله : زادك فزده) ؛ وفي د ورقة ١٣ ا س ١٢ الخ .

(١٢) د : في .

(١٣) أول ورقة ١٥٧ ا بعد نهاية ١٤٦ ب في ط .

(١٤) في « رسائل البلغاء » : أباً ، ثم ان زادك .. / د : ثم ان .

وإن[1] وجدت من الوالى منزلة وثقة فاعدل عنه كلام[2] الملق ، ولا تكثرن من الدعاء له فى كل كلمة ، فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة ، إلا أن يكلمك على رؤوس الملأ[3] ، فلا تَألُ ما عظمته ووقرته به .

إن[4] ابتليت بصحبة والٍ لا يريد صلاح رعيته ، فاعلم أنك قد خيرت بين خلتين ليس[5] ولا واحدة منهما خياراً : إما الميل مع الوالى على الرعية — فهذا هلاك الدين والمروءة[6] ؛ وإما الميل مع الرعية على الوالى — فهذا هلاك الدنيا والنفس[7] — ولا حيلة لك إلا الموت أو الهرب .

واعلم أنه لا ينبغى لك — وإن كان الوالى غير مرضى السيرة — إذا أعلقت حبلك بحبله إلا المحافظة عليه ، — إلا أن تجد إلى الفراق الجميل سبيلا .

تبصر[8] ما فى الوالى من الأخلاق التى تحبها له والتى تكرهها[9] له ، وما هو عليه من الرأى الذى ترضى له والذى لا ترضى[10] ، ثم لا تكابره بالتحويل[11] عما يحب [١٢٤ب] ويكره ، فان هذه رياضة صعبة تحمل على الإباء[12] والقلى ؛ فانك[13] قلما تقدر على نقل رجل عن طريقته التى هو عليها بالمكابرة والمناقضة وإن لم يكن ممن يجمح[14] به عن السلطان ، ولكنك

---

(١) فى « رسائل البلغاء » ص ٦٥ س ٥ — س ٧ .

(٢) ص : بكلام . / د : اذا نزلت من الوالى بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام ...

(٣) د : الناس ، فلا تأل فى عظمته وتوقيره .

(٤) فى « رسائل البلغاء » ص ٥٦ س ٥ — س ١٠ (حتى قوله : الجميل سبيلا) ؛ وفى د ورقة ١٤ ب س ٩ الخ .

(٥) د : ليس منهما خيار .

(٦) والمروءة : ناقصة فى د .

(٧) الدنيا : ناقصة فى ص ؛ والنفس : ناقصة فى د .

(٨) فى « رسائل البلغاء » ص ٥٦ س ١١ — ص ٥٧ س ٨ ؛ وفى د ورقة ١٥ ا س ٦ الخ .

(٩) د : التى تحب له والتى تكره .

(١٠) ص : لا ترضى له ؛ د : الذى ترضاه والذى لا ترضى .

(١١) د : بتحويله .

(١٢) تحمل ... القلى : ناقصة فى د .

(١٣) ص ، د : وانك .

(١٤) د : وان لم تكن ممن يحتج به عز (كذا ! ولعله : عند) السلطان .

قادر[١] على تشييد الرأى وتقويته . فاذا قويت فيه[٢] المحاسن كانت هى التى تكفيك المساوىء[٣] ، وإذا استحكمت منه ناحية[٤] فى الصواب كان هو الذى يبصره الخطأ بألطف من تبصيرك وبأعدل[٥] من حكمك ، لأن الصواب يعدل بعضه بعضاً ويدعو بعضه إلى بعض[٦] . وإذا وجد مكانه اقتلع الخطأ من أصله . فاحفظ هذا الباب وأحكمه .

إن[٧] استطعت أن تجعل صحبتك لمن قد عرفته وعرفك بصالح أخلاقك قبل ولايته فافعل ، فان الوالى يلقاه الناس كلهم بالتصنع ، وكلٌّ يحتال لأن يثنى عليه عنده بما ليس فيه ، غير أن الإدراك يتناول ذلك من الرذال والسقاط أكثر ، لأن هؤلاء أشد تصنعاً وأعظم تودداً ومثابرة وتمحلا فلا يمتنع الوالى ، وإن[٨] كان بليغ الرأى والنظر ، من أن ينزل عنده كثير من الأشرار بمنزلة الأخيار[٩] ، وكثير من الخانة[١٠] بمنزلة الأمناء ، وكثير من الغدرة بمنزلة الأوفياء ، ويتغطى[١١] عليه كثير من أهل الفضل الذين يصرفون أنفسهم عن التصنع والتمحل[١٢] .

لا[١٣] تخبرن الوالى أن لك عليه حقاً ، وأنك تعتدُّ عليه ببلاء ، وإن استطعت أن لا ينسى حقك وبلاءك فافعل . وليكن ما يذكره ذلك تجديدك[١٤]

---

(١) د : تقدر أن تعينه على أحسن رأيه وتسبب له منه وتقوية به .

(٢) د : منه . (٣) د : فاذا .

(٤) د : من . (٥) ط : وأعدل ، وكذا فى د .

(٦) د : لأن الصواب يؤيد بعضه بعضا . فاحفظ هذا الباب وأحكمه .

(٧) فى « رسائل البلغاء » ص ٥٥ س ٦ — س ١٣ ؛ وفى د ورقة ١٣ ب س ١٢ الخ هكذا : « ان استطعت أن تجعل صحبتك لمن عرفك بصالح مروءتك قبل ولايته فافعل ، فان الوالى لا علم له بالناس الا ما قد علم قبل ولايته . فأما اذا ولى ، فكل الناس تلقاه بالتزيين والتصنع ، وكلهم يحتال لأن يثنى عليه عنده بما ليس فيه ، غير أن الأنذال والأرذال هم أشد لذلك تصنعا وعليه مثابرة ، فلا يمتنع ... » .

(٨) ص : فان .

(٩) الأخيار .. بمنزلة (الأوفياء) : ناقص فى ط .

(١٠) د : الخونة . (١١) د : يغطى .

(١٢) د : والتجمل .

(١٣) فى « رسائل البلغاء » ص ٥٨ س ١ — س ٦ ؛ وفى د ورقة ١٦ س ١ الخ . (١٤) ذلك : ناقصة فى ص و ط .

النصيحة له والاجتهاد ، وألا يزال ينظو[1] إليك بآخر يذكره الأول ؛ فان السلطان إذا انقطع عنه الآخر نسى [١١٢٥] الأول ؛ وإن أرحامهم مقطوعة وحبالهم مصرومة إلا عمن رضوا عنه وأغنى عنهم فى يومهم وساعتهم .

إياك[2] والعتب على الوالى واستزادته ، فان ذلك إن ظهر له كان قلبه أسرع إلى التعنت والتعزز من قلبك فيمحق ذلك حسناتك الماضية ، وأشرف بك على الهلاك ، وصرت تعرف نفسك مستدبراً ، وتلتمس رضا سلطانك مستصعباً .

اعلم[3] أن أحضر الناس عدواً مجاهداً وحزباً مناوئاً وزير السلطان ذو المكانة عنده[4] ، لأنه منفوس عليه مكانه كما يحسد[5] غير أنه يجترأ عليه ولا يجترأ على السلطان ، +لأن من حاسديه أحباء السلطان الذين يشاركونه فى المنازل والمداخل ، وهم وغيرهم أعداؤه ، وليسوا كعدو السلطان النائى عنه المكتم منه . وهؤلاء لا ينقطع طمعهم من الظفر به ، ولا يغفلون عن نصب الحبائل له+. فاعرف هذه الحال ، والبس[6] لهم سلاحك بالصحة والاستقامة فيما تسر وتعلن ، ثم روح عن قلبك كأنه لا عدو لك ولا حاسد . وإن ذكرك ذاكر عند السلطان بسوء فى وجهك أو فى غيبك فلا ترين[7] الوالى ولا غيره

---

(١) د : ينظر منك الى آخر يذكره الأول . واعلم أن السلطان ...

(٢) فى « رسائل البلغاء » ص ٥٨ س ٧ – س ١٣ باختصار شديد ، وفى د ورقة ١٦ ا س ١٢ الخ هكذا : « اياك أن يقع فى قلبك تعتب على الوالى واستزادة له ، فانه ان وقع فى قلبك بدا فى وجهك اذا كنت حليما ، وبدا على لسانك اذا كنت سفها . واذا ظهر ذلك للوالى كان قلبه أسرع الى التعتب والتعزز من قلبك فمحق ذلك حسناتك الماضية ... »

(٣) فى « رسائل البلغاء » ص ٥٩ س ١ – ص ٦٠ س ٤ ؛ وفى د ورقة ١٦ ب س ٨ الخ .

(٤) د : « واعلم أن أضر الناس عدو مجاهر وزير الملك ذا المكانة عنده ... »

(٥) د : كما ينفس على صاحب السلطان ومحسود كما يحسد ، غير أنه ... وفى ص : كما يحسد غيره الا أنه يجترأ ...

(+ ... +) ناقصة فى د .

(٦) د : « وتسلح على هؤلاء الأعداء كلهم بالصحة والاستقامة ولزوم الحجة فيما تسر وتعلن ، ثم روح قلبك ... » .

(٧) د : فلا يرين منك الوالى ...

اختلاطاً ، ولا يقعن ذلك فى نفسك موقع ما يكرثك . فانه إن وقع منك ذلك الموقع (١) أدخل عليك أشياء مشتبهة موكدة لما قال فيك العائب . فان اضطرك الأمر فى ذلك إلى الجواب ، فاياك وجواب الغضب والانتقام ، وعليك بجواب الوقار والحلم والحجة ، ولا تشكن (٢) فى أن الغلبة والقوة [١٢٥ب] أبداً للحلم (٣).

لا تعدن (٤) شتم الوالى شتما ولا إغلاظه إغلاظاً ، فان ريح العزة قد تبسط اللسان بالغلظ فى غير سخط ولا يأس (٥).

جانب المسخوط عليه والظنين عند السلطان ، ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا منزل (٦) ، ولا تظهرن له عذراً ، ولا تثنين عليه بخير (٧) عند أحد من الناس . فاذا (٨) سكن غضب السلطان عنه ورجوت أن يلين له ، فاعمل فى إظهار عذره على لطف ورفق شديد .

لا (٩) تسارّنّ أحداً من الناس ولا تهمس إليه بشىء عند السلطان ، فان السرار مخيّل إلى كل من يراه من ذى سلطان وغيره أنه يراد به ، فيكون ذلك فى نفسه حسيكة (١٠) ووَغْراً .

---

(١) ط : أدخل ، وكذا فى د/وفى ص : دخل .
(٢) فى : ناقصة فى ص و د ، وموجودة فى ط .
(٣) د : للحلم أبدا .
(٤) فى « رسائل البلغاء » ص ٦٠ س ٧ ـ ص ٦١ س ١ ؛ وفى د ورقة ١٧ ب س ٣ الخ . (٥) ولا بأس : ناقصة فى د .
(٦) ولا منزل : ناقصة فى د . (٧) د : خيرا .
(٨) د « فاذا رأيته قد بلغ فى الاعتاب فيما سخط عليه مما يرجو ان يلين له ، و أيقنت أن الوالى قد استيقن مباعدتك اياه وشدتك عليه عند الناس ، فضع عذره عنده ، واعمل فى رضاه عنه فى رفق ولطف » .
(٩) فى « رسائل البلغاء » ص ٦١ س ٩ ـ س ١١ مع اختلاف ظاهر ، وفى د ورقة ١٨ ب هكذا : « ليكن ما تحكم من أمرك أن لا تسار أحدا ، ولا تهش اليه بشىء عن السلطان أو بعينه ، فان السرار يخيل الى كل من رآه من ذى سلطان وغيره ... »
(١٠) ص : حسبيله ! والحسيكة (بفتح الحاء المهملة بعدها سين مكسورة) : الضغن والعداوة ، كالحساكة (بضم الحاء المهملة) ، والحسكة (بالحاء المهملة المفتوحة بعدها سين مفتوحة) ـ وغر : ناقصة فى د .

تنكب فيما بينك وبين الوالى ، وفيما بينك وبين الإخوان (١) خلقاً قد عرفناه فى بعض الوزراء والأصحاب : من الادعاء عند ما يظهر من صاحبه من حسن أثر وصواب رأى أنه عمل فيـــه أو أشار به وإقراره بذلك إذا مدحه به مادح . وإن استطعت أن (٢) يعرف صاحبك أنك تنحله صواب رأيك فضلا عن صوابه ، وتسنده إليه وتزينه(٣) به ، فافعل . فان الذى أنت آخذ بذلك أكثر مما أنت معط(٤) بأضعاف .

إذا (٥) كلمك الوالى فأصغ إلى كلامه (٦) ، ولا تشغل طرفك عنه بنظر ، ولا أطرافك بعمل ، ولا قلبك بحديث نفس . واحذر هذه من نفسك وتعهدها فيها (٧) .

ارفق بنظرائك من وزراء السلطان وأخلائه فاتخذهم(٨) إخواناً ولا تتخذهم أعداءاً بأن (٩) تناقشهم فى الكلمة إذا تقربوا بها ، وفى العمل يؤمرون به . فانما(١٠) أنت أحد رجلين : إما أن يكون عندك فضل على ما عند غيرك [١١٢٦] فسيبدو(١١) ذلك ويحتاج إليه منك فيلتمس وأنت مجمل ، وإما ألا يكون عندك فما أنت مصيب من حاجتك عند الوزراء وأخلاء(١٢) السلطان بمقاربتك

---

(١) وفيما بينك وبين الاخوان : ناقصة فى ط • ـ وهـــذه الفقرة فى « رسائل البلغـــاء » ص ٦٢ س ١ – س ٦ ، و فى د ورقة ١٨ ب س ٧ الخ••

(٢) ص : يعرفك/د : واحذر فيما بينك وبين الوالى •••

(٣) وتزينه به : ناقص فى ط •

(٤) ط : معطيه / د : تعطى أضعافا •

(٥) فى « رسائل البلغاء » ص ٦٣ س ١٣ ـ ص ٦٤ س ٩ ؛ وفى د ورقة ٢٠ ب س ١ الخ •

(٦) د : لكلامه •

(٧) ص : فيك/فيها : ساقطة فى د •

(٨) د : وجلسائه ، واتخذهم اخوانا •••

(٩) د : ولا تنافسهم فى الكلمة يتقربون بها أو العمل •••

(١٠) د : فأما •

(١١) ص : فسدوا لك / د فسوف يبدو ذلك ويحتاج اليه ويلتمس منك وأنت ••• »

(١٢) ط : عند وزراء السـلطان وأخـلائه د : عنـد وزراء الســـلطان وجلسائه •••

إياهم ولينك لهم من موافقتهم إياك ولينهم لك أفضل مما أنت مدركه[1] بالمنافسة والمكابرة والمنافرة .

إذا[2] سأل الوالى غيرك فلا تكونن المجيب[3] ، فان استلاب الكلام خفة بك واستخفاف منك بالمسؤول والسائل . وليت شعرى[4] ما أنت قائل إن قال لك السائل : « ما إياك سألت» ، أوقال المسؤول[5] : « دونك فأجب ! » وإذا لم يخص السائل فى المسألة رجلا واحداً وعم بها جماعة من عنده فلاتبادر بالجواب ولا تسابق الجلساء ، ولا تواثب الكلام مواثبة ، فان فى ذلك ، مع شين التكلف والخفة ، أنك إن سبقت القوم إلى الكلام[6] صاروا لكلامك خصماء فتعقبوه بالعيب والطعن . وإذا أنت لم تعجل بالجواب وخليته للقوم اعترضت[7] أقاويلهم كلها[8] فتدبرتها وفكرت فيها وفيما عندك منها ، ثم هيأت من محاسن ما سمعت جواباً رضياً ، ثم استدبرت به أقاويلهم حتى تصيخ إليك الأسماع وتهدأ عنك الخصوم . وإن[9] لم يبلغك الكلام حتى تكفى[10] بغيرك أو إن[11] انقطع الحديث قبل ذلك فلا يكونن من العيب عندك ولا من الغبن فى نفسك فوت ما فاتك من الجواب ، فان صيانة[12] القول خير من سوء وضعه ، وإن كلمة واحدة من الصواب تصيب بها موضعها[13] خير من أمثالها الكثيرة فى غير مواضعها ، مع أن كلام العجلة والبدار موكل به الزلل وسوء التقدير

---

(١) د : مدرك بالمخاشنة والمكابرة والمنافرة .

(٢) فى « رسائل البلغاء » ص ٦٢ س ٧ – ص ٦٣ س ١٢ (حتى قوله : والحسد والمراء) ؛ وفى د ورقة ١١٩ ا س ٥ ألخ .

(٣) د : أنت المجيب عنه ، فان استلابك الكلام ...

(٤) وليت شعرى : ناقصة فى د .

(٥) د : المسؤول عند المسألة يعارضك فيها : دونك فأجب . وان لم ...

(٦) د : كلام .

(٧) ص :أعرضت .

(٨) كلها : ساقطة فى د . – وفى د أيضا : ثم تدبرتها وفترت فيما عندك هيأت من تفكيرك ومحاس ما سمعت .

(٩) د : فان .

(١٠) د : يكتفى .

(١١) ان : ناقصة فى د .

(١٢) د : فان ترك اصابة القول ...

(١٣) د : تصيب موقعها خير من مائة كلمة فى غير فرصها ومواضعها .

وإن ظن صاحبه أنه قد[١٢١ب] أتقن وأحكم . واعلم أن هذه الأمور لا تملك إلا برحب[(١)] الذرع عند ما قيل وما لم يقل[(٢)] . وذلك بأن لا تستعظم ما ظهر منك ، وما لم يظهر ، وبأن تسخو نفسك عن كثير من الصواب مخافة الخلاف والعجلة والحسد والمراء .

لا [(٣)] تجترئن على خلاف النــاس [(٤)] بحضرة الوالى ثقةً باعترافهم لك ومعرفتهم بفضل رأيك ؛ فانا قد رأينا الناس يعترفون [(٥)] بفضل الرجل وينقادون له ويتعلمون منه وهم فى خلوة[(٦)] ؛ فاذا حضروا السلطان لم يرض أحد منهم أن يقر له أو يكون عليه فى الرأى والعلم فضل ، فاجترأوا عليه بالخلاف والنقض [(٧)] . فان ناقضهم صار كأحدهم وليس بواجد فى كل شيء [(٨)] وحين سامعاً فهماً وقاضياً عدلا . وإن ترك مناقضتهم كان[(٩)] مغلوباً مردود القول .

إذا[(١٠)] أصبت عند السلطان لطف منزلة بغناءٍ[(١١)] تجده عندك وهوى يكون لك فيه فلا تطمحن كل الطماح ، ولا تزينن لك نفسك[(١٢)] أن تدخل بينه وبين أليفه وموضع سره وثقته قبلك وتلتمس أن تقتلعه وتدخل دونه ، فان

---

(١) ص : بوجب · والرحب : السعة / د : برحب الذراع ·

(٢) د : وعند ما لم يقل ، وقلة الاعظام لما ظهر من المروءة وما لم يظهر ، وسخاء النفس عن كثير من الصواب ···

(٣) فى « رسائل البلغاء » ص ٦٤ س ١٠ ــ ص ٦٥ س ٤ ؛ وفى د ورقة ١٢١ ا س ٤ الخ ·

(٤) د : أصحابك عند الوالى ··· (٥) د : يعرفون فضل ···

(٦) د : وهم أخلياء ··· لم ير واحد منهم أن يقر له وأن ···

(٧) د : والمناقضة ·

(٨) شيء : ناقصة فى ط و د ، وواردة فى ص ·/سامعا : فى د : متابعا قيما قاضيا ··· (٩) د : صار مغلوب الرأى ·

(١٠) فى « رسائل البلغاء » ص ٦٥ س ٨ ــ ص ٦٧ س ٤ ؛ وفى د ورقة ١٢١ ب س ٢ الخ ·

(١١) ط : بغناء نجدة/د : لغنى يجده عندك أو هوى يكون له فيك ·

(١٢) د : نفسك مزاولة منزلة الثقة وموضع ثقته قبلك ، فتلتمس أن تدخل دونه ، فان هذه ···

هذه خلة من خلال السفهاء [١] ، وقد يبتلى بها الحكماء [٢] عند الدنو من السلطان حتى يحدث الرجل منهم نفسه [٣] بأن يكون دون الأهل والولد لفضل يظنه بنفسه أو لنقص يظنه بغيره . ولكل رجل من الملوك أو ذى مُنة [٤] من السوقة أليف وأنيس قد عرف [٥] روحه روحه ، واطلع قلبه على قلبه ، فليست عليه مؤونة فى تبذل [٦] يتبذله عنده ، أو رأى يستنزله منه ، أو سر يفشيه إليه . غير أن تلك الأنسة وذلك الإلف يستخرج [٧] من كل واحد [١١٢٧] منهما ما لم يكن ليخرج عند الانقباض والتشدد . فاذا كلفتك نفسك السمو إلى منزلة من [٨] قد وصفت لك فاقدعها عن ذلك بمعرفة فضل الأليف والأنيس . وإذا حدثتك نفسك أو غيرك [٩] أنك أولى بالمنزلة عند السلطان [١٠] من بعض ثقاته وذوى أنسه فاذكر الذى عند السلطان من حق أليفه وأنيسه فى التكرمة والذى يجده عند الأنيس [١١] والأليف [١٢] مما ليس واجداً عند غيره ، فليكن هذا ما تحفظه على نفسك [١٣] وتعرف به عذر السلطان . والرأى لك فى نفسك مثل ذلك إن أرادك مريد على الدخول دون أليفك وأنيسك وموضع ثقتك وسرك [١٤] وجدك وهزلك .

---

(١) د : السفه .
(٢) د : العلماء .
(٣) د : أن .
(٤) د : أو ذى هيبة من ...
(٥) د : عرفت .
(٦) د : تبدل يتبدله (بالدال المهملة) .
(٧) د : لأن الأنس يخرج كل واحد منهما عن الانقباض والتشدد . — وهنا زيادة فى د .
(٨) قد : ناقصة فى ط ٠/د : فاذا كلفتك نفسك الى السمو الى منزلة من وصفت ، فاقدعها ...
(٩) د : أو غيرك ممن لعله يكون له فضل فى مروءة أنك أولى ...
(١٠) من بعض ... السلطان : ناقصة فى ص٠/د : بعض دخلائه وثقاته ... على السلطان ...
(١١) ط : الأليف والأنيس/د : حق الثقة وأنيسه .
(١٢) ص : ما ٠/د : والذى يعينه على ذلك من الرأى الذى يجد عند الأليف والأنيس .
(١٣) د : مما تحفظ فيه على نفسك .
(١٤) د : وسرك وخدنك .

اعلم[١] أن الرجل إذا كان ذا جاه عند السلطان فانه لا محالة سيرى منه ما يخالفه من الرأى فى بعض الأمور . فاذا آثر أن يكره كل ما خالفه أوشك أن يتعض من الحفوة يراها فى المجلس ، أو النبوة فى الحاجة ، أو[٢] الرد للرأى ، أو[٣] الادناء لمن لا يهوى إدناءه ، والاقصاء لمن يكره إقصاءه . فاذا وقعَتْ فى قلبه الكراهة تغير لذلك وجهه وكلامه[٤] ورأيه ، حتى يظهر ذلك للسلطان وغيره ، فيكون لفساد منزلته سبباً . فذلل[٥] نفسك على احتمال ما خالفك من رأى السلطان ، وقررها بأن السلطان إنما كان سلطاناً لتتبعه[٦] فى رأيه وهواه وأمره ، ولا تكلفه اتباعك وتغضب من خلافه إياك .

لا تكونن[٧] صحبتك للسلطان[٨] إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم فى المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقدير الأمر[٩] على أهوائهم دون هواك ، وعلى ألا تكتمهم سرك ، ولا [١٢٧ب] تستطلع ما كتموه وتخفى ما أطلعوك عليه حتى تحمى نفسك الحديث به ؛ وعلى الاجتهاد فى رضاهم والتثبيت[١٠] لحججهم والتصديق[١١] لمقالتهم والتزيين لرأيهم ، وعلى قلة الانتفاء مما فعلوه إذا أساءوا ، وقلة الانتحال لما فعلوه إذا أحسنوا ، وكثرة النشر[١٢] لمحاسنهم ، وحسن الستر[١٣] لمساوئهم ، والمقاربة لمن قاربوا وإن كانوا بعداء ، والمباعدة لمن باعدوا

---

(١) فى « رسائل البلغاء » ص ٦٧ س ١٢ ــ ص ٦٨ س ٧ ؛ وفى د ورقة ٢٣ ب س ٢ الخ : « اعلم أن الرجل ذا الجاه عند السلطان والخاصة لا تخاله أن ترى منه ما يخالفه من الرأى فى الناس والأمور . فاذا كره كل ما خالفه أوشك ... »

(٢) فى د : و . (٣) فى د : و .

(٤) د : وجهه ورأيه وكلامه ، حتى يبدو ذلك للسلطان ...

(٥) ص : فدال/د : فذلل نفسك باحتيال ما خالفك ...

(٦) د : لسعة .

(٧) فى « رسائل البلغاء » (ط ٣ سنة ١٩٤٤ القاهرة) ص ٦٩ س ٣ وما يليه ؛ وفى د ورقة ٢٤ ب س ١ الخ .

(٨) د : الا من بعد رياضة منك نفسك .

(٩) د : الأمور .

(١٠) ص : والتثبت بحججهم/د : والتلطف لحاجاتهم والتثبت ..

(١١) ص : والتصدق ... والتزيين اليهم .

(١٢) ط : البشر . (١٣) د : السترة .

وإن كانوا أقرباء ، والاهتمام بأمرهم وإن لم يهتموا به ، والحفظ له وإن ضيعوه، والذكر[1] له وإن نسوه ، والتخفيف عنهم[2] لمؤونتك ، واحتمال كل مؤونة لهم[3] ، والرضا منهم بالعفو ، وقلة الرضا من نفسك[4] بالمجهود .

وإن وجدت عن السلطان[5] وعن صحبته غنى فأغن[6] عنه نفسك ، واعتزله جهدك ، فانه من يخدم[7] السلطان يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة .

من[8] تمام حسن الأدب والخلق أن تسخو نفسك لصاحبك وأخيك بما انتحل من كلامك ورأيك وتنسب[9] إليه رأيه وكلامه وتزينه مع ذلك بما استطعت .

اخزن[10] عقلك وكلامك إلا عند إصابة الرأى والقول، باصابة الموضع. فان أخطأت ذلك، أدخلت الهجنة على علمك حتى تأتى به ، إن أتيت به ، فى غير موضعه[11] وهو لا بهاء له ولا طلاوة .

ليعرف العلماء منك[أنك] إذا اجتمعت معهم أنك على أن تسمع أحرص منك على أن تقول[12] .

---

(۱) د : والفكر .   (۲) د : عليهم .

(۳) د : والاحتمال لهم كل مؤونة .   (٤) د : نفسك لهم .

(٥) فى د : عن : ناقصة .

(٦) د : فأغن نفسك عنها واعتزلها ...

(۷) د : من يأخذ للسلطان بحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ، ومن يأخذ بغير حقه يحتمل الفضيحة فى الدنيا والوزر فى الآخرة .

(۸) فى « رسائل البلغاء » ص ۷۱ س ۱۱ ــ س ۱۲ وفى د ورقة ۱۲٦ ا س ۲ الخ هكذا : « ومن تمام حسن الخلق والأدب فى هذا الباب أن تسخو نفسك لأخيك ... » .

(۹) ص : وينتسب .

(۱۰) فى « رسائل البلغاء » ص ۷۲ س ۲ وما يليه ؛ وفى د ورقة ۱۲٦ ا س ۱۱ الخ هكذا : « احرز عقلك ... عند اصابة الموضع ، فانه ليس فى كل حين يحسن الصواب ، وانما تمام اصابة الرأى والقول اصابة موضعه ، فان أخطأت ...

(۱۱) د : ان أتيت فى موضعه وهو ...

(۱۲) د : ليعرف العلماء أنك على أن تسمع أحرص منك على أن تقول .

لا[1] تخلطن بالجد هزلا ، ولا بالهزل جداً ؛ فانك إن خلطت بالجد هزلا هجنته[2] ، وإن خلطت بالهزل جداً كدرته . غير أنى أقول : قد عرفت [١٢٨ ا] موضعاً[3] واحداً إن قدرت أن تستقبل فيه الجد بالهزل أصبت الرأى ، وظهرت[4] فيه على الأقران ؛ وذلك أن يتوردك متورد بالسَّفه والغضب وسوء اللفظ فتجيبه إجابة الهازل المداعب برحب من الذرع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق .

إذا[5] أقبل إليك مقبل بوده فسرك ألا يدبر عنك[6] فلا تنعم الإقبال عليه[7] والتفتح له ، فان الإنسان طبع على ضرائب[8] لؤم : فمن شأنه أن يرحل عمن لصق به ، ويلصق بمن رحل عنه .

لا تكثرن ادعاء العلم فى كل[9] ما يعرض ، فانك من ذلك بين فضيحتين : إما أن ينازعوك فيما ادعيت فيهجم[10] منك على الجهالة والصلف ؛ وإما ألا ينازعوك ويخلو الأمر فى يديك[11] فينكشف[12] منك على التصنع والدعوى فقط .

إن[13] استطلت على الأكفاء ، فلا تثقن[14] منهم بالصفاء .

إن[15] أنست من نفسك فضلا فتطلعت نفسك[16] إلى أن تذكره وتبديه ، فاعلم أن ظهوره منك بذلك الوجه[17] يقرر فى قلوب الناس من العيب

---

(١) فى « رسائل البلغاء » ص ٧٢ س ٨ وما يليه الى ص ٧٣ س ٣ ؛ وفى د ورقة ٢٦ ب س ١٠ الخ .
(٢) ط : عجنته ـ وهى ناقصة فى س .
(٣) د : غير أنى قد علمت موطنا واحدا ... قدرت على أن ...
(٤) فيه : ناقصة فى د .
(٥) فى « رسائل البلغاء » ص ٧٣ س ١٣ وما يليه الى ص ٧٤ س ٦ ؛ وفى د ورقة ٢٧ ب س ٩ الخ .
(٦) عنك : ساقطة فى د . (٧) والتفتح له : ناقصة فى د .
(٨) جمع ضريبة : أى صفة وخلة . (٩) د : وكل .
(١٠) د : فيهجم بك على ... (١١) د : فى يديك الأمر .
(١٢) ط : فيكشف / د : فينكشف منك التضييع والمعجزة .
(١٣) فى « رسائل البلغاء » ص ٧٤ س ٩ ؛ وفى د ورقة ٢٨ ا س ٩ الخ .
(١٤) د : تثق .
(١٥) فى « رسائل البلغاء » ص ٧٤ س ١٠ ـ ص ٧٥ س ٢ ؛ وفى د ورقة ٢٨ ا س ١٠ الخ .
(١٦) د : فتطلع منك أن تذكره أو تبديه ...
(١٧) د : يقرر لك فى ...

أكثر مما يقرر لك من الفضل . وإنك إن صبرت ولم تعجل ، ظهر ذلك منك على الوجه(١) الجميل المعروف .

إذا (٢) أردت أن تلبس ثوب الجمال وتتحلى به وبحلية المودة عند العامة وتسلك الجدد الذى لا غبار فيه(٣) ولا عثار ، فكن عالماً كجاهل ، وناطقاً كعيي (٤) : فان قلة ادعاء العلم ينفى عنك الحسدة . والنطق ، إذا احتجت إليه ، فستبلغ حاجتك ، وأما الصمت فسيكسبك المحبة والوقار .

إذا رأيت الرجل يحدث حديثاً قد علمته أو يخبر خبراً (٥) قد سمعته (٦) [١٢٨ب] فلا تشاركنه فيه ولا تفتحه عليه حرصاً على أن يعلم الناس أنك قد علمته ، فان فى ذلك(٧) سوء أدب وخفة وشُحًّا .

اعلم(٨) أن لسانك أداة مَغْلبة يتغالب (٩) عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك ، وكلٌّ غالب(١٠) عليه مستمتع به يصرفه فى محبته . فاذا (١١) غلب عليه عقلك فهو لك ، وإذا غلب عليه شىء من أشباه ما سميت لك(١٢) فهو لعدوك ؛ فان استطعت أن تحتفظ به(١٣) حتى لا يكون إلا لك ، ولا يستولى(١٤) عليه أو يشاركك فيه عدوك ، فافعل .

---

(١) د : ظهر ذلك بالوجه ...

(٢) فى « رسائل البلغاء » ص ٧٥ س ٥ ــ س ١٢ ؛ وفى د ورقة ٢٨ ب

(٣) س ٦ الخ هكذا : « ان أردت ... وتتحلى بحلية المودة ... » .

(٤) ص : خيار .

(٥) د : كعيى : فأما العلم فسيرشدك ، وأما قلة ادعاء العلم فينفى عنك الحسد ، وأما المنطق اذا احتجت ... فيكسبك ...

(٦) قد : ناقصة فى ط . (٧) د : ذلك خفة وسوء أدب وشح .

(٨) فى « رسائل البلغاء » ص ٧٩ س ٤ ــ س ٨ ؛ وفى د ورقة ٣١ ب س ٩ الخ .

(٩) مغلبة : ناقصة فى ص/د : اعلم أن لسانك مغلبة مغالب غلبة عقلك ..

(١٠) د : غالب عليه أداة ومستمتع به . وصارفه فى محبته ...

(١١) فاذا غلب ... فهو لك : ناقصة فى د .

(١٢) لك : ناقصة فى د . (١٣) د : فلا يكون .

(١٤) ولا يستولى ... فافعل : ناقصة فى د .

وإذا (١) أصاب أخوك فضل منزلة أو سلطان ، فلا ترينّ أن سلطانه زادك له وداً ، ولا يعرفن(٢) منك عليه بماضي إخائك تدللا ، وأره أن سلطانه زادك له توقيراً ، من غير(٣) أن يقدر أنك تزيده وداً ونصحاً ، بل إنك ترى حقاً للسلطان الوقارَ والإجلال . وكن(٤) فى مداراته والرفق به كالمؤتنف ما قبله ، ولا تقدر الأمور بينك وبينه(٥) على ما كنت تعرف من أخلاقه ، فان الأخلاق مستحيلة مع السلطان . وربما رأينا الرجل المدل على السلطان بقدمه قد أضر(٦) به قدمه .

لا تحدثن(٧) إلا من يرى حديثك مغنما ، ما لم يغلبك الاضطرار(٨) .

احترس(٩) من سَوْرة الغضب وسورة(١٠) الشهوات ؛ وأعدد لكل شيء من ذلك عدة تجاهده بها : من الحلم (١١) والتفكر والروية وذكر العاقبة وطلب الفضيلة .

واعلم أنك لا تصيب الغلبة إلا بالجهاد . واعلم(١٢) أن قلة الاعداد لمدافعة الطبائع المتطلعة هو الاستسلام ، وأنه ليس أحد إلا فيه [١٢٩ا] من كل طبيعة سوء غريزة . وإنما التفاضل بين الناس بمغالبة طبائع السوء .

فاما أن يسلم أحد من أن تكون فيه تلك الغرائز فليس فى ذلك مطمع . إلا أن الرجل القوى إذا كان يكابرها(١٣) أبدا بالقمع لها كلما تطلعت ، لايلبث(١٤)

---

(١) فى « رسائل البلغاء » ص ٥٤ س ١١ – ص ٥٥ س ٤ ؛ وفى د ورقة ٣٢ ا س ١١ الخ .
(٢) ولا يعرفن ... تدللا : ناقصة فى د .
(٣) من غير ... الاجلال : ناقصة فى د .
(٤) ط : وأنك وكن فى ...
(٥) د : على قدر ما كنت . (٦) د : أضر به ذلك .
(٧) فى « رسائل البلغاء » ، وفى د ورقة ٣٢ ب س ٩ – س ١١ .
(٨) ص : الاصرار/وفى د هكذا : يرى الى حديثك مغنما .
(٩) فى « رسائل البلغاء » ص ٨١ س ٦١ – ص ٨٣ س ٣ (حتى قوله : بعزمه منفذا) ، وفى د ورقة ٣٣ ب س ١٢ الخ .
(١٠) د : الغضب وسورة الحمية وسورة الحقد وسورة الجهل وأعدد ...
(١١) ط : الحكم . / د : والتفكر والتروية .
(١٢) د : وأن قلة ...
(١٣) ص : مكاثرها ./د : اذا كابرها بالقمع ...
(١٤) د : لم يلبث .

أن يميتها حتى كأنها ليست فيه ، وهى فى ذلك كامنة ككمون النار فى العود . فاذا وجدت قادحاً من سبب [1] أو غفلة استوريت كما تستورى النار عند القدح ؛ ثم لا يبدأ ضرها إلا بصاحبها ، كما لا تبدأ النار إلا بعودها الذى [2] كانت فيه .

ذلِّلْ نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء ، فان ذلك مما لا يكاد يخطئك . وإن الصبر صبران : صبر الانسان على ما يكره ، وصبره عما يحب . والصبر على المكروه أكبرهما [3] وأشبهما بأن يكون صاحبه مضطراً . واعلم أن اللئام أصبر أجساداً ، والكرام أصبر أنفساً ؛ وليس الصبر المحمود [4] الممدوح أن يكون جلد الإنسان [5] وقاحاً على الضرب ، أو رجله قوية على المشىء ، أو بدنه [6] قوياً على العمل — فان هـذه من صفات البهائم [7] ، ولكن أن يكون للنفس غلوباً [8] ، وللأمور محتملا ، وفى الضراء متجملا [9] ، ولنفسه عند [10] الحفاظ مرتبطاً ، وللحزم موئثراً ، وللهوى [11] مجانباً ، وللمشقة التى يرجو عاقبتها مستخفاً [12] ، وعلى مجاهدة الأهواء والشهوات مواظباً ، ولبصيرته [13] بعزمه منفذاً .

عود [14] نفسك السخاء . والسخاء [15] سخاآن : سخاء الانسان بما فى يديه ، وسخاؤه عما فى [١٢٩ب] أيدى الناس . وسخاء الإنسان بما فى يديه أكثرهما [16]

---

(١) د : علة .
(٢) د : التى .
(٣) ص : أكبرها .
(٤) المحمود : ساقطة فى د .
(٥) الوقاح : الصلب ، وذو الوقاحة / وفى د : جلد الرجل وقاحا ...
(٦) د : أو يده قوية على العمل .
(٧) د : الحمير .
(٨) ص : قلوبا .
(٩) ص ، ط : محتملا .
(١٠) د : عند الرأى والحفاظ .
(١١) د : تاركا .
(١٢) الواو ناقصة فى ص .
(١٣) ولبصيرته ... منفذا : ناقصة فى د .
(١٤) فى « رسائل البلغاء » ص ٨٤ س ١ — س ٥ .
(١٥) ط : واعلم أنهما سـخا آن ... / د : واعلم أنهما شـيئان : سخاء الرجل بما فى يده ...
(١٦) ص : أكبرهما ./د : وسخاء الرجل عما فى يديه أقربهما من أن ...

وأقربهما من أن تدخل فيه المفاخرة . وتركه ما فى أيدى الناس أمحض[1] فى التكرم وأنزه من الدنس . فان هو جمعهما فبذل وعَفَّ ، فقد استكمل[2] الجود والكرم .

حبب [3] إلى نفسك العلم حتى ترأمه [4] وتألفه ويكون لهوك ولذتك وسلوتك[5] .

واعلم أن العلم علمان : علم للمنافع ، وعلم لتزكية العقول . وأفشى [6] العلمين وأحراهما أن ينشط له صاحبه من غير أن يحض عليه[7] هو علم المنافع . وللعلم ، الذى هو ذكاء العقول وصقالها [8] وجلاؤها ، فضلُ منزلة عند ذوى الألباب[9] .

ليكن[10] مما [11] تصرف به الأذى والعذاب عن نفسك ألا تكون حسوداً ، واعلم أن الحسد خلق لئيم ؛ ومن لؤمه أنه إنما يوكل بالأدنى فالأدنى من الأقارب والأكفاء والخلطاء .

ليكن[12] مما تنظر فيه من أمر عدوك وحاسدك أن تعلم أنه لا ينفعك أن تخبر عدوك أنك له عدو ، فتنذره نفسك وتؤذنه بحربك قبل الإعداد والفرصة

---

(١) د : أمحض للتكرم . (٢) د : استعمل .

(٣) فى « رسائل البلغاء » ص ٨٣ س ٤ ـ س ٩ ؛ وفى د ورقة ٣٥ ب س ٤ الخ .

(٤) رئم الشيء (من باب علم) رأما : أحبه وألفه . / ترأمه : ناقصة فى د . (٥) د : ويكون لذتك ولهوك وشهوتك .

(٦) ص : وأنشيء / د : وأحرى العلمين أن ينشط ...

(٧) ص : وهو / هو : ناقصة فى د .

(٨) وصقالها وجلاؤها : ناقصة فى د .

(٩) د : فضيلة منزلة عند أهل الفضل .

(١٠) فى « رسائل البلغاء » ص ٨٤ س ٦ ـ س ٨ ؛ وفى د ورقة ٣٥ ب س ١٠ الخ .

(١١) ص : ليكن ما تصرف به العذاب الا أن يكون حسودا / د : ليكن ما تصرف ...

(١٢) فى « رسائل البلغاء » ص ٨٥ س ١ ـ ص ٨٦ س ٢ ؛ وفى د ورقة ٣٦ ا س ١١ الخ هكذا : « ليكن ما تنظر ... انك لا تنفع بأن تخبر عدوك ... » .

فتحمله على التسلح[1] لك ، وتوقد ناره عليك . واعلم أنه أعظم لخطرك أن تُرِى عدوك[2] أنك لا تتخذه عـدواً ، فانّ ذلك غرة له وسبيل لك[3] إلى القدرة عليه . وإن أنت قدرت على اعتقاب[4] العداوة وارتفعت أن تكافىء بها ، فهنالك استكملت عظم الخطر ، وإن كنت مكافئاً بالعداوة والضرر . وإياك[5] أن تكافئ عداوة السرّ بعداوة العلانية ، وعداوة الخاصة بعداوة العامة ، فان ذلك هو الظلم والعار . واعلم أنه مع ذلك[6] ليس كل عداوة تكافأ بمثلها ، كالخيانة : فانها[7] لا تكافأ بالخيانة [١١٣٠]، والسرقة فانها[8] لا تكافأ بالسرقة. ومن الحيلة فى أمر عدوك أن تصادق أصدقاءه وتؤاخى إخوانه ، فتدخل بينه وبينهم[9] فى سبيل الشقاق والتجافى. وليس أحد به طَرْق[10] يمتنع من مؤاخاتك إذا التمست ذلك منه ؛ وإن كان إخوان عدوك غير ذوى طرق[11] فلا عدو لك .

لا[12]تتخذن اللعن والشتم سلاحاً على عدوك ، فانه لا يجرح[13] فى نفس ولا مال ، ولا دين ولا منزلة ؛ +ولا تدع ، مع السكوت عن شتم عدوك ، إحصاءَ معايبه ومعاثره ؛ وتتبع عوراته حتى لا يشذ عنك من ذلك كبير ولا صغير ، من غير أن يشيع ذلك عنده فينساء به أو يستعد له ؛ أو تذكره فى غير موضعه ، فتكون كمستعرض الهواء بنبله قبل إمكان الرمى+. فان[14] أردت أن

---

(١) التسلم : فى س ـ وهو تحريف / د : فتحمله على توقد ناره عليك ..
(٢) د : أن تريه أنك ... (٣) لك : ناقصة فى د .
(٤) ص و ط : اغتفار ـ واعتقب السلعة : حبسها عن المشترى ، واعتقب الرجل : حبسه / د : فان أنت قدرت فاستطعت اغتفار (!؟) العداوة عن أن تكافىء بها ... (٥) د : فاياك .
(٦) س : واعلم مع ذلك أنه ليس ... / د : واعلم أنه ليس كل العداوة ..
(٧) فانها : ساقطة فى د . (٨) فانها : ساقطة فى د .
(٩) ص : السبيل/د : سبيل التجافى والشقاق .
(١٠) الطرق : ضعف العقـل . ـ يمتنع : فى ص و ط يمنع / د : وليس رجلا به ظرف ممتنعا من ...
(١١) د : غير ذى ظرف .
(١٢) ورد تقديم وتأخير فى هـذه الفقـرة فى « رسائل البلغاء » ص ٨٦ س ٣ ـ س ١٣ ؛ وفى د ١٣٧ س ١١ الخ .
(١٣) س : يخرج/د : على عدوك سلاحا (فى المخطوط : صلاحا) .
(+ ... +)ما بين العلامتين ناقص فى د .
(١٤) ط : ان .

تكون(١) داهياً فلا تظهرن للناس ذلك فيسمونك داهياً . فان من عرف بالدهاء صار خاتل علانية(٢) ، وحذره الناس حتى يمتنع (٣) منه الضعيف . ومن(٤) أرب الأريب(٥) دفن رأيه ما استطاع حتى يعرف بالمسامحة فى الخليقة والطريقة . ومن أربه ألا يوارب العاقل المستقيم الذى يطلع على غامض(٦) رأيه فيمقته عليه .

إن (٧) أردت السلامة فأشعر قلبك التهيب(٨) للأمور من غير أن يظهر منك فيفطن الناس لتهيبك(٩) وتجرؤهم عليك ، ويدعو ذلك إليك منهم كل الذى (١٠) تهاب . فاشعب (١١)ـ لمداراة ذلك وإظهار الجرأة والتهاون (١٢)ـ طائفة من رأيك . وإن ابتليت بمحاربة عدو(١٣) فخالف هذه الطريقة التى وصفت لك من استشعار الهيبة وإظهار الجرأة والتهاون(١٤) . وعليك(١٥) بالحذر فى عملك والجرأة(١٦) فى [١٣٠ب] قلبك حتى تملأ قلبك جرأة وشجاعة ويستفرغ عملك الحذرُ (١٧) .

إن من(١٨) عدوك من سبيلك أن تعمل فى هلاكه ، ومنهم من تعمل فى مصالحته ، ومنهم من تعمل فى البعد منه . فاعرفهم على منازلهم . ومن أقوى

---

(١) د : ذا دهاء ، فلا تحبن أن تسمى فانه من عرف ...
(٢) س : عالية / د : خامل .
(٣) س : يمنع به . (٤) د : وان من ...
(٥) ص : ودفن/د : دفن أربه ...
(٦) د : غامض أربه .
(٧) فى « رسائل البلغاء » ص ٨٧ س ١ ـ س ٧ ؛ وفى د ٣٧ ب س ١٩ الخ .
(٨) د : الهيبة .
(٩) س ، ط : لهيبتك ؛ وكذا فى د .
(١٠) د : على الذى تهاب ، فانبعث لمداراة ...
(١١) فاشعب : ناقصة فى ط . ـ شعب الشىء (من باب قطع) شعبا : جمعه أو فرقه ، أصلحه أو أفسده . ـ والمقصود هنا : جمع .
(١٢) د : باظهار المهانة و (....) والتهاون .
(١٣) ص : عدوك .
(١٤) والتهاون ... والجرأة : ناقصة فى س . / لك : ناقصة فى د .
(١٥) د : فعليك . (١٦) فى : مكررة فى ص .
(١٧) د : جرأة وتستفرغ عملك بالحذر .
(١٨) فى « رسائل البلغاء » ص ٨٧ س ٨ ـ ص ٨٩ س ٦ (حتى قوله : وخذ أهبتك لبغتاتها) .
وفى ٣٨ ا س ٦ هكذا : « ان من عدوك من تعمل فى هلاكه » .

القوة على عدوك وأعز أنصارك فى الغلبة[1] له : أن تحصى على نفسك العيوب والعورات كما تحصيها على عدوك ، وتنظر [2] عند كل عيب تسمعه [3] أو تراه لأحد من الناس : هل قارفت [4] مثله أو ما يشاكله [5] ؟ فان كنت قد [6] قارفت مثله شيئاً ، جعلته فيما [7] تحصى على نفسك ؛ حتى إذا أحصيت ذلك كله فكاثر عدوك باصلاح عيوبك ، وتحصين [8] عوراتك ، وإحراز مقاتلك [9] وخذ نفسك بذلك ممسياً ومصبحاً [10] : فان أنست منها دفعاً لذلك أو تهاوناً به ، فاعدد نفسك عاجزاً ضائعاً خائباً معوراً [11] لعدوك ، ممكناً من رميك . وإن حصل من عيوبك وعوراتك بعض ما لا تقدر على إصلاحه من ذنب قد مضى [12] وأمر يعيبك عند الناس لا تعرفه أو [13] لا تراه أنت عيباً ، فاحفظ ذلك وما عسى أن يقول فيه قائل من حسبك أو [14] من مثالب آبائك أو إخوانك وأخدانك [15] ، ثم اجعل ذلك كله نصب عينك . واعلم أن عدوك مريدك به فلا تغفل عن التهيؤ له [16] والإعداد لحيلتك [17] وحجتك فيه سراً وعلانية .

فأما الباطل فلا تروعن به قلبك ، ولا تشغلن [18] بشيء من أمره ، فانه لا يهولك ما لم يقع ؛ وإن وقع ، اضمحل [19] .

---

(١) د : ومن أقوى القوة لك على عدوك أن تحصى ...
(٢) عند : ناقصة فى ص و ط . (٣) س : وتراه / ص : أو لأحد .
(٤) س : فارقت . (٥) أو ما يشاكله : ناقصة فى د .
(٦) قد : ناقصة فى ط و س . (٧) ص : مما .
(٨) د : تحسين – وهو تحريف ظاهر .
(٩) واحراز مقاتلك : ناقصة فى د . (١٠) ممسيا ومصبحا : ناقصة فى د .
(١١) معور : مريب – والفعل : أعور : أراب ؛ ورجل معور : قبيح السريرة ، ومكان معور : يخاف فيه القطع ، وطريق معورة : ذات عورة يخاف فيها الضلال والانقطاع – وفى د : معذر .
(١٢) ص ، س : و/د : بعض ما تقدر على صلاحه من ذلك فقد مضى ، أو أمر ...
(١٣) لا تعرفه أو : ناقصة فى د . (١٤) من : ناقصة فى س و د .
(١٥) ط : وأخواتك/د : مثالب آبائك وعيب اخوانك ثم اجعل ...
(١٦) د : التهييء . (١٧) ص : وختلك .
(١٨) د : ولا تستعدن له ، ولا يهولنك ما لم يقع ، واذا وقع اضمحل .
(١٩) ص : اضمحل جدا .

اعلم أنه قلما يُبدِه أحدٌ بشيء يعرفه من نفسه – وقد كان يطمع فى خفائه[1] على الناس – فعيره به معير[2] عند سلطان أو غيره، إلا كاد [١٣١] يشهد عليه به وجهه وعينه ولسانه، للذى[3] يبدو منه عند ذلك، والذى يكون من انكساره وفتوره عند[4] تلك البداهة. فاحذر هذه[5]، وتصنع لها، وتقدم فى أخذ العدة لبغتاتها[6].

...

اعلم[7] أن أوقع الأمور فى الدين وأنهكها للجسد وأتلفها للمال وأضرها بالعقل وأسرعها فى ذهاب الجلالة والوقار – الإغرامُ بالنساء. ومن البلاء على المغرم بهن أنه لا ينفك يأجم[8] ما عنده وتطمع عينه إلى ما ليس عنده منهن. وإنما النساء[9] أشباه، وما يزين[10] فى العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفاتهن[11] باطل وخدعة. بل كثير مما يرغب عنه الراغب مما عنده أفضل مما تتوق إليه نفسه. وإنما المرتغب عما[12] فى رحله منهن إلى ما فى رحال الناس كالمرتغب عن طعام بيته إلى ما فى بيوت الناس[13]؛ بل النساء بالنساء أشبه من الطعام بالطعام؛ وما فى رحال الناس من الأطعمة أشد تفاوتاً وتفاضلا[14]

(١) د : اختفائه.
(٢) ص : فغيره به منير / د : فيعيره به معير.
(٣) أى بسبب ما يبدو ...
(٤) ص : عند ذلك من البداهة / وفتوره : ساقطة فى د.
(٥) د : هذا.
(٦) وتصنع ... لبغتاتها : ساقطة فى د.
(٧) فى « رسائل البلغاء » ص ٨٩ س ٩ – ص ٩١ س ٤ (حتى قوله : عند الريبة والشبهة والطمع) ؛ وفى د ١٣٩ س ١٣ الخ هكذا : « اعلم أن أوقع الأمور للدين ... ».
(٨) ص : بأحمر : – أجم (من باب ضرب) أجما وأجيما الطعام وغيره : كرهه من المداومة عليه فهو آجم وقيل أجم / د : يوخر.
(٩) النساء : ناقصة فى س.
(١٠) د : يريق.
(١١) ط : على باطل.
(١٢) عما ... كالمرتغب : ناقص فى س.
(١٣) د : الناس من الأطعمة، ولعل ما فى بيته من الأطعمة ومن النساء أشد تفاضلا وتفاقما مما فى رحالهم. ومن العجب ...
(١٤) ناقصة فى س.

مما فى رحالهم من النساء . ومن العجب أن الرجل الذى لا بأس به يرى المرأة من بعيد متلفعة فى ثيابها فيصور لها فى قلبه(١) الحسن والجمال حتى تعلقها نفسه من غير رؤية ولا خبر مخبر(٢). ثم لعله يهجم منها على أقبح القبح وأدمّ الدمامة(٣) فلا يعظه ذلك(٤) عن أمثالها ، ولا يزال مشعوفاً بما لم يذق منهن(٥) حتى لو لم يبق فى الأرض غير امرأة واحدة لظن(٦) أن لها شأناً غير شأن ما ذاق . وهذا هو(٧) الحمق والشقاء . ومن لم يَحْمِ نفسه ويظلفها(٨) عن الهوى ويخليها عن الطعام والشراب والنساء فى بعض أوقات [١٣١ب] شهواته وقدرته كان أيسر ما يلحقه(٩) فى ذلك ضعف حوامل جسده . وقلما يوجد الإنسان إلا مخادعاً لنفسه فى أمر جسده: عند الطعام والحمية والدواء، وفى أمر مروءته: عند الأهواء والشهوات(١٠) ، وفى أمر دينه: عند الريبة والشبهة والطمع .

∴

إن(١١) استطعت أن تضع نفسك دون غايتك برتبة فى كل مجلس ومقام ومقال ورأى(١٢) وفعال — فافعل . فان رفع الناس إياك(١٣) فوق المنزلة التى تحط إليها نفسك(١٤) وتقريبهم إياك من المجلس(١٥) الذى تباعدت عنه وتعظيمهم

---

(١) د : نفسه .
(٢) د : من غير رؤية ولا خبر .
(٣) س : أذم الذمامة / أدم الدمامة : ناقص فى د .
(٤) س : من .
(٥) منهن : ناقصة فى ، د .
(٦) د : ظن .
(٧) هو : ناقصة فى د .
(٨) ص : يطلعها . — / د : ومن لم يحم نفسه عن الطعام والشراب والنساء فى بعض ساعات شهوته وقدرته كان ما يصيبه من وبال ذلك انقطاع تلك اللذات من خمود نار شهوته وضعف جسده ، وقلما يوجد الا ...
(٩) أول ورقة ١٤٧ ا بعد نهاية ١٦٦ ب .
(١٠) س : والشبهات .
(١١) فى « رسائل البلغاء » ص ٩١ س ٥ — س ٨ وفى د ورقة ٤٠ ب س ٨ الخ.
(١٢) س : ورأى وفعل . فان / د : ومقام ورأى فافعل .
(١٣) فوق .. اياك من : ناقص فى س .
(١٤) نفسك : ناقصة فى د .
(١٥) د : للمجلس.

من أمرك ما لم تكن + تعظم ، وتزيينهم من كلامك ورأيك ما + لم تزين — هو الجمال .

إن[1] غلبت على الكلام فلا تغلبن على السكوت ، ولعله أن يكون أشدَّهما لك زينة ، وأجلبهما إليك مودة ، وأبقاهما[2] للمهابة ، وأنفاهما للحسد .

إذا [3] تراكمت الأعمال عليك فلا تلتمس الرَّوح بمدافعتها والروغان منها ، فانه لا راحة لك إلا فى إصدارها ، وإن الصبر عليها هو الذى يخففها [4] عليك ، والضجر منها هو الذى يراكمها عليك . فتعهد مِنْ نفسك فى ذلك[5] خصلة قد رأيتها تعترى أصحاب الأعمال : أن الرجل يكون فى أمر[6] من أموره فيرد عليه شغل آخر ويأتيه شاغل من الناس يكره تأخيره فيكدر نفسه تكديراً يفسد ما كان فيه وما ورد عليه حتى لا يحكم[7] واحداً منهما . فان ورد عليك مثل ذلك ، فليكن معك رأيك الذى تختار به الأمور . ثم اختر أوْلى الأمرين بشغلك فاشتغل به حتى تفرغ منه ، ولا يعظمن عليك [١٣٢ا] فوت ما فات وتأخر[8] ما تأخر إذا وضعت الرأى موضعه وجعلت شغلك فى حقه .

اجعل لنفسك فى كل شيء[9] غاية ترجو القوة والتمام عليها . واعلم أنك إن جاوزت الغاية فى العبادة صرت إلى التقصير ؛ وإن جاوزتها فى عمل العلم صرت إلى الجهالة[10] ؛ وإن جاوزتها فى تكلف رضا الناس[11] والخفة معهم فى حاجاتهم كنت المحسور[12] المضيع .

(+ .. +) ما بين العلامتين ناقص فى د .

(١) فى « رسائل البلغاء » ص ٩١ س ١١ — س ١٢ — ولم يرد فى د .

(٢) ط : وأنفاهما .

(٣) فى « رسائل البلغاء » ص ٩٢ س ١٠ — ص ٩٥ س ١ (حتى قوله : يخترع بأضعاف) ، وفى د ورقة ٤١ ب س ١ الخ هكذا : « اذا تزاحمت الأعمال عليك فلا تلتمس الاستراحة فى مدافعتها ، فانه لا راحة ... » .

(٤) د : عنك . (٥) د : فى ذلك من نفسك .

(٦) س : أمرين . (٧) ص : واحد .

(٨) د : وتأخير ... اذا عملت الرأى وجعلت ...

(٩) ص : غاية فى كل شيء . (١٠) د : من الجهال .

(١١) ص : الجماعة . (١٢) د : المخسور (بالخاء المعجمة) .

اعلم أن بعض العطية لؤم ، وبعض السلاطة عِىٌّ ، وبعض العلم جهل . فان استطعت ألا يكون عطاؤك جوراً ، ولا بيانك هذراً ، ولا علمك وبالا — فافعل .

واعلم(١) أنه سيمر بك من الأحاديث(٢) ما يعجبك : إما مليحه ، وإما رائعه(٣) . فاذا أعجبك كنت خليقاً أن تحفظه ، فان الحفظ موكل بما راع . ثم ستحرص(٤) على أن تعجِّب منها أقواماً ، فان الحرص على التعجيب(٥) من شأن الناس ؛ وليس كل معجب لك معجباً لغيرك . فاذا نشرت ذلك المرة والمرتين فلم تره وقع من السامعين موقعه منك ، فانزجر من العود له ، فان التعجيب(٦) من غير عجب سقط شديد . +وقد رأينا من الناس من يعلق الشيء فلا يقلع عن الحديث به ولا يمنعه قلة قبول أصحابه من أن يعود+ .

انظر فى الأخبار(٧) الرائعة فتحفظ منها ، فان من شأن الناس(٨) الحرص على الأخبار ، ثم لا سيما(٩) ما ترتاع له الناس . وأكثر الناس من يتحدث بما سمع(١٠) ولا يبالى ممن سمع ذلك ؛ وهذا(١١) مَفْسدةٌ للصدق ومُزْراة بالرأى . فان [١٣٢ب] استطعت ألا تخبر بشىء إلا وأنت مصدق به ولا يكون تصديقك إلا ببرهان — فافعل ، ولا تقل كما يقول السفهاء : « أخبركم(١٣) بما سمعت » — فان الكذب أكثر ما أنت سامع ، وإن السفهاء أكثر من هو قائل . وإن صرت للأحاديث واعياً(١٤) وحاملا ، كان ما تعى وتحمل عن العامة أكثر مما يخترع المخترع من الأحاديث بأضعاف(١٥) .

---

(١) الواو : ناقصة فى ط و ص . (٢) د : بك أحاديث تعجبك ...
(٣) ص : رابعة .
(٤) س : تحرص / د : ثم ستحرص على أن يتعجب منها الأقوام .
(٥) د : التعجب . (٦) د : التعجب .
(+ ... +) ما بين العلامتين ساقط فى د .
(٧) ص : الرابعة . / د : ثم أنظر الأخبار ...
(٨) ص : ثم لأشياء / د : ما يرتاح . (٩) د : الانسان .
(١٠) ط : يسمع ./د : من يحدث بما سمع .
(١١) د : وذلك مفسدة للصديق ومزرأة للرأى .
(١٢) د : ولا يكونن . (١٣) د : أخبر . (١٤) بغير واو فى د .
(١٥) س ، بالأضعاف/د : ويخترع المخترع بالأضعاف .

اعلم[(١)] أنك ستبتلى[(٢)] من أقوام بسفه ، وأن سفه السفيه سيطلع لك منه جداً . فان عارضته[(٣)] وكافأته بالسفه ، فكأنك[(٤)] قد رضيت ما أتى وأحببت أن تحتذى مثاله . فان كان ذلك[(٥)] عندك مذموماً ، فحقق ذمك[(٦)] إياه بترك معارضته . فأما أن تذمه وتمتثله فليس لك ذلك[(٧)] .

اعلم[(٨)] أن الجبن مَقْتلة ، وأن الحرص مَحْرمة. فانظر فيما رأيت أو سمعت : أمن قتل فى الحرب مقبلا أكثر ، أم[(٩)] من قتل مدبراً ؟ وانظر أمن[(١٠)] يطلب منك بالاجمال والتكرم[(١١)] : أحق أن تسخو له نفسك بطلبته ، أم من يطلب إليك بالشره والحرص[(١٢)] ؟

اعلم أنه ليس كل من كان لك فيه هوى فذكره ذاكر بسوء أو ذكرته[(١٣)] أنت بخير ينفعه[(١٤)] ذلك أو يضره ذكرهم . فلا يستخفنك ذكر أحد من صديق أو عدو إلا فى موطن دفع أو محاماة ، فان صديقك ، إذا وثق بك فى موطن المحاماة ، لم يحفل بما[(١٥)] تركت مما سوى[(١٦)] ذلك ، ولم يكن له عليك سبيل لائمة . وإنّ أحزم[(١٧)] ذلك فى أمر عدوك ألا تذكره إلا حيث يضره ، وألا تعد يسير الضر ضراً .

اعلم أن الرجل قد يكون حليما فيحمله الحرص على أن يقول الناس هو جلْد ، والمخافة أن يقولوا هو مهين على أن يتكلف الجهل . وقد يكون الرجل

(١) فى « رسائل البلغاء » ص ٩٥ س ٨ — س ١١ ، وفى د ورقة ٤٣ ب س ١١ الخ .
(٢) ط : ستبلى .
(٣) وكافأته : ساقطة فى د .
(٤) قد : ساقطة فى د .
(٥) ص : عندك ذلك .
(٦) د : ظنك وذلك ...
(٧) د : ذلك لك .
(٨) فى « رسائل البلغاء » ص ٩٧ س ٤ — ص ١٠٠ س ٤ (حتى قوله : يشكر للمكتئب) وفى د ٤٥ ا س ٥ الخ ..
(٩) ص : أمر . — أكثر : ناقصة فى س .
(١٠) ص و د : من .
(١١) والتكرم ... اليك : ناقصة فى س .
(١٢) د : بالشره والدفع (!) .
(١٣) ص : لو .
(١٤) ذلك : ناقصة فى د .
(١٥) ص : يريك .
(١٦) ذلك : ناقصة فى ط .
(١٧) د : فان أحزم لك فى أمر ... ولا تعد ...

زِمِّيتاً فيحمله الحرص [١١٣٣] على أن[1] يقال هو لسن ، والمخافة من أن يقال[2] بكيء على أن يقول فى غير موضعه فيصير هذراً . فاعرف هذا وأشباهه[3] واحترس منه كله .

إذا بدهك[4] أمران متناقضان لا تدرى أيهما الصواب[5] : فانظر أقربهما إلى هواك فخالفه ، فان أكثر الصواب فى خلاف[6] الهوى .

• ليجتمع فى قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم فيكون افتقارك إليهم فى لين كلامك[7] وحسن بشرك ، ويكون استغناؤك عنهم فى نزاهة عرضك وبقاء عزك[8] .

اعلم[9] أنه ليس شيء من العلم يذكر عند غير أهله إلا عادوه ونصبوا له وأنغضوا[10] عليه وحرصوا على أن يجعلوه جهلا ، حتى إن كثيراً من اللهو واللعب الذى هو أخف الأشياء على الناس ليحضره[11] من لا يعرفه فيثقل عليه ويغتم به .

ليعلم[12] صاحبك وصديقك أنك حدب على صاحبه وصديقه . وإياك — إن عاشرك امرؤ أو رافقك — أن يرى منك ولوعاً بأحد من أعوانه وأصحابه ، فان

---

(١) على أن يقول ... الحرص : ناقصة فى ص — والزميت : الشديد الوقار .

(٢) لكن : ناقصة فى ص . وقد وردت فى ط : لكن — وهى لم ترد فى العربية ، انما الذى ورد : ألكن للصفة ، فأخترنا ما ورد فى س : بكيء والبكيء هو القليل الكلام هنا ، وناقة بكيء : قل لبنها ، وبئر بكيء : قل ماؤها/د ، ص : عيى .

(٣) وأشباهه : ناقصة فى د . كله : ناقصة فى د .

(٤) د : دهمك أبدا أمران لا تدرى ...

(٥) فأنظر ... الصواب : ناقصة فى ص .

(٦) س : مخالفة/د : فأنظر أيهما أقرب الى هواك مخالفة ، فان أكثر الصواب فى مخالفة الهوى .

(٧) د : كلمتك .

(٨) ط : فى بقاء عزك ونزاهة عرضك .

(٩) فى « رسائل البلغاء » ص ٩٩ س ٧ الخ ؛ فى د ٤٦ ب س ١ الخ .

(١٠) أنغضوا : حركوا وألبوا . — نصب لفلان : عاداه . — وفى س : أبغضوا .

(١١) د : يحضره .

(١٢) فى « رسائل البلغاء » ص ١٠٠ س ١ — س ٤ ؛ ساقط فى د .

ذلك يأخذ من القلوب . ولطفك بصاحب صاحبك أحسن عنده موقعاً من لطفك به نفسه(1) .

اتّقِ(2) الفرح عند المحزون ، واعلم أنه يحقد على المنطلق ، ويشكر للمكتئب .

تعلم(3) حسن الاستماع كما تتعلم(4) حسن الكلام . ومن حسن الاستماع إمهالك المتكلم حتى يقضي حديثه ، وقلة التلفت (5) إلى الجواب ، والإقبال بالوجه ، والنظر إلى وجه المتكلم ، والوعى لما يقول(6) .

إذا(7) رأيت نفسك قد تصاغرت الدنيا عندها ودعتك إلى الزهادة فيها على حال تَعَذُّرٍ ، فلا يغرنك ذلك من نفسك على تلك الحال فإنها ليست بزهادة ، ولكنه ضجر واستخذاء وتغير من النفس عند ما أعجزها من الدنيا ، وغضب منك عليها(8) لما التوى عليك[133ب] منها . فلو تممت على رفضها ، وأمسكت عن طلبها ، أوشكت أن ترى من نفسك من الضجر والجزع أشد من ضجرك(9) الأول بالأضعاف . ولكن إذا دعتك نفسك(10) إلى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك فأسرعْ إجابتك(11) إياها .

إذا(12) كنت في جماعة فلا تَعُمَّن جيلا من الناس أو أمة(13) من الأمم

---

(1) س : نفسك/« رسائل البلغاء » : بنفسه .
(2) ط : أين — وهو تحريف ظاهر .
(3) فى « رسائل البلغاء » ص 101 س 8 — س 10 ، وساقط فى د .
(4) ص : تعلم .
(5) س : التقلب ؛ ط : التفلت . — ويجوز أن يكون الصواب : التلهف .
(6) والوعى : ناقصة فى س و ص .
(7) فى « رسائل البلغاء » ص 103 س 10 — ص 104 س 4 ؛ وفى د 46 ب س 12 الخ هكذا : « ان رأيت نفسك تصاغرت ... الى الزهد ... تعذر من الدنيا ... على تلك الحال ... بزهد ، ولكن ذلك من الضجر والاستجداء وتغير ... »
(8) د : منها عليها لما التوى عليها منها . فان أمسكت ...
(9) د : ضجرها . (10) نفسك : ناقصة فى د .
(11) ص : اجابتها اليها/د : الى اجابتها .
(12) فى « رسائل البلغاء » ص 104 س 9 — ص 105 س 2 ؛ وفى د 47 ب س 3 الخ . (13) د : وأمة .

بشتم أو ذم ، فانك لا تدرى لعلك تتناول بعض أعراض جلسائك . ولا تذمن مع ذلك اسماً من أسماء الرجال أو النساء بقول[١] فتقول : هذا قبيح من الأسماء ، إذْ كنت لا تدرى لعلك[٢] توافق بذلك بعض جلسائك فى بعض أسماء الأهلين أو الُحرَم أو غيرهم . ولا تصغرن من هذا شيئاً فكله يجرح فى[٣] القلب ، وجرح اللسان كجرح اليد ، بل أشد .

اعلم[٤] أن مِنْ تنكُّبِ الأمور[٥] ما هو حذر ، ومنه ما هو خور . فان استطعت أن يكون جبنك من الأمر قبل مواقعتك إياه ، فان ذلك هو الحذر فافعله[٦] ولا تنغمس فيه ، ثم تهيبه ، فان ذلك هو الخور .

قد[٧] رأينا من سوء المجالسة أن الرجل تثقل عليه النعمة يراها بصاحبه فيكون[٨] مما يشتفى به من تصغير صاحبه وتكدير النعمة أن يذكر الزوال والفناء والدول كأنه واعظ أو قاص ، فلا يخفى ذلك على من يعنى به ولا غيره ؛ ولا ينزل قوله بمنزلة الموعظة والإبلاغ ، لكن بمنزلة الضجر بالنعمة والاغتمام لها وبها[٩] ، والاستراحة إلى غير رواح .

---

(١) د : تقول أن هذا لقبيح من الاسماء ...

(٢) د : لعل ذلك يوافق لبعض جلسائك بعض أسماء الأهلين والحرم ، ولا تستصغرن من ذلك شيئا ، فكله يجرح القلب ، وجرح اللسان أشد من جرح اليد .

(٣) س : يخرج .

(٤) فى « رسائل البلغاء » ص ١٠٥ س ٦ ـ س ٨ ؛ وفى د ٤٨ ا س ٥ الخ .

(٥) ص : من الأمور . ـ وما أثبتناه عن ط ./وفى س : من تيك الأمور ../و فى د : من تنكب الأمور ما يسمى حذرا ، ومنه ما يسمى خورا . فان استطعت أن يكون تجنبك ...

(٦) فافعله : ناقصة فى د .

(٧) فى « رسائل البلغاء » ص ١٠٥ س ١٠ ـ س ١٣ ؛ وفى د ٤٨ ا س ١٠ .

(٨) فيكون مما ... صاحبه : ناقصة فى س/د : فيكون ما يتشفى فيه فى تصغير أمر صاحبه ...

(٩) وبها : ناقصة فى د .

قال(١) : إنى مخبرك عن صاحب كان(٢) لى ، وكان أعظم الناس فى عينى . وكان رأس ما عظمه فى عينى(٣) صغر الدنيا فى عينه(٤) . كان خارجاً من سلطان بطنه ، فلا يشتهى(٥) ما لا يجد ، ولا يكثر إذا وجد(٦) . +كان خارجاً من سلطان لسانه ، فلايقول [١٣٤ا] فيما لا يعلم ، ولاينازع فيما علم+. كان خارجاً من سلطان فرجه ، فلا تدعوه(٧) إليه مؤونة ، ولا يستخف له رأياً ولا بدنا . كان لا يأشر(٨) عند نعمة ، ولا يستكين عند مصيبة . كان خارجاً من سلطان الجهالة ، فلا يقدم أبداً(٩) إلا على ثقة بمنفعة(١٠) . كان أكثر دهره صامتاً ، فاذا قال بَذَّ القائلين. كان يرى متضاعفاً مستضعفاً(١١) ، فاذا جاء الجد كان الليثَ عادياً(١٢) . كان لايدخل فى دعوى ، ولا يشرك(١٣) فى مراء ، ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضياً عدلا وشهوداً عدولا(١٤) . كان

---

(١) أى ابن المقفع أيضا . وهذه القطعة منسوبة فى « نهج البلاغة » الى الامام على . راجعها ص ٢٠٥ الى ص ٢٠٦ . طبعة الحلبى ، القاهرة (بغير تاريخ) ، مع بعض التغيير فى النص . وقد وردت أيضا فى « الأدب الكبير » (راجع « رسائل البلغاء » ص ١٠٥ س ١٤ – ص ١٠٦ س ١٢) ، ونسبها ابن قتيبة فى « عيون الأخبار » (ج ٢ ص ٣٥٥) الى الحسن بن على بن أبى طالب ، ونسبها صاحب « زهر الآداب » (ج ١ ص ٢٢٤) الى ابن المقفع .

(٢) كان لى : ساقطة فى « رسائل البلغاء » ص ١٠٥ س ١٤ و د .

(٣) فى « رسائل البلغاء » : عندى .

(٤) صغر ... عينه : ناقصة فى ط .

(٥) ط : يشتهى ؛ د : ما يشتهى .

(٦) كان خارجا من سلطان بطنه ... وجد : ناقصة فى س . / فلا : ناقص فى س .

(+ ... +) ناقصة فى د .

(٧) ص : يدعو ؛ د : تدعو . اليه مروءته .

(٨) أشر (من باب علم) أشرا : بطر ، فهو أشر (بفتح الهمزة وكسر الشين وضمها) وأشران ؛ وبطر : طغى بالنعمة . – وفى « رسائل البلغاء » : عند نقمة – وهو تحريف واضح .

(٩) أبدأ : ناقصة فى « رسائل البلغاء » .

(١٠) د : فلا يقيم أبدا الا على ثقة بمنفعة .

(١١) مستضعفا : ناقصة فى د .

(١٢) العادى : الواثب – وفى « رسائل البلغاء » : متضعفا .

(١٣) ص : يشترك – د و « رسائل البلغاء » : يشرك فى رأى .

(١٤) ط : عدلا / فى بعض المراجع : قاضيا فهما وشهودا عدولا .

لا يلوم أحداً على ما قد يكون فى مثله[١] العذر حتى يعلم ما اعتذاره . كان لا يشكو وجعاً عند من لا يجد[٢] عنده البرء ، ولا صاحباً إلا من يرجو عنده النصيحة لهما جميعاً . كان لا يتبرم[٣] ولا يتسخط ولا يتشهى ولا يتشكى ، ولا ينتقم من الولى ، ولا يغفل عن العدو ، ولا يخص نفسه دون إخوانه بشىء من اهتمامه وحيلته وقوته .

فعليك بهذه الأخلاق ، إن أطقت ! ولن تطيق ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع .

تم كلام عبد الله[٤] بن المقفع .

كلام أبى نصر الفارابى فى وصايا يعم نفعها جميع من يستعملها من جميع [٥] طبقات النـــاس

قال : كل واحد من الناس متى ما رجع إلى نفسه وتأمل أحوالها وأحوال غيره من أفناء الناس ، وجد[٦] نفسه فى رتبة يشركه فيها طائفة منهم ، ووجد فوق رتبته طائفة هم أعلى منه منزلةً بجهة أو جهات ، ووجد دونها[٧] طائفة هم[٨] أوضع منه [١٣٤ب] بجهة أو جهات ، لأن[٩] الملك الأعظم ، وإن وجد نفسه فى محلٍّ لا يرى لأحد من الناس فى زمانه منزلة أعلى من منزلته ، فانه إذا تأمل حاله نِعِمًّا وجد فيهم من يفضل عليه بنوع من الفضيلة إذ ليس فى أجزاء العالم ما هو كامل من جميع الجهات ، وكذلك الوضيع الخامل الذكر يجد من هو دونه بنوع من الضعة . فقد صحّ ما وصفنا .

---

(١) فى « رسائل البلغاء » : العـذر فى مثله ؛ د : على ما يكون العذر فى مثله حتى يعلم اعتذاره .

(٢) س و ط : وجعا الى من لا يرجو عنده البرء ، ولا صاحبا الا الى من يرجو . — وفى « رسائل البلغاء » : وجعا الا الى من يرجو عنده البرء ، ولا يصحب الا من يرجو عنده النصيحة ، وكان لا يتبرم ... ؛ وجعا الا الى من يرجو عنده النصيحة .

(٣) د : يتبرد ولا يتسخف ولا يتبهى ولا يتشكى ...

(٤) كذا فى ط و س . وفى ص : كلام ابن المقفع ؛ وفى د : تم الكتاب .

(٥) جميع : ناقصة فى س .

(٦) س : ووجد .

(٧) س : رتبة طائفة ...

(٨) هم : ناقصة فى س .

(٩) س : ووجد دونها لأن ...

وينتفع المرء باستعمال السياسات مع هؤلاء الطبقات الثلاث : أما مع الأرفعين فلينال مرتبتهم ، وأما مع الأكفاء فليفضُلَ عليهم ، وأما مع الأوضعين فلئلا ينحط إلى مرتبتهم .

ونقول أيضاً إن أنفع الطرق التى يسلكها المرء فى استجلاب علم السياسة وغيرها من العلوم — إذ هو الطريق لا غير — أن يتأمل أحوال الناس وأعمالهم ومُتَصرّفاتهم : ما يشاهد وما غاب عنه مما سمعه وتناهى إليه منها ؛ وأن ينعم النظر فيها ويميز بين محاسنها ومساوئها ، وبين النافع والضار لهم منها ، ثم ليجتهد فى التمسك بمحاسنها لينال من منافعها ما نالهم ، وفى التحرز من مساوئها ليأمن مضارها ويسلم من غوائلها مثلما سلموا .

ونقول أيضاً إن لكل شخص من أشخاص الناس قوتين[1] : إحداهما عاقلة ، والأخرى بهيمية . ولكل واحدة منهما إرادة واختيار ، وهو كالواقف بينهما . ولكل واحدة[2] منهما نزاع[3] غالب : فنزاع القوة البهيمية نحو مصادفة اللذات العاجلة الشهوية ، مثل أنواع الغذاء وأنواع الاستفراغات وأنواع الاستراحات. ونزاع القوة النطقية نحو العواقب المحمودة ، مثل أنواع العلوم وأنواع الأفعال التى تجدى العواقب الفاضلة[4] [١٣٥] السليمة . وأول ما ينشأ الإنسان يكون فى حيز البهائم إلى أن يتولد فيه العقل أولاً أولاً وتقوى فيه هذه القوة ، فالقوة[5] البهيمية إذاً أغلب عليه . وكلما كان أقوى وأغلب ، كانت الحاجة إلى إخماده وتوهينه[6] وأخذ الأهبة والاستعداد له أشد . فواجب على كل من يروم نيل فضيلة ألا يتغافل عن تيقيظ نفسه فى كل وقت وتحريضها[7] على ما هو أصلح له ، وألا يهملها ساعة واحدة ؛ فانه متى أهملها وهى حية — والحى متحرك — لم يكن لها بد من أن تتحرك نحو الطرف الذى هو بهيمى ؛ وإذا تحركت نحوه تشبثت ببعض منه ، حتى إذا أراد[8] ردها عما تحركت نحوه لحقه من النصب

(١) قوتان : فى ص و ط • وفى س كما أثبتنا •
(٢) ص و ط : واحد • (٣) س : ارادة نزاع •
(٤) ص : الفاضلة جدا السليمة • (٥) ط : والقوة •
(٦) ط : توهيته • (٧) ص : تحريضها •
(٨) ط : أرادها •

أضعاف ما كان يلحقه لو لم يهملها ، ويتعطل وقته الذى كان ينبغى أن يحصل فيه فضيلةً لاشتغاله بالاحتيال عما تحركت نحوه وفاتته تلك الفضيلة .

ونقول[1] أيضاً إن المرء لا يخلو فى جميع متصرفاته من أن يلقى أمراً محموداً أو أمراً مذموماً ، وله فى كل واحد[2] من الأمرين فائدة إن استفادها ، ويجد فى كل واحد منهما نفعاً [3] يمكنه جذبه إلى نفسه ، ويصادف فى كل واحد منهما موضع رياضة لنفسه ، وهو أنه يحتال للتمسك بذلك الأمر المحمود الذى يلقاه إن وجد السبيل إلى التمسك به ، أو يتشبه بالتمسك به بقدر طاقته إن أعوزه ذلك ، أو يحسن ذلك الأمر عند نفسه وينبهها على فضله ويوجب عليها التمسك به متى ما وجد الفرصة لذلك ، وهو لاشك واجد السبيل إلى أحد[4] هذه السبل[5] الثلاث . وإذا تلقاه الأمر المذموم فليجتهد فى التحرز [١٣٥ب] منه والتباعد عنه . وإن لم يجد إلى ذلك سبيلا ، وهو واقع فيه ، فليبالغ فى نفيه عن نفسه بغاية ما أمكنه . فان لم يمكنه التبرىء منه ، فليعزم على نفسه أنه إذا تيسر له الخلاص منه لا يعود إلى أسبابه ، وليقبح إلى نفسه دواعى ذلك الأمر ولينبهها[6] على الاعتبار بمن نالهم مضارٌّ مثلها — فقد ظهر أن المرء يصادف فى جميع أحواله : دِقِّها وجِلِّها ، خيرِها وشرِها ، موضعَ الرياضة لنفسه .

ونقول أيضاً إن أول ما ينبغى أن يبتدىء به هو أن يعلم ويعتقد أن لهذا العالم وأجزائه صانعاً — بأن يتأمل الموجودات كلها : هل لكل واحد منها[7] سبب وعلة ، أم لا ؟ فانه يجد عند الاستقراء لكل واحد منها سبباً وعلة عنه وُجِدَ . ثم ينظر إلى تلك الأسباب القريبة من الموجودات : هل لها أسباب أيضاً ، أم ليست لها أسباب[8] ؟ فانه يجد لها أيضاً أسباباً . ثم يتأمل وينظر : هل الأسباب ذاهبة إلى ما لا نهاية ، أم هى واقفة عند نهاية ، أم[9] بعض الموجودات أسباب

(١) ط : وهو أيضا .
(٢) من الأمرين ... واحد : ناقصة فى ط .
(٣) نفعا ... منهما : ناقصة فى س .
(٤) س : أخذ . (٥) ص : السبيل .
(٦) س : وليبنها .
(٧) ص ، ط : سببا . وفى س : سبب أم لا .
(٨) س : أسباب أيضا . (٩) ط : أم هى .

للبعض[1] على سبيل الدور؟ فانه يجد القول بأنها ذاهبة إلى غير نهاية محالا ؛ ويجد القول بأن بعضها سبب للبعض[2] على التعاقب محالا أيضاً ، لأنه يلزم من ذلك أن يكون الشيء سبباً لنفسه ، كما أنه لو كان أ سبباً لـ ب ، وب سبباً لـ ج ، وج سبباً لـ أ لكان[3] أ سبباً لنفسه ، وهذا محال ؛ فبقى أن تكون الأسباب متناهية ؛ وأقل ما يتناهى إليه الكثير هو الواحد ؛ فسبب الأسباب موجود ، وهو واحد . ولا يجوز أن تكون ذات السبب وذات المسبَّب واحداً . فسبب أسباب العالم منفرد بذاته وعما دونه . ولما لم يقدر [١٣٦] الإنسان[4] على معرفة شيء سوى ما شاهده بحواسه أو فهمه بعقله عما شاهده ، لم يجد بداً من وصف البارى ، الذى هو سبب الأسباب ، والعبارة عنه بما وجد السبيل[5] إليه من الألفاظ والأوصاف . فلما أراد العبارة والوصف له ، علم أنه لا يلحقه شيء من جميع الأوصاف التى شاهدها وعلمها لتفرده[6] بذاته ولأنه منزه عن كل ما أحسه وعرفه — لم يجد[7] طريقاً أحسن من[8] أن ينظر فى الموجودات التى لديه . فاذا تأملها وجدها صنفين : فاضلا وخسيساً[9] ، ووجد الأليق بسبب الأسباب وموجدها الواحد الحق أن يطلق عليه من كل صنفين أفضلهما : — مثل أنه رأى الموجود والمعدوم وعلم أن الموجود أفضلهما[10] فأطلق القول عليه ، وقال : إنه موجود . ورأى الحى وغير الحى ، وعلم أن الحى أفضل من غير الحى فأطلق القول عليه وقال : إنه حى . ورأى العليم وغير العليم فأضاف[11] إليه العليم — وكذلك جميع الأوصاف . وعلى أن الواجب على كل صنف من الناس إذا

---

(١) ص : لبعض .

(٢) ص : لبعض . / ويجد القول بأن بعضها ... محالا : ناقصة فى س .

(٣) ا : ناقصة فى ط .

(٤) وعالم يقدر ... بحواسه : ناقص فى س . — بحواسه ... عما شاهده : ناقص فى ص .

(٥) ص : التفرده .

(٦) ص : أوجد اليه السبيل .

(٧) ص : يكن طريقا .

(٨) من : ناقصة فى ص .

(٩) ص ، ط : فاضل وخسيس — وما أثبتناه عن س .

(١٠) مثل ... أفضلهما : ناقصة فى ص .

(١١) ط : وأضاف .

أراد أن يصف البارى – عز [1] وجل – بصفة ما أن يخطر بباله مع تلك الصفة أنه منزّه عن أن يشبه تلك الصفة ، بل هو أفضل وأشرف وأعلى ، لأنه سبب وجود كل صفة وموصوف ، وأنه لا يمكن لأحد إحاطة العلم به كما هو وكما يستحق .

ثم إذا علم هذا الذى وصفناه ينبغى له أن يتأمل أجزاء العالم كلها ، فانه يجد أفضلها ما هو ذو نفس ويجد أفضل ذوى الأنفس الذى له الاختيار والإرادة والحركة التى عن روية ، وأفضل ذوى الإرادة والحركة عن الروية الذى له النظر البليغ فى العواقب ، وهو الإنسان الفاضل . وأن يعلم مع ذلك أن الطبيعة لاتفعل شيئاً باطلا ، فكيف [١٣٦ب] مبدع الطبيعة ! والبارى تعالى – حيث وهب الاختيار والروية والفكر للبرية – لم يكن ينبغى أن يهمل أمرها ، وكان من الواجب فى عدله وصنعه المتقن أن ينهج [2] لها نهجاً يسلكونه . ولما كان كذلك بالواجب [3] لم يكن ينبغى أن يرسل إليها من ليس من طبعها [4] ، لأنهم لم يكونوا يقدرون على الاستفهام ممن هو من [5] غير طبعهم . وظاهر أن فى الناس وعقولهم وقوى أنفسهم تفاضلا بيناً ، حتى إن الواحد منهم يفوق بالفن الواحد جميع ذوى جنسه ويعجز الباقون عنه . فممكن إذاً أن يكون من الناس من يقوى على أن يوحى إلى قلبه بما يعجز ذو جنسه عن مثله ، حتى يقوم ذلك الواحد بتبليغ ما يلقى إليه ، ويقدر بتلك القوة وذلك الإلهام على تشريع الأحكام وتنهيج السبل الداعية إلى صلاح [6] الخلق .

ثم ينبغى أن يعلم أنه إذا ظهر مثل هذا الواحد [6] وتبين أمره ، فالواجب على كل ذى تمييز أن يعلم أن لكل واحد من الناس مقداراً وتمييزاً ومعرفة . فمتى وجد الأفهام الكثيرة والآراء المختلفة مجتمعة على كلمة واحدة ولم يجد [7] ما هو أظهر منه وأكشف وأقوى ، فليتبع الكثير والآراء المتفقة من الجميع ، فان الحق معهم ،

---

(١) عز وجل : ناقصة فى ط و س .
(٢) ط : بها . / س : نهجات . (٣) س : فالواجب .
(٤) س : طبعهم . (٥) س : فى .
(٦) الى صلاح ... الواحد : ناقص فى س.
(٧) ص ، س : لم (بدون واو) .

والسلامة أبداً مع الكثير. وينبغي ألا تغرّه الواقعات فى الندرة وفى الآراء المزخرفة، فان أكثرها أباطيل إذا تؤمل نِعِمّا.

ثم ينبغى أن تعلم أن المكافأة واجبة فى الطبيعة، وأنها إنما تجب فى الأعمال المقرونة بالنيات. والدليل على ذلك أن المرء لا يجازى على ما يعمله فى نومه، ولا على ما ليس بارادته [١٣٧ا] واختياره، مثل سعاله وعطاسه وحياته وموته وتنفسه، ولا على اغتذائه واستفراغه — وإن كان فيها بعض الإرادة. ولا يجازى أيضاً على نِيّاته المجردة.

وأول ما ينبغى أن يستدل المرء به على وجوب المكافأة[١] هو أنه إذا عرف ربه واعتقد ذكرنا من وحدانيته وتنزهه عن صفات المخلوقين ومعرفة رسوله فى أى زمان كان وانتهج النهج الواضح، وجد فى صدره سعة، وفى أحواله استقامة، وعن الأشرار سلامة، وعند الأخيار حُظْوة، وفى معاشه سداداً بمقدار ما يفعله وينويه منه. فاذا تيقن[٢] ذلك فينبغى له أن يقدم على سياسة أحواله بقلب قوى ونية صا ة وصدر واسع وثقة بأن ما يأتيه من ذلك — وإن قَلّ — يجدى عليه نفعاً يجلّ.

ويبدأ بتعهد الرؤساء بما سنصفه فنقول: إن الإنسان لا يخلو مع من فوقه من الرؤساء من أن يكون متصدياً لخدمته، أو يكون بينه وبينه حال يلقاه بها فى بعض الأوقات، أو يكون بالبعد عنه لا يلقاه إلا بالذكر. فواجبٌ على المرء أن يستعمل — مع من هو متصدٍّ لخدمته — ما نقوله: وهو أن يكون بينه وبينه اتصال وملازمة دائمة لمـا هو بصدده، ويكون مواظباً على ما فوض إليه، ويجتهد أبداً أن يكون نصب عينه إذا ذكره ولا ينسى الملال[٣]، وخصوصاً من الملوك، لأن موضع[٤] الملال إنما يكون عند كثرة غشيان الناس المواضعَ التى ليس لهم فيها عمل، وأن يكون مادحاً له مقرظاً لجميع ما يأتيه الرئيس من

(١) ص: وهو. وكذلك فى س.
(٢) س: تبقى.
(٣) س: المال — وهو تحريف ظاهر.
(٤) س: مواضع.

دَقٍّ[1] وجلٍّ ، مجتهداً فى تحسين كل[١٣٧ب]ما يفعله ويقوله ، وهو واجد[2] ذلك إذ ليس شىء من أمور العالم إلا وله وجهان : أحدهما جميل ، والآخر قبيح ، فليطلب لكل أمر من أموره وجهاً جميلا يصرفه إليه ، ويتكلف ذكره بحضرته وغيبته . فان كان المرء ممن إليه تدبير ذلك الرئيس — مثل أن يكون وزيراً أو مشيراً أو معلماً ، ولا بد له من تعريفه وجه الصلاح فى الأعمال — فليعلم أن الرئيس كالسيل المنحدر من الربوة إن أراد المرء أن يصرفه إلى ناحية من النواحى وواجهه أهلك نفسه[3] وأتى عليه السيل فَغَرَّقه . فان سعى معه وعلى جانبيه وتلطف لصرفه إلى الناحية التى يريدها بأن يطرح فى بعض جوانبه مقداراً من السدد[4] وتطرق له من الجانب الآخر لا ينشب أن يصرفه حيث شاء .

وينبغى له أيضاً أن يستعمل مع الرئيس فى صرف وجهه عما يريد صرفه عنه أن يجرى معه فيما هو جار نحوه ولا يواجهه بأمر ولا نهى ، بل يريه وجه الصلاح فى خلاف ما يأتيه ويقبح عنده — فى الوقت بعد الوقت ، على سبيل الحكايات عن غيره والحيل اللطيفة — بعض ما يعرض مما هو فيه . فانه إذا استعمل معه هذه[5] الطريق لا يلبث أن تعود الحال بمراده وأن يكون كاتماً لأسراره. والحيلة فى ذلك أن يكتم جميع أحواله[6] الظاهرة بما يقدر عليه . فان من كان كاتماً[7] للأحوال الظاهرة ، فكم بالحرى ألا يعثر منه على إفشاء سر باطن ! ولا يؤمن على السر المكتوم أن يظهر ببعض الأحوال الظاهرة ، لأن الأمور والأحوال متصلة متعلقة بعضها ببعض . وأن يعلم[١٣٨ا] أن للرؤساء هماً ينفردون بها عمن[8] سواهم من الناس ، وهى أنهم يعتقدون فى جميع من دونهم الاستخدامَ والاستعباد ، وفى أنفسهم الإصابة فى جميع ما يأتونه . وإنما تحدث هذه الهمة فيهم لكثرة مدح الناس لهم وإطرائهم أعمالهم وتصويبهم آراءهم ، وذلك فى طباع

---

(١) أى من دقيق ما يأتيه وجليله .

(٢) ص ، ط : واحد . (٣) ط : أهلكه .

(٤) جمع سدة (بضم السين وتشديد الدال) : جريد يشد بعضه الى بعض ؛ الأبواب ؛ الظلل . — وفى ط : بفتح السين والدال بعدها .

(٥) س : هذا . (٦) س : أسراره .

(٧) س : فان من كتم الأحوال .. (٨) س : عن .

كل الناس . وأن يحترز كل الاحتراز بأن يخبر عن نفسه بحضرة الرئيس شيئاً يمكن أن يتخذ بوجه[1] من الوجوه جرماً عليه وإن كان فى غاية الانبساط معه ، وألا يقر بما يخبر الرئيس عنه مما يستقبح : فشتان بين الخبر وبين الإقرار ! وليس يؤمن تغير[2] الأحوال . فأما إذا اعترض[3] بينه وبين الرئيس حال لا يمكن صرف القبيح إلا إليه أو إلى الرئيس فقط ، فليجتهد فى صرف ذلك القبيح إلى نفسه وليجعل لذلك أوجهاً . فاذا اتجه القبيح نحوه وتبرأتْ ساحة الرئيس منه أو كاد أن يتجه — فليحتل[4] لأن يطلب لذلك الأمر سبباً يكون بدوؤه من غيره لترجع اللائمة عليه ، وإن كان بالقصد الثانى كيلا يلتزم اللائمة. وما من شىء أبلغ وأعم نفعاً فى باب العبودية من ترك المرء حظ نفسه فى جميع ما يباشر من الأعمال لرئيسه[5] . فانه ما من أمر يتعاطاه الإنسان مما هو بينه وبين الرئيس إلا ويجد لنفسه موضع حظ. فينبغى له أن يتركه ويتجنبه ويستخلص ما هو حظ الرئيس . فانه مهما فعل ذلك ، اجتنى ثمرة خيره . ومهما اشتغل باستيفاء حظه ، لم يقع الأمر على جهته ووقع فيه خلل . وترك الإمر خير من إفساده.

وينبغى أن يتلطف[6] كل [١٣٨ب] التلطف[7] فى نيل المنافع من جهة الرؤساء بألا يلح فى السؤال وألا يديمه ولا يظهر الطمع والشره من نفسه ، ويجتهد فى أن يطلب من الرؤساء أسباب المنافع ، لا المنافع أنفسها ، مثل إطلاق اليد فى وجوه تجلب منها الأموال والمنافع ليقل السؤال ويكثر النفع . ويجتهد فى أن ينتفع بالرئيس[8] ، لا أن ينتفع منهم ، لأن من انتفع بهم أعزوه ، ومن انتفع منهم ملوه ، ويضع نفسه عندهم فى صورة من ينخلع عن ملكه وقنيته لهم بأهون كلمة وأدون سعى . وليحذر كل الحذر من أن يتصور عندهم منه أنه يضن[9] بماله أو يحب أن يستأثر بشىء من مقتنياته ، فانه حينئذ يصير بِعُرْضٍ من

---

(١) س : ذلك بوجه ...
(٢) ص : تغيير ؛ س : من تغيير .
(٣) ص : عرض .
(٤) ص : فليتحيل .
(٥) ص : الرئيسية .
(٦) س : ذلك التلطف .
(٧) أول ورقة ١٦٧ ا بعد نهاية ورقة ١٥٦ ب .
(٨) ص : الرئيس ... منه .
(٩) س : يظن — وهو تحريف سمعى .

الاستقصاء ، والممنوع محروص عليه ، والمبذول مملول منه . ويجتهد فى أن يظهر فى كل ما يقتنيه أنه إنما يفعله لتكون زينته وجماله للرئيس ، لا لنفسه ، فانه ملاك الإبقاء . وليحذر أن يتخذ لنفسه شيئاً مما ينفرد به الرئيس أو مما يليق بالرؤساء الذين فوقه ، فان كل من اتخذ شيئاً من ذلك فقد عرض نفسه للهلاك ، وعرض ذلك الشيء للذهاب .

وينبغى ألا يظهر من نفسه الاستغناء عن الرؤساء ، ولا فيما يقل مقداره ؛ وأن يكون مُظهراً أبداً قناعة ورضا بكل ما يتصرف فيه من الأمور والأموال .

ومتى ما لحقته سَخْطة من الرئيس أو ملال أو ما أشبهه فليجتهد فى ترك الشكاية عنده ، وليحذر من إظهار العداوة له والحقد ، وليصرف وجه الذنب فيه إلى نفسه . ثم ليجتهد وليتلطف لتجديد حال [١١٣٩] تزيل تلك السخطة بأهون ما يقدر عليه . فهذه قوانين ينتفع باستعمالها فى معاشرة الرؤساء .

⁂

فأما[1] التى ينبغى أن يستعملها مع الأكفاء فسنذكر منها ، ونقول : إن الأكفاء لا يخلون من أن يكونوا أصدقاء أو أعداء ، أوْ لا أصدقاء ولا أعداء . والأصدقاء صنفان : أحدهما الأصفياء المخلصون فى الصداقة ، وينبغى للمرء أن يديم ملاطفتهم وتعهد أسبابهم وإهداء ما يستحسنه وما يتيسر له إليهم فى كل وقت ويحيي الحال فيما بينه وبينهم بذلك من غير أن يظهر منه ملال أو تقصير ويجتهد فى الاستكثار منهم ، فان الصديق زين المرء وعضده وعونه وناصره ومذيع فضائله وكاتم هفواته وماحى زلاته . ومهما كان[2] هؤلاء أكثر ، كانت أحوال المرء فيما بينهم أحسن وأقوم . والصنف الآخر هم الأصدقاء فى الظاهر من غير صدق فيما يظهرونه ، بل بتشبه وتصنع — فينبغى للمرء أن يجاملهم ويحسن إليهم ولا يطلعهم على شيء من أسراره ، وخصوصاً من عيوبه ، ولا يلقى إليهم خواصّ أحاديثه وأحواله ، ولا يحدثهم عن نعمه ولا عن أسباب منافعه ، وليجتهد فى استمالتهم والصبر معهم ، ومعاملتهم بحسب الظاهر دون أخذهم بالبواطن ، ولا يأخذهم بالتقصير ولا يقطع عتابهم فيما يقع منهم من التقصير ،

(١) س : وأما الذى ينبغى ... (٢) ص ، س : هو .

ولا يجازيهم على ذلك . فانه مهما فعل ذلك يرجى صلاحهم ورجوعهم إلى مراده ولعلهم يصيرون فى رتبة الأصفياء له . وليس شيء أدل على [١٣٩ب] صدق(١) الإخاء وإضمار الوفاء ولا أشد استجلاباً للمحبة ووجوب الحق من تعهد أحوال(٢) الأصدقاء . فان المرء ، إذا رأى صديقه وهو يتعهد أحوال أخلائه والمتصلين به ، يستدل بذلك على صدق محبته له ويثق بوداده ويقوى تأميله ورجاؤه عنده .

وأفضل ما يستعمله المرء مع أصدقائه هو أن يتعهد أحوالهم عند الحاجة والفاقة ، ويواسيهم بما يمكنه من غير أن يحوجهم إلى المسئلة ، ويتفقد أقاربهم وعيالاتهم إذا ماتوا . فانه(٣) متى شُهِرَ بذلك رغب فى صداقته كل أحد ، وبذلك تكثر أصدقاؤه .

والأعداء أيضاً صنفان : أحدهما ذوو الأضغان والأحقاد . وينبغي للمرء أن يحترس منهم كل الاحتراس ، ويبحث عن أحوالهم ، ويستطلع أخبارهم بكل ما أمكنه . ومهما اطلع منهم على مكر أو خديعة أو تدابير(٤) يدبرونها فليقابلهم بما يناقض تدبيرهم ، ويكثر الشكاية منهم إلى الرؤساء وأفناء الناس ليعرفوا بعداوته حتى لا تنجع فيه مكائدهم ولا ينفق(٥) عليهم قولهم فيه(٦) ، وليصيروا متهمين عند الناس فى أقوالهم وأفعالهم بما ظهر عند الناس من عداوتهم إياه . وكل من يئس من صلاحه وتيقن سوء طبعه وتمكن الضغينة من قلبه ، فلينتهز الفرصة فى إهلاكه ؛ ومهما وجدها ، فلينتهزها ولا يتغافل عما يمكنه إذا تيقن أمره من إهلاكه . واعلم أنه ربما لا يقدر على إتمام(٧) أمره والنجاة منه ، فلا تشرع فى شيء منه لئلا يجد العدو عليك ما يتعلق(٨) به عند الناس مما يمهد لنفسه عندهم فى عداوته عذراً .

والصنف الآخر من الأعداء هم الحساد . وينبغي للمرء أن يظهر أبداً ما يغيظهم وما يؤذيهم بأن يلقى إليهم [١٤٠ا] ذكر النعم التى يختص بها المرء

---

(١) ص : صديق .
(٢) س : الأحوال .
(٣) س : فانهم .
(٤) ط : تدبير . وكذلك فى س .
(٥) أى : يروج .
(٦) فيه : ناقصة فى ص .
(٧) س : أمر النجاة منه .
(٧) ما يتعلق به : ناقص فى س .

لتذوب لها نفوسهم ، ويحترز مع ذلك من دسيسهم ويحتال لظهور حسدهم فيه وفى غيره من الناس ليعرفوا بذلك.

فأما سائر الناس الذين ليسوا بصديق ولا عدو ولا متصنع فهم طبقات سنذكر جُلَّها وجُلَّ ما ينبغى للمرء أن يستعمل مع كل طائفة منها .

فمنهم النصحاء الذين يتبرعون بالنصيحة . فالواجب على المرء أن يتفرغ للخلوة مع كل من ادعى أنه ناصح له ، ويستمع إلى قوله ، ويعزم على قلبه ألا يغتر بكل قول يسمعه ، وألا يعجل إلى قوله ، ولا يعمل بكل ما ينهى إليه ، بل يتأمل(١) أقاويلهم ، ويتعرّف أغراضهم غاية التعرف ، ليقف من معرفة أغراضهم على حقيقة أقاويلهم . وإذا لاح له(٢) وجه الصواب وحقيقة الأمر فى شيء مما ألقوه إليه ، بادر إلى إنفاذ الأمر فيه . وليكن تلقيه لكل منهم بهشاشة وإظهارٍ للحرص(٣) على ما يلقيه إليه .

ومنهم الصلحاء ، وهم ناس يتبرعون لإصلاح ما بين الناس ، فيجب على المرء أن يمدحهم أبداً على ما يفعلونه ، وأن يتشبه بهم فى جميع أحواله . فان مذاهبهم مرضية عند جميع الناس . ومهما تشبه المرء بهم ، عرف بالخير وحسن النية ، وميز من السفهاء .

فأما السفهاء فيجب على المرء أن يستعمل معهم الحلم ، وألا يواثبهم ولا يقابلهم بما هم(٤) فيه من السفاهة ، بل يتلقاهم أبداً بحلم رزين(٥) وسكون بليغ ، ليعرفوا قلة مبالاته بما هم فيه ولا يؤذونه . ومتى تلقوه بالشتم والسفه ، فيجب أن يتلقاهم بالمحقرة وقلة الاكتراث .

ومنهم أهل الكبر والمنافسة. فيجب على المرء أن يقابلهم بمثله ، لأنهم [١٤٠ ب] إن تواضع لهم أحسوا فيه(٦) بضعف ، وتوهموا أن فيه ليناً ، وأن فعلهم ذلك(٧) صواب ، وأنه لابد للناس من التواضع لهم . ومتى(٨) ماتكبر المرء عليهم وكابرهم

---

(١) ص : تأمل .
(٢) له : ناقصة فى ط .
(٣) ط : حرص لما يلقيه اليه .
(٤) هم : ناقصة فى س .
(٥) س : وزين .
(٦) س : بالضعف .
(٧) س : صوابا .
(٨) ص : ومتى تكبر .

فى الأحوال وتأذوا به ، علموا أن الذنب فى ذلك لهم ، ورجعوا إلى التواضع وحسن السيرة .

فأما(١) الذى ينبغى للمرء أن يستعمله مع من دونه من الناس ، فإنا نصف منه ما تيسر فنقول : إن منهم الضعفاء ، وهم صنفان : أحدهما المحتاجون ذوو الفاقة ، وهم صنوف :

منهم الملحُّون ، فينبغى ألا يعطيهم ولا يبذل لهم على إلحاحهم شيئاً لينزجروا عنه ؛ إلاّ إذا علم أنه صادق الحاجة إلى الشيء الضرورى ؛

ومنهم الكاذبون فيما يدعونه من الفاقة . فينبغى أن يميز بينهم : فان كان تعمدهم للكذب لضرب من التدبير ، فلتكن معاملته معهم فى المواساة وسطاً من غير منع ولا بذل تام ؛

ومنهم الضعفاء الصادقون فيما يبدونه من الحاجة ، فيجب أن يواسيهم بغاية(٢) ما يمكنه من غير أن يخل بأحوال نفسه بما يواسيه .

والصنف الآخر هم(٣) المتعلمون وذوو الحاجة إلى العلم. فمنهم ذوو الطباع الرديئة يقصدون تعلم العلوم ليستعملوها فى الشره . فينبغى للمرء أن يحملهم على تهذيب الأخلاق ، ولا يعلمهم شيئاً من العلوم التى إذا عرفوها استعملوها فيما لا يجب ؛ ويجتهد فى كشف ما هم عليه من رداءة الطبع ليحذروا . — ومنهم البليد الذى فيه أدنى ذكاء ، ولا ترجى براعته فينبغى أن يحثه على ما هو أعود عليه(٤) . — ومنهم المتعلمون ذوو الأخلاق الطاهرة والطباع الجيدة ، فيجب ألا يدخر عنهم شيئاً مما عنده من العلوم .

ثم إنه ينبغى للمرء أن يرجع [١٤١ا] إلى خاصّ أحواله فيميزها ويعلم طريقة حاله وصلاحها(٥) ، ويستعمل فى كل(٦) حال من أحواله ما يعود بصلاحها ،

(١) ط : وأما الذى ينبغى للمرء أن يستعمله مع ••• ص : ينبغى أن يستعمله المرء ••• وما أثبتناه عن س •
(٢) ص : بما يمكنه • (٣) هم : ناقصة فى س •
(٤) فينبغى ••• عليه : ناقصة فى س •
(٥) س : صلاحه • (٦) حال : ناقصة فى ص •

ويستقصى النظر فى أبواب[1] الدخل والوجوه التى يمكنه استجلاب المـــال منها إلى ملكه ، فيبالغ فى استجلابه من حيث لا يضر بشىء مما تقدم ذكره من الأصول ، أعنى لا يخل بدينه ولا مروءته ، ولا بعرضه ، فانه ليس كل وجه تكون فيه منفعة يحسن بكل أحد أن يتعرض له — مثال ذلك الدباغة والكناسة والتجارات الخسيسة والقمار ، والوجوه التى لا يحسن بذى[2] المروءة أن يجتلب المـــال منها . فاذا تجنب هذه الوجوه واكتسب المـــال من وجهه ، فيجب أن يخرجه بحسبه ، أعنى بقدر دخله ؛ ويجتهد فى أن يعرف بالسخاء ، وليس السخاء بذل الأموال[3] حيث اتفق ، لكن بذلها كما ينبغى ، وحيث ينبغى ، بالمقدار الذى ينبغى على سبيل الاعتدال اللائق بحال طبقة طبقة من الناس .

ومن ذلك الجاهُ . فينبغى للمرء أن يجتهد[4] كل الجهد فى إحراز الجاه لنفسه . ومتى ما استقبله أمران يكون فى أحدهما[5] زيادة المنافع ، وفى الآخر زيادة الجاه ، فليبادر إلى الأمر الذى هو أعود عليه فى زيادة الجاه ، إذ الجاه العريض يكسب المال بالضرورة ، أو ما يقوم مقامه ، وليس المـــال مما يكسب الجاه ضرورةً . ومن أنفع ما يستعمله المرء فى معاشه أن يستجلب لذاته وشهواته إلى نفسه بجاهه ، لا بماله ، بكل ما أمكنه . فان من استجلب اللذات بماله دون جاهه ، لم يصل إليها كما يشتهيه ، ولا ينشب أن يتلف[6] ماله ويصير سخرية بين الناس ، ويصير كل من انتفع [١٤١ب] به عدواً له . ومن استجلب اللذات بجاهه وقضاء حاجات الناس ، وصل إليها كما يشتهيه وفوق[7] مايشتهيه . وكل من جلب إليه لذة لطمعه[8] فى جاهه ، كان صديقاً له داعياً ومحباً لخيراته ، مواليا . ولسنا نومئ إلى أنه لا[9] ينبغى أن ينفق من ماله شيئاً فى استجلاب لذاته ، ولكن إلى أن يكون معوله فى ذلك على الجاه ، لا على المـــال .

---

(١) س : أسباب .
(٢) س : بذوى . (٣) ص : المال .
(٤) ص : فينبغى أن يجتهد المرء كل ...
(٥) ط : احداهما . (٦) س : يعلب .
(٧) ولا ينشب ... كما يشتهيه : ناقص فى ط .
(٨) ص : لطعمه . (٩) لا : ناقصة فى س .

ونقول الآن فى تحصين الأسرار[١] ، وفى استخراجها من المناوئين . وإذا عرف المرء أحد هذين البابين حصلت له المعرفة بالباب الآخر . ولكل طائفة من أهل الطبقات الثلاث نوع من التحصين ، ونوع من الاستخراج . وما نذكره من الأصول فيها[٢] يصلح لكل طائفة منها على مقداره ومرتبته .

فأول منافع تحصين الأسرار وكتمانها هو أن يكون المرء أبداً قادراً على إجالة[٣] الرأى فى تدبيره وعلى إنفاذه والإمساك عنه إلى أن يتجه له وجه الصواب فيه . فانه ما دام الأمر مكتوماً ، كان قادراً عليه . فاذا ظهر ، خرج الأمر عن يده ولم يقدر عليه . وفى كتمان الأمر[٤] والآراء والتدابير[٥] سلامة[٦] الآفات : ومن آفاتها الأعراض التى تعرض من إذاعتها ، فتصير موانع من إنفاذها ، ويغبى ذو[٧] الرأى عن رأيه بتلك الأعراض .

ومنها ذهاب حدته وثمرة رأيه ونفاذه فى جدته وطراءته .

ومنها أن الرأى إذا ظهر قصد بالمناقضة. وإذا كان محصناً سلم من المناقضة[٨]. ولكل أمر نقيض .

ومنها أن المرء الذى فيه التدبير والرأى [١٤٢] لا يفطن له حتى يقع به فيبهته ويرد عليه ما لا يحتسبه . وإذا ظهر قبل الوقوع ، قوبل بالتحرز والتحفظ وبطل الرأى والتدبير ، وتعطل الوقت الذى أفنى فى إحكامه .

ولابد للمرء من المشاورة مع غيره فى آرائه وتدبيراته . فينبغى أن يستودعها ذا النبل وكبر[٩] الهمة وعزة النفس وذوى العقل[١٠] واللب. فان أمثالهم لا يذيعونها ؛

---

(١) ص : الأسرا . — س : فى تحصيل الأسرار .
(٢) س : قبل .
(٣) ط : احالة (بالحاء المهملة) ، وكذا فى س .
(٤) الأمر : ناقصة فى ط . — ص ، ط : التدبير ؛ وما أثبتناه عن س .
(٥) ط : عن . (٦) س : اضاعتها .
(٧) ص : وتعنى . — غبى الشىء وعنه (من باب علم) يغبى غبا وغباوة (واوى) : لم يفطن له .
(٨) واذا كان ... المناقضة : ناقصة فى س .
(٩) ط : وكبر النفس وذوى العقل .
(١٠) س : العقول .

وأن يباشر فى وقت إنشاء الرأى الأمورَ التى يستعان بها على إحكام ذلك الرأى من الاستشارة والنظر فى أخبار المتقدمين والاستماع إلى الأحاديث فى السياسات اللائقة بذلك التدبير ، وأن(١) يستر بجهده الأمور الظاهرة المتعلقة بذلك التدبير(٢) التى يظهر بظهورها السر ، ويستعمل ما يضادُّ ذلك الرأى — من غير أن يظهر من نفسه حرصاً على استعمال الأضداد ، فانها أيضاً إذا كانت مع حرص مفرط تدل على نفس الأمر وتوقع التُّهَمة — ويطلب معرفة الأسرار من الأمور الظاهرة والباطنة(٣) جميعاً .

أما الأمور الظاهرة فما يبدو عن الرئيس من أخذ العزم وإعداد العُدد وأخذ الأهبة للأمور التى كان فيها قبلُ على التقصير ، ومن جمع المتفرقات وتفريق المجتمعات ، وبالجملة تغيير الأحوال الظاهرة . وأيضاً من الإمساك عن أمور كان يباشرها قبل ذلك ، ومن(٤) إدناء من كان قاصياً ، وإقصاء من كان دانياً ، وشدة التطلع للأخبار ، وحرص زائد فى الوقوف على الأحاديث المختلطة ، ومن السقط الزائد على ما كان [١٤٢ب] قبل ذلك .

وأما من الأمور الباطنة ، فعن استطلاع أحوال البطانة والخدم ، وعن إمساكهم عما كانوا مستعملين له ، واستعمال ما كانوا ممسكين عنه . فان البطانة والخواص إذا لم يكونوا حَزَمة ظهر من مصادر أمورهم ومواردها ما يُسِرُّه الرئيس ويستطلع من أفواه العُجْم والصبيان والجهال والنساء والذين هم قليلو التمييز والعقول ، فانه ليس مع هؤلاء حصافة ، ولا عندهم من الرزانة ما يمكنهم به(٥) التحرز من الإفشاء للأسرار . وأجود ما تستخرج به(٥) الأسرار كثرة المحادثة . فان لكل واحد من الناس من يستأنس به ويلقى إليه جميع أحاديثه أو جُلها . وإذا كثر الكلام والمحادثة فانه لا بد أن يأتى على جل(٦) ما فى الضمائر . وأيضاً فانه ليس كل(٧) أمرٍ وكل تدبير يكون بموافقة الجميع ممن بحضرة الرئيس أو صاحب التدبير .

---

(١) س : بذلك التدبير أن يشير بجهده ...
(٢) س : الذى .
(٣) والباطنة ... الظاهرة : ناقصة فى س .
(٤) س : ومن أدنى كان ... (٥) به : ناقصة فى ص و ط .
(٦) س : كل . (٧) ص : لكل .

وملاك أسباب الظفر بالأعداء هو ما نذكره فنقول : إن أول ما يجب أن يستعمل هو أن يطلب المرء العلو على عدوه فى كل فضيلة يذكرها إن كان من أهل الفضل ، ويتحرى أن يقف العدو على ذلك ويعلمه منه ، فان ذلك مما يضعفه ويخمد نائرته . وأن يحصى عليه معايبه حتى لا يبقى صغيراً ولا كبيراً ، ولا ظاهراً ولا باطناً من عيوبه إلا جمعه ونشره فى الناس. وليتوخَّ فى ذلك[1] الصدق؛ وليتجنب[2] الكذب على العدو . فان الكذب عليه قوة له ، وأن[3] يتعرف أخبار العدو وأخلاقه وشيمته وعادته ليقابل كل واحد منها[4] بما يضاده ويناقضه[5][١٤٣ا] ، وليجتهد فى ذلك وفى معرفة ما يضجره ويقلقه ، فيوكل بكل واحد وكل سبب من أسباب ضجره وقلقه ما يهمه . فان فى ذلك ملاك الظفر به ، وهو من أنفع أسباب الفضيحة عليه .

وأصل ذلك كله والمرجع هو طلب السلامة منه ومن مكائده بكل ما أمكن بزيادة[6] على طلب النكاية فيه . ومما ينتفع المرء به غاية المنفعة هو الأرب . وأصل الأرب مزايلة الأرب فى الظاهر . ومن ذلك معرفة العورات وطلب العثرات. وعمدة الأرب شدة التطلع على ما عند الناس ، والحرص على التباعد من أن يعرف الناس ما عند المرء[7]. ومنه أيضاً أن يقصد الإنسان لغير المقصود ، ثم يقصد المقصود. ومنه أن يبتدئ بالإعطاء من الأدنى فالأدنى إلى الأعلى فالأعلى[8] . فان كان الرضا مع هذا الاستعمال ، ففى خلافه السخط . ومنه أن يحصل الأصعب ثم الأخف . ومنه ألا يظهر الغضب ولا الرضا بافراط . ومن ذلك أيضاً المطل إذا تعقبه الإنجاح . ومنه الصبر إلى أن يظفر بالفرصة . ومن ذلك أن يقدم للأمر مقدمات تصير توطئة له . ومنه[9] أن يلقى الأمر بلسان غيره .

(١) ص : مع ذلك .
(٢) ط : ليجتنب .
(٣) ص : لن .
(٤) س : ما .
(٥) ص : يضادها ويناقضها .
(٦) ص : زيادة .
(٧) ص : ومنها أن ...
(٨) فالأعلى : ناقصة فى ط و س .
(٩) ص : ومنها .

< خاتمة >

ونحن الآن ذاكرون من أقاويل القدماء وأهل الفضل شطراً يصير خاتمة قولنا هذا ، فان للحكايات والنوادر والأمثال فى مثل هذا الفن غناءاً عظيما . فنقول :

.·.

قال أفلاطن : الشيء الذى لا ينبغى لك أن تفعله فلا تَهْوَهْ أبداً (١) .

وقال : من استحق منك الخير فلا تنتظر ابتداءه بالمسئلة ، ليكون أكمل التذاذاً وأهنأ موقعاً .

وقال : لا تحكم من قبل أن تسمع [١٤٣ب] قول الخصمين ودعواهما (٢) .

وسئل : لِمَ كلما علمتم كانت عنايتكم بالتعلم أشد ؟

قال : لأنا كلما ازددنا معرفة ، ازددنا معرفةً بمنفعة العلم .

وسئل : أى الأشياء أهون ؟

قال : لائمة الجهال .

وسئل : أى شيء يقدر كل أحد أن يجود به ؟

فقال : مُحبّه الخير للناس .

وسئل : ما أفضل ما يُتعزى به عن المصائب ؟

فقال : أما للعلماء فعلمهم بأنها ضرورية ، وأما لسائر الناس فالتأسى (٣) .

وسئل : أى حسنة لا يحسد عليها ، وأى سيئة لا يقبلها أحد ؟

فقال : التواضع حسنة لا يحسد عليها ، والكبر سيئة يرذلها كل أحد .

وقال : إذا تقدم ضمان المرء للشيء ثم لم يَفِ به صار (٤) كالمنام الحسن .

وسئل (٥) : ما الشيء الذى إذا فقده المرء كان دائم البلاء ؟

فقال : العقل .

وقال أيضاً : لا تأمن الكذاب (٦) ، فان مَنْ كذب لك يكذب عليك .

---

(١) أبدا : ناقصة فى ط . (٢) ودعواهما : ناقصة فى ط .

(٣) تأسى : تعزى وتصبر ، و — به : اقتدى .

(٤) ص : كان الضمان كالمنام ...

(٥) ط : سئل . (٦) الكذاب فان : ناقصة فى ط .

وقال[1] : شتم من لا يحتمل شتمك استدعاء منك للشتم ، وشتم من يحتمل شتمك لؤم[2] .

وقيل : الأدب يزين غنى الغني ، ويستر فقر الفقير .

وقيل : يجب على من اصطنع معروفاً أن يتناساه من ساعته ، ويجب على من أسدى إليه أن يكون ذكره أبداً بين عينيه[3] .

وسئل : أيما أحمد : الحياء أم الخوف ؟

فقال[4] : الحياء ، لأنه يدل على العقل ، والخوف يدل على الجبن .

وقال أيضاً[5] : إن أحببت ألا تفوتك شهوتك ، فاشته ما يمكنك .

وقيل : أحسن ما عوشر به الملوك اثنان : البشاشة وتخفيف المؤونة .

وقيل : أفضل ما يقتنيه المرءُ الصديقُ المخلص .

وقيل : مَنْ برئ من ثلاثة أشياء نال ثلاثة أشياء : مَنْ برئ من الشره [١٤٤] نال العز ؛ ومن برئ من البخل[6] نال الشرف ؛ ومن برئ من الكبر نال الكرامة .

وقيل : ثلاث لا يتم المعروف إلا بهن : تعجيله ، وأن يستقله وإن كان كثيراً ، وأن يترك الامتنان[7] .

وقيل : من تشاغل بالأدب فأقل ما يربح منه ألا يتفرغ للخطأ .

وقيل : لا ينبغي للمرء أن يبلغ[8] من مرارة النفس إلى حد يظن به معه أنه شرير ، ولا[9] من لين الجانب إلى حد يظن به معه أنه مَلاَّق .

وقيل : لا تحبوا من الأشياء ما مِلْتم إليه ، ولكن أحبوا ما هي محبوبة في أنفسها .

وقال لما سئل : بماذا ينتقم الإنسان من أعدائه وبأي شيء يغيظهم ؟ — : بأن يزداد فضلا .

---

(١) ط : وقيل .

(٢) استدعاء ... شتمك : ناقصة في ص .

(٣) ط : يكون ذكره بين عينين أبدا .

(٤) ص : قال .

(٥) أيضا : ناقصة في ط .

(٦) ط : الشره — وهو تكرار .

(٧) ط : الامتنان به .

(٨) ص : يبلغ مراد النفس .

(٩) ط : ولا يبلغ .

من وصايا العامرى[(١)] وآدابه

(١) هو أبو الحسن محمد بن يوسف العامرى ـ قال عنه صاحب « منتخب صوان الحكمة » (مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم ح ٦٦٤٣ لوحة ١٣٦ ـ ١٣٨) : « تفلسف بخراسان • وقد قرأ على أبى زيد أحمد بن سهل البلخى ـ وسيأتى ذكره فى « تتمة صوان الحكمة » وقصد بغداد وتصدر بها ، وان لم يرض أخلاق أهلها ؛ وعاد وهو فيلسوف تام • وقد شرح كتب (هى : كتاب) الحكيم أرسطوطيلس، وشاخ فيها • وهذا فصل من كتابه الملقب ب « الأمد على الأبد » ذكر فيه تصانيفه ، وأتيت به على وجهه • قال : « وبعد ! فان الله تعالى لما وفقنى لتصنيف الكتب المفتنة فىايضاح المعانىالعقلية ، قصد معونة (ص : المعونة) ذوى الألباب على تعزيز المعالم النظرية ، ويسر لى التأليف فى الابانة عن علل الديانة ، وفى الاعلام بمناقب الاسلام، وفى الارشاد لتصحيح الاعتقاد ، وفى النسك العقلى والتصوف الملى ، وفى الاتمام لفضائل الأنام ، وفى التقرير لأوجه التقدير ، وفى انقاذ البشر من الجبر والقدر ، وفى الفصول البرهانية للمباحث النفسانية ، وفى فصول التأدب وفصول التحبب ، وفى الابشار والاشجار ، وفى الافصاح والايضاح ، وفى العناية والدراية ، وفى الأبحاث عن الأحداث ، وفى استفتاح النظر ، وفى الابصار والمبصر ، وفى تحصيل السلامة من الحصر والأسر ، وفى التبصير لأوجه التعبير ـ وغيرها من المسائل الوجيزة ، وأجوبة المسائل الدينية المتفرقة ، وشرح الأصول المنطقية ، وتفاسير المصنفات الطبيعية ، وما استتب فى تأليفها بأسامى الأمراء والرؤساء بالفارسية ، ووجدت هذه المؤلفات منتشرة فى البلاد ، ومقبولة عند أفاضل العباد • ثم علمت أن معرفة الانسان بحاله بعد موته وعقيب مفارقة روحه لجسده ، الى أن يحشر فى القيامة ويبعث فى النشأة الأخيرة ، مما لايعذر الغافل فى جهله ويستحب أن يوقف على كنهه • وليس يوجد لطبقات المصنفين كتاب يتضمن تحقيق هذا الفن ، وقد كثرت فيه شبهات الملحدين واعتراضات الطبيعيين وشكوك المتكلمين ومطاعن أعداء الدين ـ استخرت الله تعالى فى تصنيف مجرد لنعته ، مؤيد بالأدلة الواضحة الصادقة عليه ، وسميته كتاب : « الأمد على الأبد » ، وتحريت فيه ثوب الأحد الصمد ، جل وعلا ، وجعلته مفصلا ليقف الناظر بفهمه على تأمل كل قصد منه على حدته ، ولا يجاوزه الى الذى يتلوه الا بعد الاحاطة بمضمونه » • ـ وقال فى آخر الكتاب المسمى « النسك العقلى » : « من الواجب أن يعلم أن غاية الأدب أن يستحيى الانسان من نفسه ، فان كمال المروءة أن لا تكون فى الانسان خبيئة لو ظهرت استحيا منها» وقال أيضا : « شاهد البهيمى الحس ، وشاهد النطقى العقل ، وليست الفضيلة فى حسن العيش ، بل فى تدبير العيش • والانفصال من الشر مفتتح الخير ، وما يفعله الجاهل أخيرا ، يفعله العاقل أولا • =

قال : سل واهب العقل إضاءة[1] العقل ، وابدأ بالأول فى إيثار الأولى ، واعرف الأولى بإيثار الأول .

= وحيث لا عفة ولا عقل فهناك البهيمية المحضة • والعقل يضجر عند مجاورة الجاهل • وكفى للهوى ذلا أن لا تساكنه الحكمة • ومن استعمل الصلف والاغترار ، فقد فسد خلقه • والفطن من استفرغ أيامه لأداء ما خلق له ، والمغبوط من كفى الاهتمام بما يشغله عن الخير المطلق • والحمية أن تدع أبدا فى الشهوة بقية ، ومن قلل القنية قلت مصائبه • والمؤيد بعقله يبادر الى اصلاح مايخاف التأنيب عليه • ولن يرفع الشريف درجة فى الظاهر عند الناس الا حط بقدره من نفسه فى الباطن عند الله • ولا خير فى عمر لم يكن خالصا لطاعة الله تعالى الذى له الخلق والأمر •

ـ (وهنا أورد ما يرد بعد فى ١٥٦ ب من قوله « : مراتب التعرف ••• » حتى قوله : •• على الاطلاق » •

وقيل له : لما عاد من بغداد : كيف رأيت الناس بها ؟ ـ قال : رأيت عندهم ظرفا ظاهرا وشارة معجبة ، ومرآة معشوقة • لكنى رأيتمن وراء ذلك سخفا غالبا ، وودا فاسدا ، واستحقارا لأهل خرسان وجميع البلدان • وأصلح ما يتفق للانسان أن تكون طينته مشرقية وصورته عراقية : فانه يصير بهذا جامعا بين متانة خراسان وظرف العراق ، مفارقا لبلادة (ص : لبلاد) خراسان ورعونة العراق • ـ وكان أبو الحسن قريح القلب من أخلاق العراقيين ، فانهم سلخوه وفسخوه وهجروا معه الانصاف ، فضلا عن الاسعاف •

وقال فى بعض كتبه فى صفة البارى : « ظهوره منع من ادراكه ، لاخفاؤه : انظر الى الشمس هل منعك من مقابلة قرصها الا سلطان شعاعها وانتشار نورها ؟! » (وراجع أيضا المخطوط الآخر المصور من « منتخب صوان الحكمة » برقم و ٢٦٦٣ بدار الكتب المصرية ، لوحة ٩٥ ـ ٩٦) • وورد ذكره فى مواضع أخرى من « منتخب صوان الحكمة » منها : فى لوحة ٤ (من المصورتين السالفتين) ، وفى لوحة ١٠٤ (المصورة برقم و ٢٦٦٣ = لوحة ١٤٧ من رقم ح ٦٦٤٣) •

كماورد ذكره فى كتاب «الرد على المنطقيين» لابن تيمية ص ٣٣٧ • ص ٤٤٧ (طبع الهند سنة ١٩٤٩ : المطبعة القيمة فى بمباى) ، وفى «كشف الظنون» فى الكلام على كتابه : « الأمد على الأبد » و «انقاذ البشر من الجبر والقدر » و « التقرير لأوجه التقدير » ؛ وفى « الملل والنحل » ج ٣ ص ٩٣ (بهامش « الفصل » لابن حزم) •

وطالما ذكره أبو حيان التوحيدى ووصفه ، خصوصا فى : «الامتاع والمؤانسة » ج ١ ص ٣٥ ، ص ٣٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ؛ ج ٢ ص ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ج ٣ ص ٩٤ ؛ ـ ثم فى « المقابسات » ص ١٦٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ (نشرة السندوبى ، القاهرة سنة ١٩٢٩)•

وقد توفى سنة ٣٨١ هـ (= ٩٩١ م) •

(١) اضاءة العقل : ناقصة فى ف •

أشرف أبواب النظر هو ما أفاد تمييز الفناء من البقاء ؛ وأشرف أبواب العمل[1] إخلاص العبادة لخالق البرية ، وأشرف الأفعال إعـداد النفس للسعادة العظمى ، وأشرف المجاهدات قمع الشيطان — عدو الله — بسلطان[2] العقل — ولى الله ، وأشرف القنيات[3] حذف المؤن بصدق القناعة .

غاية سعى العبد الاتحاد بمولاه . وتمام هذا السعى هو الاستغناء عن جميع من هو[4] دونه .

من لم يعقل العقل ويستضئ بنوره فقد صيره حجة عليه ، لا له .

إجالة الفكر فى نظام الخليقة يحلى النفس بجمال الفضيلة .

بليد نشأ فى صحبة الأفاضل خير من ذكى نشأ فى صحبة الأراذل[5] .

الجهل مع العفة خير من العلم مع الفسوق .

ليس الكمال فى اقتناء النعم ، بل الكمال فى إفاضة النعم .

الوضيع أحسن[6] [١٤٤ب] حالاً من الخسيس ، فان الوضيع مذموم فى بعض أحواله ، والخسيس مرذول فى كل أحواله .

كما أن الأنثى لا تأتى بالمولود إلا بألم يتقدمه ، كذا النفس لا تنتج الفضيلة إلا بمشقة تتقدمها .

من خصائص النذالة سلوك النفس إلى النقص بعد الظفر بالتمام[7] ؛ ومن خصائص الرذالة التشبه بالضعفاء مع وفور الطاقة .

من ظفر بالأفضل فهو فى إحدى منزلتين : إما أن يستولى[8] على من قنع بالأرذل ، وإما أن يستغنى عنه . فأما القانع بالأرذل ، فانه لا يستولى على من ظفر بالأفضل ، ولا يستغنى[9] عنه .

---

(١) ف : الكل . (٢) ف : لسلطان .
(٣) جمع قنية . — وفى ص : القناية .
(٤) هو : ناقصة فى ط — وفى س : من سواه .
(٥) الأفاضل ... صحبة : ناقصة فى ص .
(٦) ط : أمثل . وكذا فى س .
(٧) من خصائص ... التمام : ناقصة فى ص . — وفى س : من خصائص المهانة سلوك اليقين الى النقص بعد الظفر بالتمام .
(٨) س : يستولى على من قنع ... وفى ص : أن يتولى عمن قنع ...
(٩) فأما القانع ... عنه : ناقصة فى ص .

النفس العزيزة هى التى لا تؤثر فيها النكبات ، والنفس الكريمة هى التى لا تثقل عليها المؤونات .

مقابل العزيز هو الذليل ، ومن علامته التلون فى أحواله بسرعة[1] ؛ ومقابل الكريم اللئيم ، ومن علامته أن يدخل عليه الخلل فى أحواله فيرضى به .

هجران القاذورات يكون به التدرج إلى الخيرات ، ثم التمسك بالخيرات يكون به التحصن من الهفوات ، وفى التحصن من الهفوات منال المقامات .

إتصال العبد بمولاه يكون على أربع مراتب ، وهى التى تسمى المقامات : أولاها رتبة المتقين ، وهى[2] من نتائج الخوف ؛ والثانية رتبة المحسنين ، وهى من نتائج الرجاء ؛ والثالثة رتبة الأبرار ، وهى من نتائج المحبة ؛ والرابعة رتبة الصالحين ، وهى من نتائج الإخلاص . — ثم الاستقامة مادة كل[3] واحدة من هذه المراتب . وانقطاع العبد عن مولاه يكون على أربعة[4] مساقط : فالأول الإعراض ، وهو من لواحق الاستهانة ؛ والثانى الحجاب ، وهو من لواحق الاستخفاف ؛ والثالث الطرد ، وهو من لواحق الإنكار ، والرابع الخسأة ، وهو من لواحق البغض . — ثم السخافة [١٤٥] واعوجاج الطريقة مادة كل واحد[5] من هذه المساقط .

اختصاص كل واحد من الموجودات بفعل له على حدة[6] يحقق أنه صدر عن حكيم تام الحكمة ، وانحسار العقل عن تَوَهُّم موجود آخرَ أصلح لذلك الفعل منه يحقق أنه تام القدرة .

ليس ينتفع بتأدية الفعل على الصواب إذا لم ينته إلى غرض ، ولا ينتفع بانتهائه إلى الغرض إذا لم يحصل على أبلغ كماله[7] ، ولا ينتفع بحصوله على أبلغ كماله إذا لم يؤمن عليه من طرآن الآفات ، ولا ينتفع بحصوله محفوظاً من طرآنها عليه إذا لم يبق على صورته أبدياً سرمدياً .

---

(١) فى س تكرار لما ورد فى الجملة التالية ونقص : التلون فى أحواله بسرعة .

(٢) من : ناقصة فى ط . (٣) س : واحد .

(٤) ص : أربع ؛ وكذا فى س . (٥) ط : واحدة .

(٦) س : حدته . (٧) س : كمال .

ليس يكون المرء عارفاً بذاته إلا بعد أن يتحقق مبدأه ويتحقق منتهاه ويتحقق الواسطة بينهما . فأما التحقق لذاته بحسب المبدأ فيتعلق بتعرف أربعة معان وهو أن يعلم : ماذا هو ، ومن جاء[1] به ،ومن ماذا جاء به ، وكيف كان مجيئه . وأما التحقق لذاته بحسب المنتهى فيتعلق بأربعة معان ، وهى : أن يعلم لماذا هو ، وكيف السبيل إليه ، وما الذى يحتاج إليه فى التوجه نحوه ، وما الذى يعوقه عنه وعن باوغه . فأما[2] التحقق لذاته بحسب الواسطة بين مبدأه ومنتهاه فيتعلق بأربعة معان ، وهى :[3] أن يعلم مرتبة شخصه من الجوهر الإنسى ماذا هى ، وأن قسطه من خاص مرتبته أى قسط هو ، وهل[4] هو على الزيادة فيها أو على النقصان[5] منها ، وثابت عليها أو مترجح فيها . وإن الإنسان متى علم أن الشيء مما يجب أن يعلمه وليس يعلمه ، فقد صار المغفول[6] عنه محروصاً عليه .

إذا سعد العبد بوصال مولاه على الحقيقة فقد صارت [١٤٥ب] دنياه آخرته وموته حياته ، وفقره غناه ، ومرضه صحته ، ونومه يقظته ، وضعفه قوته ، وحزنه فرحه[7] . وإذا شقى العبد بانقطاعه عن مولاه فقد انقلب به الأمر فى كل ما ذكرناه إلى الضد[8] ، وبالعكس . وإن العبد[9] لن ينال الغبطة بوصاله إلا بأربعة مدارج : أولها الاهتمام ، ثم التعرف لطرقه ، ثم السلوك إليه ، ثم التمسك به .

كما أن نور الدين جعل لذوى السياسة مركباً ، كذا[10] نور التنزيل جعل للحكماء مركباً ، ونور الإلهام لذوى التدبير[11] مركباً ، ونور[12] التوفيق جعل لذوى الاجتهاد مركباً ، ونور الحرية لذوى الجود مركباً .

---

(١) ومن جاء به : ناقص فى ص . د فى س : ومن جلبه ، ومن ذا جاء به .
(٢) ص : وما — وكذا فى س .
(٣) ط : وهو — وكذا فى س .   (٤) هل : ناقصة فى س .
(٥) وفيها : ناقصة فى ص ، وكذلك : منها .
(٦) ط : المعقول — وهو تحريف ظاهر .
(٧) وحزنه فرحه : ساقطة فى س .
(٨) س : الصدر .   (٩) س : العبد كلما .
(١٠) س : كما .   (١١) ط : السياسة .
(١٢) ونور التوفيق ... مركبا : ساقطة فى س .

من شأن العقل أن يفرق[1] بين الحسن والقبيح ؛ وهو يسكن إلى الحسن ، وينفر من القبيح . وقد يمدح الشيء[2] كذباً وزوراً وهو مذموم ، كما يذم الشيء كذباً وزوراً وهو ممدوح . وهناك يعرض للعقل الناقص انخداع واغترار ، وعند ذلك يمتاز المقلد من المستبصر ، وذو التماسك من المنحل .

إن الطبع ، لأجل محبته اللذيذ ، يسوق البدن عن النقص العارض إلى كماله الأخص به ؛ وكمال البدن الصحة والقوة ؛ والعقل ، لأجل محبته الفضيلة ، يسوق النفس عن النقص[3] العارض لها إلى كمالها الأخص بها . وكمال النفس الحكمة ، والفضيلة .

ومحبة الطبع لِلّذيذ يكون قوياً جداً ، وليس للإلف والعادة فى تقويته كبير معونة[4] . فأما محبة العقل للجميل فانه يكون بذاته ضعيفاً جداً ، إلا أن للإلف والعادة فى تقويته معونة عظيمة مفرطة . واللذيذ متى كان [١٤٦ا] قبيحاً ثم عشقه الطبع بالإفراط واستحوذ على العقل[5] بالغلبة عميت النفس عن قبحه وتصورته بصورة الحسن . والجميل متى كان مؤلماً ، ثم عشقه العقل بالإفراط[6] واستحوذ على الطبع بالغلبة ، صار الأمر بالعكس . ومتى اتفق للشيء[7] الواحد أن يتعلق به كمال أحدهما وعرض له نقص[8] الآخر فهناك يفتقر إلى القوة التدبيرية والشريعة[9] الإلهية .

ومن أمارات السعادة أن يكون سرور الإنسان بما أنعم عليه من العقل الصريح والرأى الصحيح ، وأكرم به من الثقة بمن له الخلق والأمر — جل جلاله — ووفق له من التمييز والتشمير[10] للحكم الخالصة ، وأيد به من الاستعلاء بروحانيته على عالمى العلو والسفل ، والإحاطة[11] بما فيهما[12] من التدبير الإلهى

(١) بين : ناقصة فى س .
(٢) كذبا : ناقصة فى س .
(٣) س : العقل .
(٤) س : والعادة كثير مؤونة .
(٥) العقل ... واستحوذ على : ناقصة فى ط .
(٦) بالافراط ... الطبع : ناقصة فى س .
(٧) ص : الشىء .
(٨) س : آخر .
(٩) ص : الشريفة .
(١٠) س : والتشمير من الحكم ...
(١١) من التدبير الالهى ... عقله فيهما : ناقصة فى س .
(١٢) ص : فيها .

والنظام الحكمي ، وما أوتيه من الغبطة بسياحة عقله(١) فيهما وجولان نفسه في زهراتهما — شاغلا(٢) له عن الالتذاذ بالذهب والفضة والمسك والعنبر والبستان والغلمان ، بل تصير هذه الأشياء كلها وتحة(٣) في عينه ، حقيرة في نفسه . وحينئذ يستعد جوهره لصحبة أفاضل الروحانيين ووُصْلة المقربين .

إن العبد الأفضل لا يختار الفعل الأحسن إلا لأحد أمرين : إما أن يستجلب به أشرف القنيات لأشرف الأغراض ، وإما أن يستصلح به أشرف الجواهر لأشرف القنيات . والسعادة العظمى أشرف الأغراض ؛ فالأفضل من العبيد لا يسعى إلا له، ولا يدوم إلا عليه. ومهما علم أن الأحد الحق — تعالى وتقدس — هو المنفرد بتقويم ذاته وإتمام تثقيفه [١٤٦ب] ، فانه بجرد المحبة، ويخلص العبودية(٤) ، ويلازم النظر إليه والاعتصام بحبله ، بل لا يسكن إلا إليه ، ولا يأنس إلا به(٥) ، ولا يتقوى إلا بمعونته ، ولا يؤثر غيره عليه، فيصير هو بعينه لفرط الاتصال به والتقرب إليه عقلا خالصاً وحقاً محضاً وروحاً صافياً ونوراً إلهياً ، فيطلع على جميع ما في العالم إلهاماً ، ويغتبط بالاحتواء على ما فيه من الحكم إكراماً — وذلك هو الكمال الحقيقي للجوهر الإنسي .

بدء التعاون افتقار ، وتمامه استغناء ، وبدء التوكل استغناء ، وتمامه افتقار . ومن فاز بشرف الملك فانه يصير مغتبطاً(٦) بالعوام . ممتحناً في نفسه . ومن فاز بشرف الحكمة فانه يصير ممتحناً بالعوام ، مغتبطاً في نفسه . ومتى(٧) اقترن أحد الفوزين بالآخر فقد كملت بهما(٨) النحيزة واستحكمت الأمَنة . ومتى عاون البعض البعض فقد استغنى الجميع .

متى تجاذب الخصمان — أعني العقل والطبع — شيئاً واحداً ، أعني الملذ القبيح(٩) والمؤلم الجميل ، بحسب غرضهما ، أعني الكمال الجسماني والكمال

---

(١) ص : فيها .
(٢) ص : شاغلا ولها له / س : شاغلا لها بالالتذاذ .
(٣) ص : وسنحة — والوتح هو الوسخ .
(٤) العبودية ويلازم : نهاية ورقة ١٧٧ ب في ط وبعدها نقص .
(٥) س : الا اليه ، ولا يقوى الا بمعونة .
(٦) س : يصير مغتبطا على ما فيه بالعوام ...
(٧) ص : من . (٨) س : بهم . (٩) س : أو .

الروحانى ، وافتقر إلى الحكم المنصوب بينهما ، أعنى القوة المدبرة — فعند ذلك يبادر الشيطان إلى نصرة الطبع ، ويبادر الملك إلى نصرة العقل . فمتى كان الحكيم[(١)] شيطانى السوس ، اتبع العقل الطبيعة ؛ ومتى كان ملكى السوس ، اتبع الطبيعة العقل . وأعنى بالملكى السوس الأحكام الإلهية ، وأعنى بالشيطانى السوس[(٢)] الأسباب التى تلهو بها طبقات الفسقة . ولن[(٣)] يصير الحكيم ، أعنى القوة المدبرة ، شيطانية [١٤٧ا] السوس بنفس الجبلة دون أن يتفق لها الأراذل من القرناء . ولن يصير أيضاً ملكى السوس بنفس الجبلة دون أن يتفق لها[(٤)] الأفاضل من القرناء . ومبدأ الأمر فيه ليس بموكول إليه ، لكنه موكول إلى من يلى التدبير عليه . . .

مراتب الأفعال الحيوانية ثلاثة : أولها الافتقارية ، وهى كمرتبة الفرخ فى التربية والصبى فى التلقين ؛ ثم الاستغنائية ، وهى كمرتبة الطائر إذا نهض من عشه والصبى بعد التلقين من معلمه[(٥)] ؛ ثم الجودية ، وهى كمرتبة المرتى لفراخه والمرشد للغير إلى مصالحه . فالمرتبة الأولى قريبة الحال من الطبيعية[(٦)] . والمرتبة الثانية قريبة الحال من الإلحائية[(٧)] ؛ والمرتبة الثالثة هى الاختيارية المطلقة[(٨)] . وإذا عرف هذا فى الأفعال الإنسية ، علم[(٩)] أن المرتبة الافتقارية ليست بمستصلحة للشىء . بل هى مضطرة إلى من يصلح ذات المطبوع عليها . وأما المرتبة الاستغنائية فهى مصلحة للواحد الفرد من المطبوعات . وأما المرتبة الجودية فهى[(١٠)] المستصلحة للكثير . وإن كان الاستصلاح للواحد[(١١)] الفريد من الناس فاضلا محموداً ، فاستصلاح العدد الكثير أفضل .

---

(١) الحكيم : ناقصة فى س .

(٢) السوس : ساقطة من ص . — والسوس (بضم السين المهملة) : الطبيعة والسجية .

(٣) ص : ولكن . — س : ولن يصير الحكماء على القوة المدبرة . . .

(٤) س : له .

(٥) ص : معمله .

(٦) س : الطبيعة .

(٧) ص : الالجانية .

(٨) س : مطلقا .

(٩) ص : وعلم .

(١٠) س : المصلحة .

(١١) س : الواحد .

لن تصير النفس الإنسانية مستعدة لنيل السعادة العظمى إلا إذا سلمت من انحلالها ، ونقيت من صدأها . فأما الممنوّ بهما[1] فلا يصلح لاقتناء الحكمة ، والعادم للحكمة لا يفوز [١٤٧ب] بالسعادة . فأما انحلالها فيكون على أربع درجات : أولهـا الكسل ، ثم الغباوة ، ثم القحة ، ثم الانهماك . وعلاجه : استشعار[2] التقوى ، والمحافظة على العبادات ، والنفقة فى أبواب البر . فأما[3] أضدادها فتكون أيضاً على أربع درجات : أولها الزيغ ، ثم الرين ، ثم الغشاوة ، الختم . وعلاجه : الإيمان بالله ، والتقوى ، واليقين بالآخرة ، والتصديق بالديانة .

حال الإنسان الكامل لا يجب[4] أن تكون قريباً من أحوال السلطان ، والطبيعة لا يجب[4] أن تكون ذات انحلال ولا ذات صدأ ، والرفقاء لا يجب أن يكونوا سبعيين ولا بهيميين . واستصلاح الواحد ينزل منزلة اقتناء المُلْك ، واستصلاح الجميع ينزل منزلة اقتناء المَلَك . وحيث[5] يوجد المَلَك يوجد المُلْك ، ولا ينعكس . فان[6] الإنسان لا يشرف بأن يصير مالكاً ، بل يشرف بأن يصير مَلَكاً . وفعل[7] المالك حفظ القنية على خاصِّ صورتها ، وفعل المَلَك حفظ[8] المراتب على حاقّ درجاتها .

تأدية الفعل بحسب الفضيلة على صورة العبودية لن يقع إلا بمجموع معانٍ أربعة[9] ، وهى الخوف والرجاء والحب واليقين . وأوّل درجات الإقبال على العبودية الاعتقاد بأنه لم يعرف مولاه إلا به ، ثم اليقين بأنه لا يستغنى فى شيء من حالاته عنه ، ثم العرفان بأنه كلما كان أخلص له وأبعد من الاستبداد دونه كان أدخل فى طبقة من سلم وغنم . وإن تقرب[10] العبد إلى المولى بحسب العمل تعش إلى[11] مراتب ثلاث ، وهى : الإفضال ، والتمويض ، والمثوبة [١٤٨ا]

---

(١) س : لا .
(٢) س : الاستشعار .
(٣) س : وأما صداها .
(٤) ص : يحب .
(٥) وحيث ... الملك : ناقص فى س .
(٦) س : فاذن .
(٧) س : وحظ .
(٨) حفظ ... الفضيلة : ناقصة فى س .
(٩) أربعة : ناقصة فى س .
(١٠) ص : لن .
(١١) ص : يقين الى . ــ ونعشه الله (كمنعه) : رفعه ، كأنعشه ونعشه .

وإن النعمة الموضوعة عند غير المستحق لها قد تحسن بالغرض لجهات ثلاث : وهى : الامتحان ، والعبرة ، والاستدراج .

آفات الشياطين بحسب تسويل الأباطيل لا تتعلق بالإخطار بالبال : فانه عارض اتفاقى ، ولا بالانجذاب بالشوق : فانه حادث طبيعى — ولكنه يتعلق بالعمى عن جهة إصابة المطلوب ، أعنى أن يدعوه إلى الإقدام عليه ، لا من الوجه الذى تجده الشريعة ، بل من أقرب وجوهه على ألـَـذِّ جهاته. ثم لا يكون تسويلها لديه بحسب(1) تزيين ذاته عند نفسه ، بل بإيهامه أنه أرفع محلا من أن تعمل عليه الآفات المعدة لذوى الرداءة ، وبه يكون خداعها للعقول النواقص . ثم آفة (2) الإفراط فيه تكون عائدة بالضرر على الغير . وآفة التقصير فيه تكون عائدة بالضرر على ذاته . وليس يشك أن ضرره بذاته أقطع ، إلا أن الضرر بالغير يكون أشنع .

إن العبد متى أخلص لمولاه العبودية فقد حظى بالقرب منه ، ومتى لازم القرب منه سعد بوصاله ، ومتى تمسك بوصاله وثق بفيض الجود منه ، ومتى وثق به لم يتهمه فى إجابه(3) ولا شكاه فى حالاته . فاذاً المستزيد لمولاه غير واثق بفيض جوده(4) ، وغير الواثق ليس بمستعد له ولا مستسعد بوصاله، لا يدوم على الزلفة لديه ، وغير الدائم على الزلفة إليه(5) لا يخلص العبودية له ، وغير المخلص للعبودية لا يقلع عن الذنب(6) المألوف ، والمقارف للذنب معرّض لكل آفة ، وهدف لكل بلية .

ذو الكثرة المتحدة قد يوصف بالنقص بحسب ما يفوته من كل واحد[١٤٨ب] من تلك الكثرة ؛ ولن يوصف بالكمال إلا بسلامة المجموع . فمن أراد أن يسكن فى هذا العالم (7) فليتقرب إلى الله(8) رب العالمين بملازمة الخدمة له ، وليتمسك

(١) بحسب ... أنه : ناقص فى س .
(٢) فى س : ثم انه التقصير فيه تكون عائدة بالضرر على الغير ...
(٣) ص : انحيائه . — وما أثبتناه عن س / ف : أنحائه .
(٤) س : الجود منه ... — وهنا تكرار .
(٥) ف : لديه . (٦) عن الذنب : ناقصة فى س .
(٧) ص : فليقرب / س : فليقترب الى رب العالم بملازمة ...
(٨) ف : الله تعالى .

فى خدمته بشرائع دينه ، فان الشريعة هى المقومة للخليقة على حسن الخدمة ؛ وإن العبد متى عرف مولاه وأنه سبب تمام كل تمام[١] عرف أيضاً أنه قد أفاض عليه من صنوف الإحسان أفضلها — فقد لزمه أن يجعل تأدية شكره[٢] لا على صورة الطمع فى مكافأته ، بل بحسب المعونة .

لكل صنف من الناس ضعف عن إحكام موالاته ليستجرهم إليه بجهده ، بل يستصفيهم عن شوائب غرورهم ، ويؤديهم إلى خاص[٣] كمالهم ، ويستخلصهم من مكائد أعدائهم .

لن يسعد العبد بالعيش الفاضل إلا[٤] أن يكون مستنكفاً من أن يكون سكونه إلى المــال الممهد والمجد المؤثل أقوى من سكونه إلى واهب المــال وموثل المجد ، فلا يشتاق فى مصارفه إلا إليه ، ولا يسر فى أحواله إلا بالقرار لديه ، وأن يعتقد أن كل خير أصيب دونه فهو ذو وهى[٥] وخلل ، وكل حياة تكون بمعزل عنه فهو ضئيل وخلل ، فيكون قد أغنى نفسه[٦] بموالاة مبدع العالم ووصال من له الخلق والأمر عن كافة من سواه ؛ فلا يهتم للملك[٧] ، ولا ما دون الملك إلا على أحد وجهين : إما الرأفة والرحمة ، وإما التمسك بالطاعة .

السياسة صنفان ، وأغراضها اثنان ، ولوازمها حالتان : فأحد صنفى السياسة هو الإمامة[٨] وغرضها تكميل الخليقة ، ولازمها[٩] نيل السعادة ؛ وأما الصنف الآخر فالتغلب ، وغرضه استعباد الخليقة [١٤٩ا] ، ولازمه الشقاء[١٠] والمذمة . ومتى ألزم السائس نفسه التمسك بالشريعة وجعل رعيته أصدقاء له ، فبالحق الواجب يملأ مدينته بالخيرات العامية[١١] : كالسكون والسلامة والتوادّ والأمنة والعدل والعفاف . ومتى جعل نفسه عبداً لشهوته ، وجعل رعيته خَوَلا

---

(١) عرف أيضا ... الاحسان : ساقط فى س .
(٢) لا : ساقطة فى س . (٣) س : حياض .
(٤) س : اذا كان ، وكذا فى ف .
(٥) ص : وهن . — والوهى : الشق ؛ وهى (كوعى) : تشقق .
(٦) س : بمولاه . (٧) لا : ناقصة فى س و ف .
(٨) ف : الأمانة .. الخلقية .
(٩) ولازمها ... الخليقة : ناقص فى ف
(١٠) ص : بالشقاء . (١١) = العامة .

ــ فبالحق الواجب يملأ مدينته بالشرور العامية : كالغدر والخيانة والعسف والرعونة والتمسخر والسخافات .

إن الله[1] عدل[2] ولا يحب إلا العدل ، والله[3] طاهر[4] ولا يحب إلا الطاهر . وكل من جار أو تدنس فقد عاند موالاته وصار فى عداد من سلب البهاء والجودة ، وحرم النعماء والمحمدة ، وشقى بالمقت والمذلة ، واستوجب الهوان والخسأة .

وإذا كان قوام الجوهر الإنسى معلقاً بانتظامه للقالب والروح ، ثم كانت النفس سماثية السنخ ، ولهذا ما تشتاق ، عند صفوتها بالحكمة الحقيقية والأعمال الصالحة ، إلى العالم العلوى ؛ وكان القالب أرضى السِّنْخ ، ولهذا مايشتاق ــ عند تكدره بالجهالة المغوية والأعمال السيئة ــ إلى العالم السفلى . فاذاً يجب علينا أن نلتزم ما هو خير مطلق لنصلح به النفس لما هو مشوقها ، ونحترز مما هو شر مطلق لئلا ينجذب به القالب إلى ما هو مشوقه ، وأن نعلم أن التزامنا للحالة الثانية هو المذلة الأبدية .

إن النفس[5] إليها الطلبة ، والبدن بمنزلة المطية ، وقائدها نحو الخير رفيع الهمة ، وعملها الإمعان بالعزم الصحيح نحو الغاية ، وآفتها استدبارها الجهة من أجل التلون فى الهمة ، وسبب آفتها الميل إلى الراحة واللذة ، ونجحها استخلاص الجوهر من شوائب الكدورة ، وفضيلتها أن توافق العقل والحكمة ، وتخالف الهوى والشهوة ، وشينها أن تصدأ بالسهو والغفلة فلا تميز بين الخمول والرفعة ، ومفتتح عملها جمع الهمة على تقوية العزيمة ، وغاية كمالها أن تطلع على الخير بعين البصيرة ، وتمام غرضها الفوز بالسعادة فى الدنيا والآخرة .

---

(١) ف : الله تعالى عادل لا يحب الا العدل .
(٢) الواو غير موجودة فى س و ف .
(٣) ف : والله تعالى .
(٤) الواو غير موجودة فى س و ف
(٥) س : لها طلبة .

إصابة درجات[1] الاعتدال ، أعنى صورة العدالة المطلقة ، تحصل[2] للإنسان بثلاث غايات : وهى تزكية النفس ، ورياضة البدن ، وتدبير الملك . فأما تزكية النفس[3] فعلقة بالعفة والنجدة والحكمة والعدالة . وأما رياضة[4] البدن فعلقة بالجلادة والصبر والنظافة والزينة . وأما تدبير الملك فعلق بأدب الاقتناء وأدب التثمير وأدب الانفاق . وقد يقال إن هاهنا[5] غاية رابعة ، وهى معاشرة الإخوان[١٥٤ب] ، ومدارها على الطلاقة والاحتمال والظرف والإكرام .

فعل القوة الشهوية ربما يقع من الإنسان بحسب جذب المشتهى إلى نفسه ، وربما يقع بحسب الانجذاب إلى مشتهاه تطلباً لخاصة الاتحاد . وفعل القوة الغضبية ربما يقع بحسب دفع المؤلم عن نفسه ، وربما يقع بحسب الاندفاع عن مؤلمه تطلباً لخاصية[6] النفور والبعد . ومتى أفرطت القوة الشهوية فى جذب الشيء عرض منه الإضرار بالغير ، ويكون ردعها بتخييل فوت الشيء الذى هو أشهى إليها منه ، أو بتخييل لحاق مؤذ يكدر ذاتها . ومتى أفرطت القوة الغضبية فى دفع الشيء عرض منه الإضرار بالغير . ويكون ردعها إما بتخييل مؤذ آخر أشد إيلاماً منه ، وإما بفوت مشتهى يسهل بلواها ؛ كما أن العقل الصريح لا يسكن إلى عرفان المبدأ القريب من الشيء دون أن يعرف المبدأ الأول على الإطلاق ، وما بين المبدأ وبين الوسط ، كذا أيضاً النفس القويمة لا تهدأ فى عرفان الغرض القريب من الشيء حتى تعرف الغرض البعيد على الإطلاق وما بين الغرضين من الوسائط . وحسب الإنسان من كمال ذاته أن يلاحظ السعادة المطلقة ويؤثرها ويجرد القصد لها ، ويكون صادق الرغبة إلى الله[7] جل وعز فى أن يجعله من الفائزين بها . فأما أن يأمن العوارض الشاغلة له عنها وهو ذو هيكل جسمانى يدور عليه الفلك ، فليس لأحد فيه مطمع أصلاً[8] .

---

(١) س : درجة . (٢) ص : تحصل جدا .

(٣) س : البدن ــ وهو تحريف ظاهر .

(٤) هى : الرياضة . (٥) ها هنا = il y a

(٦) ص : للخاصية فى النفور ...

(٧) س : عز وجل . (٨) ص : ان منه .

حصول المحبة علة[١] لمصير المتحابين معاً ، وخاوص المحبة علة[٢] لمصير المتحابين واحداً[٣] . فاذاً بدء التحاب علة للاجتماع ، وتمام التحاب علة للاتحاد[٤] .

وصاحب النجدة لا تم له القوة إلا بلقاء الأصدقاء ، وصاحب النعمة لا تم له الغبطة إلا بلقاء الأصدقاء ، وصاحب[٥] المحبة لا تم له السلوة إلا بلقاء الأصدقاء[٦] ، وصاحب المشورة لا تم له الروية إلابلقاء الأصدقاء[٧]. وكل ذلك لمـــا فى التحاب من خاصية الاتحاد .

ليست الكرامة الحقيقية من علائق[٨] المدح ، فان الصبى قد يمدح ؛ ولا من علائق العطية ، فان الكلب قد يعطى [٤٩ب] ؛ ولا من علائق التخاضع ، فان الفاتك[٩] قد يتخاضع له ؛ ولا من علائق الزينة ، فان المرأة قد تتزين ؛ ــ لكنها متعلقة[١٠] بحيازة ما يقتنى به الشرف الأبدى ، وهو الحكمة والعدالة . فأما الثروة والرياسة فمتى روعيتا على موجب الشريعة نزلتا منزلة الأجنحة المرقية بالنفس إلى الكرامة الحقيقية ، وهى الحكمة والعدالة . فإذاً الفائز بهما هو الكاسب لذاته رتبة عالية لا تفارقه أبداً . وليس البدن المكرم أيضاً هو الجميل ولا الصحيح[١١] ولا القوى ، لكنه المستعمل لجماله وصحته وقوته على ما يفيده الأمنة والسلامة ، وهو مقتضى الشريعة .

من تعهد الصلحاء بالمصافاة ، والأكفاء بالمكارمة ، وذوى التنصل بالمغفرة ، وذوى الاعتراف بالرأفة ، والجيران بالرقة ، والأقرباء بالمواساة ، والمصاحبين

---

(١) هنا خلط واضطراب شــديد فى ترتيب النسخ جميعهـا ، فرتبناها حسب ما رأيناه أوفق فى السياق .

(٢) ص : عليه . (٣) س : أحدا .

(٤) ص : للتحاب . ــ وفى س سقط قوله : للاجتماع .. علة .

(٥) وصاحب النعمة ... الأصدقاء : ناقصة فى ص . / ف : بملاقاة الأصدقاء .

(٦) وصاحب النعمة ... السلوة الا بلقاء الأصدقاء : ساقط من ف .

(٧) ف : بملاقاة الأصدقاء . (٨) ص : علامة .

(٩) ص : القائل قد يتخادع ويتخاضع له .

(١٠) متعلقة : ناقصة فى س . (١١) س : الفصيح .

بالمساعدة ، والرؤساء بالتقريظ ، والملوك بالطاعة ، والمعيشة بالإصلاح وذا الرحم بحسن التفقد — فقد استحق المحمدة . ومن تعاهد الأعداء بالأذى ، وذوى الاغتياب[1] بالمناقضة ، وذوى الحسد بالمغابطة ، وذوى البغى بالمداحسة[2] ، وذوى السفه بالحلم والإغضاء ، وذوى المواثبة بالوقار ، وذوى المشاتمة بالاستحقار وذوى الدغل بالاحتراس — فقد استفاد الأمنة . ولا يوصف الإنسان باقتناء العدالة المطلقة إلا بالجمع بين[3] الحالتين ، واستحكام الدربة فيهما ، واستيلاء المران عليهما .

إن المساعدة هى ترك الخلاف على المعاشرين بالنطق ، إيثاراً لأن يلتذوا بمخالطته ، والشكاسة هى [١٥٠ ا] الاعتياص[4] على المعاشرين بالنطق[5] تعمداً للخلاف عليهم فى شرائط الأنس . والتملق هو التحبب إلى المعاشرين مع التغافل عما يلحقه من شنار الاستخفاف به . والحب هو انجذاب النفس إلى الاتحاد بالشىء المرغوب فيه[6] . والسرور[7] هو التذاذ النفس بما تحدثه[8] من الخيرات . والخوف هو ألم نفسانى عارض[9] لفوت المحبوب . والحياء هو ألم نفسانى عارض للنفس من فزع عار النقيصة. والخجل هو حيرة النفس لاستيلاء الحياء عليها بالإفراط . واللجاج هو التمادى فى العناد إلى الفعل المزجور عنه . والوقاحة هى لجاج النفس فى تعاطى ما يذم عليه من الأفعال . والإباء هو استعصاء النفس بالترفع عن الانقياد للواجب . والحسد هو الاغتمام للخيرات التى تتفق للأخيار .

---

(١) ص : الاعتيال ، وكذا فى س . ولا معنى له هنا ، ولا يصح تصحيحها بالغين المعجمة ، لأن الاغتيال : القتل غيلة .
(٢) دحس بين القوم دحساً : أفسد ؛ والدحس : التدسيس للأمور ؛ والمقصود بالمداحسة : ايقاع الفساد بين ذوى البغى حتى تضرب بعضهم ببعض . (٣) س : من .
(٤) ص : الاعتياض / س : الاعساض — واعتاص الأمر عليه : اشتد — أى الاشتداد على المعاشرين الخ .
(٥) بالنطق ... المعاشرين : ساقط فى س .
(٦) فيه : ناقصة فى س .
(٧) ابتداءا من هنا وقع اضطراب فى س ، وسيأتى بعد فى موضع آخر .
(٨) ص : بما يتحد به من الخيرات — والتصحيح عن س .
(٩) لفوت ... عارض : ناقص فى س .

إن الاستهانة من الإنسان [١] بالإنسان تلحق النفس شبيهاً بالذبول . ومهما انتقم عادت إلى حالتها الأولى . وإن استحكام العفة سبب لمصير النفس أبية[٢] واستحكام النجدة سبب لمصير النفس علية ، وإن مجموعهما سبب[٣] لمصير النفس مستعدة لقبول الحكمـــة . وتجريد السعى لإصابة اللذة ليس له معنى[٤] فان اكتساب الفضيلة سيؤدى إليها لا محالة ، وتجريد السعى لرفع الألم به معنى ، فان إفراط الألم مدهشة للعقل ، وفى هجران اللذة تعب عظيم ، فلا تصابر إلا على ما حسن منه واحتيج إليه .

العفيف العادل مغبوط على الإطلاق ، والشره الجائر مرجوم على الإطلاق ، فان أصل الغبطة الأمن[٥] والكرامة ، والعفيف العادل قد حازهما ، والشره الجائر قد حرمهما ، وإن الخير — بما يتعاطاه من الأفعال الحميدة[١٥٠ب] — يفوز بالكرامة وبالتقريظ الأبدى ، وتلك حظوة أشرف من حظوة الملك ؛ والشرير — بما يتعاطاه من الأفعال الذميمة — يبتلى بالإهانة[٦] ويلحقه التأنيب الأبدى ؛ وتلك حالة أخس من حالة العبودية . وكل من أكرم الشره الجائر وقرظه فهو يفعل ذلك تحرزاً من شره ، وإلا فهو مُشَنَّأ مهين .

حصول المحبة علة[٧] مبدأ الحكمة . فان كل إنسان ، لفرط محبته لنفسه ، يغلط فيها فيحسبها أكمل مما هى عليه فيؤديه ذلك إلى الجهل ، والجهل يتلف النفس ولا يرحم صاحبه . وفى لذة الحكمة مجامع المدح ، ولهذا يحرص على إفاضتها ؛ وفى لذة الشهوة مجامع الذم ، ولهذا يحرص على كتمانها . والمؤثر للحكمة لا يخضع لجاه وإن جل ، ولا للذة وإن قويت ، فانها أثر من آثار كبرياء الله ، ولا كبر فوق كبريائه .

---

(١) بالانسان : ناقصة فى س .

(٢) ص : أتية . (٣) ناقصة فى ص .

(٤) فان اكتساب .. به معنى : ناقص فى ص ، فأثبتناه عن س .

(٥) س : هو الأمن .

(٦) بالاهانة ... الأبدى : ناقصة فى س .

(٧) هـذا الموضع ورد فى س فى ص ٧٤ لوحة ٦٣ ب ؛ وفى ف — وهى تتفق مع ص فى الترتيب — ورقة ٢١٥ ب السطر الأخير .

النقصانات البدنية كلها أعدام فى الحقيقة . والعدم المطلق هو النهاية فى الخسة . وكلما كانت الآفات أكثر ، فهو فى الأعدام أغرق ، وإلى الخسة المطلقة أقرب . إلا أن العاقل ، متى تحقق نقائصه ، وفجع بازدحام أوجهها عليه ، واغتم باعتياص الكمال على ذاته — فقد استحدث بذلك كمالا ، واستوجب بهذا الكمال ثواباً . ومن جعل همومه هماً [1] واحداً كفاه الله سائر الهموم ؛ ومن ترك همومه تسيح فى كل وادٍ لم يُبالِ به ربه ، ولم يحفل بأيها هلك . ولو لم يقع بين النفس والقالب — بحسب قوى العقل والطبع فى الجبلة — عناد ذاتى ، لما انطلق على الانسان شىء من الأمر والنهى الإلهى ، ولبطل أن يكون مستوجباً للثواب الأبدى .

إن الأحداث يؤاخذون [١٥١ا] بتحسين الأخلاق ، والشيوخ يطالبون بتكميل الفضائل ، وإحدى الحالتين مدرجة إلى الأخرى — وهذا بحسب القوة العملية [2] . ثم إن الأحداث يؤاخذون بطريق التقليد ، والشيوخ يطالبون بطريق التحقيق ، وإحدى الحالتين مدرجة إلى الأخرى ، وهذا [3] هو بحسب القوة العلمية .

وللحكمة زمان كتمان ، ولها أيضاً زمان إظهار ، فلا يصلح زمان الكتمان لإظهارها ، ولا زمان الإظهار لكتمانها ، وهى تنقص أهلها فى غير حينها كما تزيدهم فى حينها [4] ، وتضعهم عند غير المستحقين لها [5] كما ترفعهم عند المستحقين لها .

ومن كان غرضه من تأدية أعماله جودتها فى نفسه ، لم يبدر منه غير الجيد أصلا ، وذلك لعلمه بأن واحداً من أعماله متى صودف غير جيد لم تصنه [6] جودة البواقى عن السُّبّة والعار ، بل يصير أشنع له وأقبح فى أعين الناظرين ، فيبور لأجله سعيه ويحبط جميع ما [7] عمله .

---

(١) هما ... همومه : ناقصة فى ص ، فأثبتناها عن س .
(٢) س : العلمية — وهو تحريف ظاهر .
(٣) هو ساقطة فى س .
(٤) كما تزيدهم فى حينها : ساقطة فى س .
(٥) كما ترفعهم ... لها : ساقطة فى س .
(٦) س : لم تضعه . (٧) س : ويحبط عمله أجمع .

فضيلة الفلاحين هو التعاون بالأعمال ، وفضيلة التجار هو التعاون بالأموال ، وفضيلة الملوك هو التعاون بالآراء السياسية ، وفضيلة الإلهيين هو التعاون بالحكم الحقيقية(١) . ثم هم جميعاً يتعاونون على عمارة المدن بالخيرات والفضائل . وكما أن اللواء لا يأخذه إلا من قوى عليه ، والغذاء لا يؤخذ منه إلا بقدر ما يمكن هضمه — كذا أيضاً لا ينصّب للرياسة إلا الناهض بأعبائها ، وهو(٢) الأكمل فى الفضائل الخمس : أعنى العفة والنجدة والحرية والعدالة والحكمة.

كما أن العنان يكبح الفرس الجموح إلى ما تدبره الرياضة من نهج فضيلة ، كذا [١٥١ب] الشريعة تكبح العامى المتخبط إلى ما تدبره(٣) الحكمة من نهج فضيلتها . وكمال(٤) الملك لا يرضى الانحطاط إلى أن تدبره حُرَمُه وضَعَفةُ حاشيته ، والعالم(٥) الكامل لا يرضى بالانحطاط(٦) إلى ما يدبره أصاغر تلاميذه .

من تشبه بخيار الناس فقد ازداد عند شرارهم نفاقاً ، ومن تشبه بشرارهم فقد ازداد عند خيارهم كساداً ؛ والتماس الراحة(٧) بالراحة يورث طول النصب. وإفراط الإنسان فى محبة ذاته مدعاة للأذمَّيْن من الخصال : وهما العجب والترف ، وتارك التأدب رأساً بالحرى(٨) أن يكون عائلا(٩) فقيراً .

القوة التمييزية ، كلما كانت أوفى قسطاً من التمييز وأنقى من الدرن والشوب ، كانت(١٠) أسلس قياداً للعقل . ومهما لحقها الشرور ، فان نسبتها إلى العقل تصير مضاهية لنسبة الأعضاء(١١) المفلوجة إلى البدن القوى . فكما أنها متى حركت نحو اليمين تحركت نحو الشمال لما عرض لها من الآفة الجسمانية ، كذا حال الشره والمظلوم والمتهور والجبان فى تحريك هذه القوى منهم على خلاف

---

(١) ص : الحقيقة . (٢) ص : وهى .
(٣) س : تريده . (٤) ص : وكما أن الملك ...
(٥) س : والعامل . (٦) س : الى ما تدبره طبيعة خاصية
(٧) ص : الراحة من الراحة نصب يورث طول النصب .
(٨) ص : التأدب رأسا وأن يكون ...
(٩) العائل : الفقير ، ومنه الآية : « ووجدك عائلا فأغنى » .
(١٠) ص : كان ، وكذا فى س . (١١) س : المعلوجة .

ما يوجبه العقل . بل لا خلاف بين المتحركين والحركتين إلا أن أحدهما يحس ، والآخر لا يحس[1] .

مفتتح السعى فى تحصيل الاستقامة هو التعرف للسيرة التى هى أدوى والسيرة التى هى أشفى[2] لنفسين إحداهما إلى الأخرى فيؤثر منها الأعلى . ومتى ألفاهما[3] من التساوى بحيث يقصر عقله عن إثبات الحكم فيها التجأ إلى الشريعة الإلهية ، ولا يثق فى أمرهما بالعقل الجزئى. فمن أحب أن يعيش عيشة الملتذين على الإطلاق فهو مفتقر فى اختيار السيرة إلى استبراء هذه الحالات . [١٥٢ا] وكل من أهمل أمره فهو إما عادم التأدب ، وإما منحل العزيمة .

إن للإيمان[4] درجات شتى : أولاها الخوف ، ثم الرجاء ، ثم اليقين ، ثم الحب، ثم الاتصال ، ثم الاتحاد . وللكفر[5] درجات شتى : أولاها الزيغ ، ثم الرين ، ثم الغشاوة ، ثم الطبع ، ثم الغلاف ، ثم القفل . وللقبول درجات شتى : أولاها الارتضاء ، ثم التقريب ، ثم الاحتباء[6] ، ثم الاصطفاء ، ثم الاستخلاص ، ثم الرفع بالإجلال . وللرد درجات شتى : أولاها الحط ، ثم القطع ، ثم الإبعاد ، ثم الطرد ، ثم الخسأة ، ثم الطرح بالإهلاك .

الإيمان هو إذعان النفس للحق على سبيل التصديق له باليقين ؛ ومتى صار ملكة للنفس فانه سيؤديه إلى العمل بما يوافق الحق . ومن[7] حرص على ما لا يحتاج إليه وترك ما يحتاج إليه فكأنه تكلف ما لم يخلق له وأسقط ما خلق له . والفطن الكيس[8] منْ استفرغ أيامه لتأدية ما خلق له . والمغبوط من كفى[9] الاهتمام بما يشغله عن الخير المطلق .

---

(١) والآخر لا يحسن : ساقطة من س .

(٢) س : هى أشفى لنفسين ؛ وفى ص : التى أدوى والسيرة التى هى أشفى احداهما ...

(٣) من هنا اضطراب فى س وتداخل كلام بعض فى بعض ، وقد ورد ما يتلو فى س فى غير موضعه فى ورقة ٧٣ ب (لوحة ١٦٣) .

(٤) س : للتوفيق .

(٥) س : وللخذلان . ــ درجات شتى ... الارتضاء : ناقصة فى س .

(٦) ص الاحتبآ . (٧) ص: ومتى .

(٨) ص: متى . (٩) س : بالاهتمام .

الإلحاد هو العدول عن الحق ، إما باللجاج والمعاندة ، وإما بالعادة والاقتداء بالغواة من الجمهور ، وإما بالقصور عن النظر . والفاضل من اطرح العناد وترك تقليد غيره ونظر لنفسه .

إن كان الانفعال الجسدانى — كالشهوة والغضب والخوف والخور — أبلغ شاغل للعقل ، وكان الاعتصام بمن له الخلق والأمر وبه الحول والقوة أبلغ ما يتقوى به العقل ، فبالحرى أن يكون الدعاء الخالص حصناً حصيناً من النقائص [١٥٢ب] . والمقدم صادق ، فالتالى(١) إذاً صادق .

كل من لم يقو على معالجة العالم إذا مرض وحفظه على صحته إذا برىء . فليس يستحق إمامة العالم إلا من شيئين : أحدهما الملك التغلبى ، والآخر التجاذب الهرجى . فأما الملك التغلبى فهو قبيح بذاته ، ويتراءى للنفوس الفاسدة أنه(٢) حسن . وأما التجاذب الهرجى فهو مؤلم بذاته ، ويتراءى للنفوس الشريرة أنه ملذ . وعلاج أمر(٣) الاثنين الإقبال على الله والتمسك بدينه القويم . ومهما نقه العالم من مرضه فقد صارت الولاية للقوة التدبيرية ، فاستجرت بها الأنفس إلى الفضيلة الحقيقية .

من أيقن بشرف الحكمة ثم شاهد جماعة ، ليسوا من أهلها ، أغبط عيشاً فى هذه الدنيا ممن هو من أهلها ، فقد اضطره الرأى إلى أن يوجب الشرف للغبطة فى الدار الأخرى . ثم إذا كره الموت الذى هو المعبر إلى نيل تلك الغبطة فكأنه كره الرفعة التى لأجلها حرص على اقتناء الحكمة ، وخصوصاً إذا علم أن نعيم الدنيا — أعنى المال والرياسة والأتباع والحاشية — شواغل عنها ، وأنه جدير أن يرفض عامة ما يعوقه عن اقتنائها ، وأن يقيم جسده مقام الثغر الذى فيه تقاتل النفس القوية أعداءها المعترية : كالحرص والشهوة والغضب وغيرها ، ليفوز عند الظفر(٤) عليها بالكنوز والكرامات المعدة لها ، وأن يعلم أنه لا شىء أنفع له من صيانة النفس عن هذه الآفات ، وأن الحكمة فى ذاتها عاجلة المؤونة آجلة(٥)

---

(١) المقدم والتالى : هما قسما القضية الشرطية .
(٢) أول ورقة ١٧٨ ا فى ط . (٣) س : أمره .
(٤) ط : القدرة ، وكذا فى س . (٥) ص : ثم آجلة .

المثوبة ، وأنه لا شيء أسرع إلى الفساد من عقل المعتنى بها ، وذلك لفرط لطافتها ودقيق صفاتها . على أنه لو لم يكن فى اقتناء الحكمة إلا [١٥٣] اكتساب اسمها الشريف على الأبد ، وإلا التفصى[١] من عار الجهالة وشين الغفلة للزم العاقل أن يتمسك بها وينفض[٢] شغله[٣] على استيفاء الحظ منها . فكيف وقد علم أنها[٤] مفضية بأربابها إلى الخلود ، ومدفعة عن نفوسهم روعة الهلاك ، وجاعلة همومهم كلها هماً واحداً ، ومؤدية لجواهرهم إلى خصائص كمالاتها . وللإنسان[٥] استكمالان : استكمال طبيعى ، واستكمال نطقى . وأما[٦] الاستكمال الطبيعى فسيتحد به طبعاً ، وأما الكمال النطقى فليس يفوز به إلا من صدقت عنايته بنفسه فى معاناة الأمور المختارة بالذات علماً وعملا . ولهذا قيل : إن وجود الكمال المطلق للأشياء المحصلة بالعقل ليس بمتبع لحصول أنياتها[٧] ، بل هو نافع لخصائص أفعالها وانفعالاتها . ولذلك شبهوا الكمال الطبيعى بصورة الحيوانية فى الدجاجة والفرخ ، وشبهوا الكمال النطقى بصورتها فى البيضة والبزر[٨] بل لهذا ما أحوجوا فى الكمال النطقى إلى معونة من خارج حسب احتياج البيضة[٩] إلى حاضن يسوقه نحو كماله الأخص . ولولا ذلك لما افتقر كل واحد من البشر فى عنفوان نشوئه وابتداء جبلته إلى متعطف بالعناية الصادقة عليه ليسلخه بالتدريج عن حالته الطبيعية إلى كماله النطقى ، أعنى الحالة التى يستغنى لها بجوهره عن معنى من خارج[١٠] ، فيهتز عند ذلك بنفسه إلى درك كماله[١١] حتى يصير إنساناً بالفعل ، أعنى بالهيئة الحقيقية ، لا بالصورة التخطيطية .

---

(١) س : عين ... وشين الغلة . (٢) ص : ينقص .

(٣) س : عن . (٤) س : منقضة .

(٥) الواو ناقصة فى ط و س وف ، ومضافة فى ص .

(٦) ط : فأما \ س : فالاستكمال .

(٧) جمع أنية = τὸ ὄν ، أو جمع آنية = τὸ εἶναι = الوجود .

(٨) ص : والبرز ـ والبزر (بالزاى) : كل حب يبذر للنبات ، والجمع : بزور .

(٩) كذا ! والأولى أن تكون : البيض .

(١٠) س : مخارج . (١١) س : كما يصير .

ولهذا(١) قيل إن : لا أُنّ(٢) خير من بئس الأنّ ، يعنون بذلك أن : لا حياة خير من بئست[١٥٣ب] الحياة . وعلامة « بئست الحياة » ألا يأخذ ما اتفق له من الخيرات الخارجة(٣) عن القصد الأول والكفاية حسب ما تأخذه الحيوانات الأخر ، بل(٤) يسرف على نفسه بجذب ما يستغنى عنه ، ويجنى على غيره بمنع ما يحتاج إليه ، اتباعاً لشهواته الفاسدة والظنون الكاذبة ، فيرتبك طول عمره فى الآلام والحسرات . ومن ها هنا يعلم أن الكمال الطبيعى قد يستفيده الإنسان بالقهر والضرورة . فأما الكمال النطقى فليس يستفيده إلا باستحكام الدربة بالأفعال الإرادية . بل يعلم أن الأفعال الإرادية المؤدية إلى هذا الكمال أكثرها يوجد على سبيل الإلجاء . ويشبه(٥) أن يكون الإلجاء حالا(٦) متوسطة بين الطوع والضرورة . فان الإنسان ، وإن كان مختصاً(٧) بالاختيار ، فاختياره ليس بمتوجه أبداً نحو الصلاح والصحة ، بل يفتن إلى طرفى(٨) الصحة والفساد . وأعنى بهذا أنه يجرى ذلك منه لطلب اللذة أو الراحة(٩) على سبيل الانجذاب إليه بالشهوة ، حسب ما يجرى ذلك(١٠) لفائدة(١١) نطقية وعلى سبيل الحمل

---

(١) قيل : ناقصة فى ط / وفى س : ولهذا ما قيل \ ف : ولهذا قيل : لا أن خير من بئس الوجود .

(٢) = τὸ ὄν = وجود ــ أى : لا وجود خير من بئس الوجود .

(٣) ط : وعلى ــ وكذا فى س ، ف .

(٤) س : يشرف .

(٥) ويشبه ... الالجاء : ساقط فى س .

(٦) س : حالة . (٧) س : محضا .

(٨) س : طرفى فيه (!) ، وهنا يأتى فى س موضع أصله فى موضع سابق كما أشرنا . (٩) ط : راحة .

(١٠) من هنا حتى قوله : لفائدة نطقية وعلى سبيل الحمل عليه بالغلبة ... (راجع بعد) : ناقص فى ط / فى ف ورد هكذا : وذلك منه لفائدة نطقية ، وعلى سبيل الحمل عليه بالغلبة ، الا أن احداهما مستدعى اليه طبعا ... \ فى ص : حسب مايجرى ذلك على طريقة الاستحقاق . فصل : كما أن قوام البدن بالطبيعة ...

(١١) ورد هذا الموضع فى س ص ٧٦ (لوحة ٦٤ ب) بعد قوله : هى أشفى لنفسين احداهما الى الأخرى فيؤثر منهما الأعلى ومتى ألفاهما الصحة والفساد ، وأعنى بهذا أنه يجرى ذلك منه لطلب لذة أو راحة وعلى سبيل الانجذاب اليه بالشهوة حسب ما يجرى ذلك منه لفائدة نطقية وعلى سبيل ...

عليه بالغلبة ، إلا أن أحدهما مستدعى إليه [١٥٥ا] طبعاً ، والآخر مستدعى إليه عقلا . ولما كان النطق ينقسم قسمين : — وذاك[١] أن المعانى النطقية هى كذلك[٢] ، أعنى أنها تنقسم إلى الموجودات التى لا يمكن وجود أوائلها بنوع آخر ، وهى المعانى الضرورية كالمساوية للشىء الواحد متساوية ، وإلى الموجودات التى لا يمتنع وجود أوائلها بنوع آخر ، وهى المعانى الممكنات كاكتساب المال الموهوم حصوله من صناعات مختلفة ، ثم كان العمل واقعاً فى هذا القسم حسبما كان العلم واقعاً فى ذاك[٣] القسم ، وكان[٤] الكمال الإنسى متعلقاً بمجموعهما[٥] — فكذا صارت السعادة التى هى الكمال المطلق أيضاً منقسمة قسمين : أحدهما غاية النطق العملى ، وهو الكمال الإنسى[٦] ، وتسمى سعادة أدنى ، وحدُّها فعل للنفس[٧] بفضيلة كاملة خلقية[٨] ، والأخرى غاية النطق النظرى وهو الكمال الروحانى ، ويسمى سعادة قصوى ، وحدها فعل للنفس بفضيلة كاملة حكمية . وبالكمال[٩] الإنسانى ، وهو الأول ، يسمى الرجل متعقلاً ظريفاً ، وبالكمال الروحانى وهو الثانى يسمى الرجل[١٠] عاقلا حكيما . على أن العمل لا يشرف إلا بعلم ما . غير أن علمه قد يقع من جهة التسليم للآراء المحمودة أولا ، وبالتجارب والاختبارات ثانياً . على أن العلم التجربى لا يكاد يصفو إلا بالعمل الصائب ، بل لا يصح له الحكم بما يباشره منه إلا باكتساب الهيئة الفاضلة بالعادات الجميلة . وذاك أن من كان ذا رذيلة واحدة لم يصلح[١١] للاختيار المحمود أصلا ، لأنه يظن لأجلها أن ما ليس بأفضل هو الأفضل[١٢] ، أو يؤثر النافع الجميل [١٥٥ب][١٣] أو اللذيذ على الخير . فاذا كانت هذه حال[١٤] ذى رذيلة واحدة ، فما ظنك بالذى امتلأ بالرذائل ! على أن العلم

---

(١) ف : وذلك . (٢) ف : لذلك .
(٣) س : هذا . (٤) س : فكان .
(٥) ص : لمجموعها وكذى / ف : لمجموعها فكذا .
(٦) ط : الانسانى .
(٧) ص : النفس . (٨) ص : خلقية .
(٩) وبالكمال الانسانى ... ظريفا : ساقطة من س .
(١٠) س : حكيما عاقلا . (١١) ط : لم يصح .
(١٢) س : و . (١٣) ط : و .
(١٤) س : ذوى / ف : حال رذيلة واحدة .

المطلق أيضاً ليس[١] مما يصفو لأحد من غير عمل ، فان من لم يجرد سعيه لطلب الحكمة[٢] ولم يستخلص همه له ، ولم يأخذ الخيرات النافعة التى يستعين[٣] بها على السلوك نحوها ، ولم يتوخَّ أن تكون إصابته لها على سبيل الهوى والمفاخرة ، بل على سبيل الترقى[٤] نحو الفضيلة ، تقسمت أوقاته كلها ، وتشعبت حالاته أجمعها ، ولم يكمل البحث[٥] عن واحد من مقصوداته ، بل عاقه أحد الخيرات العرضيّة[٦] ــ كالمال أو الرئاسة أو اللذة أو الراحة ــ عن حاقِّ[٧] الخير المحض الذى هو أولى الأمور به ، أعنى الإحاطة بأشرف المعلومات ، والثقة بما يتيقن[٨] به منها .

أحق اللذات بالطلب الألذ منها ، وليس يعرفها إلا من ذاق جميعها ، ومن ذاق جميعها[٩] فقد ذاق لا محالة لذة الحكمة ، وليس يذوقها غير محب الحكمة . فاذاً الفائز بهذه اللذة قد تطعم جميع اللذات بفضل التجربة ، وأيقن أن لذات[١٠] البدن مؤدية إلى الأحزان ، لاسيما عند الغلط بالافراط أو[١١] التفريط . ولذة الترأس جالبة التحاسد وبغضة الأقران ، ولا سيما عند تعذر الغلبة ووقوع الأمر بالضد ، فانها تجلب الشماتة ورغم الأصدقاء . فأما لذة الحكمة فهى صافية حقيقية مستتبعة لسائر اللذات ، إذ هى بأجمعها لهذه اللذة كالظل من الشخص . وهذه اللذة الواحدة هى اللذة الخالصة الخاصة بجوهر الإنسان بما هو إنسان ؛ وأعنى بهذا أن اللذات الأخر [١٥٦ ا] واصلة إليه لا بما هو إنسان ، بل[١٢] بما هو حيوان . وكل لذة لم يكن خلوصها له من حيث هو إنسان ، فليس يعد العمر المصروف إليها عمراً مختاراً بذاته ، بل هو مختار لغيره . ومن قطع عمره عن ذات نفسه فقد ماتت همته الإنسانية ، وقد خلصت عيشته للخاصة الحيوانية . ومن

---

(١) مما : ساقطة فى س . (٢) س : ولا .
(٣) ط : يستغنى . (٤) الترقى : ناقصة فى ص .
(٥) ط : للبحث ، وكذا فى ف . (٦) ص : العارضية .
(٧) ص : حقائق . ــ وما أثبتناه عن ط و س . ــ والحاق = الحقيقة .
(٨) به : ناقصة فى ف .
(٩) ومن ... جميعها : ساقطة فى س .
(١٠) س : الأبدان . (١١) ط : و .
(١٢) بما : ناقصة فى ص .

رضى لنفسه بمثل هذه الحال فقد صار ظالماً لها(١) ، لأنه يستفسد جوهراً خلقه الله تعالى لأشرف الأغراض وأجلها ، ويظهر من نفسه أنه ليس بمستأهل للإحسان(٢) إليها ، وهـذه هى الشقاوة(٣) التامة . فالسعادة إذن بالضد من هذه الحالة . فالسعيد إذاً من عرف جوهره ، وعرف كماله الأخص به(٤) ، وصرف سعيه إلى تحصيله ، فيصبح ملتذاً بجوهره ، مغتبطاً بما أوتيه من فضيلة ذاته ، مسعوداً بما يناله من الزلفى إلى من له الخلق والأمر والطوبى فى بقاء(٥) الأبد . وليس يظفر بهذه المرتبة إلا من أيقن أنه لا راحة لمن تعجل الراحة ، ولا لذة لمن انهمك فى اللذة ، ولا مهنأ لمن أولع بطلب الثروة ، ولا عز لمن تذلل فى طلب الرياسة ، ولا ملك لمن كان عبداً لشهواته ، ولا شرف لمن صار آلة لبطنه وفرجه ؛ ولم يبلغ التمام من لم تكن سيرته على نظام .

فصـــل

كما أن قوام البدن بالطبيعة ، وقوام الطبيعة بالنفس ، وقوام النفس بالعقل — كذلك قوام المدن بالملك ، وقوام الملك بالشريعة ، وقوام الشريعة بالحكمة لأنها تصدر عن الحكيم العليم . فمتى(٦) ظهرت الفاحشة فى المدينة فارقتها الحكمة ، ومتى فارقتها الحكمة خذلت الشريعة ، ومتى خذلت الشريعة زالت زينة الملك ؛ ومتى زالت زينة الملك حطت الفتنةُ أعلام المروءة ، وعثرت بذوى النعم [١٥٤] عواثر النقم . وقوة فكر الملك أبلغ(٧) فى حراسة الملك من قوة الجند . والجهل فى مبادئ الأمر يضر فى عاقبتها وفى كل ما يتبعه ؛ والجهل فى أواخره(٨) يقتصر فى مضرته على الشيء المجهول .

---

(١) لها : ناقصة فى ص .
(٢) س : للانسان .
(٣) س : السعادة .
(٤) به : ساقطة فى س .
(٥) ط : ببقاء الأبد / س : ببقاء الأدب .
(٦) س : فمن .
(٧) س : من .
(٨) س : أوائله .

وقال[1] الجاحظ : احذر كل الحذر أن يختدعك الشيطان عن الحزم فيمثل لك التوانى فى صورة التوكل ، ويسلبك الحذر باحالتك على القدر . فان الله — عز وجل — إنما أمرنا بالتوكل عند انقطاع الحيل ، وبالتسليم للقضاء بعد الإعذار ؛ وأنت تجد ذلك[2] فى الكتب المنزلة وسنن الرسل عليهم السلام .

∴

وقال العامرى[3] : كل من[4] امتنع عليه إبراز[5] [١٥٦ب] فعله الخاصّ به ، فقد صار وجوده مضاهياً لعدمه . وتلك هى[6] خساسة ذاته .

الإنسان[7] لن يشرف بأن يصير مالكاً ، بل يشرف إذا صار مَلَكاً . وفعل المـــالك حفظ القنية على صورتها ، وفعل الملك حفظ مراتب القنيات على درجاتها .

إن كان الأول المحض والآخر المحض بالذات شيئاً واحداً — وإن اختلف الوصفان عليه بالإضافة — فبالحرى أن يكون المبدأ المحض والغرض المحض أمراً واحداً غير مختلفين بالذات وإن اختلفا بالإضافة .

مراتب[8] التعرف للذات بحسب المبدأ أربع مراتب : وهى[9] أن تعرف ما هو ، ومن جاء به ، ومن ماذا جئ به ، وكيف كان مجيؤه . فأما تعرف الذات بحسب [10] الغاية فهو أيضاً أربع مراتب : وهى أن يعرف لمـــاذا هو ، وكيف السبيل إليه ، وما الذى يحتاج إليه فى التوجه نحوه[11] ، وما الذى يعوقه عن بلوغه .

---

(١) الواو ناقصة فى ط و س . (٢) س : ذلك عيانا فى ...
(٣) ط : العامرى (عنوان فى وسط السطر) . وكذا فى س .
(٤) ط : ما .
(٥) س : ايراد . (٦) س : فى .
(٧) تكرر من قبل فى ص ٣٥٥
(٨) راجع من قبل شبيه هذا فى ص ٣٥١ س٢ — س٦ . — وقد ورد الفصل التالى فى « منتخب صوان الحكمة » (مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم ح ٦٦٤٣ لوحة ١٣٧) .
(٩) وهى : ناقصة فى « المنتخب » .
(١٠) ط : الغرض . وفى (المنتخب » : بحسب الغرض أى الغاية .
(١١) نحوه : ناقصة فى س .

من سوس[1] العقل الصريح التفرقة[2] بين الحسن والقبيح ، ثم السكون إلى الحسن ، والنفور عن القبيح . إلا أن الشيء[3] متى كان مفرطاً فى الحسن فانه يبهر العقل الجزئى ، فلذلك[4] يحتاج فيه إلى التدريج إليه ، ثم التمرين عليه .

لن ينتفع بسياقة الشيء إلى الكمال إذا لم يحفظ عليه ، ولن ينتفع بالحفظ عليه إذا لم يُصَيِّر[5] ذاته بنفسه مستحفظاً[6] لطباعه على أخص[7] كماله ، ولن ينتفع بمصير ذاته مستحفظاً بطباعه على أخص كماله ما لم[8] يصر آمناً من طرآن الآفة المغيرة له[9] عنه . ولن ينتفع بالأمن منه إذا لم يكن الأمن[10] أبدياً على الاطلاق .

فصـــــل

البيان باللسان يمتحن ، والعقل بالتدبير يقتبس ، والحزم بالعزم يختبر

الصمت خير من مناوأة[11] الجهال

القطيعة خير من مواصلة الأشرار

العقم[12] خير من الولد الأحمق

الخمول أسنى من الذكر الذميم

العاقل [١٥٧] المحروم أفضل من الأحمق المرزوق

سقوط المنزلة عند السلطان السوء خير من التوجه عنده

خشونة العيش مع الصلاح خير من لينه مع الفساد

الفاقة خير من غنى البخيل

---

(١) أى : طبيعة — تقول : فلان من سوس صدق وتوس صدق : أى من أصل صدق .
(٢) فى « المنتخب » : المعرفة .
(٣) س : المسيء .
(٤) س : فكذلك لا يحتاج ...
(٥) ط : يصر ذاته مستحفظا . وفى « المنتخب » : يصر .
(٦) س : مستخفا .
(٧) فى « المنتخب » : أخلص .
(٨) ولن ينتفع ... كماله : ناقصة فى ص وفى « المنتخب » و س .
(٩) فى « المنتخب » : منه .
(١٠) الأمن : ناقصة فى « المنتخب » .
(١١) س : منافات .
(١٢) س : العم — وهو تحريف ظاهر .

الرجال أربعة : جواد ، وبخيل ، ومسرف ، ومقتصد : فالجواد من أعطى نصيب دنياه لنصيبه من آخرته ؛ والبخيل من لا يعطى واحداً منهما نصيبهما ؛ والمسرف الذى يجمعهما لدنياه ؛ والمقتصد الذى يعطى كل واحد منهما نصيبه .

إذا كان العقل صحيحاً ، والفهم قوياً ، كان يسير التجربة له كثيراً .

فأما قوة الأبدان فانما جعلت قسما لمن لا حظ له من العقل ، بمنزلة البهائم.

من اشـــتاق إلى الجنة تسلى(١) عن الشهوات ؛ ومن(٢) أشفق من النار رجع عن الخطايا .

من زهد فى الدنيا تهاون بالمصائب .

من ارتقب الموت سارع إلى الخيرات .

اليقين يتم بأربع(٣) شرائط : بتبصرة الفطنة ، وتأويل الحكمة ، وموعظة العبرة ، وسنة الأولين . فمن صبر على الفطنة تأول الحكمة ، ومن تأول الحكمة عرف العبرة ، ومن عرف العبرة فكأنما عاش فى الأولين والآخرين .

الجهاد على أربع شُـعَب : على أمرٍ بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، وصدق فى المواطن ، وشنآن المنافقين .

وقال(٤) بعض العلماء : يعذب الله المرء على الذنب بعد مقامات كثيرة من السر والعلانية : فأولها الخاطر ، ثم الاهتمام ، ثم نسيان مولاه ، ثم قبول الوسوسة ، ثم الفكر ، ثم الإرادة ، ثم العزم ، ثم الإظهار ، ثم الطلب ، ثم الفعل ، ثم الإصرار ، ثم الطغيان ، ثم التمادى — إلى أن يموت عليه . فان تاب بعد هذا كله قبل حضور الموت ، تاب الله عليه . فانظر إلى هذه المقامات : سرها وعلانيتها[١٥٧ب] فان سببها الهوى وتمكن الشيطان من مرتبة بعد مرتبة : وهى كالسُّكر الذى يحجب العقل عن الذكر . ولا علاج له إلا مجاهدة الهوى ، وترك الاستجابة لشىء من أسبابه إلا بعد الروية ومشاورة العقل والالتجاء إلى الرب تعالى ذكره . فاذا لم يحاسب المرء نفسه فى صغير ما يخطر بباله وكبيره

(١) ط : سلا .
(٢) ط : من ، وكذا فى س .
(٣) ص : بأربعة .
(٤) ط : قال ، وكذا فى س .

ولم يفتش عن أحواله كلها ، ولم يقهر هواه بعقله — كيف يسلم من خديعة عدوه الذى هو معه لا يفارقه طرفة عين ، ويوسوس إليه بالشبه والأغاليط ! !

وقال العارف فى قوله[1] عز وجل : « يؤمنون بالغيب »[2] — قال : الغيب كل ما لم يظهر لحواسك . فالله — عز وجل — غيب ، ووعده[3] غيب ، والآخرة غيب . وإنما سُمِّيتْ هذه غيباً لأنه خفى على غير أهله حتى دق وارتفع على الحواس واتصل بعلوم أهل الحكمة من العلماء والصديقين ، وانتهى إلى علوم الأنبياء عليهم السلام[4] ثم اتصل علمه بالله سبحانه وتعالى[5] فكان الغاية والمنتهى . وقد تفاضل العلماء فيما أعطوا من ذلك[6] ، فقال عز وجل : « وفوق كل ذى علم عليم[7] » .

. · .

قال الأستاذ أبو على أحمد بن محمد مسكوية :

إنى لم أطمع فى استيعاب جميع الحكم الجزئية . وكيف أطمع فيما لا نهاية له ! وإنما أطمع[8] ويطمع العاقل فى الأصول والقوانين التى تجمع الفروع وتحتوى على الجزئيات بالقوة . وقد أحكمت ذلك[9] بمقدر الطاقة فى غير هذا الكتاب . وكان غرضى فى هذا التأليف ما ذكرته فى أوله من إتمام كتاب « جاويدان[10] خرد » بما يليق به من حكم الفرس والهند والعرب والروم [١٥٨ا][11] — الجزئيات التى ينتفع بها جمهور الناس ، فيشاركون أعيانهم وخواصهم . وسيمر بك المكرَّر فى المعنى واللفظ ؛ والقصد فى ذلك أن تعلم أن عقول الأمم[12] كلها تتوافى

---

(١) س : قوله تعالى .
(٢) سورة « البقرة » آية ٢ .
(٣) س : وعنده غيب .
(٤) عليهم السلام : ناقصة فى ط و س ، ووردت فى ص .
(٥) وتعالى : ناقصة فى ط و س ، ووردت فى ص .
(٦) س : من هذه المنزلة والعلم ، فقال ...
(٧) سورة « الشورى » آية : ٧٦ .
(٨) أطمع و : ناقصة فى ط و س ، وواردة فى ص .
(٩) ل : لك ذلك .
(١٠) س : جاويذان خرذ — وكذا فى ط (بالذال المعجمة فى كلا اللفظين) .
(١١) الجزئيات : ساقطة فى ط .
(١٢) ص : العلماء الأمم .

على طريقة واحدة ، ولا تختلف باختلاف البقاع ، ولا تتغير بتغير الأزمنة ، ولا يردها رادٌ على الدهور والأحقاب . ويصح بذلك لقبه ، أعنى « جاويدان[١] خرد »[٢] . فلذلك يجب أن يقتصر على مبلغ ما أحصيته ، ولا تطلب الغاية فيما لا غاية له .

تم[٣] الكتاب المسمى « جاويدان خرد »

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

والحمد لرب العالمين

[[تم الكتاب المبارك فى واحد وعشرين[٤] من شهر ربيع الأول

من سنة ثمان عشرة وثمانمائة[٥] . نسخة العبد الفقير يالبوغا

مملوك سليمان العادلى ، رحم الله من ترحم عليه

وعلى جميع المسلمين . آمين[٦]]]

---

(١) س ، ط : جاويذان (بالذال المعجمة) .

(٢) اذ معناه : « الحكمة الخالدة » .

(٣) ط : نجز كتاب جاويذان خرذ بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ، على يد أضعف العباد وأحوجهم الى عفوه ، أحمد بن السهروردى ، فى سلخ شوال سنة اثنتين وتسعين وستمائة ، حامدا لله تعالى على نعمه ومصليا على نبيه محمد ، نبى الرحمة وشفيع الأمة وآله وعترته الطاهرين ومسلما .

(٤) ص : وعشرون .

(٥) هذا التاريخ فيه ترميج ، وان كتب بنفس الخط والحبر .

(٦) وبالهامش : بلغت مقابلته والحمد لله وحده ، وصلواته على محمد وآله . — وفى س : تم كتاب « جاويدان خرد » بعون الله تعالى وفضله ومنه ، فله الحمد أولا وآخرا ، باطنا وظاهرا . وفرغ من كتابته ابن نصر الملقب بركن النيريزى ، فى أواخر شهر ذى الحجة حجة ثلاث وخمسين وسبعمائة . والحمد لله وحده ، والصلاة على أنبيائه ورسله وآلهم وأتباعهم وأصحابهم أجمعين » .

فهرس الأعلام